منشورات أبناء الأنبا غريغوريوس

موسوعة الأنبا غريغوريوس

الدراسات الفلسفية

للمتنيح الأنبا غريغوريوس
أسقف عام
للدراسات العليا اللاهوتية والثقافة القبطية
والبحث العلمي

موســـوعة الأنبا غريغوريوس

٤ - فى الدراسات الفلسفية

بقلم

المتنيح الأنبا غريغوريوس

أسقف عام

للدراسات العليا اللاهوتية والثقافة القبطية

والبحث العلمى

Bishop Gregorius. *Philosophical Studies.* Complete Works of Bishop Gregorius, Vol. 4. Edited by Seminarian Monier Ateya. Cairo: Sharikat al-Ṭaba‘a al-Maṣriyya, 2004.

الكتاب : موسوعة الأنبا غريغوريوس ـ ٤ ـ دراسات فلسفية .

المؤلف : المتنيح الأنبا غريغوريوس .

إعداد : الإكليريكى منير عطية .

الناشر : مكتبة المتنيح الأنبا غريغوريوس .

دير الأنبا رويس بالعباسية مصر ت: ٦٨٢٤٩٦٢ ـ ٤٨٨٢٥٢٢

المطبعة : شركة الطباعة المصرية ت: العبور ٦١٠٠٥٨٩

تصميم الغلاف : الفنان عادل لبيب .

الجمع : شركة فاين للطباعة والتوريدات ت: ٤٨٢٠٩٠٣

رقم الإيداع بدار الكتب : ٢٠٠٤/١٩٩٦

حقوق الطبع محفوظة لمكتبة المتنيح الأنبا غريغوريوس

قداسة البابا المعظم الأنبا شنوده الثالث

نيافة الحبر الجليل المتنيح الأنبا غريغوريوس

مقــدمة

هذه مجموعة مذكرات فى الدراسات الفلسفية، كتبها المتنيح الأنبا غريغــوريوس (الدكتور وهيب عطا الله جرجس) بعد تعيينه معيداً بالكلية الإكليريكية فى عام ١٩٤٤.

وقد أشار لذلك صاحب القداسة البابا شنودة الثالث، فى كلمة وداعه الأخير فى اكتوبر ٢٠٠١، فقال غبطته : « بدأ التدريس فى الكلية الإكليريكية، ودرس مواداً جديدة لم ينافس فيها أحداً... فكان يدرس اللاهوت الأدبى، وكان يدرس الفلسفة، وله مؤلف كبير فى اللاهوت الأدبى وفى الضمير والمسئولية الأدبية، **وكان يدرس الفلسفة بكل أنواعها، درس الفلسفة الغربية، والفلسفة الشرقية، والفلسفة اليهودية والوجودية والاشتراكية وله كتب فى كل هذا، مع فلاسفة مدرسة الأسكندرية أيضاً مثل أثيناغوراس وبنتينوس ومن فلاسفة الغرب أغسطينوس**، وفى نفس الوقت الذى درس فيه اللاهوت الأدبى والفلسفة، درس أيضاً اللاهوت المقارن، وبخاصة اللاهوت المقارن القديم، وله كتب فى الأبيونية، والأبوليناريوسية والنسطورية وغيرها.....».

واستمرت تطبع هذه المذكرات بنظام الماستر، أى لا يزيد عدد الطبعة عن خمسمائة نسخة، ويعاد طبعها تباعاً حتى الآن.

ورأينا أن نعيد طباعتها بطريقة أفضل، بعد إعادة تجميعها وتبويبها فى مجلدات، مع إضافة الأسئلة المختلفة حول الموضوع وإجاباتها.

وسنفرد أجزاء منها لتضم سير من شخصيات الكتاب المقدس، ومن القديسين، وكذلك الدراسات الفلسفية وترجمة لحياة بعض الفلاسفة، وكذلك ستكون أجزاء للموضوعات الكنسية المتنوعة، والموضوعات العامة بعد تبويبها، بحيث تشمل أجزاء هذه الموسوعة كل كتابات المتنيح الأنبا غريغوريوس التى لم تنشر أو نفذت بعد نشرها.

وذلك لكى نوسع دائرة الإستفادة منها للجميع، كما نحمى هذا التراث من الضياع، ولتأخذ هذه المطبوعات رقم إيداع، لحماية هذه المطبوعات من النشر عن أى طريق آخر غير مكتبة الأنبا غريغوريوس، التى تكرم مشكوراً صاحب الغبطة والقداسة البابا شنودة الثالث، وخصص لها مكاناً، بالدور الثالث بمبنى الأنبا رويس بالبطريركية الجديدة بالعباسية.

ها نحن قد بذرنا البذرة الأولى، والرب وحده القادر أن ينميها، ويكلل مشروعنا هذا بالنجاح بصلوات صاحب الغبطة والقداسة البابا المعظم الأنبا شنوده الثالث، أدام لنا الرب حياة قداسته، ومتعنا الرب برئاسته للكنيسة ولنا، أباً وراعياً، وحفظ الله قداسته بكل سلامة متمتعاً بكامل الصحة والعافية، ونفعنا الرب ببركة صلوات غبطته.

الإكليريكي منير عطية

الفلسفة المسيحية الشرقية

مقدمة

نظرة عامة إلى الفلسفة

إذا كانت الفلسفة هى محبة الحكمة *Φιλοσοφία* وإذا كانت الحكمة تبتغى رأياً صحيحاً فى الكون ومبدع الكون، وتريد أن تتعرف إلى حقيقة الوجود ومركز الإنسان فى الكون، فإن الفلسفة هى محاولة الإنسان الذى ينشد الحقيقة فيما يتعلق بالله والكون والنفس البشرية وقوانين الخلق ومعايير الفضيلة، ونظام المجتمع الصالح. لكن الفلسفة لا تزعم يوماً من الأيام أنها قد أدركت الحقيقة، أو أنها أمسكت بناصية اليقين فهى بحث دائب لا ينقطع ، ومجهود متواصل لا يهن ولا يقف، وليس ذلك معناه أن لا سبيل إلى إدراك الحق وبلوغ اليقين، وليس معناه أن الحقيقة وهم أو خيال لا وجود لها، بل معناه أن الوصول إلى هذه الحقيقة صعب المنال، وأنه مهما أدركنا من حقائق فستظل الحقيقة العليا بعيدة عن منسوب الإنسان وعالية عن إدراكه ومناله.

ولعل السبب فى أن الفلسفة ليست إلا محاولة قد تكون صائبة وقد تكون خائبة، هو أن الفلسفة تعتمد على العقل والتفكير، ـ ولما كان عقل الإنسان محدوداً قاصراً لا يستطيع أن يدرك الحقيقة كلها مهما كان جباراً ذا قدرة نافذة وذكاء فائق، ولا يمكنه أن يحيط بها من جميع نواحيها، فإننا لا نستطيع أن نركن إلى فلسفة بعينها، ومن الخطأ أن نطمئن إلى آراء فيلسوف دون آخر، وإذن يجب أن لا نتعصب لرأى بذاته ظانين أنه الحقيقة، بل يجب على من يدرس الفلسفة أو من يطلب الحقيقة، أن يرحب بكل رأى مهما كان شاذاً وغريباً . وأن يدرس كل قول يكون جديداً أو عجيباً، ويعمل عقله فى هذه الآراء وينقدها ويمحصها ليخلص منها إلى الرأى الصائب، الذى ينظر إلى جميع نواحى المشكلة بقدر الإمكان، فإذا اتضح له فيما بعد أنه قد أهمل ناحية أخرى، فليجعل لها اعتباراً. وهكذا يتقدم الفكر ويتطور الذهن فى فهمه للحقيقة الغامضة.

ومهما يكن من شئ، فإن عقول الخلق متباينة، ولذا تكون آراؤهم فى كثير من الأحيان متضاربة متعارضة، أو على الأقل غير متوافقة أو متفقة، ونحن لسنا فى حاجة إلى تعليل هذه الظاهرة الواقعة، فمن الواضح أن الناس مختلفون فى ملكاتهم العقلية، وأنهم على غير درجة واحدة من الذكاء الفطرى أو سائر الملكات العقلية من تفكير وتخيل وتذكر وتعليل واستنتاج، فضلاً عن عوامل الوراثة والبيئة المنزلية والعائلية والإجتماعية، بل وعوامل التربية والثقافة وطبيعة الدراسة والروح الإجتماعية السائدة فى العصر، ومدى الرقى والنهوض الذى أدركه الشعب الذى ينتمى إليه... إلى آخر تلك العوامل التى يكون لها دون شك، تأثير بعيد المدى فى تكوين شخصية الإنسان، وطبع تفكيره بطابع خاص يتميز به عن سائر الناس أجمعين، ثم يجب

أن لا ننسى كذلك تأثير التجارب الإنفعالية التى مر بها المفكر، والصدمات النفسية التى أصابته من بيئته أو من الأشخاص المتصلين به، أو مدى التشجيع الذى أصابه أو الاضطهاد الذى لحقه وتأذى به.

يجب إذن على الباحث فى تاريخ الفلسفة أن يعتبر كل هذه العوامل، حتى يكون على بينة من المؤثرات المختلفة التى أثرت على تفكير كل فيلسوف، ولكى يستطيع من بعيد أن يعدل أو يدرك السبب فى تضارب الفلاسفة فى النتائج التى انتهت إليها بحوثهم، وحينئذ لا يروعه هذا التناقض أو الاختلاف، مادام قد عرف أن نقطة البدء عند كل فيلسوف ليست واحدة، وأن نقطة البدء هذه، قد عملت على تكوينها عوامل مختلفة: منها المواهب الطبيعية والملكات الخلقية، ومنها البيئة عائلية كانت أو ثقافية أو إجتماعية ومنها العوامل النفسية والتجارب الإنفعالية والأمزجة والميول والنزعات.

وإذن، فيحق لنا أن ننبه إلى أن الفيلسوف ليس عقلاً محضاً أو مفكراً بحتاً، وإنما هو إنسان: يخضع لما يخضع له الناس فى الحياة، ويتأثر بما يتأثرون به فيها من خير وشر، أى أن للعوامل النفسية والوجدانات والعادات أثراً فى توجيه فكره وقيادة ذهنه، وإن كان أثر التفكير عند الفيلسوف أقوى من أثر العوامل النفسية.

فإذا كان الأمر كذلك، وكان الفكر محدوداً لا يحيط بجميع نواحى المشكلات، وكان الفلاسفة مختلفين فى أفكارهم التوجيهية، أو نقطة البدء فى فلسفاتهم، ومختلفين كذلك فى أسلوب تفكيرهم ومنهج بحوثهم، ومختلفين بالتالى فى نتائج تفكيرهم وحاصل فلسفتهم، فلا سبيل إذن للوصول إلى حقيقة واحدة، أو إلى الحقيقة المطلقة...

رجال الدين والفلسفة

الفلسفة محبة الحكمة، فسقراط يوم وصفوه بالحكيم تواضع وقال: لست حكيماً وإنما محب للحكمة، ومن هنا جاءت كلمة فيلسوف وهى يونانية تتألف من مقطعين φίλος أى محب، ثم σοφία ومعناه حكمة.

فإذا كانت الفلسفة محبة للحكمة فهل يعقل أن تناهضها المسيحية!!!

إن الدين يطرى الحكمة ويغبط الحكماء ويلح علينا أن نسأل الحكمة ونجد فى أثرها، وليس أدل على ذلك من قول الحكيم سليمان: «طوبى للإنسان الذى يجد الحكمة وللرجل الذى ينال الفهم، لأن تجارتها خير من تجارة الفضة وربحها خير من الذهب الخالص هى أثمن من اللآلئ، وكل جواهرك لا تساويها، فى يمينها طول أيام، وفى يسارها الغنى والمجد، طرقها طرق نعم وكل مسالكها سلام، هى شجرة حياة لممسكيها والمتمسك بها مغبوط» (١) وقد كرس لها سليمان سفراً بتمامه دعاه باسمها وهو «سفر الحكمة».

والحكمة نوعان: نظرية وعملية ، أما النظرية فهى كمال المعرفة، وأما العملية فهى حسن تصريف الأمور، أو هى حسن السلوك، وكلا النوعين مرغوب فيه من الله بل ومطلوب ولا سيما لرجال الدين، قال الحكيم: «اقتن الحكمة، اقتن الفهم.. لا تتركها فتحفظك، أحببها فتصونك، الحكمة هى الرأس، اقتن الحكمة، وبكل مقتناك اقتن الفهم، ارفعها فتعليك، تمجدك إذا اعتنقتها، تعطى رأسك إكليل نعمة، تاج جمال تمنحك» (٢) هذا عن الحكمة النظرية، أما عن الحكمة العملية فقد مدح السيد وكيل الظلم إذ بحكمة صنع (٣) وقال: «كونوا حكماء كالحيات» (٤) وقال الحكيم سليمان: «ورابح النفوس حكيم» (٥) وقال الرسول «اسلكوا بحكمة من جهة الذين هم من خارج» (٦)، وقال الحكيم: «السالك بحكمة هو ينجو» (٧)، وقال ماريعقوب «من هو حكيم وعالم بينكم، فلير أعماله بالتصرف الحسن» (٨).

وكم كان يسر إلهنا بطالبى الحكمة فقال لسليمان: «من أجل أنك سألت لنفسك حكمة ومعرفة تحكم بهما على شعبى.. قد أعطيتك حكمة» (٩).

---

(١) أم ٣ : ١٣ ـ ١٨، أم ٨ : ١١.
(٢) أم ٤ : ٤ ـ ٨، أم ٢٣ : ٢٣.
(٣) لو ١٦ : ٨. (٤) مت ١٠ : ١٦.
(٥) أم ١١ : ٣٠. (٦) كو ٤ : ٥.
(٧) أم ٢٨ : ٢٦. (٨) يع ٣ : ١٣.
(٩) ٢ . أى ١ : ١٠ ـ ١٢

«وأعطى الله سليمان حكمة وفهما كثيراً جداً ورحبة قلب كالرمل الذى على شاطئ البحر، وفاقت حكمة سليمان حكمة جميع بنى المشرق، وكل حكمة مصر، وكان أحكم من جميع الناس، من إيثان.. وكان صيته فى جميع الأمم حواليه، وتكلم بثلاثة آلاف مثل، وكانت نشائده ألفاً وخمسمائة، وتكلم عن الأشجار من الأرز الذى فى لبنان إلى الزوفا النابت فى الحائط، وتكلم عن البهائم وعن الطير وعن الدبيب وعن السمك، وكانوا يأتون من جميع الشعوب ليسمعوا حكمة سليمان» (١) .. ولقد اتخذ الرسول يعقوب من هذه الواقعة عبرة فأنشد يقول: «إن كان أحدكم تعوزه حكمة فليطلب من الله» (٢) لأن عنده الحكمة والقدرة، له المشورة والفطنة» (٣) .. «والله يؤتى الإنسان الصالح قدامه، حكمة ومعرفة» (٤).

فإذا كانت الحكمة من الله، وقد وهبها لسليمان وموسى ودانيال ويوسف وبولس (٥) وإذا كان رجال الدين تعوزهم هذه الحكمة وقد وعدهم السيد المسيح بقوله: «أنا أعطيكم فماً وحكمة لا يقدر جميع معانديكم أن يقاوموها أو يناقضوها» (٦) وإذا كان يشترط فى المنتخب للخدمة الدينية أن يكون «مملوءاً من الروح القدس وحكمة» (٧) فكيف تفسر قول الحكيم: «فى كثرة الحكمة كثرة الغم» (٨) وقول الرسول: «اختار الله جهال العالم ليخزى الحكماء» (٩) وقوله: «لا يخدعن أحد نفسه، إن كان أحد يظن أنه حكيم بينكم فى هذا الدهر فليصر جاهلاً لكى يصير حكيماً، لأن حكمة هذا العالم هى جهالة عند الله، لأنه مكتوب الآخذ الحكماء بمكرهم وأيضاً الرب يعلم أفكار الحكماء أنها باطلة» (١٠).

هنا لابد أن نفرق بين نوعين من الحكمة: بين حكمة الله وحكمة الناس، أما الحكمة الإنسانية فهى هذه الحكمة الأرضية النفسانية الشهوانية الجسدانية التى توجهها النزوات الطائشة والرغبات الجامحة. لعل الحكماء قد استغلوا فيها عقولهم ولكنهم قد أساءوا هذا الاستغلال، فانحرفت بهم عقولهم فانزلقوا إلى مهاوى الرذيلة والفساد، إذ أن بعض الفلاسفة والحكماء قد اغتروا بعقولهم فظنوا أنهم قادرون بالعقل وحده على أن يصلوا إلى كل نوع من الحقيقة، حتى هذه الحقيقة التى لا يمكن أن تلحق بها عقولهم، فحدث أن طاش سهمهم، ولكنهم فى غرورهم لم يحسوا بخيبتهم فظلوا مكابرين مدعين وقد أنكروا حقائق العالم الآخر، زعماً منهم أن ذلك لا يوافق العقل ولا يطابقه، وبعض آخر من الفلاسفة أوالحكماء كانوا أشراراً أو ميالين إلى الشر، فاظلمت عقولهم

(١) ١. مل ٤: ٢٩ ـ ٣٤. (٢) يع ١: ٥.
(٣) أى ١٢: ٣. (٤) جا ٢: ٢٦.
(٥) راجع (دا ١: ١٧)، (٥: ١٤)، (أع٧: ١٠)، (خر ٣١: ٣)، (٢. بط ٣: ١٥).
(٦) لو ٢١: ١٥. (٧) أع ٦: ٣.
(٨) جا ١: ١٨. (٩) ١. كو ١: ٢٧.
(١٠) ١. كو ٣: ١٨ ـ ٢٠.

الغبية وانكروا الفضيلة ونادوا باللذة العاجلة أو اللذة الآجلة، وبالاستمتاع بالشهوات وإطلاق العنان للغرائز والميول المنحطة وخدعوا بذلك أهل عصرهم، ولذا يقول الرسول: «تنبهوا لئلا يغركم أحد بالفلسفة وبحيل باطلة» (١).

ليس معنى ذلك أن جميع الفلاسفة والحكماء نبذوا الإلهيات ومبادئ الأخلاق، بل أن بعضاً منهم فقط ممن ارتأوا لعقولهم فوق ما ينبغى، أو ممن فتشوا لنفوسهم عن سبيل رحب يوسع لهم كل هواياتهم ولذاتهم. وهذا هو الفريق الذى لم يستطع أن يدرك الله إدراكاً صحيحاً، أو يصل إلى مبادئ الأخلاق فشوشوا على الناس وأغلقوا عليهم، فلم يستطيعوا أن يدركوا الله بعقولهم ولذا لم يجد رسل المسيح داعياً أن يكلموا الناس عن طريق الفلسفة والعقل، لئلا يحسب الناس دين المسيح مذهباً جديداً من المذاهب الفلسفية التى ألفوها، فيهرعون إلى بحثها بالعقل ويتركون قلوبهم بعيدة عن تذوق جمالها وفائدتها بالإيمان، قال الرسول أنه يبشر بالمسيح «لا بحكمة كلام لئلا يتعطل صليب المسيح. فإن كلمة الصليب عند الهالكين جهالة، وأما عندنا نحن المخلصين فهى قوة الله. لأنه مكتوب سأبيد حكمة الحكماء وأرفض فهم الفهماء. أين الحكيم، أين الكاتب، أين مباحث هذا الدهر؟ ألم يجهل الله حكمة هذا العالم، لأنه إذ كان العالم فى حكمة الله لم يعرف الله بالحكمة، استحسن الله أن يخلص المؤمنين بجهالة الكرازة، لأن اليهود يسألون آية واليونانيين يطلبون حكمة، ولكننا نحن نكرز بالمسيح قوة الله وحكمة الله، لأن جهالة الله أحكم من الناس وضعف الله أقوى من الناس» (٢)

ومع أن القديس بولس الرسول قد درس الفلسفة لقيمة «فلسفة اليونان» وكان يمكنه أن يشعر بقيمة هذه الفلسفة، لكنه آثر أن يترك البرهنة على تعاليم المسيحية بأدلة عقلية فلسفية لأنه يؤمن أن الروح القدس يستطيع أن يقنع القلوب، بسلطان أقوى من الأدلة الفلسفية التى هى أضعف من أن تدعم أفكار الله العالية عن عقول الناس، ولذا يشرح منهجه فى البشارة مقارناً بين حكمة الناس وحكمة الله قائلاً: «وأنا لما أتيت إليكم أيها الأخوة (بكورنثوس فى بلاد اليونان) أتيت ليس بسمو الكلام أو الحكمة منادياً لكم بشهادة الله، لأنى لم أعزم أن أعرف شيئاً بينكم إلا يسوع المسيح وإياه مصلوباً.. وكلامى وكرازتى لم يكونا بكلام الحكمة (الإنسانية) المقنع بل ببرهان الروح والقوة، لكى لا يكون إيمانكم بحكمة الناس بل بقوة الله» ... «لكننا نتكلم بحكمة بين الكاملين، ولكن بحكمة ليست من هذا الدهر ولا من عظماء هذا الدهر الذين يبطلون، بل نتكلم بحكمة الله فى سر، الحكمة المكتومة التى سبق الله فعينها قبل الدهور لمجدنا، التى لم يعلمها أحد من عظماء هذا الدهر، لأن لو عرفوا لما صلبوا رب المجد، بل كما هو مكتوب ما لم تر عين ولم

(١) كو ٢ : ٨.
(٢) ١. كو ١ : ١٧ ـ ٢٥.

تسمع إذن ولم يخطر على بال إنسان ما أعده الله للذين يحبونه، فأعلنه الله لنا نحن بروحه لأن الروح يفحص كل شئ حتى أعماق الله... ونحن لم نأخذ روح العالم بل الروح الذى من الله لنعرف الأشياء الموهوبة لنا من الله، التى نتكلم بها أيضاً لا بأقوال تعلمها حكمة إنسانية بل بما يعلمه الروح القدس... لأنه من عرف فكر الرب فيعلمه » (١).

فحكمة الناس من الأرض وحكمة الله من السماء، وحكمة الناس متغطرسة مدعية متطاولة وحكمة الله عالية ساكنة متضعة، حكمة الناس قاصرة وحكمة الله كاملة، ويقول الرسول القديس يعقوب «ليست هذه الحكمة (الإنسانية) نازلة من فوق بل هى أرضية نفسانية شيطانية، لأنه حيث الغيرة والتحزب هناك التشويش وكل أمر ردئ، وأما الحكمة التى من فوق فهى أولاً طاهرة ثم مسالمة مترفقة مذعنة مملوءة رحمة وأثماراً صالحة عديمة الريب والرياء » (٢) .. «وهى (أى حكمة الله) لا تلج النفس الساعية بالمكر، ولا تحل فى الجسد المسترق للخطيئة» (٣).

ولئن كان حقاً أن الفلسفة لم تستطع أن ترشد الإنسانية إلى الحقيقة الكاملة المطلقة، ولم تقو على أن تهديها إلى سبيل الكمال الخلقى، ولا إلى السعادة الحقة التى ينشدها الإنسان باستقرار الفكر وسلام النفس، إلا أن الفلسفة فى ذاتها من حيث هى طلب ومحبة للحكمة، ومن حيث هى منهج عقلى يثير التأمل والتفكير، لا يعارضها الدين ولا يأباها، وإنما هو على العكس يرحب بها ويشجعها.

ومهما قيل من أن رجل الدين لا يفتقر إلى الفلسفة فى تخليص الناس من ربقة شرورهم أو فى ربط قلوبهم بالسماء، وتحقيق نزوع نفوسهم إلى الخير والكمال والسعادة والبر، غير أنه من الخير ـ مع ذلك ـ أن يدرس رجال الدين الفلسفة وأن يتفقهوا فيها وأن يلموا بكل كبيرة فيها وصغيرة...

---

(١) ١. كو٢: ١ ـ ١٦.

(٢) يع ٣: ١٥ ـ ١٧.

(٣) حك ١: ٤.

لماَ يدرس رجال الدين الفلسفة ؟

أولاَ: لأن الفلسفة أرقى المعارف البشرية

يجب على رجل الدين أن يكلم الناس بلغتهم حتى يمكنه أن يصل إليهم ويبكتهم، وأن يصلوا إليه ويفهموا حقائق الدين العالية عن عقولهم والبعيدة عن تفكيرهم وشعورهم، وكما أنك لا تستطيع أن تكلم الفرنسيين أو الإنجليز أوالألمان أو الطليان إلا إذا درست اللغة التى يتكلمون بها، حتى لا تكون أعجمياً لديهم وحتى تفهمهم ويفهموك، هكذا للمعارف والعلوم البشرية أهميتها فى الدين كأهمية اللغة فى كيفية التبليغ والتوصيل. وبالأخص العلوم والمعارف العصرية أى التى يتداولها ويتعارف بها أهل العصر.

فكلما كان رجل الدين ملماً بعلوم عصره، كان أقدر على نقل أفكاره ومعتقدات الدين إلى عقول الناس بطريقة قريبة إلى تفكيرهم وشعورهم، ولذلك كان على رجل الدين أن يبذل قصارى جهده فى تزويد عقله بكل الثقافات والعلوم العصرية، فستكون له خير أداة لنجاح مهمته بين الناس.

ذلك إلى أن تفسير الكتب المقدسة وشرح العقائد والعلوم اللاهوتية، فضلاً عن التاريخ الدينى أو الكنسى، تستلزم أن يلم رجال الدين بالعلوم الطبيعية والإنسانية (من طبيعة ونبات وحيوان وتشريح ووظائف الأعضاء، وتاريخ وجغرافيا وجيولوجيا، وفلك وطب وأدب وسياسة واجتماع ونفس ... إلخ) (ثم باللغات الحية والميتة....).

ولما كان الإلمام التام بكل هذه العلوم معاً، متعذراً بل ومستحيلاً على رجل الدين الذى يجب أن يكون متضلعاً أولاً وبالذات وقبل كل شئ آخر بالعلوم الروحية والعقائد الدينية، بعد أن ينقطع للتعبد والصلاة والتجارب الروحية، لذلك فلا مندوحة له من أن يكتفى ببعض المعارف والعلوم، على أن يكون هذا البعض هو الأهم الذى لا غنى عنه والذى يفضل غيره ويأتى فى الترتيب قبله.

ولما كانت الفلسفة تعد أرقى جميع المعارف والعلوم، فالإلمام بها أولى من غيرها وإن كان لا يغنى عن غيرها.

أما أنها أرقى العلوم فلأنها تستأثر بأرقى الملكات الفكرية، ثم لأنها دراسة للفكر نفسه الذى تقوم عليه جميع العلوم البشرية، وهى بحث فى الأفكار الرئيسية والمبادئ العامة دون التفاصيل المادية التى تبحث فيها العلوم المختلفة. ولذا فدراسة الفلسفة تغنى إلى حد كبير عن دراسة الكثير من العلوم، أو يمكن على الأقل أن نقول أنها تسهل البحث فى جميع العلوم، إذ هى أشق وأرهق

للفكر من هذه العلوم، ومن ثم فمن يدرسها يمكنه فى يسر وسهولة أن يدرس غيرها من العلوم، مع أن العكس ليس بصحيح.

هذا والفلسفة كما يُعرِّفها الفيلسوف الإنجليزى سبنسر هى جماع جميع العلوم، إذ الفلسفة تركيب للمعارف الإنسانية، وهى تركيب يكتمل ويتوثق بتقدم العلوم الفرعية التى تجمعها الفلسفة فى أحضانها، فكأن دراسة الفلسفة دراسة للتركيب العام لجميع العلوم، ولذا فهى أخصب وأغنى للفكر العام وأنسب لقادة الفكر من دراسة سائر العلوم، ولو أنها دراسة أيضاً وفى الآن نفسه للمبادئ العامة لجميع العلوم.

ثانياً: لأن دراسة الفلسفة نافعة للعقل

ليس بين جميع العلوم ما يعود بالنفع على العقل نفسه مثل الفلسفة، ورجل الدين بوصفه مفكراً بل قائداً للفكر يرحب بهذه الفوائد الجليلة:

(١) الفلسفة تصقل العقل:

بدراسة الفلسفة يمرن العقل على حل المشكلات وفك الغوامض والمبهمات، فيسهل عليه التفكير فى سائر الأمور العويصة، فيصبح أكثر استعداداً وأقدر على الاستنتاج والتعليل والقياس، ومثل العقل فى ذلك مثل قطعة من الخشب فيها بروزات ونتوءات، ولكن بكثرة حكها والضغط عليها والمرور على سطحها بآلة النجار (الفارة) يتم صقلها وتختفى نتوءاتها ويصبح من الممكن أن يمر عليها المرء بيده، دون أن تجرح أو تخدش لأنها غدت ناعمة الملمس، هكذا يصقل العقل بمرانه على التفكير وكثرة اشتغاله بمسائل الفلسفة ومعضلاتها.

(٢) تمكن العقل من التفكير العميق:

الفلسفة فى ذاتها تفكير عميق متواصل، وهى تستأثر بأسمى ملكات العقل وتستغلها أرقى نوع من الاستغلال، وتجهدها أعظم إجهاد مما يحصل معه المرء على فوائد فكرية جلِّى، إذ يزداد كل يوم قدرة على التفكير العميق والبحث العنيف الشاق، فى مجالات المدركات العقلية المجردة عن العوارض الحسية. إذ قد مرن على التفكير فى نظائرها. وبهذا يتأهب الباحث لدراسة اللاهوت، ولذا كان طلبة المدرسة الإكليريكية الأولى بمدينة الأسكندرية يدرسون الفلسفة قبل اللاهوت.

(٣) تكسب العقل دقة فى البحث:

وكما تمتاز الفلسفة بالعمق تمتاز كذلك بالدقة، فالمنطق وهو أول علوم الفلسفة يعنى بتحديد الألفاظ والمدركات، وكذلك تاريخ الفلسفة بما يقدمه من مذاهب فلسفية متباينة لم تختلف عن بعضها إلا يسيراً فى نقطة البدء، ثم اتسعت شقة الخلاف بينها حتى أصبحت متعارضة

جد التعارض، بل ومحاولة الفلاسفة إستعمال أو خلق مصطلحات فلسفية خاصة للتعبير عن معانى فكرية معينة، مصطلحات قد تكون متقاربة فى لفظها، من شأنه أن يعود العقل خاصية الحذر والدقة والتوقف عن الحكم، والتثبت من كل خطوة قبل الإنتقال إلى غيرها، وعدم الخلط بين الألفاظ، والدقة فى تخير الألفاظ الموافقة للمعانى تخيراً جامعاً مانعاً، فلا يكون اللفظ أوسع من المعنى ولا أضيق منه.

وإذا كان للفيلسوف الحق أن يتحلى بهذه الفضائل العقلية، التى بدونها لن يستحق لفظ الفيلسوف، فإن رجل الدين كذلك بوصفه مفكراً فى أعوص المسائل وأرفعها، تلزمه هذه الدقة وسائر الفضائل الفلسفية الأخرى، حتى يكون دقيقاً فى لفظه سليماً فى قوله وحكمه، يمكن أن يتناول الناس عباراته فيفهمون مقصوده على وجه الدقة. فليس يصلح للقيادة فى الفكر إلا رجل يقول ما يقصد ويقصد ما يقول، واضح الفكر سليم العبارة، فإذا بحث مشكلة لاهوتية عرضها عرض المفكر الرصين المتريث، الذى لن ينتقل من فكرة قبل أن يسلم ما قبلها لما بعدها، وبذا تكون بحوثه وافية شافية ومقنعة كافية.

(٤) تُكَوِّن أو تربى ملكة النقد الصحيح:

فالصراع الفكرى الذى يقوم بين الفلاسفة على شتى المسائل العقلية، وما ينشأ بينهم من نواحى الإتفاق أو الإختلاف، يلزم الفكر ويرفعه على أن لا يتقبل أى مذهب أو رأى قبولاً سهلاً، وإنما يزن كل فكرة فيه ليرى ما فيها من صواب ومن خطأ، وهذا هو النقد الصحيح الذى يتوافر بنصيب عظيم للفلاسفة أو دارسى الفلسفة.

ورجل الدين يعوزه أن يكون ناقداً لا ناقلاً، ومهمته تقتضيه أن يقرأ كل شئ ليفحصه حتى يستفيد من خيره ويطرح شره، ولكيما يرشد أفراد رعيته إلى مواطن القوة والضعف فى المؤلفات التى يقرأونها فيجنبهم العثار والضلال، ويقتادهم إلى الحق والصدق والصواب.

(٥) ترشده إلى اكتشاف المغالطات:

الأغاليط أو المغالطات باب من أبواب علم المنطق وهو فرع من فروع الفلسفة. ودراستها تفقه المرء فى سبيل كشف الأخطاء والأغاليط التى يسقط الناس فيها سواء فى كتاباتهم أو أقوالهم. فلا يفحم بكل قياس ولا ينخدع بظاهر القول.

وما أشد حاجة رجل الدين إلى هذه الفلسفة التى تكون له خير عون على كشف الأغاليط التى يقع فيها خصوم الحق المكابرون، فإن لم يكن أوسع حيلة منهم، وأقدر على إظهار تفاهة أدلتهم وفضح أساليب هجومهم ودفاعهم لا يمكنه أن يظفر بهم. ففى علم اللاهوت الجدلى يفتقر اللاهوتى إلى الفلسفة ليقنع ويفحم ويرد ويدفع.

santamariaegypt c

ثالثاً: لأن دراسة الفلسفة نافعة للدين

أما نفع الفلسفة للدين فيتضح من جهتين:

(١) تؤكد حقائق الدين فى ذهن رجل الدين:

قد يكون الدين عند بعض المؤمنين حقائق عالية لا يستطاع فهمها ولا يمكن التوصل إلى فهمهما، وهم لذلك ضعيفوا الإعتقاد واهنا الإيمان، لا يكاد يعترضهم فى دينهم إنسان حتى يعتورهم الشك ويزعجهم الريب. لكن رجل الدين الفيلسوف، قد ثبت الدين عنده بأدلة من العقل والنقل، ولذا فهو راسخ الاعتقاد قادر على الثبات أمام عواطف الشكوك، وليس هناك من قضية إيمانية إلا وقد فهمها بعقله، وهضمها بقلبه وارتكزت فى نفسه بأسلوب واضح متميز منتظم. فالدين لديه إذن قد استحال إلى حقيقة إنسانية، يستطيع أن يبرهن عليه بأدلة معقولة بعد أن كان ديناً عالياً من سلطة آمن بها مقهوراً.

والدين فى نظر الكثيرين ضد الفلسفة، والفلسفة خصم للدين، أما عند رجل الدين الذى درس الفلسفة، فقد صارت هذه الخصومة المزعومة لا مبرر لها، ولم يعد ينزعج بما يشنه خصوم الدين من براهين وأسانيد، فقد اطمأن إلى الدين ورسخه عقائده فى قلبه بأدلة من العقل والنقل، وبالإجمال فعلى قدر ما تبدو الفلسفة عند العوام عدوة للدين، تصبح عند رجل الدين الفيلسوف، خادمة للدين...

(٢) تطمئن الناس على الدين:

والناس بإزاء الفلسفة فريقان: فريق جهل الفلسفة، ومع ذلك فهو متخوف على الدين من الفلسفة، بما يصل إلى سمعه من خصوم الدين، من أن عباقرة المفكرين رفضوا مبادئ الدين، فإذا درس علماء الدين آراء الفلاسفة ومذاهب الفلسفة، وإذ يرى الناس أن دراسة الفلسفة لم تزعزع إيمان المتدينين، يتشجعون ويطمئنون إلى الدين ويتحققون من أنه لا خوف عليه من الفلسفة، فيزدادون به إيماناً وثقة ورسوخاً...

والفريق الآخر فريق الفلاسفة أو دارسى الفلسفة الذين قد بهرتهم الفلسفة وصاروا بها مغرورين، واعتقدوا أن جهالة رجال الدين بالفلسفة هى التى صيرتهم متدينين، وكأنهم يشعرون أن رجل الدين إذا تفلسف تزعزعت أسس إيمانه، ولكن إذ درس رجل الدين الفلسفة استطاع أن يصد المتغطرسين والمدعين، وأمكنه عن طريق الفلسفة أن يبرهن على صحة الحقائق الإيمانية، فينكص أولئك على أعقابهم وترتد سهامهم فى نحرهم فلا يفتئتون على الدين ورجاله...

santamariaegypt o

ولئن كان حقاً أن القديس بولس الرسول لم يرد أن يكلم الناس عن المسيح بأدلة الفلسفة، لئلا تستحيل ديانة المسيح إلى مذهب فلسفى، ولئلا تختفى قوة الروح القدس فى إقناع القلوب وإشباع النفوس، إلا أننا لا ننسى مطلقاً أن القديس بولس كان دارساً للفلسفة وقد تأثر جد التأثير بالمنهج الفلسفى، فكتاباته تمتاز بالأسلوب الفلسفى الرائع، وهو ما حدا بالكثيرين من المؤرخين وعلماء التاريخ الفلسفى إلى أن يعدو الرسول بولس فيلسوفاً عظيماً، بل لقد لقبوه بفيلسوف المسيحية. ولم يكن لأحد أن ينكر هذه القضية، وقد اعترف بها زميله وشريكه فى الخدمة الرسولية القديس بطرس، حينما قال فى خاتمة رسالته الثانية:

«.... وثقوا أن آناة ربنا (هى) لخلاصكم، كما كتب إليكم أيضاً أخونا الحبيب بولس، بحسب الحكمة التى وهبت له، وهكذا (فعل) فى جميع رسائله حيث تكلم عن هذه الأمور التى توجد فيها أشياء يعسر فهمها، يعوجها الجهال وغير الراسخين كسائر الكتب فيهلكون نفوسهم» (١).

لهذا اختاره الرب الإله ليكون كارزاً باسمه بين الأمم حتى يكون له إناءً مختاراً يحمل اسمه بين أمم وملوك وبنى إسرائيل (٢) فصار رسول الأمم كما أن مار بطرس كان رسول الختان (٣). ولما كان دارساً لفلسفة الأمم أمكنه أن يفهمهم ويعرف أفكارهم، كما أمكنه أن يكلمهم بمنهجهم وأسلوبهم ولغة عقولهم. خذ مثلاً لذلك ما ورد عنه فى سفر الأعمال: «فقابله قوم من الفلاسفة الأبيكوريين والرواقيين، وقال بعضهم ترى ماذا يريد هذا المهذار أن يقول، وبعض أنه يظهر منادياً بآلهة غريبة، لأنه كان يبشرهم بيسوع والقيامة، فأخذوه وذهبوا به إلى أريوس باغوس قائلين: هل يمكننا أن نعرف ما هو هذا التعليم الجديد الذى تتكلم به، لأنك تأتى إلى مسامعنا بأمور غريبة فنريد أن نعلم ما عسى أن تكون هذه، أما الأثينيون أجمعون والغرباء المستوطنون فلا يتفرغون لشئ آخر إلا أن يتكلموا أو يسمعوا شيئاً حديثاً.

فوقف بولس فى وسط أريوس باغوس وقال: أيها الرجال الأثينيون أراكم من كل وجه وكأنكم متدينون كثيراً، لأننى بينما كنت أجتاز وانظر إلى معبوداتكم، وجدت أيضاً مذبحاً مكتوباً عليه: لإله مجهول، فالذى تتقونه وأنتم تجهلونه، هذا أنا أنادى لكم به، الإله الذى خلق العالم وكل ما فيه، هذا هو رب السماء والأرض لا يسكن فى هياكل مصنوعة بالأيادى، ولا يخدم بأيادى الناس كأنه محتاج إلى شئ، إذ هو يعطى الجميع حياة ونفساً وكل شئ، وصنع من دم واحد كل أمة من الناس، يسكنون على وجه الأرض وحتم بالأوقات المعينة وبحدود مسكنهم، لكى يطلبوا الله لعلهم يتلمسونه، فيجدوه مع أنه عن كل واحد منا ليس بعيداً، لأننا به نحيا ونتحرك ونوجد

---

(١) ٢. بط ٣: ١٥، ١٦.

(٢)أع ٩: ١٥.

(٣) غل ٢: ٨، ٩.

santamariaegypt o

كما قال بعض شعرائكم أيضاً لأننا أيضاً ذريته، فإذ نحن ذرية الله لا ينبغى أن نظن أن اللاهوت شبيه بذهب أو فضة أو حجر نقش صناعة واختراع إنسان، فالله الآن يأمر جميع الناس فى كل مكان أن يتوبوا متغاضياً عن أزمنة الجهل، لأنه أقام يوماً هو فيه مزمع أن يدين المسكونة بالعدل.. ولكن إناساً التصقوا به وآمنوا، منهم ديونيسيوس الأريوباغى وإمرأة اسمها دامرس وآخرون معهما» (١).

أفهل كان يمكن أن يكون الرسول موفقاً فى رسالته كل هذا التوفيق، فى وسط بيئة تموج بالفلسفة والفلاسفة لو لم يكن دارساً للفلسفة، وهل كان يمكن أن يثقوا فى شخصه ويطمئنوا إلى رأيه، لو لم يحدثهم بطريقة عقلية بحتة وبأسلوب فلسفى محض، يظهر فيه علمه باتجاهاتهم الفكرية وأقوال علمائهم وفلاسفتهم؟؟

حقاً إننا نؤمن بالوحى للرسل والأنبياء، ولكننا نعلم كذلك أن الوحى ترك لكل نبى ورسول أسلوبه الخاص، ليعبر به عن أفكار صادقة مقدسة كاملة. وهذه الحرية فى الأسلوب هى التى تبرر لرجال الدين دراسة الفلسفة، لتكون أسلوباً سامياً من أساليب التبليغ فى الكتابة أو الكلام.

وإذن فدراسة الفلسفة خير للدين ورجاله .. ولكن رجال الدين ليسوا رجال فلسفة فقط بل هم رجال وحى أيضاً، يصلحون بالوحى أخطاء العقل، ويكملون الحقيقة الإنسانية بالحقيقة الإلهية، فهم مؤمنون بالعقل فى غير غرور، وبالدين فى غير كسل، ولو كان رجال الدين فلاسفة، وفلاسفة العالم متدينين، لأدرك الناس جميعاً الطريق والحق والحياة...

(١) أع ١٧: ١٨ ـ ٣٤.

santamariaegypt o

الفلسفة المسيحية الشرقية

١ - الديانة المسيحية والمذاهب الفلسفية

لما جاءت المسيحية، ووجدت فى طريقها هذه الفلسفات المتناقضات، والمحاولات المتباينات المتعارضات التى بذلها الذهن الإنسانى لعله يدرك الحقيقة ولم يدركها، كان عليها أن تتخذ موقفاً منها. أما الناس فى ذلك الزمان، فقد ملت نفوسهم هذا التعارض، وتعبوا من السير وراء هؤلاء القادة المتنابذين، وكان هذا الشعور قد ملك على الناس مشاعرهم، ولم يقتصر على العامة الذين يضيقون ذرعاً بهذا الاختلاف بل قد تعداه إلى الفلاسفة أنفسهم، بوصفهم بشراً يسعون لعلهم يدركون الحقيقة المنشودة...

وفى هذه الفترة التى ترقبت فيها نفوس المفكرين والفلاسفة من الوثنيين، ظهور الحقيقة، وتمنت خلاصها من هذا القلق الغامض الذى عذبها طوال العصور، كانت نفوس اليهود تنتظر هى الأخرى، المخلص الذى وعدت به الأنبياء، ومن هنا فإن القديس اكليمنضس الأسكندرى يرى فى الفلاسفة أنبياء للوثنية، كما كان موسى وإشعياء وأرمياء وغيرهم أنبياء لليهودية ، فكان العالم كله، يمر بأزمة نفسية قبيل مجئ السيد المسيح، هى أزمة الفشل والخيبة من تعاليم الفلاسفة والأنبياء، أو هى أزمة الأمل فى المخلص الأكبر، والحكيم الأعظم الذى يرشد الضالين إلى نور الحق المبين..

أما المسيحية فهى المبادئ السامية، التى تفوق فى جمالها وطهارتها وسموها ورفعتها كل تعاليم الفلاسفة السابقين، وهى ترتفع فوق كل تناقض وتضارب يقع فيه خصوم العقول المتنابذين، كما أنها الديانة التى أعلنت من الحقائق الإلهية والسماوية، ما أشبع حاجة النفس البشرية الطامحة إلى الحقيقة، التى لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها. فأحست النفوس بأنها المبادئ التى كانوا ينشدونها ويفتشون عنها فلا يجدونها، ومجدوا الله وشكروه الذى اعتنى بالإنسان.

فلما أقرّ الخلق بعجزهم، أدركهم لطف الخالق، فتنازل بذاته ليعرفهم الحق الذى يرجونه ويترجونه. ولقد أحس الفلاسفة أنفسهم بما فى تعاليم المسيحية من سمو ورفعة وسلطان وقوة، حتى أن البعض منهم قام يناهضها ويقاومها، والبعض الآخر كان مخلصاً للحق، فآمن بها وأخضع نفسه لفعل تأثيرها وسلطانها، ولم يغمض عينيه عن نورها الباهر، أما البعض الذى ناهضها، فمنهم من ارتد سهمه إلى نحره، وبينما يفتش الكتاب المقدس ليبرهن على نقصه وتفاهته، إذا بالكتاب المقدس يأسره بفعله السحرى، فينتهى به الأمر إلى أن يؤمن بالكتاب ودين

santamariaegypt.org

الكتاب ورب الكتاب، ومن هذا الفريق أثيناغوراس الأثينى وقد كان فيلسوفاً وثنياً، فأصبح فيلسوفاً مسيحياً، يناهض الوثنية ويناصر المسيحية، وهناك بعض آخر ناهض المسيحية مجرداً دونها قلبه ولسانه، ساخراً بتعاليمها ومبادئها كما فعل الفيلسوف كلسس، ولكنه وجد من دحره مغلوباً مهزوماً، مظهراً عظمة المسيحية وجمالها، وهو العلامة أوريجينوس فربحت المسيحية بهذه المناورة أنصاراً كثيرين، وازداد ضوء لمعانها وظهرت حقيقة بهائها.

وإذن فلم تكن المسيحية مذهباً جديداً كمبادئ الفلاسفة السابقين أو مذاهبهم، فقد امتازت بأنها فلسفة عامة تشبع رغبة نفوس الخلق جميعاً، أغنياء أو فقراء، عامة كانوا أو فلاسفة، ولم تكن ديناً لفيلسوف بعينه، ولكنها دين كل فيلسوف يريد الحق ويفتش عنه كضالة مفقودة أو منشودة، ولم تكن مذهباً يقود الفكر وحده، وإنما كانت ولا زالت منهجاً للحياة المتزنة المنسجمة والشخصية الكاملة المتكاملة، أجل فقد أرضت الفكر واقنعت العقل، وأشبعت النفس، ولولا أنها أرضت العقل لما اعتنقها الفلاسفة العباقرة والمفكرون الأفذاذ...

أرأيت إذن .. إن المسيحية دين ترضى العقل وتقنعه، فليست هى ديانة الجهل والغباء، وهى لا تطالب المرء أن يلغى عقله وينكر فكره، ولا هى تحتقر التفكير وتهزأ بالفلسفة، أما قرأت أن مؤسس المسيحية الأعظم قد أعجب بذلك الشاب الذى استفاد من كلامه له «فلما رأى يسوع أنه أجاب بعقل، قال له: لست بعيداً عن ملكوت الله» (١). ولقد كان يؤنب تلاميذه حين لا يستخدمون عقولهم فى فهم مقصوده، وكان يقول لهم موبخاً: «كيف لا تفهمون» (٢).

فالديانة المسيحية، ديانة معقولة، وإن كانت تسمو عن العقل، هى لا تناقض الفكر ولا تتحدى قوانين المنطق والعقل، وهى تطلب من أتباعها أن يمتحنوا كل شئ ويتمسكوا بالحسن، وليس من شك فى أن الامتحان والفحص عمل من أعمال العقل، فكأن المسيحية تتطلب تدخل العقل فى شئون الدين، وأننا قبل أن نؤمن يجب أن نقتنع بوجوب الإيمان، ولذا يقول توما الأكوينى: «لو لم ير العقل أنه يجب عليه أن يؤمن لما كان يؤمن»، ويقول القديس أوغسطينوس: «إنى لا أؤمن إن لم أر ما يحملنى على الإيمان» ويقول مرة أخرى: «معاذ الله أن يكون خضوعنا لما يعلمه الإيمان حائلاً دون إلتماس علّة الإيمان، لأننا لولا العقل لما استطعنا أن نؤمن».

---

(١) مر ١٢ : ٣٤.

(٢) مت ١٦ : ١١.

santamariaegypt o

٢- الصلة بين الفلسفة واللاهوت

هل يمكن أن تكون هناك علاقة بين الفلسفة وبين اللاهوت، وما هى هذه العلاقة وما هو مداها، وهل يمكن أن تكون ثمة فلسفة مسيحية؟؟

الحق.... أن هناك إختلافاً بين الفلسفة واللاهوت سواء فى نقطة البدء أو فى منهج البرهنة، إذ أن **نقطة البدء** فى اللاهوت هى النقطة النهائية فى الفلسفة، فحيث تنتهى الفلسفة يبدأ اللاهوت، أى أن اللاهوت يبدأ من الله وينتهى بالمخلوقات، بينما الفلسفة تبدأ من الآثار والمعلولات وتنتهى إلى الله وهو المؤثر الأكبر والعلّة الأولى. وبعبارة أخرى أن اللاهوت يبدأ من المعقول وينتهى إلى المحسوس، أما الفلسفة فتنتقل من المحسوس إلى المعقول...

هذا من حيث نقطة البدء .. أما من حيث **منهج البرهنة** أو طريقة البرهنة فإن اللاهوت يتخذ مقدماته من النقل أو النصوص الواردة فى الكتب المقدسة أو كتب الآباء بينما الفلسفة تتخذ مقدماتها من العقل، وهى مبادئ ضرورية بديهية يسلم بها صريح العقل بلا منازع أو معارض، فالفلسفة لا تعتمد على نقل ولا تستند إلى نص، بل تهيب بسلطان العقل وحده.

فإذا كان هذا هو مدى الاختلاف بين الفلسفة واللاهوت، فكيف نصل بينهما، وكيف نستعين بهما للوصول إلى الحقيقة وما هو نصيب كل منها فى خدمة قضية الحق..

لقد أجاب المفكرون عن هذا السؤال إجابات مختلفة، ويمكن أن نوزع هذه الإجابات على ثلاثة أقسام.

القسم الأول: فريق القائلين بوجوب الإقتصارعلى العقل ورفض الإيمان أو النقل. فالعقل هو معيار الحقيقة الأوحد، ولسنا نستطيع أن نسلم بمعيار آخر للحقيقة يمكن أن نثق فيه أو نطمئن إليه، فما يحكم به العقل هو الصحيح وهو الحق، وما يخرج عن هذه الدائرة فليس بحقيقة، وحتى لو كان فيه حق أو شبه حق، فلا مندوحة لنا من أن ننكره لأن العقل لم يهتد إليه، وهذا هو فريق العقليين والمغالين فى النزعة العقلية...

والقسم الثانى: على النقيض من ذلك تماماً، أى الإيمانيين، يقولون بوجوب الاقتصار على الإيمان فقط وأن لا ندع فرصة لعمل العقل وإلا قادنا إلى الزيغ وإلى الضلال.

١ - فمن ذا الذى ينكر أن العقل قاصر وشديد القصور عن إدراك الحقيقة وأنه يتخبط فى طرقاتها فتارة يصيب وتارة يخطئ، ولكنه فى النهاية عاجز عن أن يدرك الحقيقة فى أقصى حدودها، ومن جميع نواحيها..

٢ - ثم كيف نثق بالعقل وها هم الفلاسفة العقليون أنفسهم قد اضطروا فأقروا صاغرين بأن منهجهم منهج احتمالى لا يقينى، وأنهم، وإن كانوا لا يسلمون بغير هذا المنهج العقلى حتى لو كان احتمالياً، لكنهم يعترفون فى نهاية الأمر أن الحقيقة بعيدة المنال وأنها لا يمكن أن تخضع لمعاييرنا ومقاييسنا..

santamariaegypt of

٣ - ثم كيف نثق بالعقل أيضاً بعد أن تحققنا اختلاف الفلاسفة الذين اتخذوا العقل هادياً لهم فى جميع مباحثهم حتى ضاعت الحقيقة فى ثنايا الخلافات المذهبية، إننا لا نستطيع أن نركن إلى العقل نظراً لهذه الاعتبارات جميعها..

٤ - والناس ليسوا على قدم المساواة فى مقدرتهم العقلية ولا هم قادرون جميعاً على الإيغال فى الأنظار الفلسفية والبراهين النظرية، فكأن المنهج العقلى منهج قاصر على فريق دون فريق، وكأن الوصول إلى الحق وقف على قوم دون قوم، مع أن جميع الخلق قاطبة يريدون أن يتعرفوا الحقيقة وأن يدركوها.... أما الإيمان فيمكن أن يكون من حق الناس جميعاً، وإذن فمنهجه منهج يمكن أن يسير عليه الناس جميعاً بلا تمييز أو تفريق .. وما دام الأمر كذلك فهو أسلم من منهج العقل لإدراك الحقيقة...

هكذا نرى الإيمانيين والعقليين، يقفون من بعضهم بعضاً موقف النقيض من النقيض، ولكن ألا يمكننا مع ذلك أن نلتمس بين الفريقين صلحاً؟؟؟

الواقع، أن هذا هو الموقف الذى وقفه الفريق الثالث أوالقسم الثالث.

القسم الثالث: من المفكرين ولعله خير موقف يصلح لمن ينشد الحقيقة الكاملة، قال بهذا الرأى فلاسفة المسيحية العظام، الذين رأوا أن العقل حقاً لا يستطيع أن يدرك الحقيقة الكاملة، ولا يمكن أن ينتهى إلى الحقيقة الواحدة التى يطمئن إليها الكائن الإنسانى، ولكن هذا لا يكون أبداً معناه أن نلغى العقل وأن ننكر وجوده، أو أن ننكر عليه حقه فى البحث وقدرته على الاشتغال بالأفكار والمشكلات التى تقف أمام الفكر الإنسانى.. إذن .. فقد أصاب الإيمانيون فى قولهم بقصور العقل وعجزه، ولكنهم خطئوا فى مغالاتهم فى تصوير هذا القصور وذهابهم إلى تعطيل عمل العقل وإنكار حقه فى البحث وحل المشكلات وإيضاح المعميات...

كذلك العقليون قد خطئوا، وأصابوا.. خطئوا فى اعتقادهم أن العقل هو معيار الحقيقة الوحيدة، وأصابوا فى تشكيكهم فى الحقيقة التى ينتهى إليها هذا العقل، وقولهم أنها حقيقة جزئية وليست الحقيقة المطلقة، ولكن ما داموا يقرون بأن منهجهم احتمالى فلِم ينكرون منهجاً آخر قد يكون معيناً لهم فى تبديل الاحتمال باليقين والوثوق؟؟

وإذن ... فلا غنى لنا لا عن العقل ولا عن الإيمان، ولكن يجب أن نحدد الميدان الذى يجب أن يشتغل فيه العقل ولا يتعداه.. والميدان الذى يمكن للإيمان أن يقوم فيه بمهمة الإرشاد...

إن العقل لا يستطيع أن يدرك الله إلا إبتداء من المحسوس، والحس لا يستطيع أن يدرك ماهية المعقول الصرف وهوالله، فالعقل إذن لا يمكن أن يتوصل إلى إدراك ماهية الله، وجوهره، وطبيعته، فهذه أمور بعيدة عن مناله، وكل ما يستطيعه العقل هو أن يبرهن على أن الله موجود، اعتماداً على ما تقدمه له الحواس من موجودات يراها ويلمسها، فيقر أن المعلول لابد له من علة،

santamariaegypt.o

وبهذا يمكنه أن يتوصل إلى حقيقة وجود الله،ولكنه لا يستطيع أن ينتقل إلى أبعد من هذا الحد، أو لا يمكنه أن يتعدى هذا الميدان، وحينئذ عليه أن يسلم القيادة للإيمان فيعرفه ما لم يعرف، ويعلمه ما لم يعلم. وكأن الإيمان أو النقل مكمل للعقل ومعين للعقل ليبلغ به ما لم يستطع أن يبلغه بمحض قواه...

النقل إذن هو الأخذ بيد العقل ليغوص إلى أعماق الحقيقة، التى لم يستطع العقل أن يدرك منها إلا وجودها وخطوطها فقط، ولكن العقل أيضاً بدوره يقوم للنقل بخدمات جليلة، حتى تصبح الحقيقة حقيقة إنسانية يؤمن بها الإنسان العاقل ويمكن أن يتفهمها ويناضل عنها... ولذلك يقول القديس أوغسطينوس عبارته المشهورة:

«العقل يسبق الإيمان، والإيمان يسبق العقل ، وأنى أؤمن لكى أتعقل».

(١) فقبل أن يؤمن الإنسان لابد له من أن يقتنع الإنسان بوجوب الإيمان. وهذا ما عناه القديس أوغسطينوس أيضاً عندما قال: «إنى لا أؤمن إن لم أر ما يحملنى على الإيمان» أو عندما قال «معاذ الله أن يكون خضوعنا لما يعلمه الإيمان حائلاً دون إلتماس علة الإيمان، لأننا لولا العقل لما استطعنا أن نؤمن»..

(٢) فضلاً عن أن فى العالم أدياناً كثيرة، تتعارض مع بعضها البعض، ولا يمكن لإنسان عاقل أن يؤمن بواحد منها قبل أن يتفحصها جميعاً، ثم يميز بينها ويحكم فى نهاية بحثه بأن واحداً منها هو الدين الحق وحينئذ وبعد هذا الفحص العقلى يستطيع فقط أن يؤمن بهذا الدين ويسلم له قيادة حياته، ولا شك أن الفحص والتمييز من أعمال العقل لا من أعمال الإيمان...

(٣) ثم أن الإنسان قبل أن يؤمن بهذا الدين أو ذاك، لابد أن يؤمن أولاً بفكرة الإله الذى أوحى بهذا الدين، وكيف يؤمن بالله قبل أن يقتنع بوجوده، أى لابد له من البرهنة على وجود الله، ولقد كان هذا هو الطريق الذى قاد الكثيرين من الفلاسفة والمفكرين إلى الاعتقاد والإيمان بوجود الله، وهم هذا الفريق الذى يعتمد على العقل وحده فى البلوغ إلى الحقائق، ومع ذلك فقد استطاعوا أن يقولوا بوجود الله. ومعنى هذا أن العقل يقود إلى الاعتراف بوجود الله.....

وإذن فأول خدمة يستطيع العقل أن يقدمها للنقل، أنه يقود الإنسان إلى الإيمان والاعتراف للنقل الصحيح بواجب الخضوع والتسليم. وهذا ما قصد إلى بيانه القديس أوغسطينوس فى قوله «العقل يسبق الإيمان» بل هذا هو جواب اللاهوتيين على سؤال الملحدين وغير المؤمنين الذين لا يسلمون بوحى أو نقل أو دين: إن العقل يستطيع أن يبرهن على وجود الله، ويمكنه بأدلة نظرية بحته أن يصل إلى هذه العقيدة الجليلة...

وأما الخدمة الثانية التى يقدمها العقل للإيمان، فهى تالية لخطوة الإيمان، فالإيمان يقدم لنا حقائق كثيرة غامضة وعالية . والإنسان يعوزه أن يفهم هذه الحقائق وأن يقترب إليها. هنا

santamariaegypt.o

يتدخل العقل ليقدم للإنسان هذه المعونة، فبالعقل نفسر الإيمان ونشرحه ونحل غوامضه ومعمياته ومشاكله، وبالعقل يمكن أن نتفهم الإيمان ونقترب إلى الحقيقة الغامضة بالأمثلة والإيضاحات المحسوسة، أو وسائل الإيضاح المختلفة حتى تصبح الحقيقة الإيمانية حقيقة معقولة مفهومة، موطدة فى النفس راسخة لا تقوى الشكوك على مصارعتها ومغالبتها، ويمكن للنفس أن تجيب على كل ما يقف أمامها من إعتراضات ومناقضات تريد أن تنال من الدين أو أن تنزله من عرشه.

فالعقل إذن يتفهم حقائق الإيمان.. وهذا هو قول القديس أوغسطينوس «الإيمان يسبق العقل».. وهو ما يميز الإيمان الساذج عن الإيمان المتعقل، ذلك غامض ضعيف ضحل، وهذا واضح متميز قوى عميق ثابت راسخ....

على أن للعقل مدخلاً ثالثاً في شئون الدين والإيمان ... وهذه هى **الخدمة الثالثة** التى يقدمها للنقل: وهى أن العقل يناضل عن الإيمان. فالدين بالنسبة لغير المؤمنين سلطة لا يعترفون لها بوجود، ولا هم يؤمنون بما ترتكن إليه من وحى أو كتاب مقدس، فكيف يستطيع المؤمن أن يثبت أمام هجمات الخصوم، وكيف يمكن أن يبرهن على صحة الدين بما يقنع أولئك أو على الأقل بما يسكتهم؟؟؟

أيفيد فى ذلك استناده إلى الشعور والضمير؟؟ وهل يقنعهم أن يورد لهم من نصوص الكتاب وأقوال العلماء والقديسين؟ إن الضمير لا يكفى، ونصوص الكتاب لا قيمة لها فى نظرهم.. وأما العقل فخير من يتقدم للنضال والحرب فى هذا الميدان وهو وحده الذى يستطيع أن يجيبهم وأن ينجح فى مهمته، فلا هم يرفضونه لأنهم يعترفون بوجوده ولا ينكرون عليه حقه فى البرهنة والتدليل، كما أنه لا يعتمد فى هذا البحث على أدلة من وحى أو نقل، بل على ما يجده فى قوانينه من قواعد وأسانيد، ولقد أفلح رجال الكنيسة الأوائل من أمثال بنتينوس وأكليمنضس وأوريجينوس وأثيناغوراس وأثناسيوس وغيرهم.. فى إفحام الوثنيين والرد على إتهاماتهم واعتراضاتهم.. وفى إثبات بطلان الديانة الوثنية وتفاهة فلاسفتها. لأنهم كانوا يعتمدون فى هذا الدفاع على العقل، وبهذا صمت من الفلاسفة من صمت وآمن بالمسيح من آمن.. ولم يعودوا يقوون على مناقضة هذه الديانة السماوية...

ليس الإيمان إذن ضد العقل.. ولا العقل ضد الإيمان وإنما العقل نافع للإنسان .. والإيمان مكمل للعقل.. ليس العقل هادماً للدين .. ولكنه خادم للدين.. وليس الدين حطّة للعقل ... لأنه مقدّم لخدمة العقل... إذ الإيمان والوحى للإنسان لا للحيوان .. بل الإيمان هو الذى يقرب للعقل ما لا يستطيع هو أن يقترب إليه.. ويحيل ما فوق العقل إلى ما يناسب العقل، وهذا هو ما يعنيه القديس أوغسطينوس بقوله: «وإنى أؤمن لكى أتعقل».

santamariaegypt c

مدرسة الأسكندرية اللاهوتية
أو المدرسة الإكليريكية الأسكندرية

أزهرت المسيحية فى مصر قبل أن تزهر فى أى بلد آخر، وقد أثمرت نتائج باهرة قبل أن يستقيم عودها فى بلاد الغرب، قَبِل المصريون دين المسيح أحسن القبول، وتمكنت العقيدة من نفوسهم حتى أمكنهم أن يردوا على خصومهم فى الدين، ويبرهنوا على سوء تعاليمهم بما أعجز كل لسان وأقنع كل مخلص وضال، والفضل الأكبر فى هذا كله يرجع لنفوس المصريين وما كانوا يتصفون به من ولع بالدين وحب للحق وثبات على المبدأ ورسوخ فى الرأى، هذا وثمة عامل آخر له أعظم دور فى حياة الكنيسة المرقسية وهو المدرسة الإكليريكية الأسكندرية.

ولما كان أساتذة الإكليريكية الأسكندرية هم فلاسفة المسيحية الأوائل، الذين تتلمذ على أيديهم واغترف من بحور علومهم مفكروا الغرب المسيحيين، كان علينا أن نعنى أولاً بفلاسفة القبط ولا سيما وهم أقرب إلى روحنا الشرقى، وأولى من فلاسفة آخرين بعناية رجال الإكليريكية الحاضرة.

مبررات وجودها:

واجهت المسيحية فى مصر ظروفاً خاصة، تختلف نوعاً ما عن الظروف التى واجهتها فى أى بلد آخر، وقد كانت بعض هذه الظروف مواتية لنجاح المسيحية وامتدادها وانتشارها فى البلاد طولاً وعرضاً، ولكن كانت هناك أيضاً ظروف مضادة، وقفت فى سبيل هذه الديانة الفتية الناشئة، وجعلت مهمة مار مرقس الرسول وأتباعه من بعده، مهمة صعبة شاقة محفوفة بالأعاصير والزوابع والرياح المضادة.

أما الظروف المواتية فقد كانت الاعتقادات الدينية التى كان يؤمن بها المصريون القدماء. والتى تلتقى فى خطوطها العريضة مع الاعتقادات والمبادئ التى تدعو إليها المسيحية، فالاعتقاد بإله واحد لم يكن غريباً على مصر القديمة وكذلك الاعتقاد فى الثالوث، وإن كان الثالوث المصرى القديم ثالوث آلهة، وليس ثالوث أقانيم أو صفات للذات الإلهية الواحدة كما تنادى المسيحية، وكذلك الاعتقاد بتجسد الإله، وفى خلود الإنسان بعد الموت. وإن كان المصريون القدماء اشترطوا للخلود بقاء جسم الإنسان وعدم إنحلاله وفنائه، وهذا هو سر عنايتهم بالتحنيط، فلم يكونوا يتصورون إمكانية القيامة للأجساد بعد فنائها وإنحلالها.

تلك بعض الظروف المواتية التى ساعدت على قبول المصريين للديانة المسيحية قبولاً حسناً، بنفس الحماسة والحرارة الروحية التى كانوا يقابلون بها معتقداتهم القديمة، وإن كانوا وجدوا فى

santamariaegypt.o

المسيحية ديانة تسمو وتعلو على ديانتهم الأولى، وتجيب على أسئلتهم الحائرة، وتحلّ مشكلاتهم الفكرية والروحية والاجتماعية بصورة تعلو على ديانتهم الوثنية، وإلاّ لما كانوا قد تحوّلوا إلى دين جديد برضاهم واختيارهم مع ما اشتهروا به من حب المحافظة على القديم.

أما الظروف المضادة والمعاكسة فهى أيضاً نابعة من عاطفتهم الدينية التى تربطهم بماضيهم، واعتزازهم بديانتهم القديمة وأمجادها وأثرها العميق فى حياتهم، وقد وجد رجال الدين، خصوصاً فى الديانة الجديدة، دعوة تتحدى عقيدتهم فى الأوثان والأصنام وتعدد الآلهة، وتحنيط الجثث بتلك العناية الضخمة التى تميزت بها الديانة القديمة التى كانت تنادى بالخلود، ولكنها لا تتصور إمكانية القيامة لأجساد أصابها التحلل والفساد.

وكانت الديانة الوثنية قد استقرت قروناً وعشرات القرون، ووجدت فى الفلاسفة والمفكرين من يدافعون عن معتقداتها ويبررون مبادئها. فلما ظهرت المسيحية بدعوتها إلى قيامة الأجساد، كانت دعوتها مثاراً لنقد العلماء والمفكرين، فسخروا من عقائد المسيحية، ورأوا فيها ديانة خرافية تنادى بما لا يقبله العقل، ويتعارض مع قوانين الطبيعة وحقائق العلم كما كانت معروفة عندهم. قالوا كيف يمكن للجسد بعد أن ارتد إلى عناصره الأولية، وتبدد فى الأرض ودخلت ذراته فى تركيب النبات، وهذه بدورها أكلها الحيوان والإنسان وأصبحت من مكوّنات جسده، كيف يمكن بعد ما أصاب هذه الذرات من اندماج فى حياة كائن جديد أن تأتلف من جديد، وتقوم الأجساد بعد فنائها وذبولها وتبدد جزئياتها؟؟ ثم ماذا يكون مصير الجسد الذى أكله السمك فى البحار، أو الذى احترق فى النار، فتحوّل إلى رماد، أو أكلته طيور السماء؟! وماذا يكون مصير الأجساد التى تذهب بعض أشلائها إلى مكان، وبعض أشلائها إلى مكان آخر كما يحدث عند نقل جثة بفعل حيوان أو بفعل إنسان؟

تلك أسباب جعلت علماء الوثنية القديمة وفلاسفتها، يرون أن ديانة المسيح ديانة هزيلة ضعيفة، لا تستطيع أن تقف صامدة أمام الحقائق المادية التى يقول بها منطق العلم والفكر والواقع الملموس.

ثم أن دعوة المسيحية إلى الزهد واحتقار أباطيل العالم، والقناعة فيما يتصل بالطعام والشراب واللباس والمسكن، ودعوتها إلى المحبة العامة لجميع الناس، وإلى التسامح والغفران، ودعوتها إلى الإيثار الخالص ودعوتها إلى العفة الكاملة وإلى الكمال ـ كل هذه المبادئ الروحية الأخلاقية جاءت بها المسيحية، فكانت ثورة على القيم الأخلاقية السائدة، وبدت للمفكرين أنها خيالية غير معقولة ولا مقبولة، وحسبوها دعوة إلى الاستضعاف والاستكانة، ووجدوا مجالاً خصباً لنقدها والسخرية منها والاستهزاء بها.

santamariaegypt o

لهذه الأسباب وغيرها لم يكن سهلاً على المسيحية أن تمتد فى بلد كهذا، وقد كانت مصر، وخصوصاً مدينة الأسكندرية قاعدة العالم المثقف فى ذلك الزمان. لم تكن لا أثينا ولا روما ولا مدينة أخرى فى كل العالم، فى نفس الدرجة التى كانت عليها الأسكندرية فى الوقت الذى دخلها مارمرقس الرسول. كانت مدينة مفتوحة للوافدين والعائدين من كل إقليم، وكانت مستقراً للفلاسفة والعلماء، وعباقرة المفكرين فى كل ميدان من ميادين الفكر والبحث، وكان بها المتحف القديم، وكانت بها مكتبة الأسكندرية الضخمة التى جمعت عشرات الألوف من الكتب ولفائف البردى، وكانت بها حركة نشاط لتجميع وترجمة الكتب من جميع اللغات المعروفة، وكان بها أكبر علماء الفلك والطبيعيات، وكانت بها مدارس الفلسفة من كل لون، كان بها الرواقيون والأبيقوريون والشكاك، والأفلاطونيون المحدثون ، وكان بها جالية كبيرة من اليونان، وجالية ضخمة من اليهود المقيمين فيها من أزمنة طويلة. وكانت المحافل العلمية منتشرة، وكانت تجرى بين العلماء والفلاسفة مساجلات ومناقشات وحوار، ولم يكن الناس مهيأين ليقبلوا فكرة أو دعوة لفكرة ما، مالم يكن هناك اقتناع بها بعد بحث ونقاش وجدل.

لهذا كانت الضرورة تدعو إلى أن تكون إلى جانب الكنيسة، مدرسة للتعليم المسيحى لتستطيع أن تجابه الصراع الفكرى الذى لا مفرّ منه أمام ديانة جديدة، تهاجمها حملات فكرية قوية من خصوم أشداء.

إن مارمرقس الرسول نفسه عندما دخل مدينة الأسكندرية، شعر بأن مهمته صعبة فى هذا البلد، فأخذ يتمشى فى المدينة طولاً وعرضاً، وهو يصلى لأنه لا يعلم كيف يبدأ، إلى أن تمزق حذاؤه، فمال إلى إسكافى ليصلحه.

ولهذا رأى بالروح القدس أنه لا سبيل إلى مساندة المسيحية الناشئة ودعمها، لتواجه التحدى الذى كان لا مفرّ من مواجهته، إلاّ بإنشاء مدرسة للتعليم المسيحى.

أولاً: لتثبيت إيمان المؤمنين بديانتهم، وتجيب على أسئلتهم.

ثانياً: لتكون مجالاً للراغبين فى استعماق عقائدها ومناقشة مبادئها على مستوى العلماء والفلاسفة الذين يهاجمونها.

ثالثاً: لتزويد الكنيسة بقيادات روحية وفكرية قادرة على إشباع احتياجات المؤمنين، والرد على مزاعم العلماء والفلاسفة وإتهاماتهم وتحدياتهم.

santamariaegypt.o

مؤسس الإكليريكية ومديروها

يمتد تاريخ هذه المدرسة المسيحية الأولى إلى العصر الرسولى الأول، فمؤسسها هو القديس مرقس الإنجيلى الرسول كاروز الديار المصرية، الذى أدرك بثاقب رأيه أنه لا سبيل إلى نشر المسيحية وتدعيم تعاليمها إلا إذا أنشأ مدرسة لاهوتية، تشرح التعليم المسيحى وتثبته فى أذهان المؤمنين وتعرف به الوثنيين، وتقوم بمناهضة الوثنية فى بلد يموج بكبار الفلاسفة وعباقرة المفكرين. ثم أسند رياسة هذه المدرسة لخلفه القديس إنيانوس، وقد تولى إدارتها فى أواخر سنى القديس مرقس، وفى عهد الأساقفة الأربعة الذين خلفوه القديس يسطس. فلما اعتلى يسطس (الأسقف السادس) كرسى مار مرقس أصبح أومانيوس مديراً لها. ثم ارتقى أومانيوس هذا إلى الكرسى الرسولى (وهو السابع من أساقفة الأسكندرية)، فأدار المدرسة القديس مركيانوس الذى أصبح فيما بعد الأسقف الثامن على الكرسى الأسكندرى. أما فى أيام البابا ديمتريوس الكرام فقد تعاقب على إدارتها ثلاثة من كبار الفلاسفة هم على التوالى بنتينوس وتلميذه الشهير أكليمنضس المعروف بأكليمنضس الأسكندرى ثم العلامة أوريجينوس، وقد جاء بعده آخرون مثل ياروكلاس (الذى أصبح البابا ١٣) وهو أول من سمى بابا فى الشرق والغرب، ثم ديونيسيوس (وأصبح البابا ١٤)، ثم ثيئوغوست، ثم بطرس (وأصبح فيما بعد البابا ١٧) المعروف بخاتم الشهداء، ثم بيروس (١) ، ثم أرخلاوس (وقد أصبح فيما بعد البابا ١٨) فى أيام حبرية البابا ثاونا. ثم بطرس فى عهد البابا أرخلاوس، ثم سرابيون (٢) فى عهد القديس أثناسيوس الرسولى البابا العشرون، ثم مقار السياسى فى عهد القديس أثناسيوس الرسولى. وغير هؤلاء نذكر ديديموس الضرير، ثم رودون فى عهد البابا كيرلس الأول الملقب بعمود الدين.

آثار طلبتها وخريجيها وأساتذتها

أقبل على المدرسة طلبة من قصاد العلم والمعرفة، وهم أولاد أبناء الكنيسة البررة، الذين هاموا حباً فى الله وتاقوا إلى أن يقضوا حياتهم كلها فى خدمة الكنيسة فى تعبد ودرس وبحث، ليتأهبوا للقيام بالرسالة فى أكبر نطاق حتى يمتد ملكوت المسيح وتتسع رقعة الخلاص الأبدى.

لم يكن الدرس معطلاً لهم عن ممارسة العبادات وضروب الرياضات، فكانوا يصلون ويقرأون ويصومون، ولقد بلغ من زهدهم ونسكهم أنهم لم يكونوا يتناولون الطعام غير مرة فى اليوم عند

---

(١)كان بيروس كاهناً ورعاً زاهداً ناسكاً فصيح اللسان واضح البيان، حتى لقبه البابا بطرس السابع عشر وخاتم الشهداء بأوريجينوس الصغير، وقد تتلمذ له كثيرون أشهرهم بمفيليوس البيروتى، ولقد ظهر بيروس حوالى عام ٢٨٢ م بطلاً مغواراً إبان إضطهاد الأمبراطور فاليريان قيصر.

(٢)سرابيون صديق وفى للبابا أثناسيوس الرسولى. وكان عالماً كبيراً وكاتباً نحريراً، وقد وثق به البابا فأرسله مع آخرين إلى القيصر قسطنطين الكبير.

santamariaegypt o
المساء، طعاماً يتألف من خبز وملح فحسب (١) . أما عن طهرهم وقدسية حياتهم فقد كان عجيباً أن يجمع عدد كبير من الشباب، على نذر التبتل لله طوعا تمشياً مع دعوة المسيحية إلى البتولية، باعتبارها طريقاً أفضل وأسمى للقادرين على ضبط أنفسهم، مع إختيار الفقر والتنازل عن الملكية الخاصة، إذ كانوا يعيشون عيشة مشتركة وينفقون بحسب حاجة كل واحد منهم، على ما سار عليه الأمر فى عهد الرسل، فى جو مشبع بالود الصحيح والحب العميق والسلام المسيحى الكامل.

وإلى جانب التقوى كان شغلهم بالعلم كثيراً، وكانوا يناظرون غيرهم من أبناء المدرسة الوثنية الأولى التى أنشأها بطليموس الأول ملك مصر، وقد كانت تشتغل بالفلسفة ومذاهبها، وعلوم الطب والكيمياء، والطبيعة، والحساب.

المدرسة الوثنية :

كانت المدرسة الوثنية بالأسكندرية على مستوى علمى رفيع، بل كانت فى زمانها أشهر مدرسة فى الشرق، أنشأها بطليموس الأول ملك مصر بل أول ملوك البطالمة (٣٢٢ ـ ٢٨٥ ق.م)، وهو أحد قواد الأسكندر العظام الذين تقاسموا بعد وفاته (سنة ٣٢٢ ق.م) امبراطوريته الواسعة، فاستولى بطليموس الأول على عرش مصر واتخذ من الأسكندرية قاعدة حكمه، وإذ أراد إغرقة مصر، جعل من الأسكندرية مدينة إغريقية لحماً ودماً. فأنشأ المدرسة الوثنية فى الأسكندرية ورعاها رعاية كبيرة، حتى صارت منارة عالية لكل بلاد مصر والشرق، وحلت بذلك محل جامعة عين شمس القديمة، التى شعت أنوارها على العالم القديم مدة تزيد على ثلاثة آلاف عام، واحتلت مكانها وصارت جامعة الأسكندرية هى منارة العلم بالأسكندرية لبضعة قرون. وقد زودها بطليموس بمكتبة ضخمة، وضمّ إليها ما أمكنه الحصول عليه من كتب ومن لفائف البردى، حتى بلغ عدد هذه الكتب واللفائف نحوا من مائتى ألف على قول بعض المؤرخين، أو أربعمائة ألف على قول غيرهم، أو نحو نصف مليون لفافة وكتاب على قول بعض ثالث.

وجاء بطليموس الثانى المسمى بفيلادلفيوس (٢٨٥ ـ ٢٤٦ ق.م)، وتمم خطة سلفه الأول وزاد عليها، فكلف مانيثون الكاهن المصرى المشهور الذى قسّم تاريخ مصر إلى أسرات، بأن يكتب تاريخ مصر باللغة اليونانية، فتمكن بفضل معرفته باللغة المصرية القديمة واللغة اليونانية، من كتابة التاريخ المصرى معتمداً على الوثائق المحفوظة بعين شمس، وما أمكنه الحصول عليه

(١) ويقال عن بعضهم أنهم كانوا يصومون ثلاثة أيام أو خمسة لا يأكلون شيئاً، فقد كانوا جميعاً زاهدين فى أباطيل العالم، كما حدثنا المؤرخون المسيحيون وفيلون الفيلسوف اليهودى.

santamariaegypt o
من وثائق تاريخية أخرى. وقد أودع بطليموس الثانى هذا التاريخ مكتبة الأسكندرية الكبرى، هذا إلى أن بطليموس هذا هو الذى كتب لأليعازر رئيس كهنة اليهود بأورشليم، وطلب إليه إرسال علماء من اليهود يجيدون اللغتين العبرية واليونانية، ليترجموا العهد القديم إلى لغة اليونان لمنفعة اليهود بالأسكندرية، الذين صاروا يجهلون لغة بلادهم العبرانية. وفعلاً أرسل أليعازر إثنين وسبعين عالماً ـ كان من بينهم سمعان الشيخ الذى جاء ذكره فى الإنجيل المقدس (١) ـ وترجموا العهد القديم إلى اليونانية سنة ٢٨٢ ق. م. الترجمة المشهورة التى عرفت بالترجمة السبعينية. وقد ضمت هذه الترجمة إلى مكتبة الأسكندرية، فصارت كسباً جديداً للأدب اليونانى. وهذا يرينا مدى إهتمام البطالمة وعنايتهم بتشجيع العلم والأدب، وما بذلوه من جهد ومال فى سبيل تدعيم مكتبة الأسكندرية، بضمّ كل ما أمكنهم ضمه إليها من كتب ولفائف البردى، بلغتهم اليونانية أو باللغات الأخرى، مع محاولة ترجمة ما يمكن ترجمته إلى اليونانية.

وأضاف بطليموس الثالث المعروف باسم ايوارجيتس (٢٤٦ ـ ٢٢١ ق. م)، فضلاً جديداً بأن أصدر أمراً يقضى بأن كل مسافر ينزل إلى مدينة الأسكندرية عليه أن يسلّم أى كتب توجد بين متاعه لضمها إلى المكتبة .. على أن يعطى نسخة رسمية بدلاً منها، وأخذ يستعير من مكتبة أثينا كل كتاب ذى قيمة لنسخه وإيداع المنسوخة مكتبة الأسكندرية ، وفى مقابل ذلك كان يدفع ضماناً لكل كتاب يستعيره مبلغاً يقدر بنحو ٦٠,٠٠٠ ستين ألف جنيه. وكان أحياناً يخسر الضمان فى مقابل إحتفاظه بالكتاب الأصلى، مع إرسال منسوخة منه إلى مكتبة أثينا.

وكانت المدرسة الوثنية الأسكندرية بمكتبتها الضخمة تشتغل بالفلسفة ومذاهبها، وبعلوم الطب والطبيعة والكيمياء والفلك والحساب والهندسة والتاريخ والجغرافيا والموسيقى واللغات، فكانت جامعة للفلسفة والعلوم الطبيعية والإنسانية.

وكان من بين علمائها (أى علماء المدرسة الوثنية) أثيناغوراس وكلوديوس بطليموس مؤلف كتاب المجسطى (٢)، وآشيستوس مؤلف كتاب «محادثات الفلسفة» (٣)، ثم كيرون الذى كتب

---

(١) إنجيل القديس لوقا ٢ : ٢٥ ـ ٣٥.

(٢) كلوديوس بطليموس عالم جغرافى وفلكى ماهر، ولد بالفرما نحو سنة ١٤٠ م، تخرج من المدرسة الرياضية بمدينة الأسكندرية، ومن بين مؤلفاته كتاب الألحان الموسيقية وجدول يحتوى على أرصاد فلكية عن كسوف الشمس وخسوف القمر لمدة ٨٠٠ عام مضت قبل عهد بطليموس، ويقال أنه أتم هذه الأرصاد الفلكية فى بابل وآشور، ثم أكملها فى بابليون مصر كما يظهر من أسماء أماكن خطوط الطول والعرض التى ذكرها، وقد ذهب بطليموس إلى أن الأرض ثابتة فى الفضاء وهو الإتجاه الذى عارضه وأثبت فساده كوبرنيكوس العالم البولونى (١٤٧٣ ـ ١٥٤٣).

(٣) ويقال أن اسمه أثينيوس، ويظهر أنه ألف كثيراً لكن لم يبق له غير كتاب (محادثات الفلاسفة) وفيه وصف رائع لحالة الهيئة الإجتماعية فى مدينة الأسكندرية فى عهده.

santamariaegypt.o

عن تاريخ القبط وملوكهم وكهنتهم كتاباً لم يصل إلينا منه مع الأسف شيئاً مطلقاً، والفيلسوف كلسوس الأبيقورى (١) وأمونيوس السقاص، ويوليوس پولوكوس (٢) مؤلف المحاورات (٣).

وليس من شك فى أن تفوق المدرسة الإكليريكية على المدرسة الوثنية كان أبلغ دليل على سمو التعليم المسيحى ورفعته، لأن الفلاسفة الوثنيين أنفسهم مع طول باعهم فى البحث وسعة الاطلاع، وواسع حيلتهم ووفرة ذكائهم لم يقووا على مغالبة القوة التى جذبتهم إلى المسيحية. أجل لقد حاول هؤلاء الفلاسفة فى مبدأ الأمر أن يقوضوا أركان الدين الجديد ولكنهم قد ارتدوا أخيراً خائبين. فآمن منهم الفيلسوف الأسكندرى أثيناغوراس وانضم إلى المدرسة الإكليريكية، وأصبح واحداً من أساتذتها الكبار بعد أن كان يجد فى مناهضتها واكتشاف نقائص الدين المسيحى، وكذلك الحال مع أمونيوس السقاص الفيلسوف الأسكندرى أيضاً، الذى ولد فى أواسط القرن الثانى ومات سنة ٣٤١م والذى درس الفلسفة الأفلاطونية وأسس المدرسة الوثنية الفلسفية فى أواخر القرن الثانى لمقاومة الدين المسيحى، فإنه أيضاً تنصر وقيل فى بعض المصادر أنه نشأ مسيحياً ثم ارتد إلى الوثنية اليونانية وألف فى المسيحية كتباً كثيرة، لم يبق منها غير كتاب «اتفاق البشائر الأربعة».

انتصار المدرسة المسيحية:

وعلى الرغم من هذا المستوى العلمى العالى الذى بلغته جامعة الأسكندرية الوثنية، بفضل رعاية الملوك البطالمة وتشجيعهم لهذه الجامعة، والإنفاق عليها وعلى مكتبتها الشهيرة، وعلى الرغم من مكانة الفلاسفة والعلماء الذين كانوا يقودون الحركة العلمية بها، وعلى الرغم مما وضعوه من كتب، فإن المدرسة المسيحية الناشئة أخذت تنمو شيئاً فشيئاً ويزداد إقبال الطلاب عليها، وأمكنها أن تجتذب عدداً محترماً من أساتذة المدرسة الوثنية نفسها، بعد طول جدل ومناقشات ومناظرات. ومن بين هؤلاء البارزين أثيناغوراس Athenagoras الفيلسوف الذى كان يشغل مركزاً كبيراً فى المتحف Museion والمكتبة، وكان هو نفسه رئيساً لمدرسة فلسفية تعلم الفلسفة على نهج الأفلاطونية الجديدة، وكان صاحب مذهب جديد فى الفلسفة وهو مذهب

---

(١) ويلفظ اسمه أحياناً (شلسوس أو سلسوس) وقد اشتهر فى ذلك الزمن برسالة له ضد الديانة المسيحية، ولكن هذه الرسالة أيضا قد فقدت، ولم يبق منها إلا ما ورد فى كتب أوريجينوس عندما رد عليها. وقد كان أبيقوريا يرى أن العالم نشأ بالصدفة ولا علاقة لله به، وأن النفس ليست خالدة وأن الغاية القصوى هى اللذات الحسية.

(٢) كان يوليوس پولوكوس من أهل النقد الشفاهى.

(٣) مؤلف كتاب المحاورات اشتهر فى أيام الأمبراطور كومودوس لوكيانوس، وكان سكرتيراً أو كاتب يد الوالى الرومانى.

santamariaegypt o

«التخير» Eclectism(e). هذا الفيلسوف الكبير كان من بين المفكرين الذين هزأوا بالمسيحية وانبرى لمهاجمتها فى حماسة بالغة. وقد رأى لكى يفند مبادئها أن يقرأ أولاً الإنجيل، ليثبت ما فيه من تناقض داخلى بين أجزائه، ويظهر ما فيه من مبادئ خرافية خيالية تتعارض مع قوانين العقل والمنطق، ومع ما وصل إليه العلم من حقائق وكشوف. ولكنه إذ أخذ يقرأ الكتاب المقدس لم يستطع أن يغالب القوة الروحية التى كانت تجذبه إليه، وما كاد ينتهى من قراءته حتى وجد نفسه مؤمناً بكل ما جاء به. وبدلاً من أن يكتب كتاباً ينقد به دين المسيح كتب كتاباً آخراً يدافع به عن دين المسيح، هو المعروف برسالة الدفاع عن المسيحيين:

πρεσβεία περὶ τῶν χριστιανῶν وجهه فى سنة ١٧٦ / ١٧٧ م إلى الإمبراطور مرقس أوريليوس أنطونيوس Marcus Aurelius Antonius (١٦١ - ١٨٠ م) وابنه كومودوس Commodus. فكان أثيناغوراس بهذا شبيهاً ببولس الرسول الذى هاجم المسيحية طورا، ثم عاد يخدمها ويكرز بها ويدافع عنها بنفس الحماسة التى كان يطاردها بها. وقد نال أثيناغوراس سرّ العماد، وصار معلماً فى المدرسة المسيحية وظل وهو معلم يرتدى زىّ الفلاسفة Pallium وقد وضع رسالة أخرى بعد ذلك عن قيامة الأجساد *περί ἀναστάσεως νεκρῶν* برهن بها بأدلة عقلية وفلسفية إمكانية القيامة كما تعلم بها المسيحية. ويعزى لأثيناغوراس أنه أول معلم فرئيس للمدرسة المسيحية، كان له فضل توجيه المنهج الدراسى توجيهاً جديداً لإشباع عقول الباحثين فى أمور الدين بالمنهج الفلسفى، وكأنه أول من وضع أول لبنة فى بناء صرح علم اللاهوت المسيحى بالمعنى الذى عرف به فيما بعد.

ومن بين الفلاسفة البارزين الذين اجتذبتهم المدرسة المسيحية، أمونيوس السقاص (١) الفيلسوف الأسكندرى المشهور (١٧٤ - ٢٤٢م). والذى كان يعلم الفلسفة الأفلاطونية وعنه أخذ أفلوطين Plotinus (٢٠٥ - ٢٧٠)م فلسفته الأفلاطونية الجديدة Neo - platonism(e) هذا الفيلسوف تحوّل إلى المسيحية، وكتب فيها كتباً عدة، لم يبق منها إلا كتاب «اتفاق البشائر الأربعة».

وكذلك جذبت المدرسة المسيحية كلسوس (Celsus) الفيلسوف الأبيقورى العنيد الذى كتب كتاباً يهزأ فيه بالمسيحية ويسخر بعقائدها وأخلاقياتها، فانبرى له العلامة أوريجينوس رئيس المدرسة المسيحية، وفنّد آراءه وبرهن على تفاهتها مبرزاً سمو الديانة المسيحية. فكان كتاب

---

(١) كلمة السقاص *σάκκα* ترجع إلى اللفظة اليونانية *σακκί* ومعناها «كيس» وهى تشير إلى صناعته القديمة (العتالة) ومعنى اسمه الحمّال، أو الشيال لأنه كان حمالاً قبل إشتغاله بالفلسفة. وقد تتلمذ عليه كثيرون وأشهرهم أفلوطين (٢٠٥ - ٢٧٠م).

santamariaegypt o

أوريجينوس «الرد على كلسس» Contra Celsum رداً مفحماً أفاد المسيحيين والوثنيين، واقتنع به كلسوس نفسه فتنصّر، وكتب هو الآخر فى المسيحية كتباً.

ومن بين البارزين الذين كسبتهم المدرسة اللاهوتية المسيحية بنتينوس Pantaenus الذى صار فيما بعد من أبرز رؤساء هذه المدرسة، حتى اقترن تاريخه بتاريخها وصار كل منهما علماً على الآخر. هذا أيضاً كان فيلسوفاً رواقياً مرموقاً، وقد آمن بدين المسيح، على يد أثيناغوراس على الأرجح، وهو الذى أشرف على ترجمة العهد الجديد من اللغة اليونانية إلى اللغة القبطية وهى الترجمة القبطية الشهيرة، التى يزداد فى كل يوم إيمان العلماء بقيمتها التاريخية والعلمية ودقتها اللغوية بحيث يجد فيها علماء النقد Biblical Criticism لا مجرد ترجمة دقيقة، بل نصاً يستوى فى قيمته مع النص اليونانى الحاضر، ويقول عنها اليونان إذا فقدنا النص اليونانى فلا نستطيع أن نعتمد إلا على الترجمة القبطية. وفضلاً عن ذلك فقد قام بنتينوس بتفسير جميع أسفار الكتاب المقدس، من سفر التكوين إلى سفر الرؤيا حتى وصفه الآباء ومنهم تلميذه الشهير اكليمنضس الأسكندرى، وخليفته فى رياسة المدرسة اللاهوتية بأنه «مفسر كلمة الله». ومع بالغ الأسف لم يبقَ من كتبه شئ إلا بضع فقرات اقتبسها اكليمنضس الأسكندرى فى بعض كتبه التى وصلت إلينا. وبنتينوس هو المعلم الذى وصفه اكليمنضس الأسكندرى بأنه من «أعظم الأساتذة وأكملهم» وأنه «اختلف إلى علماء كثيرين ولكنه لم يجد راحته إلا فيه» وقد وصف مقابلته له بأنها كانت الأخيرة بالنسبة لغيره من الفلاسفة، لكنها كانت الأولى من حيث قوتها، وكان دائماً يستعين بأقواله ويصفها بأنها «لسان القفل فى كل مؤلفاته» أى أنه يعتبرها «فيصل الحق» و«الكلمة النهائية» التى تحسم كل خلاف.

واكليمنضس الأسكندرى (١٥٠ ـ ٢١٥م) نفسه كان أيضاً وثنياً وكانت أمور كثيرة تحيره، وأسئلة ملحة تبحث فى عقله عن جواب، واختلف إلى فلاسفة كثيرين منهم فلاسفة فى بلاد اليونان، وفى إيطاليا وفى سوريا ومصر وغيرها، ولكنه وجد فى بنتينوس رئيس المدرسة اللاهوتية المسيحية بالأسكندرية الأستاذ الأكبر، الذى أراحه أكثر من كل فيلسوف ومعلم آخر وعلى يديه آمن بالمسيح، وانضم أيضاً إلى المدرسة اللاهوتية وصار بها تلميذاً فمعلماً. وأخيراً لما سافر أستاذه بنتينوس إلى بلاد الهند ليكرز فيها باسم المسيح بناء على طلب وفد من الهنود، شخصوا إلى القديس ديمتريوس بطريرك الأسكندرية الذى سامه قسيساً وأرسله إلى هناك. واضطر اكليمنضس أن يحمل شعلة المدرسة اللاهوتية ويحلّ محل أستاذه بنتينوس فى رياستها مدة عشر سنوات من (١٩٠ ـ ٢٠٠م). ولما عاد أستاذه أخلى منصبه له إلى أن توفى نحو ٢٠٣م، وحينئذ استقل اكليمنضس برياسة المدرسة إلى أن اضطر فى زمن اضطهاد الأمبراطور ساويرس Septimus Severus (١٩٣ ـ ٢١١م) إلى مغادرتها، فتركها لخليفته وتلميذه الأشهر العلامة أوريجينوس Ὠριγένης (١٨٥ ـ ٢٥٤م) الذى حمل الرسالة وهو شاب يافع لم يتخط

santamariaegypt.e
الثمانية عشر ربيعاً من عمره، فحملها بكفاءة ممتازة وعبقرية نادرة يتيمة، جعلته أشهر لاهوتى فى الشرق والغرب لعدة قرون خلت ولعدة قرون تلت.

هذا النشاط الضخم الذى قامت به المدرسة اللاهوتية المسيحية حتى جذبت إليها عدداً كبيراً من الطلبة، بل من علماء المدرسة الوثنية نفسها، أزعج القائمين على هذه المدرسة، وأثارهم للعمل لعلهم إذا لم يفلحوا فى القضاء على المسيحية ومدرستها اللاهوتية، فلا أقل من أن يوقفوا من نجاحها ويعطلوا تقدمها الساحق، فيحتفظوا بكيان مدرستهم وبعلمائهم فيها، فشمروا عن ساعد العمل بهمة لا تعرف الكلل وأخذوا يؤلفون ويترجمون، وكان لهم جيش صغير من الكتبة يتألف من فرقتين: فرقة أولى من أصحاب القلم السريع، يكتبون بالاختزال ما يمليه عليهم المؤلفون الأحياء، وفرقة ثانية من أصحاب الخطوط الجميلة ينسخون على مهل ما يكتبه أصحاب القلم السريع، وكل ما أمكن العثور عليه من كتب المؤلفين والفلاسفة والعلماء الوثنيين القدامى، بقصد القيام بحركة فكرية شاملة لإنتشار الثقافة الوثنية، والقضاء على الثقافة المسيحية التى تقودها المدرسة اللاهوتية بالأسكندرية.

وعلى الرغم من هذه الجهود الجبارة، فقد تضاءلت الوثنية وانتشرت المسيحية (١) ولقد أثرت المدرسة الإكليريكية لا إلى الأسكندرية وحدها، بل إلى جميع أنحاء مصر وسائر ربوع الكرازة المرقسية، التى اتسعت رقعتها كذلك بفضل جهود الخريجين والأساتذة الذين كانوا يقومون برحلات إلى الأقطار الأخرى لنشر الدين المسيحى، أو لتثبيت المؤمنين هناك كما فعل الفيلسوف الشهير بنتينوس أحد أساتذة الإكليريكية ومديريها، إذ سافر إلى بلاد الهند مبعوثاً من قبل البابا ديمتريوس الكرام، كذلك فعل العلامة أوريجينوس وغيره، ولقد تطلعت الكنيسة إلى خريجى هذه المدرسة بنظرة التقدير، فقد أولتهم ثقة غالية حتى كان باباوات الكرسى الرسولى يختارون عادة من مديريها وأساتذتها، نظراً لما كانوا عليه من ورع وعلم، وكان مركز مدير الإكليريكية يعد تالياً لمنصب الكرسى البطريركى اجتماعياً ودينياً إن لم يكن كنسياً، فالأسقف السادس (القديس يسطس) والأسقف السابع (القديس أومانيوس) والأسقف الثامن (القديس مرقوروس «مركيانوس») والبابا الثالث عشر (القديس ياروكلاس) والبابا ديونيسيوس (البابا الرابع عشر) والبابا السابع عشر (القديس بطرس خاتم الشهداء) والبابا الثامن عشر (القديس أرخيلاوس أو أرشيلا) كل هؤلاء كانوا مديرين للإكليريكية قبل أن يعتلوا كرسى الكرازة الرسولية.

فضلاً عن أن القديس الكسندروس (البابا التاسع عشر) والقديس أثناسيوس الرسولى (البابا العشرين)، والقديس تيموثيئوس الأول (البابا الثانى والعشرين)، والقديس كيرلس عمود الدين

(١) يقال أن المدرسة الوثنية قد بلغت أوج مجدها فى حكم الملك يوليانس الجاحد ٣٦١ - ٣٦٣ ثم أخذت تنحدر عن عزها رويداً إلى أن اندثرت فى أيام القيصر يوستنيانوس سنة ٥٣٩ م. أما رؤساء هذه المدرسة فهم: أمونيوس ثم بلوتينوس، ثم بورفيروس ثم جامبليك، ثم بروكلوس، ثم داماسوس.

santamariaegypt o
(البابا الرابع والعشرين)، والقديس ديوسقورس (البابا الخامس والعشرين) كل هؤلاء على الأقل قد ثبت قطعاً أنهم من خريجى المدرسة اللاهوتية أو الإكليريكية الأسكندرية.

وإذن فقد كان الأساتذة والخريجون موضع ثقة الكنيسة بل وعمدة رأيها وقادة الفكر فيها، وكانوا لعلو كعبهم وتضلعهم فى العلوم اللاهوتية والفلسفية، حجة الكنيسة الجامعة الرسولية، فإذا فصل باباوات الكرسى الأسكندرى فى أمر، كان هو الرأى الذى تخضع له جميع كنائس المعمورة.

وكان هذا فى الواقع سرّ قوة كنيسة الأسكندرية فى القرون الخمسة الأولى، وسرّ شهرة باباواتها وبطاركتها، ، وكان قولهم هو فيصل الحق الذى يقطع حجة كل خطيب. ولذلك كانوا يبرزون عادة فى المجامع المسكونية، وكانوا يختارون غالباً لرياستها أو قيادتها. وكانت المجامع المسكونية تؤيد تصرفات باباوات الأسكندرية وتثبت رسائلهم وقراراتهم المحلية، وتوصى باتباعها فى الكنيسة الجامعة. من ذلك ما فعله مجمع نيقية فيما يتصل بمشكلة عيد الفصح وإعادة معمودية الهراطقة، وقد خوّل المجمع المسكونى لبابا الأسكندرية أن يحدد عيد الفصح، ويبلغ موعده لجميع كنائس المعمورة وقد أقرّ أساقفة العالم المسيحى ما رآه البابا أثناسيوس الرسولى بالنسبة لعمل الميرون المقدس، وعهدوا إليه بعمله وتوزيعه عليهم، وظل الأمر كذلك زمناً كان البابا الأسكندرى حجة المسكونة كلها، ولذلك كسب على ممر التاريخ فى تلك القرون الخمسة الأولى لقب «حامى الإيمان» و«قاضى المسكونة» و« ثالث عشر رسل المسيح» ، و«العظيم فى البطاركة» . ذلك أن باباوات الأسكندرية كانوا يؤخذون عادة من رؤساء المدرسة اللاهوتية وأساتذتها، وكان يختلف إلى المدرسة كثيرون من طلاب المعرفة والعلم من أبناء الكنائس الأخرى فى بلاد العالم، فإذا تخرج هؤلاء وصاروا أساقفة وكهنة فى بلادهم، كانوا يرسلون إلى باباوات الأسكندرية يستفتونهم فى مسائل الإيمان والعقيدة وشئون الطقوس والأوضاع الكنسية، كما يستشير التلميذ أستاذه، فصارت لبابا الأسكندرية شهرته كأستاذ الأساقفة ومعلّم البطاركة، وقاضى المسكونة.

جاء فى دائرة المعارف للبستانى تأييداً لهذه القضية: وللوقوف على أهمية التعاليم المسيحية فى الأسكندرية، ينبغى إمعان النظر فى تأليف القديس بطرس البطريرك وتأليف خلفه القديس اسكندر، وتأليف القديس أثناسيوس أشهر أخصام آريوس، وتأليف القديس غريغوريوس النزينزى ويوليوس الأفريقى المؤرخ المعتبر، وايسخيوس صاحب القاموس اليونانى النفيس، والقديس مكاريوس الملقب بالشاب وكان تقياً متقشفاً، ونولتس باثيليس صاحب القصيدة المسماة ذيونيسياكة، وديديموس معلم التعليم المسيحى والقديس كيرلس البطريرك الخطيب الفصيح، وسينسيوس تلميذ ايباتيا الشهيرة، وأسقف بتولمايس فى مصر، وزد على هؤلاء الفطاحل جماعة من المؤلفين يعتبرون فى الغالب وثنيين من حيث نسق تأليفهم، مع أنهم كانوا على دين النصرانية، وقد انتشرت هذه المدرسة (الاكليريكية) بالعلم أكثر من كل المدارس النصرانية التى أنشئت فى القرون الأولى للميلاد، لأن العلوم كانت على درجة لا ريب لوجودها فى وسط ديانة

santamariaegypt.o
يهودية مستندة إلى الفلسفة، ومدارس يونانية أو مصرية مستندة إلى النظامات العمومية وأرتقة أريوس وهى دقيقة تميل إليها القلوب، ومقاومين أشداء أقلقوا الكنيسة فى أزمانها الأولى وهم الغنوسطيون أى أهل التواليد. واعتنى علماء تلك المدرسة بأن يعرضوا الدين المسيحى على الناس عرضاً تعمقوا فى البحث عنه، وذلك ما سماه القديس أكليمنضس الأسكندرى الغنوسطية الحقيقية المضادة للغنوسطية الأرتقية، التى انتحلت هذا الاسم زوراً، وبعد أن عرضوا الإيمان المسيحى على ذلك المنوال، ألفوا تآليف شتى لتفسير التوراة (أطلب أوريجينوس) ونبذا خصوصية فى قواعد الاعتقاد والقانون الوجيز المكمل المنسوب إلى القديس أثناسيوس، وكل الارتقات المشهورة ولا سيما أرتقات الألفيين، وسابيليوس وأريوس ونسطور وأوطيخا والغنوسطيين صادفت مقاومين أشداء فى المدرسة المسيحية. نعم أن أوريجينوس أحد أكابر علمائها سقط فى بعض أغلاط إلا أنه نقض أعظم منها كثيراً، ولنا بذلك مزيد فخر (١).

وذاع صيت الاكليريكية فكان يقصد إليها الطلبة من كل حدب وصوب، إذ أنها صارت المرجع الأعلى للثقافة الأرثوذكسية فى العالم بأسره. نعم كان فى بعض البلاد المسيحية مدارس إكليريكية (٢) ولكنها لم تكن شيئاً مذكوراً إزاء إكليريكية الأسكندرية، ولذا فإن أبناء الغرب والشرق كانوا يحجون إليها، بل وليس أدل على عظمة الإكليريكية من أن طلبة الدين فى بلاد العالم الأخرى (٣) إذا فرغوا من دراساتهم الدينية هناك كانوا يقصدون إلى الأسكندرية ليتزودوا من بحار علومها اللاهوتية العليا، وقد وضع الأمبراطور ثيئودوسيوس قانوناً بأن التلميذ الذى يهرب من هذه المدرسة يعد كافراً وزنديقاً.

إلى هذه الدرجة بلغ إعجاب العالم كله بالإكليريكية، ولن تجد مؤرخاً أو كاتباً مهما يكن مذهبه إلا ويطري هذه المدرسة ويعدها أعظم مدرسة مسيحية فى العصور الرسولية الأولى، سواء فى منهج دراستها أو مكانة أساتذتها وخريجيها. قالت دائرة المعارف الفرنسية «هذه المدرسة هى أول من أدخل علم اللاهوت التفسيرى المجازى وعلم اللاهوت الفائق الطبيعة.. ولا توجد مدرسة تشبه هذه المدرسة إلا مدرسة قيصرية التى أنشأها العلامة أوريجانوس الأسكندرى بعد خروجه من الأسكندرية...»

---

(١) دائرة المعارف للبستاني - المجلد الثالث ص ٥٨٧.

(٢) فى أفسس وأزمير وروما وأنطاكية وقيصرية والرها ونيسيس وسلوقية. ويقول موسهيم أنه أقيمت فى القرن الأول مدارس عليا فى المدن الكبيرة حيث كان يدرس فيها الشبان، ولا سيما الطالبون بأن يكونوا معلمين للجمهور ويتعلمون كل نوع من العلوم العالمية والدينية. والرسل أنفسهم أقاموا مدارس كهذه وأمروا الآخرين بأن يقيموا مدارس، يتعلم فيها الشباب الذين كرسوا أنفسهم لهذه الوظيفة المقدسة كل ما يلزم أن يؤهلهم لها بلياقة (٢. تى ٢: ٢) والقديس يوحنا فى أفسس وبوليكاربوس فى أزمير أقاما مدارس كهذه. وكان أشهر هذه المدارس فى الأيام المتأخرة مدرسة الأسكندرية التى كانت تسمى المدرسة الكاتشيسس (أى تعليم قواعد الإيمان بالسؤال والجواب) وقيل أن مرقس أنشأها. (تاريخ الكنيسة المسيحية القديمة والحديثة للعلامة يوحنا لورنس فان موسهيم - بيروت ١٨٧٥: كتاب ١ قرن ١ قسم ٢ ف ٣: ٧).

(٣) من بين هؤلاء القديس غريغوريوس الثيئولوغوس (الناطق بالإلهيات).

santamariaegypt.o

وقال المؤرخ موسهيم البروتستانتى: من الأسباب التى أدت إلى تقدم الديانة المسيحية، ترجمة الكتب المقدسة إلى لغات عدة، وكان أول من ترجم وفسر الكتب المقدسة هم علماء مدرسة الأسكندرية.

ولما كانت مدرسة الأسكندرية اللاهوتية تعد أعظم مدرسة لاهوتية، لذلك كان كثير من خريجى المدارس اللاهوتية فى البلاد الأخرى، يقصدون إليها للتزود من ثقافتها اللاهوتية الواسعة. من بين هؤلاء القديس اغريغوريوس الثيئولوغوس (الناطق بالإلهيات) (٣٢٩ - ٣٨٩م)، والقديس باسيليوس الكبير (٣٣٠ - ٣٧٩م) والقديس يوحنا ذهبى الفم (٣٤٧ - ٤٠٧م) والقديس ايرونيموس (٣٤٢ - ٤٢٠م) والمؤرخ روفينوس (٣٤٥ - ٤١٠).

هذا ومن أهم أعمال المدرسة اللاهوتية غير ما ذكرنا، هو أن علماءها قدّموا أول ترجمة أمينة دقيقة للعهد الجديد من اللغة اليونانية إلى اللغة القبطية، وهى هذه الترجمة التى أشرف عليها بنتينوس رئيس المدرسة وساعده فيها القديس اكليمنضس .

وعلماء مدرسة الأسكندرية اللاهوتية هم أول من فسروا الكتب المقدسة، وأول من وضعوا قواعد التفسير، وأول من أدخل المنهج الفلسفى فى سياق تقديم الحقائق الدينية، أى أنهم أول من وضعوا أسس علم اللاهوت، ولا ننسى أن نذكر المجهود الضخم الذى قام به العلاّمة أوريجينوس فى دراسة نصوص الكتاب المقدس ومقارنتها فى ترجماتها المختلفة، التى كانت معروفة فى ذلك الوقت بالعبرانية واليونانية. ومن بين ثمرات جهوده الكتاب المعروف بالهيكسابلا Hexapla وهو يجمع بين ستة نصوص للعهد القديم باللغات العبرانية واليونانية، صفها فى أعمدة متجاورة للدرس والمقارنة بينها... إلى غيرها من الدراسات الكتابية التى عكف عليها نحو ثمانية وعشرين عاماً قضاها فى درس متواصل بالنهار والليل ومعه تلاميذه، وكان على قوله يسهر إلى ساعة متأخرة فى الليل، ويقول فى موضع آخر أنه وتلاميذه لم يكن لهم وقت للعشاء. وهذا يدل على مدى الجهد المضنى الذى كان يبذله هذا العلامة العبقرى فى الإنتاج الروحى المسيحى.

هذا إلى ما لا يمكن إحصاؤه من كتب فى اللاهوتيات والتقويات، وكل ما يتصل بالعقائد الدينية والطقوس الكنسية والقوانين الروحية والأدبية والطقسية، والردود على الفلاسفة والهراطقة، فى عشرات بل ومئات من الكتب، حتى ذكر القديس أبيفانيوس أن لأوريجينوس وحده أكثر من ستة آلاف كتاب، غير ما كتبه غيره من أمثال بنتينوس، الذى فسّر جميع أسفار الكتاب المقدس واكليمنضس الأسكندرى الذى وضع بدوره كتباً كثيرة وردّ على هرطقات الغنوسيين، ودافع عن دور الفلسفة وأهميتها فى التمهيد للتعليم المسيحى، وغير ما كتبه العلاّمة ديديموس الضرير فى شرح الكتب المقدسة وإيضاح التعليم المسيحى.

santamariaegypt.o

منهج الدراسة وروحها

بدأ أساتذة الوثنية الأعلام نظير كلسس Celsus وبورفيروس Porphyry يدرسون الكتب المقدسة المسيحية تمهيداً لنقدها وتفنيدها، ثم أخذوا - فى مهارة ودقة - يكشفون عن المشكلات العلمية فى أسفار العهد القديم، وعن ما يروه من تناقض تنطوى عليه أسفار العهد الجديد. ومن ثم فقد تناقش علماء المدرستين وتناظروا، وكان هذا التناظر والنقاش مصدر خير للدين المسيحى، فأتاح لفلاسفة المسيحية فرصة مناسبة لبيان حقيقة التوافق بين أسفار الكتاب المقدس، فضلاً عن حل الإشكالات العلمية التى أثارها خصوم المسيحية ضد العهد القديم على وجه الخصوص.

ومع أن التعليم المسيحى كان يلقن فى معظم البلاد المسيحية على غير طريقة منهجية، يقوم بها الأسقف أو القسيس، إلا أنه قد أحرز فى مدينة الأسكندرية تقدماً هائلاً، فلم يكد ينتصف القرن الثانى للميلاد حتى كان للإكليريكية منهج علمى منظم.

لقد كانت الإكليريكية فى عهدها الأول مدرسة دينية مسيحية، تعنى بشرح التعليم المسيحى وتلقينه على طريقة السؤال والجواب، ولما كان المتقدمون إلى المدرسة اللاهوتية لا يجمعهم هدف واحد، لهذا انقسم الطلاب - وهم من الجنسين ذكوراً وإناثاً - إلى ثلاثة أقسام أو مجموعات: **فريق كان وثنياً** يفتش عن الحق أين هو.. **وفريق كان وثنياً ثم آمن بدين المسيح، ولكنه لم ينل سر العماد بعد**، ولهذا يدرس ليتأهب لمعرفة أصول الإيمان المسيحى، حتى إذا نجح فى الاختبار قدم إلى العماد فى الوقت المناسب (١). **ثم أخيراً فريق كان مسيحياً ولكنه يريد أن يتعمق** فى درس العقائد والحقائق الإيمانية، فيزداد فيها رسوخاً حتى يتمكن من الخدمة فى الكنيسة المقدسة والعمل على ذيوع الديانة المسيحية فيكون واسطة لخلاص نفوس البعيدين.

الفريق الأول: الطلاب الوثنيين:

الذين يفتشون عن الحق أين هو، ولم يهتدوا بعد إليه.

تبعاً لهذا التقسيم كان لابد للمنهج الدراسى أن يتكيف حسب مستوى طلبة القسم وحسب احتياجهم، وحسب الهدف الذى يريدون تحقيقه من إلتحاقهم بالمدرسة. فقسم الوثنيين الذين يفتشون عن الحق أين هو يلزمهم تعريف واضح بالمسيحية فى خطوطها العامة الأساسية وعقائدها العظمى مع مقارنتها بغيرها من الديانات السماوية والبشرية.

---

(١) ويقال فى بعض المصادر أن المدرسة أنشئت فى بادئ الأمر لهذا القصد.

santamariaegypt o

الفريق الثانى : وثنيين أمنوا بالمسيح:

وهم قسم الموعوظين الذين آمنوا بالمسيح ولم ينالوا العماد بعد، تلزمهم شروح للكتب المقدسة وتفسير لها وإيضاحات للعقائد المسيحية، وبيان وافٍ للواجبات المسيحية وأهلية المؤمن لقبول المعمودية المقدسة وسائر الأسرار الخلاصية وأهمية هذه الأسرار ومعناها وقيمتها ومغزاها. لأن دراسة هذه العلوم ضرورية لشرح العلوم الدينية وحلّ المشكلات التى تنشب بينها وبين العلوم الطبيعية وأيضاً تلزمهم دراسات فى التعليم المسيحى لمعرفة أصول الإيمان ، فإذا ثبت نجاحهم فيما درسوه وتعلّموه، قدّموا إلى المعمودية المقدسة. ويمكن أن يقال أن هذا القسم يعد أقدم جميع أقسام المدرسة، وهو الذى أُنشئت من أجله.

الفريق الثالث : إعداد الخدام من الطلبة المسيحيين :

الذين يريدون أن يتعمقوا فى فهم العقائد والحقائق الإيمانية المسيحية، ليزدادوا فيها إيماناً، ويزداد إيمانهم بها رسوخاً، ولكى يتمكنوا من إقناع غيرهم والتبشير بالمسيحية لغير المؤمنين.وهذا القسم هو قسم الإعداد لخدمة الكنيسة، وتكوين القيادات الرعائية فيها. وهو القسم الذى يكاد ينحصر فيه عمل المدارس اللاهوتية اليوم ومن بينها المدرسة اللاهوتية الإكليريكية القائمة اليوم بالقاهرة، إمتداداً للمدرسة اللاهوتية الأسكندرية.

ولكن المدرسة عنيت فيما بعد بإدخال علوم وثقافات أخرى دعت إليها حاجة العصر، فكانت المدرسة اللاهوتية على حد تعبير أحد مؤرخى الفلسفة جامعة علمية عالمية إلى جانب المدرسة الإكليريكية، فقد أُدخلت فيها علوم الطب والكيمياء والطبيعة والحساب والهندسة والفلك والجغرافيا والتاريخ والموسيقى واللغات.

بيد أنه لم تكن لها فى بادئ الأمر أبنية أو عمارة خاصة بهذا الغرض، بل كان المعلم يقوم بتدريس تلامذته فى بيته الخاص، وقد كان العلامة أوريجينوس يشتغل إلى ساعة متأخرة من الليل فى تعليم التلاميذ وإعطاء الإرشادات اللازمة بحسب حاجة كل منهم، ولم يكن قد أقر لها حتى هذه اللحظة منهج ثابت أو تصنيف واضح للعلوم كما أصبح لها بعد قرن من الزمان، فقد كان الأستاذ يترك لحريته فيعلم طلبته كما تتهيأ له الظروف، أو كما توحى إليه طبيعته الخاصة أو حاجة الطلاب وظروفهم.

إلا أن المقرر العام أو بالحرى السياق العام الذى كان يتبع فى المدرسة، يمكن لحسن الحظ أن نتحدث عنه اليوم بشئ كبير من الدقة وكمال التفاصيل، فالتلاميذ الذين كانوا يعجزون عن متابعة الدرس بعمق وتفصيل، كانوا يقتصرون على معرفة حقائق الإيمان، مضافاً إليها

santamariaegypt.o
الشروحات والتفسيرات والإيضاحات المناسبة أو اللازمة. أما الآخرون فقد نقل إلينا العلامة أوريجينوس أنهم كانوا يدرسون بطريقة جدلية. وهم الذين يعدوا للخدمة.

وقد أوضح لنا مقصود هذه العبارة أحد تلامذته ممن كانوا يتمتعون بثقته وحبه وهو غريغوريوس العجائبى فقال: إن الدراسة بالنسبة لهؤلاء الشغوفين بالدرس كانت على ثلاث مراحل:

المرحلة الأولى: مرحلة العلوم ، فيها يدرسون الهندسة ووظائف الأعضاء (الفسيولوجيا) والفلك. وهى علوم يربح الدارس من ورائها تقوية وتنمية لملكات الاستدلال والملاحظة الدقيقة والنظام.

المرحلة الثانية: مرحلة الفلسفة ، وفيها يدرسون كتابات ومؤلفات جميع الشعراء اللاهوتيين وجميع الفلاسفة ما عدا الملاحدة الأبيقوريين ويفسرونها ويناقشونها.

والمرحلة الثالثة والأخيرة: .... مرحلة العلوم اللاهوتية ، آخر مرحلة وأهمها، والمنهج الجدلى فى دراسة اللاهوت هو منهج المناقشة لا منهج التلقين والأخذ، فإذا أراد الأستاذ مثلاً أن يبين حاجة الناس إلى الوحى، تقدم أولاً فأظهر نقص المذاهب الإنسانية والمحاولات البشرية وتناقضها، وحينئذ يبين أن النور الباهت الذى أضاء عقول الفلاسفة من أمثال أفلاطون وأرسطو لم يكن إلا قبساً ضئيل بالنسبة إلى كمال الإشراق ووضوح الضياء فى الديانة المسيحية.

على أن فلاسفة المسيحية - ولا سيما اكليمنضس الأسكندرى وأوريجينوس - ما كانوا ينظرون إلى الفكر اليونانى نظرة احتقار وازدراء وإنما على العكس قد نظروا إلى عقول أساتذة المدرسة الهلينية بإعجاب عظيم، ثم نفثوا هذه الروح عينها فى تلاميذتهم من بعدهم. ولكنهم - على كل حال - قد كانوا مفتقرين إلى الوحى النبوى.

ثم لقد بلغت الفلسفة ذروتها فى الأخلاق، وهنا يبدو التعليم الجدلى فى أقصى معناه: فكان يطلب من التلميذ أن يجئ بتعريف لكلمة أو لفظة من الألفاظ التى تستند إليها الأخلاق، كلفظة «الخير» أو «الشر» أو «العدالة» أو «القانون» ومن ثم يصبح هذا التعريف موضوعاً لدراسة أعمق مصوغة على طريقة السؤال والجواب، وفى سياق هذه المناقشات الممتعة تتضح الإتجاهات الخاطئة وتنجلى الحقيقة فتتغير الآراء السابقة وتفتضح الجهالة، وبها يضطرم الحب نحو الحقيقة حتى يستحيل إلى هوى.

والحق أن المنهج الذى كان يتبع فى المدرسة الإكليريكية لم يكن يختلف اختلافاً جوهرياً عن المنهج المتبع فى المدرسة الوثنية، ومع ذلك فقد كان للمدرسة المسيحية طابع خاص، يميزها

santamariaegypt o

بكل وضوح عن المدرسة الوثنية، وهو ما يبدو من قوة الفضيلة وتأصلها فى نفوس أساتذة الإكليريكية وطلبتها، فقد كانوا جميعاً مثلاً عالياً يحتذى فى سمو الأخلاق ورفعة النفس وطهارة الحياة والعفاف وكمال السيرة، الأمر الذى كان يطمح إليه الوثنيين فلا يستطيعون إليه سبيلاً، ورأى الوثنيون أيضاً أن الفضيلة فى المسيحية ليست دراسة نظرية فحسب، وإنما كانت تتجلى فى الحياة العملية وقوة للتصرف وحسن السلوك، وكانوا يرون فى الأساتذة والطلبة مغناطيسية سرية وجاذبية شخصية خفية تدعو كل من يراهم أن ينهج نهجهم ويدين بدينهم.

وربما لا نستطيع أن نقطع فيما إذا كان هناك أسلوب أو منهج للتعليم المسيحى، أعظم من هذا المنهج الذى نجده فى مؤلفات المعلمين والفلاسفة المسيحيين فى نهاية القرن الثانى بعد المسيح. ومهما يكن من شئ فقد كان لهذا المنهج أثر واضح فى بيان ضلالات الوثنية وإظهار سمو الديانة المسيحية، والرد على جميع الإعتراضات التى يثيرها الخصوم ضدها، مما أدى إلى هجران الوثنيين لوثنيتهم وثبات المؤمنين على مسيحيتهم، ووقوفهم على أسرارها وحقائقها السامية العالية.

فازت الكنيسة إذن على الوثنية أعظم فوز، وقد كان فوزاً قاهراً ساحقاً، صارت به الكنيسة ذلك الكائن الذى ينمو حتى شمل بكيانه كل شئ فلم يعد للوثنية بقاء، وقد امتلكت علوم الوثنية ومعارفها فصارت تحت أمرتها وتصرفها، وقد استغلتها أحسن إستغلال، فبرزت فى التعليم السليم الصحيح والخلق المسيحى القويم.

كل هذا كان للكنيسة لأن المدرسة الإكليريكية كانت فى أوج مجدها وفخر عزها.

santamariaegypt.o

إكليريكية الأسكندرية
فى عصـــر اضمحلالهــــا

آه يا للأسف!!! بل وأيضاً يا للأسف!!! عصفت بالمدرسة الإكليريكية عاتيات الزمان، ولم يتح لها البقاء الذى كان يرجى لها.. فقد شاء لها الله أن تتوقف عن رسالتها الجليلة، فبعد أن كانت زاهرة بالعلوم، وبعد أن كانت ملجأ الوافدين المقبلين على العلم، والشغوفين بالثقافة من جميع أصقاع المسكونة، ضعف الإقبال عليها وأصابها الذبول والإنحلال، والأرجح أن العامل الأول على اضمحلالها لم يكن باطنياً بل كان ظاهــرياً خــارجيــاً. فقد قــرأنا أن العـلامة «رودن Rhodon » ـ وهو آخر مدير للإكليريكية نقلها من مدينة الأسكندرية إلى بلدة صيدا فى إقليم بامفيليا. ولسنا نعرف السبب الذى حدا به إلى ذلك، غير أنه من المؤكد أن هذا النقل قد أضر بالمدرسة إضراراً بليغاً، فكان سبباً مباشراً لقلة الإقبال عليها وتناقص عدد طلبتها، وظلت حالها تسوء رويداً رويداً حتى القرن الخامس، الذى تصدّعت فيه وحدة الكنيسة الجامعة الرسولية إلى شرقية وغربية، فتشتت تلامذتها وأفل نجمها أفولا عجيباً. وهكذا اندكت معالم تلك المدرسة العظيمة وأسدل الستار على أرفع معهد للعلم والثقافة المسيحية فى المعمورة.

والأمر الذى لا مندوحة عنه أن الخلافات العقائدية التى نشبت فى أعقاب مجمع خلقيدونيا سنة ٤٥١م، والتى جعلت الدولة البيزنطية تضغط بكل ثقلها على الأقباط فى مصر، ليقبلوا طوموس ليون أسقف روما وتحديدات مجمع خلقيدونيا، وما كان يلحق بمن يعترض على الطوموس ومجمع خلقيدونيا من عذاب واضطهاد، هو الذى شتت تلاميذ المدرسة اللاهوتية وأساتذتها، فرجع إلى بلاده من رجع وهرب من هرب. وأما الباقون من الراغبين فى استمرار الدرس والبحث، فقد وجدوا فى دير أبو مقار الملاذ الأمين، والمكان الهادئ الذى يناسب رغبتهم، فى مواصلة الدرس فى هدوء. ولذلك أصبح دير أبو مقار هو خليفة المدرسة اللاهوتية بالأسكندرية بضعة قرون تلت، ولعل هذا هو السبب فى أن أكثر البطاركة الذين اختيروا من بين الرهبان قد أخذوا من هذا الدير بالذات بعد غلق المدرسة اللاهوتية بالأسكندرية، فمن الرهبان اختير بعد القرن الخامس، أربعة وثمانون بطريركاً كان ٢٤ منهم من دير أبو مقار، وهى أكبر نسبة أخذت من بين رهبان جميع الأديرة الأخرى على كثرة عددها.

فلما خمدت حياة تلك المدرسة وخبا ضوؤها الساطع وانطفأ نورها الوضاح، أصاب الكنيسة المرقسية ضعف وذبول، فلم يعد لباباواتها ما كان لهم فى العصور المسيحية الأولى من الثقافة اللاهوتية التى تمكنهم من قيادة الرأى المسيحى بالعالم كله، فتدهورت مكانة الكنيسة.

santamariaegypt o

فعاد القبط يتأملون فى مجدهم الغابر وأخذوا يقارنون بين ما كانوا عليه وما صاروا إليه، فأدركوا أن إهمال الثقافة اللاهوتية جريمة لا تغتفر فى حق الكنيسة، وأنه لا سبيل إلى رفعة الكنيسة والنهوض بها إلى الكمال والمجد التليد، إلا بإنشاء أو بالحرى إعادة الإكليريكية الأولى، وبدأوا من جديد يشعرون بالحكمة السامية التى حدت بالرسول العظيم القديس مرقس الرسول إلى إنشاء مدرسة لاهوتية لتكون سنداً للعقيدة وحصناً للإيمان الرسولى.

تجددت عزائمهم وفكر أبو الإصلاح القبطى البابا كيرلس الرابع، فى إنشاء إكليريكية أخرى تكون على غرار الإكليريكية الأسكندرية، ولكن لم يمد الله فى عمره حتى يحقق هذه الأمنية، فأتاحها فرصة مباركة لخلفة القديس كيرلس الخامس الذى عهد بإدارتها للعلامة الإيغومانوس فيلوثيئوس إبراهيم، وقد كان عالماً لاهوتياً شهيراً. ومع ذلك لم يطل الأمد بهذه النبتة الصغيرة أكثر من بضعة شهور. ولكن الرب شاء لها الحياة من جديد على يد المرحوم يوسف بك منقريوس فى ٢٩ نوفمبر سنة ١٨٩٣م (سنة ١٦١٠ ش). ومنذ ذلك الوقت تناضل عن وجودها وكيانها، ومع أنها كانت إسعافاً للكنيسة أنقذتها من شرور كثيرة، ومن الجهالة التى كادت تخيم عليها. إلا أنها لا زالت محتاجة إلى العمل الجدى المتواصل، لتكمل العمل العظيم الذى بدأته أمها الأولى، وهى لا شك واصلة إلى بغيتها بقدرة الله وصلوات القديسين.

ونحن إذ ندرس الفلسفة المسيحية الشرقية أو فلاسفة القبط بالأسكندرية لا يسعنا إلا أن نقف أمام بعض الشخصيات وقفات قد تطول وقد تقصر.

santamariaegypt o

الفلسفة المسيحية الغربية

santamariaegypt.org

الفلسفة المسيحية

جاءت المسيحية إلى العالم ديانة موحى بها من الله، وقدّمها السيد المسيح لا على أنها مذهب فلسفي مجرد، بل لتكون عقيدة للفداء.. والخلاص..، وأرسل المسيح رسله إلى العالم لا ليشغلوا كراسي الأستاذية في مدارسه وجامعاته، وإنما ليبشروا الناس بالإنجيل. كانت المسيحية إذن هي الطريق.. وهي السبيل الذي يتعين على الإنسان أن يسلكه ليصل إلى الله.. ولم تكن مذهبا جديدا من مذاهب الفكر أتى ليضاف إلى المذاهب والمدارس الفلسفية القديمة... وعكف رسل المسيح على هداية الناس إلى الإيمان، وإرشادهم إلى طريق الحياة الفضلى، ولم تكن بغيتهم أن يبتدعوا للناس مذهبا جديدا يشغل أذهانهم وعقولهم، على نمط المذاهب الفلسفية المعروفة في زمانهم أو قبل زمانهم.. ولم تحدثنا الكتب المقدسة إلاّ فيما ندر عن تصدى الرسل ومجابهتهم للفلاسفة اليونانيين بالمعنى الأكاديمي الدقيق...

ومع ذلك، فإن المسيحية عندما امتدت جذورها وتأصلت، أثارت الريبة والكراهية لا من جانب اليهود والسلطات السياسية فقط، بل وأيضا من جانب المفكرين والكتّاب والوثنيين، وحقا أن بعض الحملات التي صوّبت ضد المسيحية، لم يكن مردها إلاّ إلى الجهل أو الشك الساذج أو الخوف من المجهول أو التمويه، ومع ذلك فقد كانت هناك حملات أخرى على مستويات نظرية وأسس فلسفية... وكان على المسيحية بالطبع أن تواجه هذه الحملات.. وهذا معناه أنه كان لابد لها أيضا من أن تستخدم الحجج الفلسفية إلى جانب الحجج اللاهوتية، لإثبات وجودها والدفاع عن مبادئه، ومن هنا كانت العناصر الفلسفية التي نجدها في كتابات آباء الكنيسة والمدافعين الأولين عن الدين المسيحي. ولكن من الواضح أننا لا نتوقع أن تؤلف هذه العناصر مذهبا فلسفيا كاملا، حيث أن الباعث الأول عند هؤلاء الكتاب كان باعثا دينيا وهو الدفاع عن الإيمان. فلما توطدت أركان المسيحية وصارت مشهودة، وأصبح في قدرة علماء الكنيسة أن ينشروا الفكر والمعرفة، إزداد الإتجاه الفلسفي وضوحا لاسيما عندما دعت الحاجة إلى صد حملات الفلاسفة الوثنيين المحترفين.

وإذن فالدفاع عن الدين كان هو الدافع الأساسي إلى قيام الفلسفة المسيحية ونموّها، ولا شك أن هذا يرجع أولا وبالذات إلى عامل خارج عن المسيحية نفسها، وأعني به الهجوم عليها من أعدائها، ومع ذلك فهناك عامل آخر لهذا النمو، وهو عامل داخلي غير عامل الهجوم على المسيحية من خارج، فقد كان من الطبيعي أن يحس المفكرون المسيحيون برغبتهم في أن يتعمقوا الحقائق التي قدمها الوحي طالما أنه مباح لهم أن يفعلوا هذا، بل وأن يكوّنوا رأيا شاملا في الكون والحياة المسيحية، في نور الإيمان، هذا العامل الآخر أخذ يلعب دوره على صورة منهجية، في زمن متأخر عن العامل الأول، وقد بلغ ذروة فعله عند القديس أوغسطينوس، أما

santamariaegypt o
الرغـــبة فى تعـمق عقــائد الإيمـــان (وقــبل القـــول بمـــبــــدأ «انى أؤمــن لكى أفهم Gredo ut intelligam ») ، فقد لعبت دورها على نوع ما منذ الإبتداء ، فقد ظهرت منذ الإبتداء الرغبة فى فهم الإيمان وتقييم عقائده ، كما نبتت الحاجة إلى تعريف العقيدة تعريفا أكثر وضوحا لمجابهة الهرطقات ، ولهذا بسطت حقائق الوحى الأصلية فى صورة أكثر جلاء أو فى صورة متطورة ، بمعنى أن ما هو غامض فى هذه الحقائق صار واضحا . فمنذ البداية قبل المسيحيون مثلا هذه الحقيقة ، أن المسيح هو الاله المتأنس ، ولكن لم تصر مضامين هذه الحقيقة واضحة ، ولم تدخل فى نطاق التحديدات اللاهوتية إلاّ مع مرور الأيام ، ومن ذلك مثلا أن طبيعة السيد المسيح الناسوتية الكاملة تتضمن حيازته لمشيئة إنسانية ، ولا شك أن هذه التعريفات أو الحدود اللاهوتية ، وأن إنتقالها من الغموض إلى الوضوح تقدم أدركه علم اللاهوت . ولكن يلاحظ أن هناك مقولات Categories ومدركات استعيرت من الفلسفة ، واستخدمت فى عملية البرهنة وفى التعريفات اللاهوتية ، ولمّا لم يكن للمسيحيين فلسفة خاصة بهم بالمعنى الأكاديمى لكلمة الفلسفة ، فكان طبيعيا جدا أن يتجهوا إلى الفلسفة السائدة ، وهى مشتقة من الفلسفة الأفلاطونية ومشبّعة بعناصر أخرى . ولذلك يمكن أن يقال بصفة عامة ، أن الأفكار الفلسفية التى تأثر بها الكتّاب المسيحيون الأوائل ، كانت فى طابعها مستقاة من الفلسفة الأفلاطونية أو الفلسفة الأفلاطونية الجديدة مع شئ من الرواقية . وأن التقليد الأفلاطونى ظل زمنا طويلا مسيطرا على الفكر المسيحى من وجهة النظر الفلسفية .

وهنا يجب أن نذكر أن الكتّاب المسيحيين لم يميزوا تمييزاً واضحا بين الفلسفة واللاهوت . أنهم كانوا يهدفون إلى أن يقدموا للعالم الحكمة المسيحية أو الفلسفة المسيحية فى معناها الواسع . وبديهىّ أنها كانت حكمة دينية أو لاهوتية ، وإن اشتملت على عناصر فلسفية بالمعنى الدقيق . وعلى ذلك فإن مهمة مؤرخ الفلسفة أن يعزل هذه العناصر الفلسفية . فليس عدلا أن ننتظر منه أن يقدّم لنا صورة دقيقة للفكر المسيحى الأول ، ذلك لأنه من المفروض ex hypthesi أنه ليس مؤرخا للتفسير أو لعلم اللاهوت العقيدى ...

ولمّا كان الفلاسفة الوثنيون من جهة ميالين إلى مهاجمة الكنيسة وتعاليمها ، وكان اللاهوتيين والمحامون عن الدين المسيحى من جهة أخرى ميالين إلى إستعارة أسلحة خصومهم ، إعتقادا منهم أن هذه الأسلحة تصلح لتحقيق أغراضهم ، فقد كان من المتوقع أن تختلف اتجاهات الكتاب المسيحيين نحو الفلسفة القديمة ، تبعا لنظرتهم إليها أو تبعا للزاوية التى ينظرون منها إليها . فهى تارة عدوّ أو خصم للمسيحية ، وتارة أخرى شئ نافع مثلها مثل دار أسلحة أو مخزن استيداع ، وتارة ثالثة تجهيز وإعداد للمسيحية من قبل العناية الإلهية . فبينما ينظر ترتليانس مثلا إلى الفلسفة الوثنية على أنها غباوة هذا العالم وربما أكثر من غباوة ، يرى اكليمنضس الأسكندرى أن

santamariaegypt.org

الفلسفة عطيّة من الله، وأنها الواسطة التى أعدها الله لتأديب العالم الوثنى وتوجيهه إلى المسيح، تماما كما كان الناموس هو الواسطة التى هيأها الله لتأديب اليهود وتوجيههم إلى المسيح، وقد رأى اكليمنضس أيضا ما رآه يوستينوس من قبله، أن أفلاطون قد استقى حكمته من موسى والأنبياء، وكما حاول فيلون أن يوفق بين الفلسفة اليونانية والعهد القديم، هكذا حاول اكليمنضس أن يوفق بين الفلسفة اليونانية والديانة المسيحية، ولا شك أن إتجاه اكليمنضس الأسكندرى، لا إتجاه ترتليانس، هو الذى فاز فى النهاية، ومن ذلك ما نشاهده مثلا عند القديس أوغسطينوس الذى انتفع كثيرا بالأفكار الأفلاطونية الجديدة فى نظرته إلى الكون...

ومن بين المجموعة الأولى من الكتّاب المسيحيين الذين اشتملت تواليفهم على عناصر فلسفية يمكن أن نذكر المدافعين الأولين، الذين كانوا يهتمون على الخصوص بالدفاع عن الإيمان المسيحى ضد هجوم الوثنيين، أو بالحرى أن يثبتوا للسلطات الأمبراطورية أن للمسيحية حقا فى البقاء، من أمثال اريستيديس Aristides، ويوستينوس، وميليتو Melito ، وتاتيانس، وأثيناغوراس، وثيئوفيلوس الأنطاكى، ونحن لا نستطيع أن نتناول بالتفصيل آراء كل من هؤلاء الآباء المدافعين عن الايمان المسيحى، ولكننا سنعرض فى عجالة للعناصر الفلسفية الهامة التى اشتملت عليهامؤلفاتهم.

مارقيانوس اريستيديس
Marcianus Aristides

ويلقب اريستيديس بفيلسوف أثينا، كتب دفاعا أو احتجاجا يرجع تاريخه إلى حوالى سنة ١٤٠م وجهه إلى الامبراطور انطونيوس بيوس Antonius Pius ،وقد خصص جزءا كبيرا من هذا المؤلف لمهاجمة آلهة اليونان ومصر الوثنية وذمّ الأخلاق اليونانية الوثنية. على أن المؤلف يصرّح فى أول كتابه بأنه «منذهل من ترتيب العالم»، ويقول «إن العالم وكل ما فيه يتحرك بدفع من كائن آخر» ولما كان «من يحرك أقوى ممن يتحرك»، فإن محرك العالم هو «إله الكل، وهو الذى خلق الكل من أجل الإنسان». وهكذا قدّم اريستيديس فى صيغة موجزة جدا لكنها شاملة وافية أدلة مستقاة من تخطيط العالم ونظامه، ومن حركته، مبينًا أن مدبّر أو منشئ أو مخطط العالم ومحركه هو بعينه إله المسيحيين. ثم يتقدم اريستيديس فينسب إلى الله صفات السرمدية (الأزلية والأبدية)، والكمال واللانطفاطية (١) incomprehensibility والحكمة، والصلاح. ولاشك أن أريستيديس يعرض لنا فى هذا الكتاب نوعا من اللاهوت الطبيعى الأولى، غير أنه لا يهدف منه إلى أغراض فلسفية بل إلى الدفاع عن الديانة المسيحية.

---

(١) صفة اللانطفاطية أو اللامضغوطية فى الله، معناها أنه تعالى لا يمكن إدراكه أو الإحاطة به.

santamariaegypt.org

القديس الشهيد
يوستينوس

ونحن نجد عند فلافيوس يوستينوس Flavius Justinus وهو الشهير بالقديس الشهيد يوستينوس، إتجاها نحو الفلسفة أكثر وضوحا وصراحة مما نجده عند اريستيديس، ولد يوستينوس فى مدينة نيابوليس Neapolis أو نابلوس Nablus، من أبوين وثنيين نحو سنة ١٠٠م ولكنه صار فيما بعد مسيحيا، ومات شهيدا فى روما نحو سنة ١٦٤م.

يصرّح القديس يوستينوس فى محاورة له مع تريفون Trypho أن الفلسفة من أثمن الهبات الإلهية التى رسم الله بها أن يقود الإنسان إليه، ولو أن أكثر الناس لم يتميزوا طبيعتها الحقيقية ووحدتها كما يتبين من المذاهب الفلسفية الكثيرة وتعارضها فيما بينها. ولقد ذهب يوستينوس نفسه يطلب العلم عند أحد الرواقيين، ولكنه لم يرض بمذهب الرواقيين فى الله، ولذلك اعتنق مذهب المشائين Peripatetics ثم اعتزلهم سريعا بعد أن تبين له أن مذهبهم أيضا لا يصلح. واتجه وهو لا يزال فى جذوة الحماس إلى أحد الفيثاغوريين المشهورين، ولكّن عدم معرفة يوستينوس بالموسيقى والهندسة والفلك حالت دون صلاحيته لدراسة الفلسفة على هذا المعلم الفيثاغورى. وإذ لم يكن يوستينوس يرغب فى أن يصرف وقتا كبيرا فى تحصيل هذه العلوم التى يشترطها الفيثاغوريون اتجه نحو الأفلاطونيين، وقد سّر سروراً بالغاً من مذهبهم فى الصور غير المادية حتى بدأ يتطلع إلى رؤية الله، وهى على ما يقول يوستينوس غاية الفلسفة عند أفلاطون، وبعد ذلك بقليل إلتقى بأحد المسيحيين فأثبت له قصور الفلسفة الوثنية بما فيها فلسفة أفلاطون نفسها. فيوستينوس إذن يمثل هذا الطراز من المفكرين المثقفين الذين اهتدوا من الوثنية إلى المسيحية، وكانت هدايته فى نهاية المطاف. ولذلك لم يستطع أن يقف من الفلسفة اليونانية موقفا سلبيا أو عدائياً.

وعلى العكس، فإن كلام يوستينوس عن الفلسفة الأفلاطونية فى «محاورته» يبيّن جليا اعتباره للفلسفة الأفلاطونية، فهو يقدّر تعليمها فيما يتصل بالعالم الروحانى غير المادى، وفيما يتصل بالكائن فوق جوهر الوجود أو وراء الطبيعة. وهو الله. ولو أنه وصل إلى الاقتناع بأنه لا يمكن التوصل إلى معرفة الله معرفة يقينية ومأمونه ومؤكدة، أو بعبارة أخرى لا يمكن التوصل إلى الفلسفة الحقيقية إلاّ بتلقى الوحى الإلهى، وفى الدفاعين اللذين كتبهما يوستينوس يدافع فيهما عن المسيحيين، يستخدم الكثير من المصطلحات الأفلاطونية حتى عندما يتكلم عن الله، فإنه يلقبه «بالصانع» وهو التعبير الذى استخدمه أفلاطون نفسه بالنسبة لله، ولكن ليس معنى هذا أن يوستينوس كان يستخدم تلك المصطلحات أو التعبيرات بمعناها الأفلاطونى الدقيق. إن استخدامه

santamariaegypt.org
لها جاء بالأحرى نتيجة لتأثره بدراسة الفلسفة الأفلاطونية. وللأحاسيس أو التجاوب الذى احتفظ به نحوها. ولذلك فإنه لا يتردد أحيانا فى أن يظهر وجوه التشابه بين التعليم المسيحى والتعليم الأفلاطونى فيما يتعلق بالثواب والعقاب بعد الموت، أمّا إعجابه بسقراط فواضح. من ذلك ما يقوله فى دفاعه الأول عن المسيحيين : عندما حاول سقراط بقوة اللوغوس - وكأن سقراط آلة فى يده - أن يهدى الناس من الباطل إلى الحق، حكم الأشرار عليه بالموت كأنه ملحد وزنديق، هكذا المسيحيون أيضا وهم يتبعون اللوغوس نفسه ويطيعونه ويجحدون الآلهة الباطلة، يرميهم الناس بالإلحاد، وكما خدم سقراط الحق وكان عمله هذا تجهيزا وإعدادا للعمل الكامل الذى قام به المسيح فيما بعد، كذلك كان الحكم عليه بالموت، وكأنه إعادة أو عمل مقدّم للحكم على المسيح وأتباعه بالموت. ويقول يوستينوس إن أفعال الناس ليست مقدّرة أو معيّنة تعيينا سابقا كما ظنّ الرواقيّون، وإنما الناس يتصرفون صوابا أو خطأ بناء على إرادتهم الحرّة، ويذهب إلى أن الشياطين هم الذين حرضّوا الناس ويحرضوهم على قتل سقراط ومن على شاكلته، وهم الذين حضوهم ويحضونهم على تكريم أبيقور ومن على مثاله...

ولم يفرّق يوستينوس تفرقة قاطعة بين اللاهوت وبين الفلسفة بالمعنى الدقيق، أنه يقول أن هناك حكمة واحدة و «فلسفة» واحدة، وهى التى أعلنت فى المسيح وبالمسيح، ولم تكن أفضل عناصرها فى الفلسفة الوثنية وبالأخص الأفلاطونية إلاّ إعدادا وتجهيزا لها، وإذا كان الفلاسفة الوثنيون قد تنبأوا بالحق، فإنما فعلوا ذلك بقوة اللوغوس. أما اللوغوس فهو المسيح نفسه متجسدا، ولقد كان لنظرة يوستينوس هذه إلى الفلسفة اليونانية وعلاقتها بالمسيحية، أثر كبير على الكتّاب المتأخرين...

santamariaegypt.org

تاتيان

يروى ايريناوس فى كتابة «الرد على الهراطقة» (١)، أن تاتيان كان تلميذا ليوستينوس، وكان سورى الجنسية تثقف بالآداب اليونانية والفلسفة اليونانية ثم أصبح بعد ذلك مسيحيا، وليس ثمت ما يدعونا إلى الشك فى صحة رواية ايريناوس، وأن تاتيان كان تلميذا ليوستينوس على صورة ما، ولكن يتضح جليا من «كتابه إلى اليونان» أنه لا يشارك يوستينوس ميله إلى الفلسفة اليونانية فى مناحيها الروحية القوية، يقول تاتيان «نحن نعرف الله من أعماله». ولتاتيان مذهب فى اللوغوس سنعرض له بعد قليل، كما أنه يفرّق بين النفس *ψυχή* وبين الروح *πνεῦμα* ويعلّم بالخلق فى الزمان، ويصرّ على القول بحرية الإرادة. وقد استقى كل هذه المبادئ من الكتاب المقدس ومن التعليم المسيحى، ولم يستعمل تاتيان الثقافة اليونانية والفكر اليونانى إلاّ نادرا، ولو أنه لم يستطع فى الواقع أن يتخلص من تأثير الفكر اليونانى تماما. وكان تاتيان يميل إلى التزمتية المتطرفة. وقد أخبرنا القديس ايريناوس والقديس ايرونيموس أن تاتيان ترك المسيحية بعد استشهاد القديس يوستينوس واعتنق مذهب الأدرية أو العرفانية Gnosticism حسب طريقة فالنتينوس Valentinus وبعد ذلك تبع طائفة الانكراتيين Encrotites الذين يمتنعون عن شرب الخمر وعن استخدام الحلّى حتى للنساء، ويحرمون الزواج أيضا إذ يعدونه نجاسة وزنى.

ولا شك أن تاتيان يقّر بمقدرة العقل البشرى على أن يبرهن على وجود الله من خلائقة، وقد استخدم المعانى (أو التصورات) والمقولات الفلسفية فى تطوير علم اللاهوت. فمثلا يقول أن «كلمة الله» إذا صدرت من جوهر الله وهو الجوهر المفرد والبسيط والمجّرد، فإنها «لا تسقط فى الفضاء» كما تسقط الكلمات البشرية ولكنها تبقى فى وجودها وكيانها، وهى واسطة الخلق الإلهية، ويشبه تاتيان صدور «الكلمة» الإلهية بتكوين الفكر والكلام عند البشر. وبينما يتمسك تاتيان بفكرة الخلق نجده يستخدم تعبيرات تذكرنا بتعبيرات محاورة طيماوس Timaous لأفلاطون فيما يتعلق «بالصانع» وهو الله. وهنا يجب أن لا نغفل أن تاتيان حين يستخدم مصطلحات أو معانى يستقيها من الفلسفة الوثنية، لا يفعل ذلك عن ميل إلى هذه الفلسفة، بل بالأحرى عن إعتقاد أن الفلاسفة اليونانيين لم يقولوا بشئ من الحق إلا أخذوه من الكتاب المقدس، وأما كل ما قالوه غير ذلك فهو باطل وضلال، فالرواقيون مثلا قد أفسدوا تعليم العناية الإلهية بنظرتهم الشيطانية عن الحتمية والجبرية. ومن عجب أن يكون مثل هذا الكاتب الذى يتحدث بمثل هذه العداوة للفكر اليونانى، ويضع تفرقة قاطعة حادة بين ما يسميه بالسفسطة الوثنية والحكمة المسيحية يتردى هو نفسه فى نهاية الأمر، فى هرطقة ؟؟؟ !!!

---

(١) كتاب ايريناوس، الرد على الهراطقة، جزء ١ فصل ٢٨.

santamariaegypt.org

أثيناغوراس

يعد أثيناغوراس أكثر مهارة من غيره ممن سبقوه فى أخذه من الفلسفة اليونانية وإن كان فى تفكيره يتمشى مع الشهيد القديس يوستينوس. كتب أثيناغوراس دفاعا عن المسيحيين πρεσβεία περὶ τῶν χριστιανῶν نحو سنة ١٧٧م، وجهه إلى الامبراطورين مرقس أوريليوس انطونيوس Marcus Aurclius Antonius وكومودوس Commodus «فاتحى أرمينيا وسارماتيا وفوق جميع الفلاسفة» ... وعنى أثيناغوراس فى هذا الكتاب بأن يحامى عن المسيحيين ضد الإتهامات الثلاثة التى وجّهت إليهم وهى : الإلحاد، وولائم اللحوم البشرية، وسفاح القربى (= السفاح بين الذين يحرم التزاوج بينهم) ...

وفى دفع الإتهام الأول، قدّم أثيناغوراس الدليل الدامغ على إعتقاد المسيحيين فى إله واحد أزلى أبدى روحى، وقد اقتبس قبل كل شئ من أقوال الفلاسفة اليونانيين أنفسهم من أمثال فيلولاوس وأفلاطون وأرسطو والرواقيين، واستشهد على الخصوص بنصوص من أفلاطون فى محاورته «طيماوس» حيث يقول أفلاطون أنه من العسير أن نجد صانع العالم وأبا العالم، وحتى إذا وجدناه من المستحيل أن نعلنه للكل، ثم يتساءل أثيناغوراس قائلا : لماذا يدعى المسيحيون ملحدين؟ لأنهم يعتقدون بإله واحد، ولا يتهم أفلاطون بالإلحاد بسبب مذهبه فى الصانع؟ إن الشعراء الفلاسفة سعوا فى طلب الله مسوقين بدافع إلهى، وقد انتبه الناس إلى نتائج سعيهم. أفليس من الغباوة والجهل أن نرفض الإصغاء إلى روح الله نفسه وهو يتكلم على أفواه الأنبياء؟؟؟

ويمضى أثيناغوراس بعد هذا فيبين أنه لا يمكن أن يكون هناك آلهة مادية كثيرة، وأن الله الذى كّون المادة لابد أن يكون مستشرفا وعاليا على المادة (ولو أنه يبدو أن أثيناغوراس نفسه لم يستطع أن يدرك الله بدون علاقة بالمكان)، وأنّ علّة الكائنات القابلة للفناء والفساد لابد أن يكون هو نفسه غير قابل للفساد أو الفناء، وأن يكون روحيا. ويستشهد أثيناغوراس فى هذا الصدد خصوصا بأفلاطون. ويرى فى الفلسفة رأى يوستينوس من قبله : أن هناك فلسفة أو حكمة حقيقية واحدة، ولا يمكن إدراكها إدراكا كاملا إلا عن طريق الوحى، ولو أن الفلاسفة اليونانيين أنبأوا بشئ من الحقيقة. وبعبارة أخرى أن إحترام المفكرين اليونانيين والشعراء اليونانيين من شأنه أن يقود الرجال المفكرين من أمثال الأمبراطور مرقس أوريليوس أنطونيوس إلى أن يقدروا المسيحية ويوقروها على الأقل، إن لم يعتنقوها بالكلية. ولا شك أن الهدف الرئيسى الذى يصوّب نحوه أثيناغوراس من كتابه هدف دفاعى دينى أو لاهوتى. ولكنه يستخدم فى سبيل تحقيق هذا الهدف الحجج والأساليب الفلسفية. وكذلك مثلا فى محاولة إثبات صحة التعليم المسيحى بالنسبة

santamariaegypt.org

إلى قيامة الأجساد. أثبت رأيه بوضوح، وهو يخالف رأى أفلاطون، بأن الجسم ينتسب إلى الإنسان المتكامل، وأن الإنسان ليس مجرد إنسان يستعمل جسما.

ثيئوفيلوس الأنطاكى

وثيئوفيلوس الأنطاكى أيضا يستشهد بالمفكرين اليونانيين الوثنيين فى كتابه «إلى أوتوليكوس *Αὐτόλυκος*» الذى كتبه سنة ١٨٠م، وبعد أن أظهر فى وضوح كاف أن الطهارة الأخلاقية ضرورية لكل من يريد أن يعرف الله، تقدم إلى الكلام عن الصفات الإلهية ومنها القوة، والحكمة، والسرمدية، وعدم التغيّر، واللانطفاطية (= إن الله لا يمكن إدراكه أو الإحاطة به). ويقول ثيئوفيلوس كما أن نفس الإنسان غير منظورة ومع ذلك يمكن إدراكها عن طريق حركات البدن. كذلك الله هو نفسه غير منظور ومع ذلك يمكن معرفته عن طريق عنايته وأعماله...

ويأخذ مؤرخو الفلسفة على ثيئوفيلوس الأنطاكى أنه ليس دقيقا فيما يروى عن آراء الفلاسفة اليونانيين، ولكن من الواضح على أى حال أنه يحمل بعض التقدير لأفلاطون، ويعده «أعظم فيلسوف خليق بالإحترام بينهم» (١) ولو أن أفلاطون أخطأ. فى أنه لم يعلِّم بالخلق من العدم، الأمر الذى يؤكده ثيئوفيلوس بكل وضوح. وكذلك أخطأ أفلاطون فى تعليمه الخاص بالزواج...

إيريناوس وهيبوليتوس

والملاحظ أن المفكرين السابقين، وأعنى بهم اريستيديس ويوستينوس، وتاتيان، وأثيناغوراس وثيئوفيلوس الأنطاكى، هؤلاء جميعا كانوا مدافعين عن الدين المسيحى، وجهوا كل إهتمامهم لمجابهة الحملات الوثنية على المسيحية، والآن يمكن أن نعرض فى شئ من الإيجاز لخصم الغنوسية الكبير وهو القديس ايريناوس، وبالمناسبة أيضا لتلميذه هيبوليتوس. كلاهما كتب باللغة اليونانية، وكلاهما حارب الغنوسية (أو الأدرية أو العرفانية) التى ازدهرت فى القرن الثانى للميلاد، ولو أن كتاب هيبوليتوس أكثر أهمية من حيث أنه احتوى إشارات كثيرة إلى الفلسفة اليونانية والفلاسفة اليونانيين...

---

(١) كتاب إلى اوتوليكوس ٣ : ٦.

santamariaegypt org

الغنوسية :

ويكفى أن نقول عن الغنوسية هنا أنها على العموم بمثابة ملتقى أو مصب هائل لعناصر مختلفة، يهودية، مسيحية، يونانية، وشرقية ... وهى تنادى بالمعرفة *γνῶσις* بدلا من الإيمان، ولها مذهب خاص فيما يتصل بالله والخلق، وأصل الشر، والخلاص، تقدّمه لأولئك الذين يميلون إلى أن ينظروا إلى نفوسهم وكأنهم أشخاص أرفع وأفضل من غيرهم من المسيحيين العاديين. وكانت هناك غنوسية يهودية قبل الغنوسية المسيحية، وحتى هذه الأخيرة يمكن أن تعتبر هرطقة مسيحية. فقط من حيث أن الغنوسيين قد استعاروا بعض ألفاظ مسيحية بصفة أخص. أمّا العناصر الشرقية والهلينية فمن الوضوح بمكان بحيث لا يمكن معها أن تكون الغنوسية هرطقة مسيحية بالمعنى العادى للكلمة، ولو أنها كانت تشكل خطرا حقيقيا فى القرن الثانى للميلاد وقد أضلّت بالفعل أولئك المسيحيين الذين جذبتهم التأملات الثيوصوفية (= الباطنية) الغريبة التى قدّمتها الغنوسية على أنها معرفة. وفى الواقع، كان هناك كثير من المذاهب الغنوسية : منها مذهب كيرنثوس Cerinthus ومذهب مرقيون Marcion، ومذهب عبدة الحيات the ophites ومذهب باسيليدس Basilides ، ومذهب فالنتينوس Valentinus ونحن نعلم عن مارقيون أنه كان مسيحيا صدر ضده حكم الحرمان من شركة الكنيسة، أما عن عبدة الحيات فربما كانوا من أصل يهودى اسكندرى. وأما بالنسبة لمشاهير الغنوسيين من أمثال باسيليدس وفالنتينوس (فى القرن الثانى)، فنحن لا نعرف أنهم كانوا يوما ما من بين المسيحيين.

ومن أهم خصائص الغنوسية بصفة عامة، قولهم بثنائية بين الله والمادة، وإن لم تكن ثنائيتهم هذه ثنائية مطلقة لكنها على أى حال تذكرنا بمذهب مانى، وأما الهوّة الناشئة بين الله والمادة، فقد ملأها الغنوسيون بسلسلة من الصدورات أو الكائنات المتوسطة التى يحتل المسيح مكانا بينها. وتكمل عملية الصدور بالعودة إلى الله عن طريق الخلاص.

ويلاحظ فى مذهب مارقيون كما هو المتوقع. أن العنصر المسيحى فيه كان فى المقدمة : فإله العهد القديم وهو الصانع، هو أدنى مرتبة من إله العهد الجديد الذى ظل مجهولا إلى أن أعلن نفسه فى يسوع المسيح...

أما فى مذهبى باسيليدس وفالنتينوس، فالعنصر المسيحى أقل أهمية : يصوّر المسيح على أنه كائن تابع أو هو أيون *αἰών* فى سلّم روحانى خيالى لمراتب الكائنات الروحية، وهى صدورات إلهية ونصف إلهية، ومهمة المسيح أو رسالته تنحصر فى أنه ينقل إلى الإنسان المعرفة الخلاصية. أو الغنوسية، أمّا المادة فهى شر، ولا يمكن أن تكون المادة من خلق الله العلّى أو

santamariaegypt.org
الأعظم ولكنها من خلق «الأرخون العظيم» ἄρχων الذى عبده اليهود، والذى أعلن عن نفسه أنه الله العلّى أو العظيم، وعلى ذلك فالمذاهب الغنوسية لم تكن ثنائية بالمعنى الكامل الذى نجده عند المانويين، حيث أن الصانع عندهم وهو إله العهد القديم ليس مبدأ أصيلا للشر مستقلا بذاته، (وكذلك الحال عند الأفلاطونية الجديدة، لأنهم أيضا لا يقّرون بالثنائية المطلقة) ...

ولم تكن الخاصية العامة الرئيسية التى يتميّز بها الغنوسيون هى ميلهم إلى الثنائية بقدر ما هو الاصرار على الغنوسية أنها سبيل الخلاص، والسبب الرئيسى الذى يعزى إليه تبنيهم لبعض العناصر المسيحية، إنما هو رغبتهم فى إمتصاص المسيحية وإحلال المعرفة محل الإيمان، وليس لنا هنا حاجة إلى أن نتعمق فى الخصائص المميّزة لمختلف المذاهب الغنوسية، وتفاصيل الصدورات التى تقول بها. فهذا مجهود مضن ولا طائل تحته. وإنما يكفى أن نبيّن أن الإطار العام للغنوسية كان خليط من عناصر شرقية ويونانية (منها الفيثاغورية الحديثة، والأفلاطونية الجديدة) مع مقادير متفاوته من عناصر مسيحية أخذت من الديانة المسيحية الصحيحة، ومن وثائق أخرى مزّورة ومكذوبة. ولقد يبدو لنا اليوم من الصعب أن نفهم كيف يمكن للغنوسية أن تشكل خطرا على المسيحية، وكيف يمكن للغنوسية أن تغرى أى عقل سليم، ولكن يجب أن نذكر أن الغنوسية ظهرت فى وقت كانت المدارس الفلسفية والديانات السرية، تسعى إلى أن تزوّد الناس بحاجتهم الروحية، وزيادة على ذلك فإن المذاهب السرية والباطنية الثيوصوفية يحيط بها السحر الكاذب، سحر الحكمة الشرقية، لم تكن قد فقدت نهائيا جاذبيتها لبعض العقول حتى فى أزمنة متأخرة...

القديس ايريناوس

ولد نحو سنة ١٣٧ أو سنة ١٤٠م وقد كتب ضد الغنوسيين فى كتابه «الرد على الهراطقة» يؤكد أن هناك إلهاً واحداً خلق كل شئ، وهو خالق السموات والأرض، ويلجأ إيريناوس إلى حجة التخطيط (أعنى تخطيط الكون ونظامه البديع) وحجة الاتفاق العام. ويقول أن الوثنيين أنفسهم قد عرفوا من الخليقة نفسها. وعن طريق استخدام العقل - وجود الله باعتباره الخالق. والله خلق العالم اختياراً وليس اضطراراً، ثم أنه خلق العالم من العدم. وليس من مادة كانت موجودة وجوداً سابقاً كما يدّعى الغنوسيين مستندين إلى أناكساجوراس Anaxgoras وأمبيدوقليس Empedocles وأفلاطون. ومع أن العقل البشرى يمكنه أن يتوصل إلى معرفة الله عن طريق العقل والوحى. لكنه لا يمكنه أن يدرك الله، إذ أن جوهر الله يستشرف ويفوق العقل البشرى. كذلك من الغرور والكبر أن يدّعى الإنسان كما يدّعى الغنوسيين أن يعرفوا أسرار الله التى لا

santamariaegypt.org

يمكن التعبير عنها، أو أن يتعدّى الإنسان حدود الإيمان والحب البسيطين. أما تعليم التقمّص أو الاستجساد Reincarnation فتعليم باطل، والقانون الأخلاقي الذى يعلّم به الوحي لا يبطل القانون الطبيعي وإنما يكمله ويفسّره. وقصارى الكلام «أن تعاليم الرسل هو الغنوسية الحقيقية».

ويقول إيريناوس أن الغنوسيين قد استعاروا أكثر آرائهم من الفلاسفة اليونانيين. ولهذا فهو يتهمهم بأنهم استعاروا تعاليمهم الأخلاقية من أبيقور ومن الكلبيين، كما استعاروا تعليمهم فى الاستجساد من أفلاطون. وقد أيّد أيريناوس فى هذا الإتجاه ـ وهو إتجاه إظهار التقارب بين الغنوسيين والفلاسفة اليونانيين ـ تلميذه هيبوليتوس....

هيبوليتوس

وقد توفى نحو سنة ٢٣٦م. وكان تلميذاً لإيريناوس على ما يروى فوتيوس، ولا شك أنه استخدم تعليم أستاذه وكتاباته، ففى فاتحة المقالات الفلسفية Philosphumena (وهى التى تنسب الآن عموماً إلى هيبوليتوس) يصرّح بنيته ـ وإن لم يستطع أن يحققها إلاّ جزئياً ـ فى إظهار سرقة الغنوسيين من تواليف الفلاسفة اليونايين، وذلك بأن يبين كيف أنهم أخذوا آرائهم المختلفة عن فلاسفة اليونان ولو أنهم فى الحقيقة مسخوها وأفسدوها. ولكن يصل هيبوليتوس إلى تحقيق هذه الفكرة بطريقة سهلة، أخذ أوّلا فى ترديد آراء الفلاسفة اليونانيين معتمدا أساسا فى معلوماته، إن لم يكن كلّية، على «كتاب تسبحة ثيوفراستوس». ولذلك فإن معلوماته ليست دائما دقيقة أو صحيحة. والإتهام الرئيسى الذى يهتم به هيبوليتوس اليونان، هو أنهم مجدّوا أجزاء من الخليقة بعبارات أنيقة جميلة، ولكنهم جهلوا خالق الأشياء جميعها الذى خلقها إختيارا ومن العدم، بحسب حكمته ومعرفته السابقة.

وإذا كان السابقون من المدافعين عن الدين كتبوا باللغة اليونانية، فثمة مفكرون آخرون كتبوا باللغة اللاتينية منهم مينوكيوس فيلكس Minucius Felix وترتليان Tertullian وأرنوبيوس Arnobius ثم لاكتانتيوس Lactantius وأهمهم هو ترتليان.

مينوكيوس فيلكس

ليس من المؤكد إذا كان مينوكيوس فيلكس قد كتب قبل ترتليان أو بعده. وعلى كل حال فإن إتجاهه إلى الفلسفة اليونانية كما تبين من كتابه الاوكتافيوس Octavius كان أشد من إتجاه ترتليان. كان مينوكيوس يقول أنه يمكن معرفة وجود الله معرفة يقينية عن طريق نظام الطبيعة،

santamariaegypt org

والنظام الذى تشتمل عليه الكائنات الحيّة وبالأخص جسم الإنسان، وأنه يمكن استنباط وحدانية الله من وحدانية نظام الكون. ويقرر مينوكيوس أن الفلاسفة اليونانيين أيضا قد توصلوا إلى هذه الحقائق. فأرسطو يقرّ بإله واحد، والرواقيون يعلّمون بالعناية الإلهية، وأفلاطون يتكلم بتعبيرات تكاد أن تكون مسيحية عندما يتحدث فى محاورة طيماوس عن صانع الكون ووالده.

ترتليان

يتكلم ترتليان عن الفلسفة اليونانية بطريقة مختلفة نوعا عن مينوكيوس فيلكس، ولد ترتليان نحو ١٦٠م من أبوين وثنيين، ودرس المحاماة وباشرها بالفعل فى روما ثم صار مسيحيا بعد ذلك، ولكنه سقط فى هرطقة المونتانية Montanism (وهى مذهب أدّعى صاحبه مونتانوس أنه البارقليط الموعود به فى الإنجيل) وهى صورة متزمته ومتطرفة من مذهب الطهريين أو الحنبليين المدققين Puritanism ويعد ترتليانس أول كاتب مسيحى بارز كتب باللغة اللاتينية. ويتضح جليا من مؤلفاته احتقاره الديانة الوثنية والثقافة الوثنية، يقول ترتليان فى دفاعه (١): أى شركة بين الفيلسوف وبين المسيحى، بين تلميذ اليونان حليف الباطل وبين تلميذ السماء عدو الباطل وحليف الحق؟؟ وحتى حكمة سقراط لم تصل إلى شئ يعتد به لأنه ليس ثمت شخص يمكنه أن يعرف الله معرفة حقيقية بغير المسيح، أو يعرف المسيح من دون الروح القدس. ثم أن سقراط يعترف بنفسه أن جناً كان يقوده ويهتف فى قلبه. أما أفلاطون فيقول أن من العسير أن يجد الإنسان صانع الكون ووالده، بينما أن أبسط مسيحى قد وجده (٢)، ثم أن فلاسفة اليونان هم بطاركة الهراطقة إذ أن فالنتينوس أخذ عن الأفلاطونيين، ومارقيون أخذ عن الرواقيين، بينما أن الفلاسفة أنفسهم استقوا بعض أفكارهم من العهد القديم ثم حرفوها وشوّهوها ونسبوها إلى أنفسهم (٣).

وعلى الرغم من التعارض الذى أظهره ترتليان بين الحكمة المسيحية والفلسفة اليونانية، فإنه هو نفسه قد شرح بعض المسائل الفلسفية. ويتضح من تواليفه تأثره بفلسفة الرواقيين.

يقرر ترتليان أننا نعرف الله معرفة يقينية من مصنوعاته، وأنه يمكن أن نستدل على كمال الله من عدم مخلوقيته.

Uncrcatedness (Imperfectum non potestesse, nisi quod factum est).

---

(١) فقرة ٤٦.

(٢) الاحتجاج فقرة ٤٦.

(٣) الاحتجاج فقرة ٤٧.

santamariaegypt.org

لكن ترتليانس يصرح بقول غريب هو أن كل شئ في الوجود، بما فيه الله نفسه، جسماني ومادي : «كل شئ موجود ذو وجود جسماني sui generis ولا شئ ينقصه الوجود الجسماني إلاّ غير الموجود» (١) «لأنه من ينكر أن الله جسم ولو «أن الله روح»؟ إذ أن للروح جوهرا جسمانيا من نوعها ومن شكلها» (٢) وقد استنبط الكثيرون من أمثال هذه العبارات التى صرح بها ترتليان أنه يعلّم بالمذهب الماديّ، وأنه يعتقد أن الله كائن ماديّ بالحقيقة، وأنه في هذا يرى ما يراه الرواقيون من أن الله ماديّ، ولكّن فريقا آخر من المؤلفين قال أن ترتليان يعني في الغالب من قوله أن الله جسم أنه جوهر، وأنه حين ينسب إلى الله المادية يعني بكل بساطة أن ينسب إليه أنه جوهر وأنه موجود بالفعل، وعلى هذا الأساس يكون المعنى من قول ترتليان أن الله جسم corpus sui generis وأنه جسم corpus وإن كان روحا spiritus يكون المعنى أن الله جوهر روحي. وبهذا يكون ترتليان قد أخطأ التعبير وإن كان مقصوده سليما. ونحن لا نستطيع استبعاد هذا التفسير فيما يتصل بالله. لكّن ترتليان حين يتكلم عن النفس الإنسانية يقول أنها لابّد أن تكون جوهرا جسمانيا من حيث أنها تقبل الألم (٣)، وأيا كان القول فإنه يتكلم بطريقة غامضة أيضا عن طبيعة النفس، ففي إحتجاجه (٤) يعلل قيامة أجساد الأشرار بأن «النفس لا تقوى على مكابدة العذاب إلاّ إذا كان لها جوهر صلد، وأعني به البدن»، وعلى ذلك ربما يكون من الأفضل أن يقال أن التعبيرات التى يستعملها ترتليان غالبا ما تنطوي على مادية من طراز كثيف. ولو أنه قد لا يقصد المعاني التى تحتملها عباراته. فحين يعلم ترتليان أن نفس الطفل تتولد من جرثومة الأب، وكأنها نبتة أو برعم tradux surculus (٥) يبدو وكأنه يعلم تعليما ماديا واضحا، ولعل ترتليان قد تبنى هذه النظرية، نظرية ولادة النفس مع البدن لأسباب دينية لاهوتية، ليفسر بها إنتقال الخطيئة الأصلية. وقد فعل مثل ذلك أيضا بعض الكتاب المتأخرين ممن يميلون إلى هذا الرأي عينه، ولنفس الأسباب اللاهوتية من دون أن ينتبهوا - على ما يظهر- إلى المضامين المادية لهذا التعليم. وهذا لا يدل - بالطبع - على أن ترتليان لم يكن ماديا، ولكنه يدعونا على الأقل إلى أن نتريث قبل أن نحكم بأنه كان يقصد دائما ما يقول. ولا شك أن قوله بحرية الإرادة وبالخلود الطبيعي للنفس لا يتمشى منطقيا مع المادية البحتة، لكّن هذا أيضا لا يبرر لنا أن ننكر إنكارا قاطعا أنه كان ماديا. فقد تكون نظريته مادية ولكن من دون أن ينتبه إلى أن الصفات التى ينسبها إلى النفس لا تتفق مع القول بالمادية الخالصة.

---

(١) في جسد المسيح De Carne christi : ٢

(٢) Adv. prax., 7

(٣) في النفس De Anima : ٧ قارن أيضا ٨.

(٤) فصل ٤٨.

(٥) قارن «في النفس De Anima : ١٩.

santamariaegypt.org

ولعل من أكبر الخدمات التى أسداها ترتليان إلى الفكر المسيحى هو فضلة على تقدم المصطلحات اللاهوتية، وكذلك الفلسفية إلى حد ما، وذلك فى اللغة اللاتينية التى كتب بها. فنحن نشهد مثلا فى مؤلفاته أول استعمال فنى للكلمة Persona (= اقنوم) : فالأقانيم الثلاثة تتميز فيما بينها من حيث هى «أقانيم» Personae، ولكنها ليست «جواهر» Substantiae مختلفة أو منقسمة (١) . أما تعليمه عن اللوغوس أو الكلمة فيستعين فيه صراحة بالرواقيين وبالأخص زينون وكليانتيس. ولا يسمح المقام هنا أن نفصل الحديث فى نظرياته اللاهوتية ومبلغ أرثوذكسيته من عدمها.

أرنوبيوس Arnobius

ورد فى كتاب أرنوبيوس الموسوم بـ «الحجة على الوثنيين» Adversus Gentes الذى وضعه نحو سنة ٣٠٣م، بعض ملاحظات غريبة تتعلق بالنفس، فمع أنه يقول بنظرية خلق النفس عند الولادة Creationism معترضا على نظرية وجود النفس وجودا سابقا على البدن كما علّم بها أفلاطون والأفلاطونيون، إلاّ أنه يقول بأن خالق النفس ليس هو الله نفسه بل هو كائن آخر أدنى من الله مرتبة، كذلك يرى أرنوبيوس أن خلود النفس منحة، وينكر أن يكون الخلود أمراً طبيعيا، والواضح أن الذى دفع أرنوبيوس إلى القول بأن خلود النفس منحة مجانية، هو شعوره بأن هدايته الشخصية إلى الديانة المسيحية وإلى الأخلاق العالية، جاءت منحة لافضل له فيها. هذا وأرنوبيوس ناقش نظرية التذكر reminiscence عند أفلاطون وذهب إلى أن لجميع الأفكار أصلا تجريبيا إلاّ فكرة الله وحدها فتشذ عن هذه القاعدة، ويمثل لذلك بالطفل فإنه إن نشأ فى عزلة وصمت وجهل، شب ولاعلم له بشئ، ولا يمكن أن يحصل على أية معرفة عن طريق التذكر. وعلى ذلك فالبرهان الذى يقدّمه أفلاطون فى محاورته مينون ليس برهانا قاطعا، على ما يقول أرنوبيوس.

لاكتانتيوس Lactantius

لا يعنينا أن نتكلم عن لاكتانتيوس الذى امتدت حياته من نحو ٢٥٠م إلى نحو ٣٢٥م، إلاّ بالنسبة إلى رأيه فى أصل النفس البشرية الذى أثبته فى كتابه «فى عمل الله» (٢)، حيث أنكر النظرية القائلة بأن النفس تولد مع البدن Traducianism وقرر بأن النفس تخلق من الله خلقا مباشرا.

---

(١) z Adv. prax. 12

(٢) فصل ١٩.

santamariaegypt.org

أما آباء القرن الرابع والخامس فقد كانوا معنيين على الخصوص بالمسائل اللاهوتية، فأثناسيوس الرسولى (المتوفى سنة ٣٧٣م) كان خصم الأريوسية الأكبر، والقديس أغريغوريوس النازيانزى (المتوفى سنة ٣٩٠م) والمعروف بأغريغوريوس الثيئولوغوس (= اللاهوتى، أو الناطق بالإلهيات) (اشتهر على الخصوص بما كتبه فى موضوع التثليث المسيحى وفى المسائل اللاهوتية المتعلقة بالسيد المسيح. كذلك اشتهر القديس يوحنا الذهبى فمه (المتوفى سنة ٤٠٦م) بأنه من أعظم خطباء الكنيسة، كما اشتهر بما ألفه عن الكتاب المقدس. وكان من الطبيعى أن يستخدم آباء الكنيسة المصطلحات والمواضعات الفلسفية فى معالجة بعض موضوعات العقيدة الدينية كالتثليث المقدس. والاتحاد الاقنومى، وما إلى ذلك، لكن استخدام هذه المصطلحات فى البرهنة على الحقائق اللاهوتية لا يجعل من هؤلاء الآباء فلاسفة بالمعنى الدقيق. ولذلك نكتفى بهذه الإشارة إليهم، ولا نطيل الوقوف عندهم. ومع ذلك لا يفوتنا أن نذكر أن القديس باسيليوس (المتوفى سنة ٣٧٩م) قد درس فى جامعة أثينا مع القديس اغريغوريوس النازيانزى، وأنه فى كتابه «إلى البالغين adolescentes» ينصح بقراءة الشعراء والخطباء اليونانيين، والمؤرخين والفلاسفة اليونانيين، ولو أنه يوصى باختيار بعضا من كتاباتهم بحيث تحذف منها الفقرات والعبارات التى لا تتفق مع الأخلاق.

ويقول بأن الأدب اليونانى والثقافة اليونانية واسطة فعّاله للتربية، لكّن التربية الأخلاقية أهم من التكوين الأدبى والفلسفى، ومن الواضح أن القديس باسيليوس نفسه قد اعتمد فى وصفه للحيوانات اعتمادا كليا على كتب أرسطو المختصة فى ذلك...

ومع أننا لا نستطيع هنا أن نتناول آراء الآباء اللاهوتية، إلاّ أنه جدير بنا أن نتكلم عن شخصيتين هامتين فى هذا العصر، هما : يوسيبيوس القيصرى، والقديس أغريغوريوس النيسى.

يوسيبيوس Eusebius القيصرى

ولد المؤرخ يوسيبيوس نحو سنة ٢٦٥م وأصبح أسقفا على قيصرية بسوريا وهى مسقط رأسه، فى عام ٣١٣م. وتوفى سنة ٣٣٩ أو ٣٤٠م. اشتهر يوسيبيوس بأنه مؤرخ كنسى عظيم كما اشتهر أيضا بدفاعه عن الدين المسيحى. وهنا يظهر اتجاهه وميله إلى الفلسفة اليونانية، إذ أنه ينظر إلى الفلسفة اليونانية، ولا سيما الأفلاطونية على أنها إعداد العالم الوثنى وتمهيده للديانة المسيحية، ولو أنه كان متنبهاً كل التنبيه لأخطاء فلاسفة اليونان وللتناقضات بين المدارس الفلسفية المختلفة، ومع أنه يتكلم فى حدّه أحياناً، لكن اتجاهه العام فيه عطف وفيه تقدير، وهو اتجاه

santamariaegypt.org
يظهر جليا على الخصوص فى كتابه «الأعداد الإنجيلى» Pracparatio cvangelioa (١) ونحن نأسف بالغ الأسف لأننا لا نملك اليوم بين أيدينا تلك الخمسة والعشرين جزءا من الكتاب الذى وضعه يوسيبيوس، ردا على هجوم فورفوريوس porphyry على الديانة المسيحية، إذ أن رده على هذا الفيلسوف الأفلاطونى الكبير وتلميذ أفلوطين plotin يلقى من غير شك ضوءا واضحا على آرائه الفلسفية، لكّن كتاب «الاعداد الإنجيلى» السالف الذكر يكفى لأن يبين لنا أن يوسيبيوس يشارك القديس يوستينوس الشهيد واكليمنضس الأسكندرى وأوريجينوس نظرتهم العامة، كما يبين لنا أن يوسيبيوس قرأ كثيرا فى كتب الأدب اليونانى. والحق أنه كان عالما كبيرا، ويعد كتابه : ««الاعداد الإنجيلى» أحد المصادر الهامة لمعرفتنا عن فلسفة أولئك المفكرين الذين فقدت مؤلفاتهم.

ولابد أن نتوقع أن يكون يوسيبيوس القيصرى مثله مثل السابقين معجبا على الخصوص بأفلاطون. والواقع أنه خصص ثلاثة أجزاء من كتابه «الاعداد الإنجيلى» أى (من جزء ١١إلى ١٣) للكلام عن الأفلاطونية. لقد قال أكليمنضس الأسكندرى عن أفلاطون أنه وكأنه موسى يكتب بلغة اليونان. ويتفق يوسيبيوس مع اكليمنضس على أن أفلاطون وموسى متفقان (الأعداد جزء ١١ : ٢٨) وعلى أن أفلاطون يمكن أن يسمى نبيا فى تدبير الخلاص (الأعداد جزء ١٣ : ١٣). ويرى يوسيبيوس أيضا ما رآه أكليمنضس الأسكندرى وأوريجينوس وفيلون أن أفلاطون قد أخذ الحقائق التى قال بها، من العهد القديم (الأعداد ١٠ : ١، ١٠ : ٢٨، ١٠ : ١٤)، ولكنه لا يمانع فى نفس الوقت، فى أن يعترف بأن أفلاطون قد اكتشف الحقيقة بنفسه، وأن الله قد أنار عقل أفلاطون (الأعداد جزء ١١ : ٨) وأيّا كان القول فإن أفلاطون يوافق الأسفار العبرانية المقدسة فى فكرته عن الله، بل ويوحى فى رسائله بفكرة الثالوث المقدس، ولا يخفى أن يوسيبيوس فى هذا الموضوع يخلع على أقوال أفلاطون معانى من الأفلاطونية الجديدة حينما يشير إلى المبادئ الثلاثة وهى : الأول أو الخير، ثم النوس (Νοῦς)، أو العقل ثم النفس الكلية أو نفس العالم (الأعداد جزء ١١ : ١٦، جزء ١١ : ٢٠) والصور أو الأفكار هى أفكار الله أو أفكار اللوغوس، واللوغوس هوالنموذج الأعلى الذى تحتذيه الخليقة. ويلاحظ أن صورة الخلق التى نراها فى محاورة طيماوس شبيهة بصورة الخلق التى يقدمها لنا سفر التكوين (الأعداد جزء ١١ : ٢٣، جزء ١١ : ٢٩، جزء ١١ : ٣١) ثم أن أفلاطون يتفق مع الكتاب المقدس فى مسألة الخلود (الأعداد جزء ١١ : ٢٧)، كما أن التعليم الأخلاقى الذى يعلّم به أفلاطون فى محاورة فيدروس Phaedrus يذكّر يوسيبيوس بتعاليم القديس بولس الرسول (الأعداد جزء ١٢ : ٢٧)، بل وحتى آراء أفلاطون السياسية قد تحققت عند اليهود فى نظام الحكومة الإلهية (وهى حكومة رجال الدين، يديرها الكهنة والأنبياء كنوّاب عن الله Theocracy) (الاعداد جزء ١٣ : ١٢، جزء ١٢ : ١٦).

---

(١) فى ١٥ جزءا.

santamariaegypt.org

ولاشك أن فى آراء أفلاطون خطأ أو أخطاء (الأعداد جزء ١٣ : ١٩)، فتعاليم أفلاطون عن الله وعن الخلق قد أفسده تعليمه عن الصدور وإذعانه لأزلية المادة، كما أن تعليمه عن النفس والخلود أفسده بتعليمه عن وجود النفس وجودا سابقا قبل البدن، وبتعليمه عن الاستجساد reincarnation وهكذا. وعلى ذلك، فحتى لو سلمنا بأن أفلاطون كان نبيًا، فإنه لم يكن أعظم من نبىّ، إنه لم يدخل هو نفسه أرض موعد الحقيقة، ولو أنه قد اقترب منها، إن المسيحية وحدها هى الفلسفة الحقيقية، ثم أن فلسفة أفلاطون كانت فلسفة عقلية ولا تصلح للجماهير، بينما أن المسيحية هى للجميع، فالرجال والنساء، الأغنياء والفقراء، العلماء والجهلاء،... يمكنهم أن يصيروا فى المسيحية «فلاسفة».

وليس يطيب هنا الكلام فى تفسير يوسيبيوس القيصرى لفسلفة أفلاطون ويكفى أن نلاحظ أن يوسيبيوس على غرار معظم الكتاب المسيحيين الذين كتبوا باللغة اليونانية، يقر بأن أفلاطون هو أفضل المفكرين اليونانيين، وأنه على غرار جميع الكتاب المسيحيين الأولين لا يفرق تفرقة واضحة بين اللاهوت بالمعنى الدقيق وبين الفلسفة بالمعنى الدقيق، وعنده أن هناك حكمة واحدة وهى لا توجد كاملة وبدرجة كافية إلاّ فى المسيحية، لقد أدرك المفكرون اليونانيون الفلسفة الحقيقية أو الحكمة الحقيقية، بمعنى أنهم أنبأوا بالحقيقة المسيحية، وأبرز أولئك الذين أنبأوا بالمسيحية وترجّوا ظهورها هو أفلاطون، ولكن حتى أفلاطون لم يتعد أن يقف على عتبة الحق فقط، وكان طبيعيا أن الفكرة التى استقاها أفلاطون وغيره من المفكرين اليونانيين، من العهد القديم، مع أنها فى ذاتها كانت نتيجة لفهمهم للفلسفة، إلا أنها أيّدت أيضا المؤلفين المسيحيين من أمثال يوسيبيوس فى تفسيرهم للفلسفة ذلك التفسير الواسع، بمعنى أن الفلسفة لا تتضمن فقط نتائج التفكير البشرى، بل وتشمل كذلك حقائق الوحى الإلهى...

وفى الواقع، أنه على الرغم من إعجاب يوسيبيوس بأفلاطون إعجابا عظيما جدا، فإن النتيجة المنطقية التى يسلم إليها اعتقاد يوسيبيوس وغيره فى أن الفلاسفة اليونانيين قد استقوا وأخذوا من العهد القديم، هى أن التفكير البشرى من دون الإنارة المباشرة من الله ليس بذى جدوى فى إدراك الحقيقة، وهل الأخطاء التى أفسدت الحقيقة حتى عند أفلاطون نفسه إلاّ نتيجة للتفكير البشرى؟؟ فإذا قلنا أن الحقيقة التى تنطوى عليها الفلسفة اليونانية قد أخذت من العهد القديم، أى من الوحى، فلا مفرّ من أن نسلّم بالنتيجة المنطقية لهذا، وهى أن الأخطاء فى الفلسفة اليونانية قد أتت من التفكير البشرى. فإذا قلنا أن الحقيقة التى تنطوى عليها الفلسفة اليونانية قد أخذت من العهد القديم، أى من الوحى، فلا مفر من أن نسلم بالنتيجة المنطقية لهذا، وهى أن الأخطاء فى الفلسفة اليونانية قد أتت من التفكير البشرى وهذا حكم ليس فى صالح العقل الإنسانى. وعلى كل، فقد كان هذا هو الاتجاه السائد بين الآباء الأولين كما أفصح عنه بونافنترا Bonaventure من فلاسفة العصور الوسطى فى القرن الثالث عشر، ولو أنه يختلف عن اتجاه توما الأكوينى Thomas Aquinos ودونس سكوتوس Duns Scotus وهو الإتجاه الذى غلب على المدرسيين فى العصور الوسطى.

santamariaegypt.org

القديس أغريغوريوس النيسى

القديس اغريغوريوس النيسى من أعلم آباء الكنيسة ومن أهمهم وأبرزهم من الناحية الفلسفية. وهو شقيق القديس باسيليوس. ولد القديس أغريغوريوس النيسى فى قيصرية كبادوكية (١) نحو سنة ٣٣٥م. ولما كبر أصبح أستاذا للخطابة ثم اختير أسقفا لمدينة نيسا Nyssa، ومات نحو سنة ٣٩٥م.

يرى القديس اغريغوريوس النيسى أن حقائق الوحى تقبل بالإيمان. وليست نتيجة لعملية برهنة منطقية. وأن أسرار الإيمان ليست نتائج فلسفية علمية. وإلاّ أصبح الإيمان الفائق الطبيعة الذى يمارسة المسيحيون لا فرق بينه وبين الفلسفة اليونانية. ومن ناحية أخرى فإن للإيمان أساسا عقلى، ذلك أن التسليم اليقينى بالأسرار يفترض سابقا إمكان التثبيت بالبرهان من بعض الحقائق الأولية خصوصاً وجود الله، وهى الحقائق التى يمكن إثباتها بالبرهان الفلسفى. وتبعا لذلك إذا كان يلزم الإعتقاد بسمّو الإيمان، فمن الحق أيضا أن نطلب عون الفلسفة، فليست الأخلاق والفلسفة الطبيعية والمنطق والرياضيات مجرد زخارفٍ فى هيكلِ الحقيقة، ولكنها قد تعاضد أيضا فى حياة الحكمة والفضيلة. وعلى ذلك يجب أن لا تحتقر أو ترفض (٢)، ولو أنه يلزم التسليم بالوحى ليكون بمثابة محك ومعيار للحقيقة. لأنه يلزم أن العقل البشرى يفحص بكلمة الله، ولا تفحص كلمة الله بالعقل البشرى (٣). إن من الحق أن نستخدم التفكير البشرى والعقل البشرى بالنسبة إلى العقيدة الدينية. ولكن النتائج التى نصل إليها لا تكون صحيحة إلاّ إذا كانت متفقة مع الكتاب المقدس (٤).

إن نظام الكون يثبت وجود الله، والله كامل بالضرورة، ومن هذا الكمال الضرورى يمكن أن نستنتج وحدانية الله، أى أن هناك إلها واحدا، ويمضى اغريغوريوس فى محاولته البرهنة على تثليث الأقانيم فى إله واحد (٥). من ذلك أن الله يجب أن يكون له لوغوس أو كلمة أو عقل. ولا يمكن أن يكون الله أقل من الإنسان، لأن الإنسان أيضا له عقل وله كلمة. ولكن اللوغوس الإلهى لا يمكن أن يكون شيئا زائلا أو لزمن محدود. إنه لابد أن يكون أزليًا كما لابد أن يكون أبديا. إن الكلمة الباطنية فى الإنسان عرض زائل، أما الله فلا يمكن أن يكون فيه شئ من ذلك إن

---

(١) وهى غير قيصرية فلسطين.

(٢) راجع كتابه «فى حياة موسى De vita Moysis، مجموعة الأباء اليونانيين .P.G مجلد ٤٤ ص ٣٣٦ DG ص ٣٦٠ BC .

(٣) «فى النفس والقيامة» De anima et resurrectione راجع مجموعة الأباء اليونانيين مجلد ٤٦ : ٤٩ ج.

(٤) .Contra Eunom مجموعة الأباء اليونانيين مجلد ٤٥ ص ٣٤١ ب.

(٥) قارن Oratio Catechetica.

santamariaegypt.org
اللوغوس واحد فى الطبيعة والجوهر مع الآب، لأنه ليس هناك غير إله واحد. والفرق بين اللوغوس والآب، بين الكلمة والمتكلم به فرق علاقة أو فرق نسبى. وليس يعنينا هنا أن ندخل فى تفصيلات مذهب القديس اغريغوريوس فى التثليث، ولكن الذى يعنينا هو أنه حاول بطريقة ما أن يبرهن على هذا التعليم أو المذهب، فكانت محاولته سابقة على المحاولات الأخرى التى جاءت بعدها. وأعنى بها محاولات الفيلسوف انسلم Anselm، وريتشارد اوف سانت فكتور Richard of Saint Victor لاستنباط التثليث وإثبات أنه ضرورة عقلية. rationibus necessariis.

ومع ذلك، فمن الواضح أن قصد القديس اغريغوريوس النيسى، كقصد الفيلسوف انسلم هو أن يجعل سر التثليث مقبولا للعقل أكثر، وذلك باستخدام المنطق، ولم يكن مقصوده أن يخضع السّر للعقل فيبتعد بذلك عن العقيدة الأرثوذكسية. وكذلك نظريته فى أن كلمة (إنسان) تنطبق بصفة أساسية على الإنسان الكلى. وبصفة ثانوية على الإنسان المفرد، كانت محاولة من أجل أن يكون السر أكثر استساغة للعقل، وتطبيق التشبيه على النحو التالى: إن كلمة «الله» تدّل أساسيا على الجوهر الإلهى وهو واحد، وثانويا على الأقانيم الإلهية وهى ثلاثة، وعلى ذلك لا يكون اتهام المسيحيين بأنهم يؤمنون بآلهة ثلاثة إتهاما صحيحا يطابق الواقع. ومع أن القديس اغريغوريوس قد استعمل هذا التشبيه المشار إليه من أجل أن ينفى عن المسيحيين الإتهام بأنهم يؤمنون بآلهة ثلاثة، ومن أجل أن يجعل سر التثليث أكثر استساغة للعقل، لكن التشبيه ذاته لم يكن تشبيها موفقا لأنه ينطوى على نظرية واقعية فى الكليات، متطرفة فى واقعيتها.

ويتضح الاتجاه الأفلاطونى فى الكليات، عند القديس أغريغوريوس النيسى فى كتابه «فى عمل الإنسان» De hominis epificio «حيث يفرّق اغريغوريوس بين الإنسان الإلهى أو الإنسان المثالى أو الإنسان الكلى، وبين الإنسان الأرضى، وهو موضوع التجربة. فالإنسان الأول هو الإنسان المثالى، أو بالحرى الكائن البشرى والمثالى لا وجود له إلاّ فى فكر الله، وليس له تعيين جنسى، فليس هو ذكرا أو أنثى، وأما الانسان الثانى فهو الإنسان التجريبى، أو الكائن البشرى فى التجربة (أو تحت التجربة)، وهو متغير عن الإنسان المثالى وهو معين جنسيا، أو هو الإنسان المثالى وقد انفلق أو ظهر ظهورا جزئيا فى كثير من الأشخاص المفردة، وعلى ذلك فالمخلوقات الفردية، تبعا لغريغوريوس تنشأ عن طريق الخلق لا عن طريق الصدور من الإنسان المثالى الكائن فى اللوغوس الإلهى، ومن الواضح أن هذه النظرية ترتد إلى الأفلاطونية الجديدة وإلى مذهب فيلون، وقد تبناها أول فيلسوف بارز من فلاسفة العصور الوسطى جون سكوتس أريجينا John Scotus Eriugena الذى تأثر كثيرا بكتابات القديس اغريغوريوس النيسى. ومع ذلك يجب أن نذكر أن القديس غريغوريوس لم يقصد بتاتا، أن يقول أنه كان هناك فى وقت ما إنسان مثالى تاريخى غير معيّن من الناحية الجنسية. إن فكرة الله عن الإنسان سوف لا تتحقق

santamariaegypt.org
إلاّ فى الآخرة، فحينئذ كما يقول القديس غريغوريوس سوف لا يكون ذكر أو أنثى، لأنه سوف لا يكون زواج فى السماء.

لقد خلق الله العالم من فيض صلاحه وحبّه، حتى يمكن أن تكون ثمت خلائق تستطيع أن تشارك فى صلاحه الإلهى، ومع أن الله هو الخير، وقد خلق العالم من فيض صلاحه، لكنه لم يخلق العالم عن اضطرار بل عن اختيار، وقد اعطى الله الإنسان نصيبا من هذه الحرية. والله يحترم حرية الإنسان. ويسمح للإنسان أن يختار الشر إذا أراد. فالشر إذن نتيجة لحرية الإختيار عند الإنسان والله غير مسئول عن ذلك. حقا أن الله سبق فرأى الشر. وأنه يسمح به. ولكنه على الرغم من هذه المعرفة السابقة قد خلق الإنسان. لأنه عرف أيضا أنه فى النهاية سوف يحضر جميع الناس إليه. وعلى ذلك فقد قبل غريغوريوس نظرية أوريجينوس فى «تجديد أو رد جميع الأشياء» : إن كل بشر وحتى الشيطان والملائكة الذين سقطوا سيرتدون أخيرا إلى الله، على الأقل عن طريق العذابات المطهرية فى الحياة الأخرى. وإذن يمكن أن يقال على نوع ما أن كل بشر سيرتد أخيراً إلى المثل الأعلى، وسيحتويه المثل الأعلى. ولو أن من المقطوع به أن القديس اغريغوريوس كان يعتقد بالخلود الفردى أو الشخصى. هذه النظرية القائلة بأن جميع الأشياء سترتد إلى الله إلى المبدأ الذى نشأت عنه، والتى تنادى بالبلوغ إلى الحالة التى يكون الله فيها «الكل فى الكل» قد استعارها جون سكوتس أريجينا عن القديس غريغوريوس النيسى. ولذلك فإنه عندما يغلق علينا فهم تعبيرات أريجينا التى تكون غامضة أحيانا، يجب أن نذكر تفكير القديس غريغوريوس حتى لو سلمنا بأنه من الممكن أن يكون أريجينا وغريغوريوس يستعملان ألفاظا واحدة بمعانى مختلفة.

ومع أن القديس غريغوريوس يشارك أوريجينوس نظريته فى تجديد واستعادة جميع الأشياء، لكنه لم يشارك أوريجينوس اعتناقه لنظرية أفلاطون فى وجود النفس وجودا سابقا على وجودها فى البدن، بل أنه يقول فى كتابه «عمل الإنسان De hominis opificio» (١) أن مؤلف كتاب «المبادئ De Principis» قد أضلته النظريات اليونانية. يقول غريغوريوس أن النفس غير محدودة أو محصورة فى جزء واحد من البدن، وهى جوهر مخلوق *οὐσία γεννητή* ، جوهر حىّ عاقل (متحد) مع جسم عضوى حسّاس، إنها جوهر قادر على أن يحيى وعلى أن يدرك المحسوسات، طالما كان فى طاقة الأعضاء الجسمانية وذلك (كتاب النفس والقيامة De anima et resurrectione) (٢)، ولما كانت النفس بسيطة وغير مركبة *ἁπλῆν καὶ ἀσύνθετον* فهى قادرة على أن تبقى حيّة بعد فناء البدن،

(١) مجموعة الآباء اليونانيين مجلد ٤٤ ص ٢٢٩ وما يليها.

(٢) مجموعة الآباء اليونانيين مجلد ٤٦ ص ٢٩ .

santamariaegypt.org

ولكنها فى النهاية ستتحد معه مرة أخرى. فالنفس إذن روحانية وغير مادية. ولكن كيف تختلف النفس عن البدن؟؟ لأن البدن شئ مادىّ وجامد يتألف تبعا لغريغوريوس من مجموعة صفات أو كيفيات. Qualites هى فى ذاتها غير مادية. يقول غريغوريوس فى كتابه «عمل الإنسان De hominis opificio، الفصل الرابع والعشرين : أن الاتحاد بين صفات أو كيفيات مثل اللون والصلابة والكمية والوزن يكّون الجسم، بينما أن إنحلال هذه الكيفيات معناه فناء الجسم، ويعرض القديس غريغوريوس فى الفصل السابق على هذا الفصل لمشكلة مفصلة ذات قرنين، قال : إما أن تنشأ الأشياء المادية من الله، وفى هذه الحالة يكون الله قد احتوى المادة فى ذاته باعتباره مصدراً لها ويكون بالتالى ماديًا، وإما أن لا يكون الله ماديا فلا تصدر الأشياء المادية عنه وحينئذ تكون المادة أزلية، ومع ذلك يرفض القديس غريغوريوس كلا من هاتين النتيجتين، فلا يؤمن بمادية الله ولا بالثنائية، والنتيجة الطبيعية لهذا أن الصفات والكيفيات التى تتألف منها الأشياء الجسمانية والمادية ليست مادية. حقا أن القديس غريغوريوس فيما يقول بالخلق من العدم ex nihilo يؤكد أننا لا نستطيع أن ندرك كيف أن الله يخلق الكيفيات من العدم. ولكن من الصواب أن نفترض أن الكيفيات التى تكوّن الجسم هى فى نظر القديس غريغوريوس ليست فى ذاتها أجساما : والواقع أنها لا يمكن أن تكون أجساما، لأنه لا يكون ثمت جسم مادىّ على الاطلاق إلا من اتحادها وباتحادها، ولعلّ غريغوريوس متأثر فى مذهبه فى الكيفيات بمذهب أفلاطون الذى يعرضه فى محاورته «طيماوس» ... ثم كيف لا تكون الكيفيات روحية؟؟ فإذا كانت الكيفيات روحية.. فكيف تختلف النفس اختلافا جوهريا عن البدن؟؟ ولابد أن يكون جواب غريغوريوس على النحو التالى : مع أن الكيفيات تتحد معا «لتكّون» الجسم. ولا يمكن أن تسمىّ أجساما حيث أنها مجردّة، لكنها مرتبطة بالمادة ارتباطا جوهريا أساسيا لأن وظيفتها أن «تكّون» المادة. وهنا تخطر للبال صعوبة مماثلة بالنسبة للمذهب التومى الأرسطاليسى فى الهيولى والصورة : إن المادة الأولية ليست فى ذاتها جسما لكنها من عناصر الجسم ، فكيف تختلف هى فى ذاتها عن الجوهر الروحى وغير المادى؟؟ يجيب الفلاسفة التوميون بأن المادة الأولية «لا توجد» مطلقا بذاتها وحدها، ولكنها تفتقر بالضرورة إلى الكم duantity فهو ضرورى لتحديد الجسم المادىّ. ولربما أراد غريغوريوس أن يجيب هو أيضاً بشئ من هذا القبيل بالنسبة إلى الكيفيات الأولية. ونحن نلاحظ من قبيل الإشارة العابرة أن مثل هذه الصعوبات تثار أيضاً بالنسبة لبعض النظريات الحديثة فيما يتصل بتركيب المادة. ولو كان أفلاطون حيًا الآن لرحّب بهذه النظريات، وكذلك كان يفعل القديس غريغوريوس النيسى.

* * *

santamariaegypt.org

ومن كل ما قلناه سابقا يتضح أن القديس غريغوريوس النيسى كان متأثراً كثيراً بالأفلاطونية والأفلاطونية المحدثة وبكتابات فيلون اليهودى فهو يتكلم مثلا عن التشبه بالله ὁμοίωσις Θεῷ وأنه غاية الإنسان (١) . ومع أنه ليس فى مقدور أحد أن ينكر أن غريغوريوس النيسى قد استخدم مصطلحات وتعبيرات أفلوطينية كما استخدم مصطلحات وتعبيرات فيلونية - ولو الى حد أقل - إلاّ أنه من المؤكد أنه لم يكن دائما يستخدمها بالمعانى التى استخدمها فيها أفلوطين أو فيلون، بل على العكس لقد استخدم تعبيرات أفلوطين أو أفلاطون فى شرح وعرض التعليم المسيحى. فالتشبه بالله، مثلا، هو على ما يقول اغريغوريوس - من عمل النعمة، وهو نموّ لصورة أو أيقونه εἰκών الله التى تغرس فى النفس عند المعمودية. نموّ أو تطور يدركها بتأثير عمل الله وبمعاونة إرادة الإنسان الحرّة. «والعدالة فى ذاتها» ليست فضيلة مجردة ولا هى فكرة فى العقل νοῦς . إنها اللوغوس وقد حلّ فى النفس، ونتيجة لهذا الحلول تكون المشاركة فى هذه الفضيلة بين اللوغوس والنفس الإنسانية، هذا واللوغوس عند غريغوريوس ليس هو النوس (العقل) عند فيلون. إن اللوغوس هو الأقنوم الثانى من الثالوث المقدّس. وليس ثمت سلسلة من كائنات متوسطة أو أقانيم أقل من جوهر الله تملأ الفراغ المتوسط بينه وبين خلائقة.

أخيراً، فما تجدر ملاحظته أن القديس اغريغوريوس النيسى هو المؤسس الحقيقى الأول لعلم اللاهوت الصوفى mystical Th. على أساس منهجى، وهنا أيضاً يستخدم مصطلحات من أفلوطين ومن فيلون، ولكنه يستخدمها فى معانى مسيحية وفى إطار من الفكير يدور حول السيد المسيح، إن من الطبيعى أن يكون فى مقدور العقل البشرى الناطق أن يعرف المحسوسات، وبتأمل هذه المحسوسات يمكن للعقل أن يتوصل إلى معرفة شئ عن الله وصفاته، (وهذا هو علم اللاهوت الرمزى Symbolic Th. وهى يحل بنوع ما محل علم اللاهوت الطبيعى Natural Th. بالمعنى الحديث) . ومن جهة أخرى، فإنه ولو أن المحسوسات هى موضوع معرفة الإنسان الذى يناسبه حسب طبيعته، إلاّ أن هذه المحسوسات ليست حقيقية بالمعنى الكامل للكلمة، إنها خيال أو وهم، وليست فى حقيقتها غير رموز أو مظاهر أو ظواهر لحقيقة غير مادية، تلك الحقيقة التى ينجذب نحوها الإنسان بروحه، والتوتر الناجم عن هذا فى نفس الإنسان يؤدى به أو بها إلى حالة ἀνελπιστία قطع الرجاء أو انقطاع الأمل أو اليأس وهو أصل أو منبت التصوّف أو الحياة الباطنية. لأن النفس عندما تنجذب نحو الله تترك موضوع معرفتها الطبيعى من دون أن تكون مع ذلك قادرة على أن ترى الله الذى تنجذب نحوه بالحب، فتدخل حينئذ فى الظلام وهو

(١) كما يتكلم عن هرب الوحيد إلى الوحيد flight of th. alone to the Alone وعن العدالة فى ذاتها. وعن الايروس eros وعن الارتقاء إلى الجمال المثالى.

santamariaegypt.org

ما كان يسمى فى العصور الوسطى «بغمامة الجهل Cloud of unknowing ، (ويقابل هذه المرحلة ما يعرف بعلم اللاهوت السلبى .negative Tgth وكان له أثره الواضح على من عرف باسم ديونيسيوس الكاذب Pseudo-Dionysius) وتحدث فى ارتقاء النفس حركتان: حركة حلول الله المثلث الأقانيم فيها، وحركة بلوغ النفس إلى ما وراء ذاتها، فتدرك أعلى درجات الوصول فى حالة من الانجذاب العقلى أو الاختطاف العقلى *ἔκτασις* «عند فيلون تفسيراً عقلياً، لأنه كان حينئذ يشتبه فى أى نوع آخر من الاختطاف نظراً للتطرفات التى وقع فيها أصحاب مذهب المونتانية (أتباع مونتانوس الذى ادّعى أنه البارقليط الموعود به فى الإنجيل). أمّا القديس غريغوريوس فقد جعل حالة الاختطاف العقلى هى أسمى درجة تبلغ إليها النفس فى مجاهداتها الروحانية مفسراً إياها على أنها أوّلاً وقبل كل شئ، «حب» **يخطف العقل.**

أما «الظلام» الذى يحيط بالله فيعزى بادئ ذى بدء إلى سمو أو استشراف الجوهر الإلهى استشرافاً تاماً، ويستنتج غريغوريوس من هذا أنه حتى فى السماء تندفع النفس الإنسانية دائماً إلى الأمام يجذبها الحبّ الإلهى لتتوغل فى أعماق الله، أما حالة «السكون» فتعنى إما الشبع أو الموت: فالحياة الروحية تتطلب تقدما وترقيا مستمرا، وطبيعة الاستشراف الإلهى تقتضى هذا التقدم عينه، ذلك لأن العقل البشرى لا يمكن أبدا أن يدرك الله، «فالظلام الإلهى» إذن قائم «على الدوام» بمعنى ما، ومن الحق أن يقال أن القديس اغريغوريوس النيسى أعطى لهذه المعرفة فى الظلام أسبقية وأفضلية على المعرفة العقلية، لا لأنه كان يحتقر العقل البشرى، بل لأنه أدرك استشراف الله وسموّه وتعاليه.

ولا شك أن منهج القديس غريغويوس فى ترقى النفس البشرية يشبه من بعض الوجوه منهج أفلوطين. لكنه فى نفس الوقت منهج يقوم كله على السيد المسيح، فتقدم النفس وترقيها هو من عمل اللوغوس «الإلهى» وهو المسيح، ثم أن مثله الأعلى ليس فى الاتحاد المفرد بالله بل بالأحرى فى التحقق بالامتلاء *πλήρωμα* بالمسيح : فتقدم وترقى نفس بشرية واحدة يجلب نعمة وبركة لنفوس أخرى، وحلول الله فى الفرد يؤثر فى المجموع البشرى كله، ثم أن مذهب غريغوريوس فى التصوف أو الحياة الباطنية يتسم كله بارتباطه بالأسرار الكنسية المقدسة، من ذلك أنه يقول أن صورة *εἰκών* الله فى الإنسان تتجدد أو ترتد إليه فى سرّ المعمودية، كما أن الاتحاد بالله يقوى بسر الافخارستيا.

وقصارى الكلام أن كتاب القديس غريغوريوس النيسى هو المنابع التى استقى منها بطريق مباشر أو غير مباشر، ديونيسيوس الكاذب pscudo-Dionysius والمتصوفة حتى القديس يوحنا الصليبى واستلهموا بها، وهى المصدر الأصلى للمذاهب الفلسفية المسيحية التى تترسم ترقى النفس فى مختلف مراحل المعرفة والحب، إلى أن تبلغ إلى الحياة الصوفية الباطنية والرؤيا

santamariaegypt.org
السعيدة Beatific Vision وإذا كان القديس يوحنا الصليبى ذلك الكاتب المسيحى الروحانى يقف على الخط الذى يمتد ابتداء من القديس غريغوريوس النيسى، فكذلك يقف على نفس الخط الفيلسوف المتصوّف بونافنتورا....

القديس امبروسيوس

وهو أسقف ميلان بايطاليا، وقد عاش فى الفترة بين سنة ٣٣٣، سنة ٣٩٧م.

كان للقديس امبروسيوس ذات الاتجاه الذى نجده عند الرومان نحو الفلسفة، وأعنى به الإهتمام بالمسائل العملية والأخلاقية مع قليل من الميل إلى التفكير فيما وراء الطبيعة. وفى كتبه الخاصة بالعقيدة المسيحية والكتاب المقدس اعتمد خصوصاً على الآباء الذين كتبوا باللغة اليونانية، أمّا فى الأخلاق فقد كان متأثراً بشيشرون، وقد وضع كتابه المسمىّ «فى واجبات الخدّام De officiis ministrorum» نحو سنة ٣٩١م ووجهه إلى رجال الاكليروس فى ميلان، فكان كتابا مسيحيا على غرار كتاب «فى الواجبات De officiis» الذى ألفه الخطيب الرومانى العظيم شيشرون. وقد سار امبروسيوس فى كتابه على نسق ما فعل شيشرون فى تقسيمه للفضائل ومعالجته لها، ولكن كان من الطبيعى أن تكون معالجة امبروسيوس مشرّبة بالروح المسيحية. وعنده أن المثل الأعلى الذى ينشده الرواقيون وهو الذى يتحقق بامتلاك الفضيلة، يكمل بالمثل الأعلى النهائى وهو السعادة الأبدية فى الله. ولم يقدم القديس امبروسيوس شيئا جديدا ذا بال فى مجال الأخلاق المسيحية. إن أهمية امبروسيوس فى هذا الميدان تنحصر فى الأثر الذى تركه على المفكرين المسيحيين الذين جاءوا بعده وكتبوا فى الأخلاق متأثرين بما كتبه هو من قبل.

santamariaegypt.org

القديس يوحنا الدمشقى

يحتمل أن يكون يوحنا الدمشقى قد مات فى نهاية سنة ٧٤٩م. وكان خصما عنيداً لبدعة محطى الصور والإيقونات Iconoclasts، ولكنه كان أيضا منسقا كبيراً فى دائرة علم اللاهوت حتى يمكن أن يسمّى بمدرسّى الشرق. ويقول يوحنا الدمشقى فى صراحة أنه لا ينتوى أن يقدم آراء شخصية جديدة لكنه يقصد إلى المحافظة على أفكار العلماء القديسين، ويسلمها إلى من يأتى بعده، ولذلك فإنه من العبث أن نبحث فى كتاباته عن شئ جديد تشتمل عليه. ومع ذلك، فهناك شئ من الطرافة يمكن أن ينسب إليه، وذلك فى عرضه المنهجى المنظم لآراء السابقين عليه، وأهم كتاب له هو «نبع الحكمة» Fount of wisdom ويقّدم يوحنا الدمشقى فى الجزء الأول من هذا الكتاب، مجملا لمنطق واونتولوجيا (= علم الكائنات) أرسطو، ولو أنه يتكلم عن مؤلفين آخرين إلى جانب أرسطو منهم فورفوريوس. porphyry. فى هذا الجزء الأول وهو المنطق Di-alcetica أو الجدل، يبين يوحنا الدمشقى أن الفلسفة والعلم الدنيوى هما آداتان وخادمان لعلم اللاهوت، وهو يتبنى فى ذلك رأى اكليمنضس الأسكندرى وغريغوريوس النيسى وهو رأى يرجع قديماً إلى فيلون الفيلسوف اليهودى الأسكندرى، وقد تردد كثيرا فى العصور الوسطى (١). وفى الجزء الثانى من هذا الكتاب الضخم يؤرخ للهرطقات معتمداً فى ذلك على المعلومات التى أدلى بها الكتاب السابقون. وفى الجزء الثالث «فى الإيمان الأرثوذكسى De Fido Orthodoxa ويشتمل على أربعة كتب عالج فيها بطريقة منهجية موضوعات علم اللاهوت طبقا لاعتقاد آباء الكنيسة الأرثوذكسية. وقد ترجم هذا الجزء (الثالث) إلى اللاتينية بمعرفة بورجونديوس البيزى Burgundius of pisa فى سنة ١١٥١. وقد استعان به كثيرون، منهم بطرس لومبارد Peter Lombard والبيرت الكبير Albert the Great وتوما الأكوينى. ويتمتع القديس يوحنا الدمشقى فى بلاد الشرق بالتقدير الذى يتمتع به توما الأكوينى فى بلاد الغرب.

---

(١) مجموعة الآباء اليونانيين، مجلد ٩٤ ص ٥٣٢.

santamariaegypt org

الفلسفة الـرواقيـــة

sanctamariaegypt.org

مؤسس المدرسة الرواقية هو زينون Zeno ولد حوالى ٣٣٦ أو ٣٣٥ ق.م. فى كيتيوم Citium بجزيرة قبرص. وتوفى حوالى ٢٦٤ أو ٢٦٣ ق.م فى أثينا. ويبدو أنه احترف فى مبدأ حياته مهنة أبيه وهى التجارة. ولما جاء إلى أثينا حوالى ٣١٥ ـ ٣١٣ قرأ مذكرات Me-morabilia اكسنوفون Xenophon ، و«دفاع» أفلاطون Apology فأفعم قلبه بحب سقراط وأعجب بقوة أخلاقه وجميل صفاته. وتتلمذ على كراتس الكلبى Crates the cynic اعتقادا منه أنه أكثر المفكرين شبها بسقراط ثم تحوّل عن الكلبيين إلى ستيلبو Stilpo ولو أنه قيل عنه أنه استمع إلى اكسينوكراتس Xenocrates، وبعد موت الأخير استمع أيضا إلى بوليمون Polemon على أنه أسس مدرسته الخاصة حوالى سنة ٣٠٠ ق.م، هذه المدرسة التى أخذت أسمها من اسم المكان الذى كان يحاضر فيه *Στοὰ Ποικόλη* . وقد قيل أن زينون قتل نفسه. ولم يبق من مؤلفاته إلاّ شذرات.

وخلف زينون فى رياسة المدرسة كليانتس Cleanthes من أسوس Assos (من ٣٣١/ ٣٣٠ ـ ٢٣٣/٢٣٢ أو ٢٣١) وجاء بعد كليانتس الفيلسوف كريسبوس Chrysippus من Soloi سولوى فى كيليكيا Cilicia (٢٨١/ ٢٧٨ ـ ٢٠٨/٢٠٥) وهو الذى سمى بالمؤسس الثانى للمدرسة الرواقية لأنه هو الذى جعل من تعاليم الرواقية مذهبا فلسفيا.

Εἰ μὴ γὰρ ἦ Χρυσιππος οὐκ ἂν ἦν Στοά

وقيل أنه كتب ما ينوف على ٧٠٥ كتابا، وأنه كان مشهورا بجدله dialectic لا بأسلوبه الإنشائى.

وهؤلاء من بين تلاميذه : اريستون من خيوس Ariston of Chios وهيريللس القرطاجنى Herillus of carthage وديونيسيوس من هيراقليا Dionysius of Heracleia ثم بيرسيون من كيتيوم persion of citium ومن تلاميذ كليانتس نذكر سفيروس البوسفورى Sphairus of the Bosphorus وجاء بعد كريسبوس تلميذاه زينون الطرسوسى zeno of Tarsus وديوجينس السلوكى Diogenes of Seleucia وجاء الأخير إلى روما فى سنة ١٥٦/١٥٥ ق.م. ومعه فلاسفة آخرون سفراء عن أثينا، وحاولوا لعلهم يحصلوا على الإعفاء من الغرامة المفروضة على الأثينيين. وقد ألقى الفلاسفة محاضرات فى مدينة روما أثارت إعجاب الشباب فى المدينة ولو أن كاتو كان يعتقد أن هذه النزعات الفلسفية لاتتفق مع القوة العسكرية، وقد نصح مجلس الشيوخ أن يتخلص من السفارة بأسرع وقت ممكن. وجاء بعد ديوجينس، انتيباتر Antipater الطرسوسى.

santamariaegypt.org
ينكر الرواقيون وجود الكلى السامى transcendental universal أو الكلى المادى concrete universal. ولا يوجد عندهم إلا الفردى أو الجزئى individual ومعرفتنا هى معرفة بالجزئيات. هذه الجزئيات تطبع أثرا فى النفس هو *ἐντύπωσις* (impression) عند زينو وكليانتس أو هو *ἑτεροποίωσις* عند كريسبس alteration والمعرفة هى أولا معرفة بهذا الأثر impression. لهذا فإن الرواقيين اتجهوا إتجاها مخالفا لإتجاه أفلاطون ... ان أفلاطون احتقر الادراك الحّسى sense-perception بينما أن الرواقيين أقاموا المعرفة كلها على الإدراك الحسّى، ولا شك أنهم فى هذا يرددون كلمات انتيستنس Antisthenes الذى يذهب إلى أنه رأى جوادا a horse ولكنه لم ير جوادية horseness (وقد رأينا أن زينون أصبح تلميذا لكراتس Crates الكلبى) والنفس فى الأصل لوحة tabula rasa ولكى تعرف لابد لها من الإدراك الحسّى perception. ولم ينكر الرواقيون طبعا أننا نعرف من أحوالنا وفاعلياتنا الباطنية. لكن كريسبوس ردّ هذه المعرفة أيضا إلى الردراك الحسّى perception والإدراك الحسى إلى ما هو أبسط منه. فهذه الأحوال states والفاعليات اعتبرت عنده أنها تتألف من عمليات مادية material processes وبعد فعل الإدراك الحسّى تبقى هناك الذكرى (memory) *μνήμη* بعد أن يختفى وجوده بالفعل. والخبرة experience تنجم عن تعدد مثل هذه الذكريات *ἐμπειρία* .

وعلى ذلك فقد كان الرواقيون تجريبيين Empiricists، بل وحسيين Sensualists ولكنهم أيضا كانت لهم نزعة عقلية Rationalism nominalist مع أنها لا تكاد تتفق مع نزعتهم التجريبية empiricist والاسمية الخالصة. إذ مع أنهم يقررون أن العقل *λόγος , νοῦς* هو نتيجة للتطور. بمعنى أنه ينمو تدريجيا من مجموعة المدركات الحسّية وأنه لا يتكون قبل سن الرابعة عشرة. إلا أنهم يرون كذلك أن هناك أفكارا عامة تتكون عمدا diliberately formed general idias، كما أن هناك أيضا أفكاراً عامة *πρόληψσις* or *κοιναὶ ἔννοιαι* وهى بحسب ما يظهر سابقة على التجربة experience *ἔμφυτοι πρόληψσις* .

بمعنى أن فينا ميلاً طبيعياً سابقا لتكوين هذه الأفكار التى يمكن أن نسميها أفكاراً فطرية فى الواقع virtually innate، وأكثر من هذا فإن منهج الحقيقة أو الواقع Reality لا يمكن معرفته إلا عن طريق العقل Reason.

وقد صرف الرواقيون عناية كبيرة نحو مشكلة معيار الحقيقة the criterion of truth وهو ما يصفونه بأنه *φαντασία , καταληπτική* الادراك الحسّى المدرك أو المميّز the apprehensive perception or representation وإذن فمعيار الحقيقة يقوم فى الإدراك الحسى نفسه. أى فى الإدراك الذى تذعن له النفس، ولجميع النوايا والمقاصد إذا كانت مدركة إدراكا

santamariaegypt.org

حسياً واضحاً. (وهذا لا يكاد يتفق مع الرأى القائل بأن العلم وحده هو الذى يعطينا معرفة يقينية عن الحقيقة Realtiy) . ومهما يكن من أمر، فإن الصعوبة قائمة فى أن النفس يمكنها أن ترفض الإذعان لما هو إدراك حسىّ حقيقى فى الخارج. وعلى ذلك فعندما ظهرت الكيستيس Alcestis بعد موتها لادميتس Admetus من العالم السفلى، رآها زوجها فى وضوح. ومع ذلك لم يذعن لإدراكه الواضح بسبب موانع شخصية ذاتية Subjective hindrances وهى اعتقاده بأن الموتى لا يقومون، وأنه يمكن أن تكون للموتى، من ناحية أخرى، ظهورات خدّاعه. وبسبب مثل هذا الاعتراض أضاف الرواقيون المتأخرون إلى معيار الحقيقة، كما حدثنا بذلك سكستس امبيرقوس Sextus Empiricus هذا النص «الذى ليس له عائق» فإذا تكلمنا موضوعياً نقول أن رؤية الكيستيس وهى ميته له قيمة معيار الحقيقة. لأنه من الوجهة الموضوعية *καταληπτική φαντασία* .

وأمّا إذا تكلمنا شخصيا (ذاتيا) Subjectively فإن الإدارك الحسى لا يستطيع أن يكون معيار للحقيقة، بسبب اعتقاد يقوم بدور المانع الذاتى أو الشخصى. وعلى الرغم من كل ذلك فالصعوبة باقية إذ ليس ميسوراً أن يعرف متى يكون هناك عائق ومتى لا يكون.

نظام الكون عند الرواقيين :

رجع الرواقيون فى طبيعياتهم إلى نظرية هيراقليطس Heraclitus فى اللوجوس وفى النار باعتبارها جوهر العالم world-substance كما استعاروا عناصر أخرى من أفلاطون ومن أرسطو. وعلى ذلك فإن البذور المركزية *λόγοι σπερματικοί* يبدو أنها إنتقال أو تحول إلى المستوى المادى لنظرية الصور.

ويرى الرواقيون أن الحقيقة فيها مبدآن *τὸ ποιοῦν* ثم *τὸ πάσχου* لكن ليس هنا ثنائية كما هو الحال عند أفلاطون حيث أن المبدأ الفاعل *τὸ ποιοῦν* ليس روحياً، وإنما هو مادىّ. والواقع أنه لا تكاد هنا ثنائية أصلا لأن المبدئين كلاهما مادىّ، ويؤلفان معاً كلا واحداً one whole.

وعلى ذلك فالمذهب الرواقى مذهب مادى موحد monistic materialism ولو أنه لا يلزم هذا الاتجاه دائماً. فنحن لا نعرف على وجه اليقين نظرية زينون، لكن يبدو أن كليانتس Cleanthes وكريسبس Chrysippus قد اعتبرا المبدئين فى النهاية مبدأ واحد بعينه.

All are but parts of one stupendous whole, Whose body Nature is and God the soul.

«جميع الأشياء أجزاء لكل هائل. الطبيعة هى جسمه، والله هو روحه»

santamariaegypt.org

والمبدأ القابل (المنفعل) هو المادى خلوا من صفاتها، والمبدأ الفاعل هو العقل الباطن immanent Reason أو هو الله والجمال الطبيعى أو الغائية finality فى الطبيعة تنبئ بوجود مبدأ مفكر فى الكون. أو هو الله الذى بفضل عنايته أعدّ كل شئ لخير الإنسان وزيادة على ذلك، حيث أن أعلى ظاهرة فى الطبيعة وأعنى بها الإنسان يتمتع بالوعى consciousness فلا يمكن أن نفترض أن العالم بأسره خلو من الوعى consciousness، إذ أن الكل لا يمكن أن يكون أقل كمالا من الجزء. فالله إذن هو وعى العالم the Consciousness of the world ومع ذلك فالله مادىّ، شأنه فى ذلك شأن الأساس substrate الذى يعمل فيه.

وقال الرواقيون، كما قال هيراقليطس من قبل، بأن النار هى مبدأ جميع الأشياء، الله هو النار الفعالة *πῦρ τεχνικόν* وهى باطنه immanent فى الكون *πνεῦμα διῆκον δι' ὅλου τοῦ κόσμου* لكنه فى الوقت نفسه هو النبع الأول primal Source الذى تنبع منه العناصر الأكثر كثافة التى يتكون منها عالم الأجساد. هذه العناصر الأكثر كثافة تصدر من الله، ثم تذوب فيه أخيرا. فكل ما هو موجود إما أن يكون هو النار الأولى primal Fire ـ أى هو الله فى ذاته ـ أو يكون هو الله فى أحواله المختلفة. وعندما يكون العالم فى الوجود، فالله يقف منه بمثابة الروح من البدن، إذ هو روح العالم، إن الله ليس شيئاً مختلفاً تمام الاختلاف عن مادة العالم، الذى هو بدنه His Body لكنه مادة أرفع، وهو المبدأ المحرك والمكون ـ بينما المادة الأكثف التى يتكون منها العالم، هى فى ذاتها بلا حركة وبلا شكل لكنها (قابلة) لكل صنوف الحركة والشكل.

فالله إذن أو اللوغوس *Ὁ Λόγος* هو المبدأ الفعّال the Active principle والذى يحتوى فى ذاته الصور الفعّالة لجميع الأشياء الموجودة. هذه الصور أو الأشكال هى البذور المركزية *λόγοι σπερματικοί* هذه الصور أو الأشكال الفعالة والمادية فى نفس الوقت، كأنها بذور Seeds بفضل فعلها توجد الأشياء الفردية كلما تطور العالم، أو بالحرى أنها «بذور» تنشر نفسها فى صور الأشياء الفردية (إن مفهوم المصطلح *λόγοι σπερματικοί* موجود فى مذهب الأفلاطونية المحدثة Neo-Platonism وعند القديس أوغسطينوس تحت اسم rationes seminales) وفى التطور الحادث فعلا فى العالم، يتحول جزء من النفس الحار fiery vapour الذى يتكون الله منه، إلى هواء، ومن الهواء يتكون الماء، ومن جزء من الماء تتكون الأرض ويبقى جزء آخر على صورة الماء، ويتحول جزء ثالث إلى هواء، وهذا يتحول بالتلطيف (ضد التكثيف) rarefaction إلى النار الأولية. وبهذا يبرز إلى الوجود «جسم» الله.

santamariaegypt.org

وقال الرواقيون بمبدأ الاحتـــراق الكـــونى (الكلى) *ἐκπύρωσις* the universal con-flagration وذلك أن الله كوّن العالم من النار وسيردّه إليه ثانية بالاحتراق الكونى (الكلى)، فيعود مرة أخرى إلى النار الأولى the primenal fire التى تكوّن منها، ثم يعود العالم إلى الكون من جديد وهكذا،فهناك سلسلة لا تنتهى من تكوينات للعالم world constructions وتهدمات العالم world destructions هذا وكل عالم جديد يشبه فى كل شئ العالم السابق عليه. فكل إنسان مثلا يوجد هو نفسه فى كل عالم من هذه العوالم المتتابعة، ويقوم بنفس الأفعال التى كان يعملها فى وجوده السابق (قارن فكرة نيتشه Nietzsche فى العود الأبدى Eternal Recur-rence) وتمشيا مع هذا الاعتقاد أنكر الرواقيون حرية الإنسان، أو بالحرى أن الحرية عندهم معناها أن يعمل الإنسان شعورياً وبرضاه ما كان سيفعله فى أى حال (doing consciously with assent, what one will do in any case). وهو اعتقاد يستدعى لأذهاننا اعتقاد سبينوزا Spinoza فالرواقيون يقولون بسيادة مبدأ الضرورة أو الحتمية necessity وهو ما يسمونه بالقضاء والقدر Fate أو المصير المحتوم *εἱμαρμένη* لكن القضاء والقدر ليس شيئا مختلفاً عن الله وعن العقل الكلّى universal reason، ولا هو مختلف عن العناية الإلهية Providence التى ترتب كل شئ على أحسن نحو. فليس القضاء والقدر، أو العناية الإلهية إلا وجوهاً مختلفة لـه. على أن الرواقيين خففوا من هذه الحتمية الكونية cosmological determinism باصرارهم على مبدأ الحرية الباطنية interior freedom، بمعنى أن الإنسان يمكنه أن يغير حكمه على أحداث الحياة، أو اتجاهه نحوها إذا نظر إلى هذه الأحداث وقبلها على أنها تعبير عن «إرادة الله» God's will بهذا المعنى يصبح الإنسان حرا.

ولما كان الرواقيون يعتقدون أن الله قد رتب ونظم جميع الأشياء على أحسن وجه، كان عليهم أن يفسروا الشرّ فى العالم أو على الأقل أن يوفقوا بينه وبين نظرتهم المتفائلة إلى الوجود. وقد عنى كريسبوس Chrysippus على الخصوص بالمشكلة القائمة دائماً وهى مشكلة إقامة علم بالإلهيات theodicy متخذا أساسا لمذهبه النظرية القائلة بأن نقص الأفراد يساعد على كمال الكل the imperfection of individuals subserves the perfection of the whole.

وينتج عن هذا أنه ليس هناك فى الواقع شر عندما ننظر إلى الأشياء نظرة أبدية sub specie aeternitatis هذه النظرة المتفائلة عند الرواقيين، ثم أيضا فكرتهم فى أنه ليست هناك ظاهرتان فرديتان من ظواهر الطبيعة متشابهتين تمام الشبه، تعيد إلى أذهاننا نظرية اسبينوزا spinoza بل وأيضا نظرية ليبنز Leibniz. ويقول كريسبوس Chrysippus فى كتابه الرابع عن العناية الإلهية Providence أن الخيرات لا يمكن أن توجد بدون شرور. على أساس أنه إذا كان هناك

santamariaegypt.org

متناقضان، فلا وجود للواحد إلا بالآخر، بحيث إذا رفعت الواحد رفعت الأثنين معا. ولا شك أن فى هذا القول نصيبا كبيرا من الصحة. فمثلا وجود مخلوق حساس قادر على الشعور باللذة يتضمن أيضا قدرته على الشعور بالألم. إلا إذا كان الله، بالطبع، يشاء أمرا آخر. على أننا نتكلم هنا عن الأحوال الطبيعية للأشياء، ولا نتكلم عن السنن الإلهية الخارقة للطبيعة. ثم أن الألم مع أنه يقال عنه أنه شر، قد يكون خيرا من بعض الوجوه، فمثلا ألم الأسنان إذا فسدت أو تسوست يصنع بالإنسان خيرا ويجلب له نفعا. وإنعدام الوضع الصحيح بين الأسنان، لا شك أنه شر، لكننا نمسى فى حال أشر لو أن الأسنان فسدت ولم يكن ثمة وجع. حيث أن الوجع هو بمثابة إشارة الخطر تنبهنا بأنه جاء الوقت الذى يجب أن نفحص فيه أسناننا عند طبيب الأسنان وبالمثل، إذا لم نشعر بالجوع أبدا، وهو شعور بالألم، تهدمت صحتنا بسبب نقص الغذاء، وكان كريسبوس فى رأيه هذا واضحا كل الوضوح. قال أنه خير للإنسان أن تكون له رأس دقيقة التركيب، ولو أن دقة التركيب delicate construction تجعلها فى نفس الوقت عرضه للخطر إذا أصابتها صدمة ولو كانت طفيفة نسبياً.

فإذا لم يكن الشر الفيزيقى physical evil مشكلة كبيرة، فما القول فى الشر الأخلاقى؟ يقول الرواقيون، ليس هناك فعل، يعد شرا «فى ذاته»، أو ملوما «فى ذاته». إن الذى يجعل الفعل شرا هو نية الفاعل وقصده intention، وحالته الأخلاقية. أمّا الفعل ذاته باعتبار كيانه الفيزيقى فهو ليس خيرا ولا شرا indifferent وإذا كان هذا معناه أن النيّة الحسنة تبرر الفعل، فمثل هذا فعل أخلاقى ولابد أن يكون إما خيرا أو شراً، فإذا صدر عن الفاعل فعل شرير ولكن بنية خالصة وقصد حسن، وكان فى حال من الجهل البرئ بأن الفعل مضاد للعقل السليم. فالفعل فى هذه الحالة شر صورى materialiter والفاعل لا يعد مخطئا إذا صدر منه خطأ موضوعى formal sin لأن الفعل الإنسانى الصادر عن إرادة الإنسان الحرة يكون خيرا أو شرا من الناحية الصورية materialiter أو الموضوعية objectively كلما كان من الناحية الموضوعية موافقا أو مخالفا للعقل السليم، والقانون الطبيعى الموضوعى objective Natural Law إذ أن نيّة الفاعل كما يشعر بها هو فى وقت الفعل لا تغيّر من طبيعة الفعل الموضوعية أو الصورية، ولو أنها قد تعفيه من المسئولية الأخلاقية. لو كان الفعل شرا من الناحية الصورية أو الموضوعية. ومهما يكن من أمر فإذا كان الفعل منظوراً إليه فى ذاته باعتبار كيانه الوضعى positive entity مستقلا عن طبيعته بإعتباره فعلا إنسانيا، يكون كريسبوس chrysippus على حق فى قوله أن الفعل فى هذه الحالة لا يكون شرا، بل هو فى الواقع خير. ويمكن إيضاح هذه المسألة بمثال: إذا قتل إنسان بفعل غادر أثيم، أو قتل وهو يناضل عن مبادئه أو عن سلامة بلاده، ففعل القتل واحد بعينه فى الحالين من الناحية الفيزيقية أو الوضعية. والشر «الأخلاقى» ليس هو فى فعل القتل من

santamariaegypt.org
الناحية الوضعية، أى الفعل فى ذاته منظورا إليه مجردا من الباعث الغائى، لأن هذا يسئ إلى صلاح الخالق الذى هو أصل لكل موجود. لكن الشر «الأخلاقى» يقوم أساسا على إنعدام التوافق والإنسجام فى إرادة الإنسان، فإذا فعل الإنسان شرا كانت إرادته فى غير إنسجام Harmony مع العقل السليم، وكما يمكن أن تكون نية الإنسان صالحة كذلك يمكن أن تكون نيته شريرة، وعلى ذلك فالمتناقضات فى دائرة الأخلاق كما فى دائرة الطبيعيات، ينطوى الواحد منها على الآخر، وهنا يسأل كريسبوس : هل يمكن أن تفهم الشجاعة من دون الجبن أو العدالة من دون الظلم؟؟؟ وكما أن المقدرة على الشعور باللذة تنطوى على المقدرة بالشعور بالألم، كذلك المقدرة على العدل تتضمن المقدرة على الظلم. disharmony

وعندما قال كريسبوس أن المقدرة على عمل الفضيلة تقتضى فى الواقع de facto المقدرة على عمل الرذيلة. إنما كان يعبر عن حقيقة، ذلك لأنه بالنسبة للإنسان فى أحواله الحاضرة فى هذا العالم، وبالنسبة لإدراكه المحدود للخير الأعظم Summum Bonum، أن يكون الإنسان حرا فى أن يفعل الخير يقتضى أن يكون أيضا حرا فى أن يفعل الشر. وإذا كان الحصول على الحرية الأخلاقية خيرا للإنسان، وأن يكون الإنسان قادرا على أن يختار الفضيلة حرا، أفضل من أن لا تكون له حرية أبدا، حتى لو كان ذلك يقتضى أن يكون قادرا على أن يختار الرذيلة، إذا كان ذلك كذلك فلا إعتراض على العناية الإلهية Divine Providence فى وجود الشر الأخلاقى فى العالم أو إمكان وجوده.

على أن كريسبوس يعتقد أن وجود الفضيلة فى الكون يقتضى وجود عكسها على أساس أن النقيض يقتضى نقيضه. غير أن هذا القول باطل، لأن حرية الإنسان الأخلاقية وإن كانت تقتضى إمكان فعل الشر فى هذه الحياة لكنها لا تقتضى بالضرورة فعل الشر. والدفاع عن الشر الأخلاقى وكذلك الشر الفيزيقى بالقول: أن الخير يتضح ويتميز بوجود الشر، دفاع فاسد عن زعم باطل، حقا أنه من الأفضل أن يكون الإنسان حرا «وقادرا» على أن يخطئ من أن يكون بلا حرّية. ولكنه من الأفضل كذلك أن يستخدم حريته فيختار أفعال الفضيلة والخير الأعظم للعالم، أن يصنع جميع الناس دائما ما هو حق وصواب، مهما قيل من أن وجود الشر يبرز قيمة الخير.

كذلك يرى كريسبوس أن تلك الشرور الطبيعية الفيزيقية physical التى تقع على الأخيار، قد تستحيل إلى بركات وخيرات سواء للفرد (وذلك عن طريق تكييفه الداخلى لتلك الشرور) أو بالنسبة إلى المجتمع البشرى بأوسع معانيه. وذلك بإثارة البحث الطبى مثلا. ومما هو جدير بالملاحظة أن كريسبوس يقدّم حجة تكررت فيما بعد، عند الأفلاطونية الجديدة، وعند أوغسطينوس، وعند بركلى، وعند ليبنز، هى أن الشر فى العالم هو الذى يظهر الخير، مثله فى ذلك مثل التباين بين الضوء والظلال، فإنه يضفى على الصورة جمالا يبهج الناظر إليها، أو كما

santamariaegypt.org

يقول كريسبوس نفسه، «أن فى الروايات الهزلية (الكوميديا) أبياتا مضحكة، قد تكون رديئة فى ذاتها، لكنها مع ذلك تضفى شيئا من الجمال على الرواية كلها» (١).

ويعتقد الرواقيون أن العقل الكلى أو النفس الكلية Universal Reason أو الروح πνεῦμα تعمل فى الكائنات غير العضوية بمثابة سجية ἕξις أو مبدأ للتماسك والترابط principle of cohesion وهذا يصدق أيضا على النباتات التى ليس لها نفس ولو أن هذه السجية ἕξις لها فى النبات القدرة على الحركة. وقد ارتقت إلى مرتبة طبيعة φύσις أما الحيوان فله نفس ψυχή وهذه النفس تثبت وجودها عن طريق المظاهر φαντασία والنزوع (أى الحركة والاندفاع ὁρμή) . وأما الإنسان فله عقل reason. فالنفس الإنسانية أسمى جميع النفوس، إنها فى الحقيقة قبس من النار الإلهية divine fire التى نزلت فى الناس عند خلقتهم، وهى تنتقل بالولادة لأن النفس مادية material مثلها مثل كل شئ آخر. ويرى كريسبوس أن العقل τὸ ἡγεμονικόν وهو الجزء صاحب السلطة والسيادة فى النفس الإنسانية. مركزه فى القلب على أساس أن الكلام voice وهو المعبّر عن الفكر، يصدر من القلب. ولكن هناك من الرواقيين من يجعل مركز العقل τὸ ἡγεμονικόν فى الرأس.

ولا يعتقد الرواقيون فى الخلود الشخصى personal immortality فقد قالوا أن جميع النفوس ترتد إلى النار الأولية primeval Fire عند الاحتراق العام Conflagration لكن نقطة النزاع الوحيدة كانت هى : هل تبقى النفوس بعد الموت إلى زمن الاحتراق العام. فبينما اعتقد كليانتس أن جميع النفوس البشرية ستظل باقية، رأى كريسبوس أن هذا البقاء هو من نصيب نفوس الحكماء وحدهم.

ولما كان المذهب الرواقى مذهبا أحديا monistic فلا نتوقع أن نجد فيه أى ميل نحو عبادة الله، أو تكريس الرواقى نفسه للمبدأ الإلهى. ومع ذلك فإن هذا الميل موجود وملاحظ بوضوح عند الرواقيين بحيث لا يدع مجالاً للشك. وهو يظهر على الخصوص فى تلك الأنشودة المشهورة التى أنشدها كليانتس لزيوس، ومؤداها بالعربية :

«يا الله الأمجد، الذى يدعى بأسماء عدّة»

«سيد الطبيعة العظيم، من كان ولا يزال كائنا إلى مالا نهاية له من السنين»

«القادر على كل شئ، والذى بشريعة عدله»

(1) Plut., De comm. Notit., 1065d; Marcus Aurel., To Himself, VI. 42.

santamariaegypt.org

«يضبط الكل. السلام لك يازيوس، لأن إياك»

«يليق بخلائقك فى جميع البلاد أن يدعوا»

«نحن أولادك، نحن وحدنا، دون جميع»

«الذين يهيمون فى طرقات الأرض الواسعة ذهابا وجيئة»

«نحمل صورتك أينما نذهب»

«لهذا، فإننى بأغانى الحمد، سأظهر قوتك»

«هوذا، هناك السماء التى تدور حول الأرض»

«تتبع هدايتك، وهى لا تزال تبدين نحوك»

«طاعة جميلة. يدك التى لا تقهر»

«تعطى مثل هذا اللهيب، ووميض البرق»

«يدبّر. وسيف ذو حدّين، قوّته التى لا تموت»

«تخفق فى تلك الطبيعة فتخرجها إلى النور»

«مركبة الكلمة الكليّة universal word التى تتدفق»

«فى الكل. وفى نور التوهجات السماوية»

«توهجات النجوم الكبيرة والصغيرة. يا ملك الملوك»

«خلال عصور لا تنقطع. يا الله الذى قصد أن يخلق»

«كل شئ على الأرض أو فى البحر»

«مما صنع. أو فى امتداد علياء السماء»

«فيما عدا ما يصنعه الخاطئ وهو مسلوب العقل»

«كلاً لكنك تعرف أن تجعل المعوجّ مستقيماً»

«العماء عندك هو النظام. فى عينيك»

«غير المحبوب جميل. أنت الذى نسقت (وفقت)»

«بين الأشياء الرديئة، والأشياء الحسنة، حتى يكون هناك»

«كلمة واحد one word فى جميع الأشياء إلى الأبد»

santamariaegypt org

«كلمة واحد one word صوته. وأسفاه يزدريه الأشرار»

«وهم لا يشبعون. أرواحهم تّحن إلى الخير»

«ومع ذلك، فإنهم نظرا لا ينظرون، وسمعا لا يسمعون»

«ناموس الله العام الذى هم يحترمونه»

«الذين يغنمون السعادة، بالعقل يرتشدون»

«وأما الباقون فبغير عقل يتبعون صنوف الخطيئة المتنوعة»

«مسوقين من أنفسهم، من أجل اسم باطل»

«وباطلا يصارعون ميلا إلى الشهرة»

«وآخرون يطلبون الغنى بافراط».

«والزناة يجرون فى أثر اللذات الجسدية»

«يبحثون هنا وهنالك، ولكن دون فائدة»

«يفتشون عن الخير، ولكنهم يجدون الشر دائماً»

«يازيوس كلّى الجمال الذى يخفيه الظلام»

«الذى وميضه ينير فى الراعدات (١)»

«خلص أولادك من تسلط الخطأ المميت»

«وأبعد الظلمة عن أرواحهم»

«أنعم عليهم أن يدركوا المعرفة»

«فأنت بالمعرفة صوت قويا لتسود»

«على الكل، وأنت تحكم جميع الأشياء بالعدل»

«لهذا. فيك سوف نكرمك أيها المكّرم»

«وبأغانى الحمد، نحمد على الدوام أعمالك»

«فهو ما يجب علينا نحن البشريين. إن الجزاء الأعلى لا يخص أحدا»

«ولاحتى الآلهة، أكثر مما يخص الذين يعبدون بحق القانون الكلى إلى الأبد».

---

(١) الراعدات هى السحب المحملة بالرعد والمطر.

santamariaegypt org

على أن هذا الإتجاه من جانب بعض الرواقيين إلى تكريس النفس للمبدأ الأعظم، ليس معناه أنهم رفضوا الديانة الشعبية أو الديانة التى ألفها الشعب. إنهم على العكس من ذلك كانوا يدافعون عنها. حقا لقد قال زينون أن الصلوات والذبائح لا نفع منها. ولكن بعض الرواقيين مع ذلك قبلوا مبدأ الشرك Polytheism على أساس أن المبدأ الأول أو زيوس يعلن نفسه فى مظاهر أو ظواهر phenomena، وأعنى بها الأجرام السماوية. وعلى ذلك تجب العبادة لهذه المظاهر أو الظواهر بل وينبغى أن تمتد هذه العبادة إلى المؤلهين من الناس، وإلى «الأبطال» heroes. ثم أن الرواقية أفسحت المجال للكهانة divination وللعرافة oracles. وليس فى هذا غرابة لأن المذهب الرواقى مذهب جبرى deterministic doctrine يقول بالحتمية، وينادى بأن جميع الأحداث وجميع أجزاء الكون بينها ارتباط متبادل mutually interconnected.

santamariaegypt.org

الأخلاق الرواقيــة

تظهر أهمية الأخلاق فى نظر الفلسفة الرواقية من الوصف الذى قدمه سينيكا Seneca للفلسفة. ومع أن سينيكا ينتسب إلى الرواقية المتأخرة إلاّ أن الأهمية التى يعطيها سينيكا للفلسفة باعتبارها علم السلوك، كانت معروفة كذلك عند الفلاسفة الرواقيين المتقدمين.

Philosophia nihil aliud est quam recta vivendi ratio vel honeste vivendi scientia vel ars rectae vitae agendae non errabimus, si dexerimus philosophiam esse legem bene honesteque vivendi, et qui dixerit illam regulam vitae, suum illi nomen reddidit.

فالفلسفة إذن تعنى أول ما تعنى بالسلوك، إن غاية الحياة هى السعادة *εὐδαιμονία* ، وهى تقوم فى الفضيلة Virtue بالمعنى الرواقى للكلمة، أى فى الحياة الطبيعية أو الحياة وفقا للطبيعة. Conformably with the nature to live.

ὁμολογουμένως τῇ φύσει ζῆν بمعنى مطابقة الفعل الإنسانى لقانون الطبيعة، أو مطابقة الإرادة البشرية للإرادة الإلهية. ومن هنا جاء القول المأثور عند الرواقيين «عش وفقا للطبيعة» Live according to nature ويرى الرواقيون أنه لا فرق بين امتثال الإنسان لقوانين الكون بالمعنى الواسع للكلمة، وبين إخضاع سلوكه للطبيعة الجوهرية فيه، وأعنى بها العقل، حيث أن الكون محكوم بقانون الطبيعة. وبينما يرى الرواقيون المتقدمون أن الطبيعة Nature هى الفيزيس *φύσις* التى يجب على الإنسان أن يتبعها، وكأنها بالحرىّ طبيعة الكون. فإن الرواقيين المتأخرين ابتداء من كريسبوس chrysippus يميلون إلى النظر إلى الطبيعة من زاوية أكثر ميلا إلى الأنثروبولوجيا Anthropology (علم الأجناس البشرية).

وعلى ذلك فإن نظرة الرواقيين إلى الحياة وفقا للطبيعة تختلف عن النظرة الكلبية Cynics القديمة كما تتمثل فى سلوك ديوجينس Diogenes وتعليمه. لأن الطبيعة Nature عند الكلبيين Cynics كانت هى بالأحرى الطبيعة البدائية primitive والغريزية instinctive ولذلك فإن الحياة وفقا للطبيعة كانت تنطوى عند الكلبيين على سخرية متعمدة من مصطلحات المجتمعات المتحضرة وعاداتها وتقاليدها، سخرية أعلنت عن ذاتها فى سلوك غريب وشاذ بل ومشين أيضا فى كثير من الأحايين. أما عند الرواقيين، فإن الحياة وفقا للطبيعة معناها الحياة وفقا للمبدأ الفاعل فى الطبيعة أى اللوغوس *λόγος* وهو المبدأ الذى تشارك فيه النفس الإنسانية. وعلى ذلك فغاية الأخلاق عند الرواقيين تقوم أساساً على الخضوع لنظام العالم المرسوم من الله.

santamariaegypt.org
وقد روى لنا بلوتارخوس Plutarch أنه كان من عادة كريسبوس Chrysippus أن يبدأ جميع المباحث الأخلاقية بتأمل نظام الكون وترتيبه.

والغريزة الأساسية التى غرستها الطبيعة فى الحيوان هى غريزة حفظ الذات أو المحافظة على الحياة self-prservation. وهى تقابل عند الرواقيين ما يمكن أن نسميه تكميل النفس self-porfection أو تحسين النفس self-development ولما كان الإنسان مزودا بالفعل، وهو القوّة التى يسمو بها الإنسان عن الحيوان، لذلك فإن الحياة وفقاً للطبيعة، بالنسبة إلى الإنسان تعنى حقا الحياة وفقا للعقل. من هنا كان تعريف زينون لغاية الحياة وهى أن يحيا الإنسان وفقا للطبيعة. بمعنى أن يحيا حياة الفضيلة من حيث أن الطبيعة تقود إلى الفضيلة. ومن الناحية الأخرى أن الحياة الفاضلة هى الحياة التى تطابق خبرتنا عن سير الطبيعة. فطبائعنا البشرية ليست غير أجزاء من الطبيعة الكونية. وعلى ذلك فغاية الحياة هى الحياة التى تتبع الطبيعة. والمقصود من الطبيعة هنا ليست طبيعتنا الخاصة بل طبيعة الكون. والمقصود من الحياة، الحياة التى لا تعمل فيها شيئا تحّرمه الطبيعة الكونية أى العقل السليم الذى يتخلل جميع الأشياء، وهو بذاته زيوس، قائد الكون وحاكمه. ويروى ديوجينس ليرتيوس Diogenes Lairtius عن مذهب الرواقيين الأخلاقى أنه ينادى بأن الفضيلة هى الحياة وفقا للطبيعة بينما أن الحياة فى وفاق مع الطبيعة، معناها بالنسبة إلى الإنسان أن يحيا الإنسان وفقا للعقل السليم right reason والواقع أنه كما لاحظ ذلك كثيرون أن هذا المبدأ الرواقى لا يفيدنا كثيرا. فهم يقولون أنه مما يوافق الصواب أن يحيا الإنسان فى وفاق مع العقل. لكن هذا لا يفيدنا كثيرا فى تحديد مضمون الفضيلة.

ولما كان الرواقيون يؤمنون بأن كل شئ يخضع بالضرورة لنواميس الطبيعة، فمن ثم يُثار الاعتراض : ما الفائدة فى حض الإنسان على الخضوع لنواميس الطبيعة إذ لم يكن أمامه مفرْ من أن يفعل ذلك حتما؟؟ وأجاب الرواقيون على هذا الاعتراض بأن الإنسان كائن عاقل. ومع أنه لابد له أن يخضع لنواميس الطبيعة على أى حال، إلا أنه يتمتع بشرف معرفته بهذه النواميس وإذعانه لها برضاه. من ثَم هناك غاية من وراء النصح الأخلاقى إذ الإنسان حرّ فى أن يغير من اتجاهه الباطن interiour attitude وهنا نلاحظ نقطة تحوّل فى منطق المذهب الجبرى عند الرواقيين. والحق أنه ما من مذهب جبرى أمكنه أو كان بالفعل خلوا من التناقض. ولا يشذ الرواقيون عن هذه القاعدة، والنتيجة لهذا كله، إن توخينا الدقة فى التعبير، أنه ما من فعل هو فى ذاته صواب أو خطأ، لأن مذهب الحتمية لا يدع مجالاً للفعل الإرادى أو للمسئولية الأخلاقية. بينما أنه فى المذهب الأحدى monistic system يكون الشر فى الواقع شرا إذا نظرنا إليه فقط من إحدى وجوه النظر. أما من وجهة النظر الأبدية sub specie acternitatis فإن جميع الأشياء صواب وخير. ويبدو أن الرواقيين كانوا يؤمنون نظريا على الأقل بالفكرة

santamariaegypt.org

القائلة أنه ليست هناك أفعال خطأ فى ذاتها. وقد قال زينون أنه حتى أكل لحوم البشر connibal-ism، بل وسفاح القربى incest (الفسق بالمحارم، ويكون بين الذين يحرّم الدين زواجهم بعضهم من بعض) واللّواط homosexuality (أى اللوطية ـ مضاجعة الجنس) ليست خطأ فى ذاتها. ولم يقصد زينون بهذا طبعاً أن يمدح هذه الأفعال، وإنما قصد أن الفعل الفيزيقى أو الخارجى physi-cal action ليس خيرا أو شرا indifferent فالشر الأخلاقى يتوقف على إرادة الإنسان human will ونيّته intention. وصرح كليانس Cleanthes بأن الكائن البشرى يسير بالضرورة فى طريق القضاء والقدر.

«إذا ملت نحو الشر، لكن إرادتى أبت، فلابد لى من أن أظل هادئا» وتظهر هذه النظرية عينها فى العبارة المشهورة المأثورة عن سينيكا :

«الأقدار تسوقهم برضاهم، أو تضطرهم على الرغم منهم»

"Ducunt volentem fata, nolentem trahunt"

ومهما يكن من أمر، فقط اضطر الرواقيون عمليا إلى أن يعدّلوا كثيرا من مذهبهم الجبرى، إذ هم يقولون أن الحكيم هو الذى يسير فى طريق القدر راضيا، ولكنهم فى نفس الوقت يحضون على حسن الأخلاق مما يتضمن القول بالحرية إلى حد ما كما لاحظنا من قبل. فالإنسان إذن حر فى أن يغيّر من اتجاهه الباطن، وأن يميل إلى الخضوع والإذعان بدلا من التمرد والعصيان. ثم أن الرواقيين قالوا بسلّم للقيم a scale of values كما سنرى وهذا يتضمن، على الأقل، أن يكون الحكيم حرا فى أن يختار القيم العليا. ويبتعد عن القيم الدنيا. والواقع أنه لا يمكن لأى مذهب جبرى أن يخلو بالفعل من التناقض، ولا غرابة فى هذا إذ الحرية حقيقة واقعة، ونحن نحس بأننا أحرار، وحتى لو أنكرنا الحرية نظريا فإنها تتسلل إلينا من الباب الخلفى.

ويرى الرواقيون أن الفضيلة هى وحدة الخير بالمعنى الدقيق للكلمة، وكل ما ليس فضيلة أو رذيلة ليس هو خيرا أو شرا، وإنما هو بين بين، فلا هو جيد ولا هو ردئ (*ἀδιάφορον* = indiffereny) و « الفضيلة ميل أو خلق موافق للعقل، مرغوب فيه لذاته وليس لأى باعث من أمل أو خوف أو أى دافع خارجى» (١) لذلك سخر كريسبوس من الخرافات الأفلاطونية الخاصة بأنواع الثواب والعقاب فى الحياة الأخرى، لأن الرواقيين يذهبون إلى أن الفضيلة كافية فى ذاتها، ومرغوبة لذاتها (ويمكن أن نقارن هنا مذهب الرواقيين بمذهب الفيلسوف الألمانى كنط (كانت)، ومهما يكن من أمر فقد قال الرواقيون بالنسبة إلى هذه الدائرة، دائرة الأفعال التى ليست بجيدة أو رديئة، أن هناك أفعالا مفضلة (*προηγμένα* = preferable) وأفعالا

(١) ديوجينس ليرتيوس ٧ : ٨٩.

santamariaegypt.org
مرفوضة (to be rejected = ἀποπροηγμένα) كما أن هناك أفعالا أخرى لا هى بجيدة ولا هى بردیئة بالمعنى الدقيق. ولاشك أن مذهب الرواقيين هذا كان إذعانا منهم لما يقتضيه الواقع العملى وعلى حساب النظر، لأن المذهب الرواقى يتطلب أن تقوم الفضيلة فى وفاق مع الطبيعة. وعلى ذلك قسّم الرواقيون الأفعال التى ليست بجيدة ولا رديئة من جهة الأخلاق إلى ثلاثة أقسام :

(١) الأفعال التى توافق الطبيعة، ولذلك يمكن أن تخص بنوع من القيمة Τὰ προηγμένα .

(٢) الأفعال التى تتعارض مع الطبيعة، ولذلك فهى بلا قيمة Τὰ ἀποπροηγμένα .

(٣) الأفعال التى لاهى بذات قيمة، ولا هى بلا قيمة (disvalue = Τὰ ἀπαξία) .

وعلى هذا النحو أقام الرواقيون سلما للفضائل. واللذة عندهم نتيجة للنشاط activity أو مصاحبة له، ولا يمكن القضاء عليها، والرواقيون على اتفاق فى هذا الرأى، ولو أنهم لم يذهبوا كلهم إلى المدى الذى ذهب إليه كليانتس Cleanthes الذى قال بأن اللذة لا توافق الطبيعة.

والفضائل الرئيسية أو الأساسية هى الفطنة الأخلاقية Moral Insight = φρόνησις، والشجاعة، وضبط النفس أو العفّة (= الاعتدال)، والعدل، هذه الفضائل تقوم معا أو تسقط معا، بمعنى أن من يملك واحدة منها يملك الكل. وقال زينون أنه وجد منبع جميع الفضائل فى الفطنة (أو البصيرة) (١) الأخلاقية φρόνησις بينما يقول كليانتس أن منبع جميع الفضائل هو فى السيطرة على النفس (Self-control, temperance = ἐγκράτεια) بدلا من الفطنة الأخلاقية.

ومهما يكن من أمر، فعلى الرغم من وجوه الإختلاف بين أهل الرواق إلا أنهم جميعا يتمسكون بالمبدأ القائل أن الفضائل مرتبطة ببعضها بعضا ارتباطا وثيقا، باعتبارها تعبيرات عن خُلق واحد بعينه، بحيث أن وجود فضيلة ما فى شخص يدل على وجود جميع الفضائل فيه. وعلى العكس من ذلك كما يقول الرواقيون أيضا أنه إذا وجدت رذيلة ما فى شخص فلابد أن توجد فيه كذلك جميع الرذائل الأخرى. فالخلق إذن هو أهم ما تعنى به الرواقية. ولا يسلك السلوك الفاضل بحق إلا الرجل الحكيم وحده. والسلوك الفاضل هو إتمام القيام بالواجب بروح الحق. والواجب τὸ καθῆκον مصطلح ابتكره زينون على ما τὸ καθῆκον

---

(١) أو الفراسة وهى تثبيت العين. وإدراك الباطن من النظر إلى الظاهر.

santamariaegypt org
يظهر لكنه تعبير يدل على «ما يليق» أكثر مما يدل على «الواجب» بالمعنى الذى نفهمه نحن. والحكيم عند الرواقيين يخلو من الانفعالات والشهوات passions وليس لديه شئ فى الوجود أهم من قيمته الباطنية. ولو كان هو زيوس، والحكيم أيضا سيّد نفسه، وله أن ينتحر.

فإذا كانت جميع الفضائل مرتبطة بعضها ببعض بهذه الصورة حتى أن من يملك واحد منها لابد أن يملك سائر الفضائل الأخرى، فهذا معناه أنه ليس هناك درجات للفضيلة. فإما أن يكون الإنسان فاضلا بالتمام أو أن لا يكون فاضلا على الإطلاق. وقد كان هذا هو معتقد الرواقيين المتقدمين ويقول كريسبوس أن الإنسان الذى أكمل «على وجه التقريب» طريق الترقى الأخلاقى ليس إلى الآن فاضلا. ولم يمتلك بعد الفضيلة. وهى السعادة الحقيقية. وتبعا لهذا المذهب لا يدرك الفضيلة إلاّ قلّة من الناس، وفى مرحلة متأخرة من الحياة. جاء فى بعض كتبهم «يسير الإنسان فى الشر كل حياته، أو على أية حال أغلب أيام حياته. فإذا أدرك الفضيلة فمتأخرا وعند غروب شمس حياته» (١) وبينما يتميز قدماء الرواقيين بهذه المثالية الأخلاقية الصارمة، يلح الرواقيون المتأخرون أكثر الإلحاح على فكرة الترقى الأخلاقى موجهين عنايتهم إلى تشجيع الإنسان على أن يبدأ طريق الفضيلة ويواصل سيره فيه. ولما كانوا يعترفون بأنه ليس فى إمكان أحد ما أن يصل بالفعل إلى المثل الأعلى الذى ينشده الحكيم، فلذلك قسموا الجنس البشرى إلى الحمقى ثم الذين يتدرجون نحو الفضيلة أو الحكمة.

ويتميز الرواقيون بمذهبهم فى الأهواء passions والميول affections كاللذة ἡδονή والحزن أو الغم λύπη والرغبة ἐπιθυμία والخوف φόβος فهذه المشاعر عندهم غير عقلية وغير طبيعية. وعلى ذلك فليس المهم هو تخفيف هذه المشاعر وتنظيمها وإنما المهم هو القضاء عليها نهائيا، وبلوغ حالة من الجمود أو فقدان الشعور والإحساس، أو على الأقل التخلص منها عندما تصبح عادات، أو أمراضا نفسية νόσοι ψυχῆς فالأخلاق الرواقية فى الحقيقة تهدف إلى مقاومة الميول أو المشاعر، والاجتهاد فى بلوغ حالة من الحرية أو السيطرة الأخلاقية. على أن بعض الرواقيين يميلون إلى تخفيف حدة هذه النظرة المتطرفة، ويقرون بأن هناك انفعالات معقولة أو بريئة innocent emotions = εὐπάθεια تثور فى نفس الحكيم. وهنا نقتبس نصا من الفيلسوف سينيكا يبين اتجاه الرواقيين إلى انتصار النفس على ميول الإنسان ومشاعره.

(1) Von Anim, I, 529.p.119 (i.e. sext. Empir., Adu Math., 9,90, of cleanthes.

santamariaegypt.org

١٠ - «أى أمر هو الأعظم فى الحياة الإنسانية»؟

ليس هو اخفاء أمواج سفينتها، ولا نصب أعلامها على شواطئ البحر الأحمر، ولا لأن الأرض توارت أمام الإهانات الجديدة أو لحدوث ضلال على محيط البحث وراء المجهول، إن أعظم شئ هو اضطرام الروح واحرازها النصر أعظم النصر بانتصارها على رذائلها. فما أكثر الذين سيطروا على الناس وتسلطوا على المدن! وما أقل الذين ملكوا على نفوسهم؟!

١١ - «أى أمر هو الأعظم؟ إنه ارتفاع النفس على وعيد الثروة ووعودها، وأن يصبح كل شئ عندها غير جدير بأن يرتجى لأنه ما هى قيمة موهبة الثروة التى تستحق أن يحسد الإنسان عليهاَ! فإذا هويت من عشرة الإلهيات إلى البشريات تعكّرت نفسك، كالذين تنتقل عيونهم من وضح الشمس إلى ظل ظليل.

١٢ - «أى شئ هو الأعظم؟ هو أن يكون فى إمكانك أن تحتمل الضيقات بفرح، وأن تقبل كل ما يأتى عليك كما لو كنت أنت تريده، ولسوف تريده إذا علمت أن كل ما يحدث هو بأمر الله. إن الدموع والأنّات والحسرات. تمّرد..

١٣ - «أى شئ هو الأعظم؟ هو نفس تظهر بسالة وصمود أمام المصيبة. وهى لا تحيد فقط عن اللذات المحرّمة، ولكنها تقاومها كما أنها إذ تواجه الخطر لا تتهور ولا تجبن. إنها تعرف أن تصنع حظْها، ولكنها لا تترقبه. إنها تواجهه خيرا كان أو شرا، بلا خوف أو انزعاج. ولا تسمح لنفسها أن تقلق بسبب صدمات الحظ ولا بسبب لمعانة..

١٤ - «ما هو الأعظم؟ هو أن لا تدع الأفكار الشريرة أن تدخل إلى روحك، وأن ترفع إلى السماء يدين طاهرتين، وأن لا تريد شيئا من الخير وقع لك أن يعطى لك أو يفقد منك بواسطة أى آخر. وأن تطلب لنفسك نعمة لكى لا تقاوم كراهية أحد أو طيبة قلبه. وإذا عرضت لك فرصة مواتية لنيل خيرات أخرى يحرص عليها الناس حرصا شديداً، فلتنظر إليها على أنها ستذهب كما أتت.

١٥ - «أى أمر هو الأعظم؟ هو أن ترفع عقلك فوق الأشياء التى تعتمد على الصدفة. ولا تغفل من نظرك الطبيعة الإنسانية حتى وأنت سعيد تعلم أن السعادة لا تدوم طويلا. وأنت شقى تقول لنفسك أنك لست شقيا إذا لم تعتقد أنك كذلك.

santamariaegypt.org

١٦ ـ «ما هو الشئ الأعظم؟ هو أن يسيطر الإنسان على نفسه عند نهاية شفتيه. فى هذه الحالة يكون الإنسان حرا، ولكن ليس بحق الكويريتيين(١) ولكن بفضل الحق الطبيعى. فالحرّ هو من عرف أن يفلت من عبودية نفسه. إذ العبودية قائمة، ومن المستحيل أن يتخلص الإنسان منها. أنه يشعر بنفسه سواء بالنهار أو بالليل، بدون توقف، وبدون إنقطاع.

١٧ ـ إن العبودية التى لها أعظم الأثر هى أن يكون الإنسان عبدا لنفسه وستضطرب نفسك سريعاً بهذه العبودية، إذا امتنعت عن أن تطلب من نفسك مصالح كثيرة. وإذا توقفت عن أن تبحث عن منفعتك الشخصية فى كل ما تصنع، وإذا وضعت نصب عينيك دائما طبيعتك البشرية. ثم سنّك أيضا إذا كنت فى مستهل الحياة، وإذا قلت لنفسك : لماذا أتناقض مع نفسى كجاهل أحمق؟ لماذا ألهث واعرض وأزعج الأرض والأماكن العامة؟ ليس لى حاجة إلى كثير، وإلى زمن طويل» (٢)

هذه الناحية من الأخلاق الرواقية، وأعنى بها محاولة الوصول إلى حالة من الاستقلال التام عن كل الأمور الخارجية، تكشف عن نزعة كلبية Cynicism. لكّن للأخلاق الرواقية ناحية أخرى بها تتجاوز المذهب الكلبى وهى نزعتها العالمية Cosmoplitanism إن الإنسان كائن اجتماعى. والعقل يأمر أن يحيا الإنسان فى مجتمع. والعقل هو الطبيعة الأساسية المشتركة بين جميع الناس. ومن هنا فإن هناك «قانونا واحدا» و «وطنا واحدا» لجميع الناس. ومن غير المقبول عقلا أن يقسم الجنس البشرى إلى دول متحاربة. فالحكيم مواطن لا لهذه الدولة بالذات أو لتلك وإنما هو مواطن للعالم كله. وعلى هذا فإن لجميع الناس حقا فى حسن نوايانا نحوهم. وحتى العبيد لهم حقوقهم، بل والأعداء أيضا لهم حق فى رحمتنا لهم ومغفرتنا لأخطائهم. ومن الواضح أن هذا الاستشراف أو التعالى بالحدود الإجتماعية الضيقة يتفق مع مذهب الأحدية monism عند الرواقيين. أما الأساس الأخلاقى الذى يقوم عليه مذهب العالمية الرواقى فيوجد فى ذلك الميل أو تلك الغريزة الأساسية من غرائز النفس البشرية وأعنى بها غريزة حفظ الذات أو حبّ الذات *οἰκείωσις* هذا الميل الغريزى لحفظ الذات يظهر بالطبع أول ما يظهر فى شكل محبّة النفس أى محبة نفس الفرد .لكنه يمتد إلى ما وراء محبة النفس بالمعنى الضيّق ليشتمل

---

(١) Quirites وهو اسم كان يطلق على المواطنين المدنيين فى روما القديمة فى مقابل المحاربين، بعد أن اتحد الصابنه Sabini ـ وهم شعب إيطالى قديم ـ مع الرومان Romani تحت حكم روميلوس Romulus فى أمة واحدة، تسمّى باسم Quirites من الناحية المدنية، وباسم Romani من الناحيتين السياسية والحربية، والكلمة Quirites ترجع إلى cures أو *Κύρης* أو *Κύρεις* وهى عاصمة الصابنة Sabini القديمة.

(2) Seneca, Naturalium Quoestionum, libri III, praef., 10 - 17.

santamariaegypt.org
على كل ما يتعلق بالفرد كالعائلة أو الأسرة والأصدقاء والمواطنين، وأخيرا الإنسانية بأسرها. وطبيعيّ أن تكون محبة النفس أقوى ما تكون بالنسبة إلى كل ما يتصل بالفرد عن قرب، وتأخذ في الضعف نسبيا كلما كان موضوع الحب بعيدا عن الفرد. وعلى ذلك فمهمة الفرد من وجهة النظر الأخلاقية، أن يرتفع بسمو بمحبة النفس بالنسبة إلى الأشخاص والموضوعات البعيدة عن النفس، إلى ذات درجة الشدة التي تكون عليها محبة النفس بالنسبة إلى الأشخاص والموضوعات القريبة منها. وبعبارة أخرى إننا ندرك المثل الأعلى للأخلاق إذا أحببنا جميع الناس كما نحبّ نفوسنا، أو عندما يشتمل حبنا للنفس على كل ما يتصل بالنفس بما فيها الإنسانية بالمعنى الواسع. ويكون هذا الحب بشدّة واحدة.

santamariaegypt org

فى تاريخ

الفلسفة اليهودية

santamariaegypt.org

الفلسفة اليهودية الهلينية

كان للتفكير اليوناني أثر واضح على العقلية اليهودية في مدينة الأسكندرية، ولو أنه كان له بعض الأثر في بلاد فلسطين كما هو الحال في مذهب طائفة الأسينيين التي ذكرها يوسيفوس لأول مرة في تصويره لعصر يوناثان سنة ١٦٠ ق.م، وفيه كما لا يخفى نزعات أو رغبة فيثاغورية. فقد قال الأسينيون بثنائية واضحة بين النفس والبدن. ولم يؤمنوا فقط بخلود النفس بعد الموت بل وبوجودها قبل مولد الإنسان. ورفض الأسينيون الذبائح الدموية وكانوا لا يأكلون اللحم، ولا يشربون الخمر وأقاموا أهمية كبيرة للاعتقاد بالملائكة والكائنات المتوسطة. وهناك مسألة ذات مغزى وإن كان يجب أن لا يبالغ في أهميتها. أن انطيوخس ابيفانيوس عندما حاول أن يهلن أو يضفي الصبغة اليونانية بالقوة على يهود فلسطين، اعتمد على بعض العون من اليهود أنفسهم. ولو أنه واجه معارضة شديدة من جانب اليهود المحافظين الذين أصروا على التمسك بتقاليد آبائهم. وكانوا بطبيعة الحال خصوما عنيدين للتصرفات الأخلاقية الشائنة التي اعتبرت مصاحبة للهلينية (للحضارة اليونانية) ومهما يكن من أمر فقد أصبحت الأسكندرية - هي المدينة العالمية الكبيرة القائمة على مفترق الطرق بين الشرق والغرب - المركز الحقيقي للفلسفة اليهودية الهلينية التي بلغت ذروتها عند فيلون. وكان طبيعيا أن يكون لليهود المقيمون بعيدا عن وطنهم وبلدهم الميل إلى التأثر بالروح اليونانية. وهذا يظهر جليا في محاولة التوفيق بين الفلسفة اليونانية وعلم اللاهوت اليهودي. هذه المحاولة التي أدّت من جهة إلى اختيار بعض عناصر التفكير اليوناني، التي يمكن أن تنسجم أكثر من غيرها مع الديانة اليهودية، وأدت من جهة أخرى إلى استعمال المعاني الرمزية في تفسير الكتب المقدسة وتأويلها بحيث تتفق مع التفكير اليوناني. ولذلك نجد من اليهود قوما يؤكدون أن أكبر فلاسفة اليونان مدينون للكتب المقدسة في كثير من أفكارهم التوجيهية الأساسية، هذه الفكرة ليس لها بالطبع سند تاريخي عند فيلون مثلا، ولكنها تشير إلى اتجاهات التوفيق والمواسطة أو التسامح الديني عند اليهود المتهلينين أي المتأثرين بالحضارة الهلينية اليونانية في الأمبراطورية اليونانية.

وأهم مفكر يمثل الفلسفة اليهودية الهلينية هو فيلون السكندري. ولد نحو سنة ٢٥ ق.م. وتوفى بعد سنة ٤٠م بقليل، وهي السنة التي كان فيها في مدينة روما سفيرا لليهود السكندريين لدى الأمبراطور غايوس Gaius، وبين أيدينا اليوم الكثير من مؤلفاته على الرغم من أن بعضها قد فقد وأظهر مؤلفاته : (١)

١ - استعارات النواميس المقدسة.

(١) راجع تاريخ الكنيسة ليوسابيوس جزء ٢، فصل ١٨ فقرة ١ – ٨.

santamariaegypt.org
٢ ـ إشكالات فى سفر التكوين، وحلولها.
٣ ـ حسن التدبير.
٤ ـ السكر.
٥ ـ فى ما يشتهيه العقل الرصين وما يبغضه.
٦ ـ فى بلبلة الألسن.
٧ ـ فى الهرب والكشف.
٨ ـ فى التضامن من أجل التعليم.
٩ ـ فى من هو الوريث للإلهيات أو التقسيم إلى المتساويات والمتضادات.
١٠ ـ فى الفضائل الثلاث التى شرحها موسى وغيره.
١١ ـ فى الذين تغيرت أسماؤهم، ولماذا تغيرت وفى العهود.
١٢ ـ فى الهجرة.
١٣ ـ فى ترجمة حياة رجل حكم تكمل فى البر أو القوانين غير المكتوبة.
١٤ ـ فى العمالقة (أو الجبابرة) أو فى عدم تغير الله.
١٥ ـ فى الأحلام التى من الله على ما يقول موسى.
١٦ ـ إشكالات فى سفر الخروج وحلولها.
١٧ ـ فى خيمة الاجتماع.
١٨ ـ فى الوصايا العشر.
١٩ ـ فى القوانين الخصوصية التى يمكن أن تنطوى عليها الوصايا العشر.
٢٠ ـ فى الحيوانات المعينة لطقوس الذبائح، وما هى أنواع الذبائح.
٢١ ـ فى أنواع الثواب المعد فى الناموس للصالحين، وأنواع العقاب واللعنات المعدة للأشرار.
٢٢ ـ فى العناية الإلهية.
٢٣ ـ فى اليهود.
٢٤ ـ فى الحاكم (رجل الدولة).
٢٥ ـ الاسكندر أو الحيوانات غير العاقلة التى تملك العقل.
٢٦ ـ كل رجل شرير هو عبد.
٢٧ ـ كل رجل أمين شريف هو حر.
٢٨ ـ فى الحياة التأملية أو المبتهلين.
٢٩ ـ تأويلات الأسماء العبرانية فى الناموس والأنبياء.
٣٠ ـ فى الفضائل.

santamariaegypt.org

ولما كان فيلون معجبا بفلاسفة اليونان، فقد آمن أن الحق يوجد فى الفلسفة اليونانية كما يوجد فى الكتب المقدسة اليهودية والتقليد اليهودى. وعنده أن الفلاسفة قد أفادوا من الكتب المقدسة. وهو نفسه لا يتردد فى تفسير الكتب المقدسة تفسيرا رمزيا كلما وجد الضرورة تدعو إلى ذلك، وقد أبان فى كتابه ὅτι ἄτρεμτον τὸ θεῖον «فى أن اللاهوت لا يتغير» إنه ينسب إلى الله أنه يتغير أو يتحرك نظرا إلى أنه ليس جسديا أو ماديا على الإطلاق. وعلى ذلك يجب أن نعرف أن فى عبارات الكتاب المقدس التشبيهية معنيين: أحدهما غير تشبيهى وهو أسمى من الآخر، والثانى تشبيهى وهو أقل شأنا من الآخر ويناسب العاديين من الناس. وقد يقال أن هذا المجهود، مجهود استخدام الرمزية وإدراك المعانى السامية يؤول فيما بعد إلى إنكار ضرورة حفظ المبادئ والقواعد الطقسية الاحتفالية فى الناموس. على الأقل بالنسبة إلى أولئك الذين يستطيعون أن يدركوا المعنى الأسمى. لكن فيلون لم يقل بهذا. يقول فيلون أن الناس أسمى من البدن لكن البدن جزء من الإنسان، ومع أن المعنى الرمزى أسمى من المعنى الحرفى، إلا أنه لا يجوز لنا أن نهمل المعنى الحرفى بل يجب بالأحرى أن نهتم بكل من الحرف والروح. لذلك لم يهدف فيلون إلى أن يلغى الأرثوذكسية اليهودية أو يبطلها بل بالحرى أن يوفق بينها وبين الفلسفة. وفى الوقت نفسه يتمسك بالمحافظة على الناموس محافظة تامة بغير نقص.

«إن الله ـ كما نعلم من علم اللاهوت اليهودى ـ شخصى أو ذاتى، لكنه فى نفس الوقت وجود خالص : τὸ γντως ὄν بسيط بساطة مطلقة : φύσις ἁπλῆ حر ومكتف بذاته، لا يشغل فراغا أو مكانا، بل بالحرى أنه يحتوى كل الأشياء فى ذاته، ومع ذلك فهو سام سموا مطلقا ويفوق فى سموه فكرة الخير ذاتها وفكرة الجمال ذاتها ὑπὸ τὸ ἀγαθὸν καὶ αὐτὸ τὸ καλὸν والإنسان يصل إلى الله لا عن طريق الفهم العلمى λόγων ἀποδείξει إذ لكى ندرك الله يجب أولا أن نصير الله، وهذا مستحيل»، وإنما عن طريق الحدس المباشر νάργεια ، فالله إذن كائن لا يعبر عنه ولا ينطق به.... هو فوق الفكر ولا يمكن الوصول إليه أو إدراكه إلا عن طريق الحدس (أو اللقانة) أو الإنخطاف العقلى، وهنا نلمس إلى أى مدى تأثر فيلون بالإتجاه المعاصر للاستشراف الإلهى. ولو أنه يجب ألا نهمل أن استشراف أو استعلاء الكائن الإلهى مؤيد بوضوح فى علم اللاهوت اليهودى القائم على الكتاب المقدس، حتى ولو لم يكن معبرا عنه فى مصطلحات فلسفية. هذا الاصرار على الاستشراف الإلهى وعلى سمو الله فوق كل ما هو مادى، أدى بالطبيعة كما هو الحال فيما بعد مثلا عند البينوس Albinus وهو أفلاطونى معتدل، ونومينيوس Numenius وهو من الفيثاغوريين المحدثين، أدى إلى تصور كائنات متوسطة من أجل أن نعبر الهوة بين الله نفسه وبين العالم المادى. ويقول فيلون أن اللوغوس أو النوس νοῦς

santamariaegypt.org

هو أعلى جميع هذه الكائنات المتوسطة. وهو كل الله إذ هو *πρεσβύτατος καὶ γενικώτατος τῶν ὅσα γέγονεν* أقدم من كل موجود، وأصل لكل موجود، واللوغوس عند فيلون هو قطعا دون الله ويوضع في مرتبة «ما هو موجود» *ὅσα γέγονεν* التي تحتوي على كائنات أخرى كثيرة إلى جانب اللوغوس حتى ولو كان للوغوس الأسبقية عليها. وعلى ذلك فالتصور الفيلوني للوغوس ليس كعقيدة اللوغوس في علم اللاهوت المسيحي. ولو أنه كان للتصور الفيلوني أثره على المفكرين المسيحيين الأوائل. حقا أن اللوغوس يبدو أنه فهم كما لو كان وجها من وجوه الله، ولكن حتى في هذه الحال لازال الفرق واضحا بين فكرة فيلون عن اللوغوس والفكرة المسيحية عنه. لقد قيل بحق أن فيلون تردد بين مذهب الفردانية Monarchianism (وهو المذهب الذي يعارض فكرة التثليث) ومذهب الأريوسية، لكنه لم يؤيد قط مذهب أثناسيوس. وهذا بالطبع بشرط أن يفهم أنه ليس في مذهب فيلون فيما يختص باللوغوس إشارة إلى إنسان تاريخي. فالصور أو المثل الأفلاطونية أودعت في اللوغوس حتى أصبح اللوغوس هو المحل *τόπος* أو المكان الذي يقوم فيه العالم المثالي أو عالم المثل (الصور) *ὁ ἐκ τῶν ἰδέων κόσμος* وفي هذا المعنى يتفق فيلون مع الفيثاغوريين المحدثين الذين جعلوا الصور (أو المثل) في النوس *νοῦς* . (وقد تأثر نيمنيوس Numenius بالفلسفة الفيلونية). وبالإجمال فإن فيلون يتكلم فقط عن اللوغوس. ولو أنه يميز في اللوغوس بين وجهين أو وظيفتين: *ἐνδιάθετος λόγος* (اللوغوس الكائن في العقل وهو ملكة التصور أو العقل) ثم *προφορικός λόγος* اللوغوس المنطوق به أو التعبير.

الأول يقوم في العالم غير المادي، عالم الصور أو المثل...

والثاني يقوم في الأشياء المنظورة في هذا العالم من حيث هي نسخ للصور غير المادية..

وهذا التقسيم للوغوس يطابق تقسيم للرؤية في الإنسان إلى الكلمة الكائنة (أو الباطنة أو الكامنة في العقل *λόγος ἐνδιάθετος* أو قوة العقل نفسها، وإلى الكلمة المنطوق بها *λόγος προφορικός* أو الكلمة الملفوظة التي تصدر من *νοῦς* كما يصدر المجرى من الينبوع، ومن الأمثلة على التأويل الرمزي عند فيلون أنه وجد في صدرة رئيس الكهنة ذات الوجهين رمزا إلى اللوغوس بنوعيه. هذا اللوغوس هو الأداة أو الواسطة التي بها خلق الله العالم. وقد وجد فيلون ما يشير إلى هذا في أسفار موسى الخمسة : فخلق الله الإنسان على صورة الله *καὶ ἐποίησεν ὁ Θεὸς τὸν ἄνθρωπον κατ' εἰκόνα Θεοῦ* (تك ١ : ٢٧)

santamariaegypt.org

ومما تجدر ملاحظته أنه إذا جاء فى العهد القديم ذكر لملاك الله فى مجال الظهورات الإلهية قال فيلون أن الملاك واللوغوس بمعنى واحد. فإذا ذكر العهد القديم ملائكته كثيرين قال فيلون أن ملائكته هم القوى الذين سنتكلم عنهم بعد قليل. فاللوغوس جوهر غير جسدانى. انه الكلمة غير المادى أو هو صوت الله. ولما كان اللوغوس متميزا فى إدراكنا له عن الله، فهو لذلك أقل مرتبة من الله، وهو خاضع له، وهو أيضا آلة فى يد الله. وقد أفاد فيلون من معنى الحكمة الإلهية كما جاء فى الأسفار الحكيمة. كذلك انتفع أيضا من فكرة الصور أو المثل الأفلاطونية. فاللوغوس إذن هو صورة الله وهو ظل الله، وهو فى ذاته نموذج الخليقة، وانتفع كذلك فيلون من المباحث الرواقية. فاللوغوس هو المبدأ الباطن، وهو فى نفس الوقت المبدأ المستشرف أو العالى فى ناموس العالم. وهو الوثاق الذى يربط الخلائق. ولكن يبدو أن فيلون يقول بسلم نازل للوجود. وبعبارة أخرى، أن اللوغوس عند فيلون متميزا تميزا تاما عن اللاهوت الأعظم أى يهوه. فاللوغوس إذن كائن خاضع له تابع له، وهو كائن متوسط به يعلن الله ذاته، وعن طريقه يعمل... فليس هو كلمة الآب المتحد معه فى الجوهر كما يقول المسيحيون، وليس هو الأقنوم الثانى من الثالوث القدوس، وعلى ذلك فالفلسفة الفيلونية فيما يتصل باللوغوس هى أقرب إلى الأفلاطونية الجديدة منها إلى عقيدة التثليث المسيحية.

وهناك إلى جانب اللوغوس قوى *δυνάμεις* أخرى، أو كائنات متوسطة تابعة لله وخاضعة له مثل قوة الابداع والخلق (*ἡ ποιητική* = creativity) وقوة الحكم والسيادة *ἡ βασιλική* أو الربوبية *κύριος* (وأحيانا تسمى الصلاة goodness والسلطة *ἡ ἐξουσία* = power وقوة العناية *ἡ προνοητική* previdence وقوة التشريع أو التقنين *ἡ νομοθετική* legislation الخ ... الخ ....

ولكن كما يتردد فيلون ـ على ما يبدو ـ بين تصوره للوغوس على أنه وجه من وجوه الله، وبين تصوره له على أنه كائن مستقل، كذلك يتردد أيضا بين تصوره للقوى *δυνάμεις* الأخرى على أنها صفات أو قوة لله تشابه المثل أو الصور (أى أنها وظائف للمثل فعالة) وتصوره لها على أنها كائنات مستقلة نسبيا. ويبدو أن اللوغوس يحتويهم جميعا، ولكن هذا لا يحل الإشكال أو لا يجيب على السؤال، إذا كان لهذه القوى شخصية أو ليس لها شخصية. فإذا كان اللوغوس مفهوما على أنه وجه من وجوه الله (فالقوى) فى هذه الحالة ستكون صفات الله أو أفكارا له، بينما لو كان اللوغوس مفهوما على أنه كائن مستقل نسبيا وتابع لله خاضع له، «فالقوى ستكون أيضا كائنات أو قوى أقل أهمية وأصغر شأنا. ويظهر أن فيلون لم يتوصل مطلقا إلى رأى نهائى أو حاسم فى هذا الموضوع. ولذلك أمكن للدكتور بريشتر Dr. Praechter أن يقول «أن فيلون يتردد بين رأيين تكرر ما يشبههما Analoga فى الكنيسة المسيحية مثل مذهب

santamariaegypt.org

الفردانية Monarchianism ومذهب الأريوسية. لكن مذهبا شبيها بمذهب أثناسيوس غريب عنه كل الغرابة ويتعارض مع وجدانه الديني والفلسفي (١)، ونحن لا يعوزنا كثير من التفكير لأن نتحقق أن فلسفة فيلون لا يمكن أن تقر التعليم المسيحي الخاص بالتجسد. على الأقل إذا ظلّت فلسفته منطقيا مع نفسها. إذ أن فلسفة فيلون تقيم أهمية خاصة للاستعلاء الإلهي -Transcen dence حتى أنها تنفي أي إتصال مباشر بين الله وبين المادة. وحقا أن المسيحية نفسها تصر هي أيضا على الاستعلاء الإلهي Transcendence، وعلى أن التجسد سر، ولكن يجب أن نلاحظ من جهة أخرى أن المسيحية لا تنظر إلى المادة كما تنظر إليها الفلسفة الفيلونية أو الفلسفة الأفلاطونية الجديدة.

ولقد تأثر فيلون بالأفلاطونية، ولذلك قال بثنائية حادة بين النفس والبدن، أو بين العناصر العقلية والعناصر الحسية في الإنسان، وألّح على ضرورة تحرير الإنسان نفسه من سلطان الحواس، الفضيلة عند فيلون هي الخير الوحيد الحقيقي، أما الإنفعالات فينبغي أن يقابلها الإنسان بالتبلد، إن فيلون قد تأثر في أخلاقياته بنظرة الرواقيين والكلبيين، إلا أنه يؤكد أهمية الثقة في الله أكثر من الثقة في النفس، وعلى الإنسان إذن أن يسعى إلى الفضيلة وأن يّجد للبلوغ إلى أعظم نصيب ممكن من التشبه بالله (٢) وهذا عمل باطني، ولذلك فإن فيلون يمقت الحياة العامة لأنها تصرف إنتباه النفس، ويقول أنه يجب على الإنسان أن لا يسعى في سبيل العلم إلا عندما يكون العلم عونا لحياة النفس الباطنية. وثمت مراحل لهذا التطور، فإن الحكمة السمائية أو الحدس intuition المباشر للاهوت الذى لا يعبر عنه، يجب أن يوضع فوق مرتبة المعرفة الذهنية أو التصورية لله. وعلى ذلك تصبح الحالة القابلة للانخطاف العقلي ecstasy أعلى مرحلة من مراحل حياة النفس على الأرض. كما هي الحال أيضا في الفلسفة الأفلاطونية الجديدة (٣).

ويرى بعض المؤرخين أنه كان لفيلون أثر واضح على المفكرين المسيحيين الأوائل إلاّ أن هذا الرأى مبالغ فيه، وإن كان يحتمل أن يكون لفيلون أثره في منهج أوريجينوس الرمزي، ولكن مما لا شك فيه أن مذهب فيلون ساعد على إعداد الطريق أمام الأفلاطونية الجديدة التي تصر هي أيضا على مبدأ استعلاء الله Transcendence استعلاءا تاما، وعلى وجود كائنات متوسطة، وعلى ارتقاء النفس الإنسانية إلى الله، هذا الارتقاء الذى يبلغ ذروته في الانخطاف الروحي. ecstasy.

---

(1) Ucberweg-Praechter, Die Philosophie des Altertums. P. 577

(2) Philo, De Somniis. 123, 149

(3) Philo, De opificio mundi, 50, 144, De humanitate, 23, 168

santamariaegypt.org

مذهب القبلة

قلنا أن فيلون اليهودى أراد أن يوفق بين الدين والفلسفة، أما الدين عنده فهو دين اليهود كما نراه فى العهد القديم. وأما الفلسفة فتركيب من عناصر أفلاطونية ومنها نظرية المثل أو الصور وعناصر رواقية وأخصها مذهب اللوغوس، وعناصر شرقية تظهر فى قوله بفكرة الكائنات المتوسطة. وقد أكدت فلسفة فيلون استعلاء الله Transcendance توكيدا واضحا، وهذا الاصرار على الاستعلاء الالهى هو أيضا من الخصائص التى يتميز بها مذهب القبلة Cabala معدلا حسب النظريات اليونانية وعلى الأخص الأفلاطونية.

ويتألف القبلة من كتابين: الأول ويسمى Jezirah (الخلق) ولربما يكون قد وضع بعد منتصف القرن التاسع للميلاد. والثانى ويسمى Sohar (الضياء) بدأ وضعه منذ أوائل القرن الثالث عشر، وتمت كتابته بمعرفة يهودى اسبانى نحو سنة ١٣٠٠م. وقد تتالت عليه بعد ذلك إضافات وشروح. والمتأمل فى الفلسفة القبلية يتبين له أثر الأفلاطونية الجديدة عليها فى تعليمها بالصدور emanation وبالكائنات المتوسطة بين الله وبين العالم. ولعل مذهب ذلك اليهودى الاسبانى المعروف عند المدرسيين اللاتين باسم ابن جبرول كان من بين السبل التى أمكن للفلسفة الأفلاطونية الجديدة، عن طريقها، أن يؤثر فى تكوين فلسفة السوهار الصدورية.

(ابن جبرول)

هو سليمان ابن جبرول، ويطلق عليه المدرسيون من اللاتين اسم Avicebron فقد كانوا يعتقدون أنه كان مسلما. ولد فى ملجة Malaga نحو سنة ١٠٢١م وتلقى علومه فى سراجوسا Saragossa ومات فى سنة ١٠٦٩/ ١٠٧٠

وقد تأثر ابن جبرول بالفلسفة العربية. وأهم كتبه هو كتاب (نبع الحياة Fons Vitae) وضعه فى الأصل باللغة العربية. ولئن كان الأصل العربى لم يبق إلى الآن إلا أننا نملك الترجمة اللاتينية التى قام بها يؤانس هيسبانوس Joannes Hispanus (Avendeath) ودومينيكوس جود نيساليونس Dominicus Gundissalinus ويتألف الكتاب من خمسة أجزاء. وقد كان له أثر كبير على المدرسيين المسيحيين.

ويظهر أثر الفلسفة الأفلاطونية الجديدة فى مذهب الصدور الذى قال به ابن جبرول، فالله فى رأس سلم الوجود أى أنه فى قمة مراتب الكائنات الروحية، وهو مصدر جميع الكائنات المحدودة، وهو الواحد الذى لا يمكن معرفته بالعقل المنطقى discursive reason ولا يمكن إدراكه إلا عن طريق الحدس intuition الذى يحصل فى حالة الوجد أو الانخطاف العقلى. ecstasy.

وإلى هذا أضاف ابن جبرول نظريته الخاصة بالإرادة الإلهية التى بها خلقت وعنها صدرت جميع الكائنات الدنيا. والإرادة الإلهية مثلها مثل الله نفسه. إنها تسمو على تركيب الهيولى

santamariaegypt.org

والصورة، ولا يمكن إدراكها إلا فى تجربة صوفية باطنية. ولكن ليس من اليسير أن نحدد على وجه الدقة العلاقة بين الله وبين الإرادة الإلهية. على أن التمييز بين الجوهر الإلهى divine essence والإرادة الإلهية divine will هو من الوضوح بحيث يجعل من الإرادة الإلهية أقنوما hypostasis قائما بذاته ولو أنه من جهة أخرى يلاحظ أن الإرادة الإلهية توصف على أنها هى الله نفسه باعتباره فاعلا من خارج adextra، على أنها الله من الظاهر God in his appearance ومهما يكن من أمر، فاللوغوس يستبدل بالاراده. فمن الله وعن طريق الارادة الالهية سواء كانت هى الله بوجه من الوجوه، أو كانت اقنوما قائما بذاته تصدر الروح الكونية cosmic spirit أو النفس الكلية أى نفس العالم world-Soul وهى أدنى مرتبة من الله. وتتألف من المادة (الهيولى) والصورة المادة (الهيولى) الكلية materia universalis والصورة الكلية forma universalis ومن النفس الكلية تصدر على التتالى الأرواح الصرفة pure spirits ثم الكائنات الجسمانية corporeal things.

ومهما يكن من أمر، فإن أهم ما فى مذهب ابن جبرول ليس هو منهج الصدور، بل هو نظريته فى التركيب المادى الهيولى التشكلى العام Universal hylomorphie composition بالنسبة لجميع الكائنات الأدنى مرتبة من الله، وهى النظرية التى استقاها ـ بطريق غير مباشر على الأقل ـ من أفلوطين والتى كان لها أثرها فى أحد تقاليد الفلسفة المدرسية المسيحية، وكما تصدر الصور الجزئية individual forms عن النفس الكلية world-soul كذلك تصدر الهيولى الروحية spiritual matter عن النفس الكلية، التى توجد فى العقل Intelligence وفى النفس الناطقة rational soul وفى الهيولى الجسمانية corporeal matter وعلى ذلك فالهيولى وإن لم تستلزم هى بذاتها الجسمانية corporeality أو الوجود المادى، لكنها هى مبدأ التجديد limitation والتناهى finiteness فى جميع الخلائق، لها التركيب الهيولى التشكلى hylomorphic composition فى جميع الخلائق. والذى يميزها بفصلها عن الله، لأن الله ليس فيه تركيب. وقد أيّد هذا المذهب، مذهب التركيب الهيولى التشكلى العام للخلائق ـ الفيلسوف بونافنتورا Bonaventura مثلا، وهو الفيلسوف الفرنسيسكانى العظيم المعاصر لتوما الأكوينى St. Thomas Aquinas وزيادة على ذلك هنا صور متعددة فى كل كائن بحسب تعدد درجات الكمال. فالانسان مثلا وهو العالم الأصغر Microcosm يمتلك فى ذاته كمالات الموجود المادى corporreality والحياة النامية vegetative والحياة الحسية sensitive life والحياة العقلية intellectual life وكل كائن جسمانى Corporcal being يمتلك الصورة الجسمانية forms corporeitatis لكن لابد أن يعطى علاوة على ذلك مكانه المعين فى سلم الوجود الروحانى. وهذا يتم عن طريق قبوله الصورة أو الصور التى يصبح بها مثلا كائنا حيا أوحيوانا أو كلبا أو ما إلى ذلك...

santamariaegypt.org
لقد قيل أن مذهب ابن جبرول هو الأصل الأول الذى ترتد إليه فى الواقع نظرية المدرسة الأوغسطينية فى تعدد الصور. ولكن مع التسليم بهذا، يجب أن نذكر أيضا أن مذهب ابن جبرول يتفق ومنهج الفلسفة الأوغسطينية، لأن أوغسطينوس نفسه كان يعلم بأن وظيفة الصور الدنيا أن تؤدى إلى الصور العليا. وهذا يصدق أيضا على هذه الصورة التى تتمثل فى المعرفة البشرية، أى أن التأمل فى مراحل الوجود الدنيا يقود الفكر إلى المراحل العليا.

(بن ميمون)

وأهم شخصية بين فلاسفة اليهود فى العصر الوسيط هو الفيلسوف موسى بن ميمون Mimonides ولد فى قرطبة عام ١١٣٥م ومات فى القاهرة فى سنة ١٢٠٤ • وكان قد اضطر إلى أن يهجر اسبانيا المغربية بعد أن أصبحت مكانا لا يلائم الفلاسفة.

وقد حاول ابن ميمون فى كتابه «دلالة الحائرين» Guide of Doubting أن يقيم علم اللاهوت على أساس عقلى فلسفى. والفلسفة هنا هى فلسفة ارسطاليس، فإن ميمون يعتبر الفلسفة الأرسطية أعظم نموذج للقدرة العقلية بين البشر باستثناء الأنبياء.

يقول ابن ميمون يجب أن نتمسك بما يقدمه لنا الادراك الحسى، وما يمكن للعقل أن يبرهن عليه على نحو دقيق، فإذا اشتمل العهد القديم على رواية أو عبارة تتعارض فى وضوح مع قضية واضحة من قضايا العقل، فتلك الرواية أو العبارة يجب أن تفسر تفسيرا رمزيا أو مجازيا. وليس هذا معناه أن ابن ميمون يستبعد التعليم الدينى كلما اختلف عند ارسطو عما تعلم به الكتب المقدسة. فعلم اللاهوت مثلا يقول بخلق العالم فى الزمان من العدم، وهذا معناه أن الله لابد أن يكون خالق المادة. وهو الذى شكلها، وأن العالم لا يمكن أن يكون أزليا. فإذا لم يكن تعليم الكتاب المقدس واضحا، وأمكن أن نبرهن بأدلة من العقل على أزلية العالم، بحيث يبدو جليا أن العكس لا يمكن أن يكون صحيحا، فيلزم فى هذه الحالة أن نفسر الكتب المقدسة تفسيرا يتلائم مع هذه الحقيقة الواضحة. أما وأن تعليم الكتب المقدسة واضح، كما أن الأدلة الفلسفية التى تقدم لإثبات أزلية العالم ليست أدلة دامغة، فيلزم إذن أن نرفض تعليم أرسطو فى هذه المسألة. ولقد كان أفلاطون أقرب إلى الحق من أرسطو، ومع ذلك فقد قال أفلاطون بأن المادة غير مخلوقة. ويرى ابن ميمون أن الخلق من العدم، أعنى خلق المادة وتشكيلها، أمر لا مفر منه مادامت المعجزات التى يعلم بها العهد القديم بوضوح ممكنه. إذ لما كان الله قادرا على أن يعطل قوانين الطبيعة. فهو سيد الطبيعة المطلق، ولا يمكن أن يكون كذلك إلا إذا كان هو الخالق بكل ما فى هذه الكلمة من معنى.

على أن هذا التفسير المجازى لبعض الصور التى يقدمها الكتاب المقدس عن الله، بدا للمتزمتين المتعصبين من اليهود إنه خيانه للكتاب المقدس وبيع له لحساب اليونان أو الأمم. وقد

santamariaegypt.org

ذهب بعض يهود فرنسا فى الاتهام مبلغا بعيدا حتى سعوا إلى محاكمة ابن ميمون عن هذه الهرطقة، والواقع أن ابن ميمون لم ينكر صدق الكتب المقدسة. وإنما قال إنه يمكن أن يكون ثمت مصدر آخر للحقيقة إلى جانب الكتاب المقدس وعلم اللاهوت. وبعبارة أخرى أن موسى ابن ميمون خلع على الفلسفة براءة رسمية. وبهذا زاد من اهتمام اليهود بالفلسفة فى أسبانيا، ولو أن اهتمامه الأكبر لا يزال محصورا فى دائرة علم اللاهوت. ومن هذا كله يتضح أن ابن ميمون لم يكن مطيعا لأرسطو طاعة عمياء. لقد قال أن أرسطو مخطئ فى تعليمه بأزلية العالم. وإذا لم تستطع الفلسفة أن تبرهن على الخلق فى الزمان، فيمكنها على الأقل أن تبين أن الأدلة التى تساق فى تأييد النظرية الأرسطية غير مقنعة وغير صحيحة.

وأثبت ابن ميمون وجود الله بأدلة مختلفة اعتمد فيها بعض الاعتماد على علم الكلام أو اللاهوت الطبيعى عند الفارابى وابن سينا، مستدلا على الله من خلائقه، فالله هو المحرك الأول، وهو الكائن الواجب الوجود، وهو العلة الأولى. وقد أيّد هذه الحجج بعبارات من أرسطو فى الطبيعيات وما بالطبيعة، وإذا كان ابن ميمون قد قال سابقا بمعظم الأدلة التى ساقها القديس توما الأكوينى فيما بعد، إلا أن ابن ميمون كان أكثر من توما الأكوينى اصرارا على عدم انطباق المحمولات الايجابية على الله. فالله فعل محض pure act ليس فيه مادة وليس له فاعلية potency وهو يبعد عن خلائقة بعدا لا نهاية له. وأما فيما يتصل بصفاته، فنحن يمكن أن نتحدث عما ليس فيه لا عما هو، والله واحد، ومستشرف، يفوق العقل transcendent وهناك بين الله والعالم سلم روحانيا من عقول أو أرواح صرفه. ولكننا لا نستطيع أن نكّون عن الله فكرة ايجابية كاملة. ولا شك أن توما الأكوينى يقر هذا كله. ولكن ابن ميمون كان أكثر اصرارا على المنهج السلبى Via negative ومهما يكن من أمر، فإنه يمكن أن ننسب إلى الله أفعالا activites كأفعال الخلق والعناية مثلا بشرط أن نعرف أن اختلاف الأسماء لا يقابله أى إختلاف فى الله نفسه، وأن الله نفسه غير متغير. ويرى ابن ميمون على خلاف ابن جبرول بأن هناك عناية خاصة من جانب الله بالنسبة إلى بعض الخلائق، ولو أن هذا لا يصدق إلا على الناس فقط من بين العالم المادى، والعقل الفاعل active intellect هو العقل العاشر (والعقول ليس فيها مادة) أما العقول المنفعله passive intellects للأبرار فهى خالدة، فإبن ميمون يقصر الخلود على الأبرار وحدهم. لكنه يؤمن بحرية الإرادة التى بها يصبح الناس أبرارا، وينكر تأثير الأجرام السمائية والفلك على سلوك الناس بصورة جازمة قاطعة.

وملاك القول أن ابن ميمون قد أفلح فى محاولة التوفيق بين الفلسفة اليونانية والأرثوذكسية اليهودية أكثر مما أفلح ابن جبرول. وما هو جدير بالذكر أن أثر المذهب الأرسطاليسى فى فلسفة ابن ميمون أكثر وضوحا منه فى فلسفة ابن جبرول.

santamariaegypt org

الاشتراكية فى المسيحية

santamariaegypt.org

الاشتراكية فى المسيحية

ليس مسيحيا من لا يؤمن بالحياة الاشتراكية، لأن المسيحية الحقيقية تتطلب الاشتراكية فى أدق وأكمل صورة لها.

ولئن كان حقا أن المسيحيّة عند ظهورها لم تشأ أن تقدم مذهبا كاملا فى الحياة الإجتماعية، ولم تقحم نفسها فى جدل فلسفى ضد النظم الإجتماعية القائمة، أو تعلن ثورة عليها، إذ أن النظام الإجتماعى فى ذاته ليس هدفا للمسيحية، إلاّ أن المسيحية مع ذلك استطاعت أن تغيّر من نفوس الذين اعتنقوها، فطلّقوا ـ من دون أن يشعروا ـ الأنانية والذاتية والفردانية والإنعزالية وصاروا يحيون فيما بينهم حياة اشتراكية من أعلى طراز...

فقد ورد فى سفر أعمال الرسل «وكان جميع الذين آمنوا (بالمسيح) معا. وكان كل شئ مشتركا بينهم. وكانوا يبيعون أملاكهم ومقتنياتهم ويوزعونها على الجميع على حسب حاجة كل واحد» (١).

ولابد أن هذه الصورة الجميلة التى يصوّرها العهد الجديد للحياة الجمعية فى الكنيسة المسيحية الأولى كانت ثمرة طبيعية لتعليم السيد المسيح ولرسله من بعده، حتى صارت لونا واضحا صارخا بالفارق بين حياة المسيحيين الأوّلين وحياة سائر الناس الذين يعيشون من حولهم.

ويعود سفر الأعمال فيرسم بعض التفصيلات لهذه الحياة الاشتراكية فيقول: «وكان الجمهور الذين آمنوا (بالمسيح) له المجد قلب واحد ونفس واحدة، ولم يكن أحد (منهم) يقول عن شئ من أمواله أنه خاص به، بل كان لهم كل شئ مشتركا» (٢)، ثم يبين بعد ذلك المغانم والمكاسب الإجتماعية الوفيرة التى عادت على المجتمع المسيحى الأول من تنفيذ هذه المبادئ الاشتراكية السامية، فيقول: «فإنه لم يكن فيهم محتاج، لأن كل الذين كانوا يملكون ضياعا أو بيوتا كانوا يبيعونها ويأتون بأثمان المبيعات ويلقونها عند أقدام الرسل، فكان يوزع لكل واحد على حسب إحتياجه» (٣)

ومما له دلالة فى توكيد مبدأ الحياة الإشتراكية فى المسيحية أن رجلا اسمه حنانيا أخطأ الفهم فباع ضيعة له ولم يأت إلى الكنيسة بكل الثمن، بل اختلس بعض الثمن، وجاء بالباقى وألقاه عند أقدام الرسل. وعلم القديس بطرس الرسول بإلهام إلهى بما فعله حنانيا، فغضب الرسول عليه

---

(١) أعمال الرسل ٢: ٤٤، ٤٥.

(٢) أعمال الرسل ٤: ٣٢

(٣) أعمال الرسل ٤: ٣٤

santamariaegypt.org
وأنزل عليه وعلى إمرأته حكم الرب بالموت فى الحال، فمات هو وإمرأته «فوقع خوف عظيم على جميع الكنيسة وعلى جميع الذين سمعوا بذلك»

ولم تكن هذه الصورة قاصرة على المسيحيين الأوائل فى مدينة القدس وحدها، بل انتقلت هذه الصورة لتكون من بين الخصائص المميّزة للمسيحية الناشئة فى كل مدينة وفى كل إقليم(١).

ومن بين ما رواه المؤرخون عن المسيحيين المصريين أو الأقباط، أنهم كانوا يحيون حياة اشتراكية صرفة، بل وطلاّب العلوم الدينية فى مدرسة الأسكندرية اللاهوتية كانوا كذلك يحيون معا بقلب واحد ونفس واحدة، وكان لجميع الطلاب كيس واحد يصرفون منه على حسب حاجة كل منهم، ولم يكن أحد يحسب أن شيئا من المال يخصه لنفسه، إذ كان لهم كل شئ مشتركا..

وعندما قامت الرهبنة بنظامها المعروف، اشترطت الحياة الاشتراكية فى النظام المسمى بنظام الشركة، وقد وضع الأنبا باخوميوس الراهب القبطى فى القرن الثالث للميلاد قواعد هذا النظام، الذى رسم بموجبه أن يحيا الرهبان حياة اشتراكية صرفه: فيصلّون معا ويخدمون سائر خدمات الدير معا، ويأكلون على مائدة واحدة، وكان لكل منهم عمل يخصه وحرفة يمارسها، ولكن جميع الأعمال هى للدير كله من فلاحة وبناء وتنظيف وطبخ وخبز، وعائد كل عمل ليس للراهب الذى قام به، بل لجميع الرهبان معا وللدير بأسره.

ولم يكن مسموحا لأى راهب أن يتوقف عن العمل. فمن يتوقف عن العمل الذى يصلح له، يعاقب وقد يطرد من الدير طبقا للمبدأ المسيحى المنصوص عليه فى الكتاب المقدس «إن كان أحد لا يريد أن يشتغل فلا يأكل أيضا» (٢)

ومن مظاهر الاشتراكية فى الكنيسة المسيحية أنها كانت تُكثر من الفرص التى تجمع بين المؤمنين، فيصلون معا بصلوات مشتركة، وإذا فرغوا من الصلاة كانت تمد لهم الموائد، وكان الجميع يأكلون معا من هذه الموائد التى سميت بالأغابى *ἀγάπη* أى موائد المحبّة. وكان محظورا على أى مسيحىّ أن ينفرد عن الكل بطعام خاص به. ويبدو أن بعض الناس قد انحرف عن هذا الوضع فى الكنيسة الأولى، ولذلك جاء الوحى الإلهى فوبّخهم «لأن كل واحد يبتدر إلى أكل عشاء نفسه فيجوع الواحد ويسكر الآخر (من الأكل) ... وتخزنون الذين لا شئ لهم. ماذا أقول لكم أَأمدحكم. إنى لست أمدحكم» (٣)

---

(١) أعمال الرسل ١١: ٢٧ – ٣٠ (٢) ٢. تسالونيكى ٣: ١٠

(٣) ١. كورنثوس ١١: ٢١، ٢٢

santamariaegypt.org

قلنا أن المسيحية ليست مذهبا إجتماعيا كمذاهب الفلاسفة لأنها لم تهدف إلى إقامة نظام إجتماعى، يعتنقه البعض ويرفضه البعض الآخر، ولكن المسيحية رسالتها الأولى روحية وفردية تتجه إلى إصلاح الفرد وإلى تخليصه من متاعبه وتحريره من خطاياه وتنذره بالتوبة وإصلاح السيرة، وإعادة نظامه النفسى من جديد، ولابد أن يتبع هذا كله ويصاحبه تغيير نظرة الفرد إلى نفسه وإلى غيره وإلى الوجود ثم إلى المجتمع. غير أن النظرة الإجتماعية تجئ فى ترتيب التطور النفسى نتيجة لا غاية فى ذاتها، ولكنها مع ذلك نتيجة حتمية لا مفر منها لمن فهم المسيحية. ونفذت رسالتها إلى قلبه فأحدثت فيه تغييرا وأثرا عميقا فعّالا...

ويترتب على هذا بطبيعة الحال أن كل فرد لم تثمر مسيحيته وتبلغ به إلى الاشتراكية، أو يرفضها إذا طلبت منه، فهو فرد لم تنفذ المسيحية بروحها إلى روحه، ولم تنم بذرتها فى تربة قلبه حتى تصبح شجرة يأوى إليها معه غيره من الناس الذين يعايشونه...

وعلى سبيل المثال... قدّم الإنجيل نموذجا لهذا الطراز من الناس فى شاب طامح للبلوغ إلى المثل الأعلى وتقدم إلى السيد المسيح، وزعم أنه حفظ جميع وصايا الله فماذا يعوزه بعد، وقال له المسيح: «إن كنت تريد أن تكون كاملا فاذهب وبع كل شئ لك واعطه للمساكين فيكون لك كنز فى السماء، وتعال اتبعنى... فلما سمع الشاب هذا الكلام مضى حزينا لأنه كان ذا مال كثير»(١) وعقب السيد المسيح على ذلك بقوله لتلاميذه ولسامعيه: «الحق أقول لكم ما أعسر دخول ذوى الأموال إلى ملكوت الله»... إنه لأسهل أن يدخل الجمل من ثقب الابرة من أن يدخل غنى إلى ملكوت الله، ولما تحيّر تلاميذه من كلامه علمهم أن يتنازل الراغبون فى الصلاح عن أموالهم فى سبيل الخير العام، مشاركة منهم فى إصلاح الآخرين، وخدمة المجموع...

وقد فهم الأباء الرسل هذا الدرس الثمين من المعلم الأعظم ووعوه فى قلوبهم، وتبعوه بعد أن تركوا كل شئ لهم، وانطلقوا تحت إرشاده للخدمة العامة...

وفى كل مجال علموا الناس أن يتجردوا من محبة المال، وأن يكونوا أغنياء فى الأعمال لا فى المال، فقال مار بولس الرسول لتلميذه تيموثيئوس «أوصِ أغنياء الدهر الحاضر أن لا يستكبروا.. وأن يصنعوا خيرا، وأن يكونوا أغنياء فى أعمال صالحة، وأن يكونوا أسخياء فى العطاء كرماء فى التوزيع» (٢).

بل وقد انهالوا بقسوة وعنف على الأغنياء المتبطرين الذين يبخلون بأموالهم عن الفقراء، ويغتصبون أجور العمال الكادحين...

---

(١) لوقا ١٨: ٢٢ – ٢٥ (٢) ١. تى ٦: ١٧، ١٨

santamariaegypt.org

«هلموا الآن أيها الأغنياء ابكوا مولولين على الشقاوات التى تأتى عليكم. إن أموالكم قد فسدت وثيابكم أكلها العث. ذهبكم وفضتكم قد صدئا، وصدأهما سيشهد عليكم ويأكل لحومكم كالنار... ها إن أجرة العملة الذين حصدوا حقولكم التى بخستموهم إياها تصرخ، وصياح الحصادين قد بلغ إلى أذنى رب الجنود. قد ترفهتم على الأرض وتنعمتم» (١)

وهى عبارات لها دلالتها القوية فى مقاومة الظلم الذى يرتكبه أصحاب رؤوس الأموال ضد الشعب من العمال والزراع والكادحين.

وقد يقال إذا كانت المسيحية تتطلب الحياة الإشتراكية فما بالنا نرى بعض الدول المسيحية قد انحرفت عن هذه المبادئ!!! ؟؟؟

نقول، أن المسيحية دين، بينما أن الدولة سلطة حاكمة. وقد لا تتبنّى الدولة كل ما يقول به الدين. ثم أن الدين قواعد يعلنها الله، أما قوانين الدولة فقواعد يرتضيها الناس. وليس كل ما يعلنه الله يرتضيه الناس، ثم أن الدين المسيحى باعتباره دينا يقوم على الرضى والاختيار، فقد دعا إلى الحياة الإشتراكية ولكنها بطبيعة الدين المسيحى اشتراكية اختيارية، لا جبر فيها ولا ضغط، ولكنه مع ذلك لا يمانع الدولة أن تسن القوانين التى تفرض بها الاشتراكية على الناس فرضا، وذلك صونا للأخيار ضد طغيان الأشرار، بل إن المسيحية ترحب بسن مثل هذه القوانين التى تفرض الحياة الإشتراكية الصحيحة وتشجعها...

(١) يعقوب ٥: ١ – ٥

santamariaegypt.org

الشيوعية

لعل أعظم عدو تجابهه المسيحية اليوم هو الشيوعية العالمية فى صورتها الحاضرة. والشيوعية العالمية communism نظرية نادى بها بعض المتطرفين المغالين، ولكنها أصبحت قوة ثورية دافعة ومحركة تحطم المعتقدات السائدة والتقاليد المستقرة، وتقلب النظم التى استتبت منذ زمان طويل، مستعينة فى ذلك بالجدل المنطقى حينا وبالتضليل والمغالطة حينا ثانيا، وبالقوة والعنف حينا ثالثا، وبهذا كله أحرزت نصرا بالغا وغزت الكثير من بلاد الغرب والشرق. وللشيوعية مرسلون ومبشرون يتصفون بالحمية والحماسة والتضحية بالنفس، وفى هذا يشبهون المبشرين الذين نشروا الإنجيل فى أيام المسيحية الأولى. ولكنهم ظهروا فى كثير من البلاد الشيوعية فى أبرز صورة للعداوة السافرة ضد المسيحية وتعاليمها...

والمثل الأعلى الذى تتجه إليه الشيوعية العالمية هو مجتمع عالمى بلا طبقات، يتساوى فيه جميع الناس، ويشارك فيه جميع الناس حسب إحتياجاتهم ذلك عندما تكون وسائل الإنتاج والتوزيع ملكا للجميع. لكن الشيوعيين يعتقدون أن مثلهم الأعلى لا زال بعيد المنال، ولذلك فإنهم يرون فى الاشتراكية Socialism مرحلة فى نصف الطريق إلى الشيوعية العالمية، ولو أنهم مع ذلك يعدون صور الاشتراكية فى بعض البلاد غير الشيوعية أخطر بديل عن الشيوعية الحقيقية، فالشيوعية الحقيقية الكاملة لا توجد بعد حتى فى روسيا نفسها، وذلك فإن حكام روسيا لا يبيحون لأنفسهم أن يدّعوا أن الاتحاد السوفيتى Soviet Union الآن دولة شيوعية، فالاسم الرسمى للدولة الروسية هو «اتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية» "The union of Soviet Socialist Republics" وقد حدد الدستور السوفيتى فى عام ١٩٣٦ الاتحاد السوفيتى بأنه «دولة اشتراكية من العمال والفلاحين» ولكن مهما يكن من أمر هذه الخطوات أو المحطات المتوسطة، فإن الشيوعية الكاملة لن تتحقق فى أقصى مدى لها إلا حين يكون فى العالم كله مجتمع بلا طبقات يملك كل شئ لخير جميع الناس...

santamariaegypt.org

الشيوعية والمسيحية

كانت الشيوعية ولازالت حلما للمثاليين الذين يصوّرون لأنفسهم وللعالم أعظم مجتمع مثالى يتحقق فيه أكبر نصيب من الخير لجميع الناس، وأقل نصيب من الشر. وقد شهد العالم فى عصور مختلفة هذه المحاولات من جانب المثاليين لتصوير أفضل مجتمع اشتراكى مثالى، بل وهناك فعلا بعض جماعات استطاعت أن تحيا معا حياة اشتراكية. ولعل أروع مثال معروف لهذه الحياة الاشتراكية هو الذى وصفه لنا سفر أعمال الرسل حيث نقرأ فيه عن المسيحيين الأولين فى أورشليم «وكان جميع الذين آمنوا (بالمسيح) معا، وكان كل شئ مشتركا بينهم. وكانوا يبيعون أملاكهم ومقتنياتهم ويوزعونها على الجميع على حسب حاجة كل واحد» (١) ونقرأ بعد ذلك «وكان لجمهور الذين آمنوا قلب واحد ونفس واحدة. ولم يكن أحد (منهم) يقول عن شئ من أمواله أنه خاص به، بل كان لهم كل شئ مشتركا... فإنه لم يكن فيهم محتاج.. لأن كل الذين كانوا يملكون ضياعا أو بيوتا كانوا يبيعونها ويأتون بأثمان المبيعات ويلقونها عند أقدام الرسل. فكان يوزع لكل واحد على حسب إحتياجه» (٢) وقد كان هذا العمل من صنع عدد من الرجال والنساء وقعوا تحت تأثير موجة طاغية من حماس روحى. ولا يعد هذا مقدمة أو سابقة للشيوعية العالمية كما نعرفها اليوم. فالاشتراكية المسيحية التى عرفها المسيحيون الأوائل كانت اشتراكية ـ إختيارية ـ فلم يكن هناك إكراه ولا ضغط على أحد ممن اعتنقوا المسيحية حتى يتنازل عن ممتلكاته. أما حنانيا وسفيره فلم يعاقبا بالموت لأنهما باعا حقلهما واحتفظا لنفسيهما ببعض الثمن، ولكن لأنهما وقد قدّما للمالية العامة للكنيسة جزءا فقط من الثمن، ادعيا أنهما قدّما كل الثمن. إذ قد كان للمسيحى كامل الحق فى أن يحتفظ بعقاره وما يملك. فإذا باعه فإن المال الذى باعه به كان من حقه أن يستعمله كيفما شاء وحسبما رآه صوابا. ويبدو أن التجربة التى عاشها المسيحيون الأوائل الذين كان كل شئ بينهم مشتركا لم تدم طويلا أو قل أنها زالت سريعا، حتى أن القديس بولس اضطر أن يجمع مالا من المسيحيين الذين اعتنقوا المسيحية من الأمم لإغاثة المؤمنين فى أورشليم. وبعد ذلك حدث أن أعادت الرهبانية الكرّة. وبمرور الزمن امتلكت الأديرة ممتلكات واسعة، مع أن الرهبان لم يكونوا يملكون لأنفسهم شيئا منها. فالشيوعية المسيحية كانت دائما اختيارية وقائمة على أساس الإكتفاء الذاتى من غير حاجة إلى الإستعانة بأية سلطة خارجية. أما الشيوعية العالمية اليوم فهى جبرية، تفرضها الدولة على المواطنين وبصورة تقتضى تنظيما كبيرا إذا كان لابد لها من أن تعمل بقوة وقدرة ونفوذ...

---

(١) أعمال ٢ : ٤٤، ٤٥

(٢) أعمال ٤ : ٣٢، ٣٤، ٣٥

santamariaegypt.org

على أنه ليس هناك من عدم التوافق بين الشيوعية الإختيارية وبين المسيحية، فقد تكون الشيوعية غير مناسبة أو غير ممكنة عمليا من الناحيتين الاقتصادية والسياسية، ولكن هذا ليس معناه أنها ضد المسيحية أو تتعارض معها، فإنه من الممكن للإنسان أن يكون شيوعيا ومسيحيا في نفس الوقت. بل وهناك مسيحيون يعتقدون أن هناك تلاقيا بين المسيحية والشيوعية أكثر مما هو بين المسيحية والرأسمالية Capitalism (e) وحتى في الدول التى تبنت الشيوعية الماركسية Marxian Communism (e) يوجد كثير من المواطنين الذين يقولون أنهم مسيحيون مخلصون وشيوعيون مخلصون في وقت واحد. وفي روسيا نفسها هناك ملايين من الأعضاء العاملين التابعين للكنيسة الأرثوذكسية يدينون بالولاء والخضوع للدولة السوفيتية. ويقبلون الدولة السوفيتية ويرون فيها نظاما اقتصاديا سليما، ولو أنهم في نفس الوقت يرفضون النظرية الماركسية التى تعتنقها الدولة السوفيتية. وفي بولندا وتشيكوسلوفاكيا Czechoslovakia والمجر Hungary يوجد شيوعيون يحضرون بانتظام القداس... ويداومون على الكنيسة... ويقال أن هناك بين طلاب الجامعة في الصين عددا أمكنه أن يوفق بين المسيحية التى يؤمنون بها والشيوعية التى اعتنقوها...

فإذا كنا نقرر أن المذهب الشيوعي عدو للايمان المسيحي، إلا أننا مع ذلك لا نجد من المستحيل أن يظل الشيوعي المسيحي مخلصا للكنيسة المسيحية، وقد يكون هذا المسيحي الشيوعي واقعا في خطأ شنيع من الناحيتين الاقتصادية والسياسية، ولكن طالما أنه مقتنع أنه يمكنه أن يظل مخلصا للمسيح والشيوعية في وقت واحد، وطالما أنه يسلك في حياته العملية طبقا لدين المسيح، فليس للكنيسة بعد هذا أن تجابهه في صرامة بأن يختار واحد من إثنين «إما المسيح وإما الشيوعية»، ومع ذلك فإن ما يقال بالنسبة للأفراد لا يصدق دائما أن يقال بالنسبة للمذهب أو الحركة التى يدين لها هؤلاء الأفراد بالولاء، فإنه يلزمنا بالضرورة أن نميّز بين الشيوعي كفرد، وبين المذهب الشيوعي ذاته، فقد تقبل الكنيسة في عضويتها من يقول عن نفسه أنه شيوعي، ولكنها لا تستطيع أن تقبل في عضويتها من يتحمس للشيوعية الماركسية، فإن الشيوعية العالمية كما هي معروفة اليوم هي مذهب المتحمسين لكارل ماركس ولينين، وأتباعها يجاهرون بعدائهم السافر للديانة المسيحية...

santamariaegypt.org

الشيوعية الماركسيّة

وإذا كان حقا أن المذهب الشيوعى مذهب منتشر ومعروف فى العالم كله، فمن الضرورى أن نعرف الأسس التى بنى عليها هذا المذهب. فليست الشيوعية مجرد مذهب سياسى أو نظرية إقتصادية، إنها تتألف من مجموعة مبادئ ومعتقدات متلازمة متتابعة معا، يؤمن بها الشيوعيون ويعلّمون بها فى إصرار شديد، ولابد أن تؤخذ معا دون تساهل في قبول واحد منها دون غيره، شأنها شأن عقائد المسيحية التى يلتزم بها المسيحى معا ولا يترك منها شيئا. وينظر الشيوعيون إلى المنشور (البيان) Manifesto الذى أصدره كارل ماركس Karl Marx وأنجيلز Engels فى عام ١٨٤٨ وإلى كتاب «رأس المال» Capital لكارل ماركس وإلى مؤلفات لينين (وان كانت هذه الأخيرة تأتى فى المرتبة التالية) وكأنها الكتاب المقدس عند المسيحيين، وعلى أنها تحتوى على دستور الإيمان الذى لا يستطيع الشيوعيون أن يخرجوا عنه.

و(المادة الأولى) .. فى دستور الماركسية هى أن العالم المادى هو الحقيقة الرئيسية والأساسية. ولا شك أن المسيحية لا تتجاهل المادة أو العالم المادى، ولكنها تعلّم بأن الأشياء المادية مخلوقة من الله، وأنها وإن لم تكن كل شئ لكن الله يستخدمها، والكائنات العاقلة تستغلها وتستعملها، وأن العالم ليس مادة فحسب، ولكن الروح والروحيات تنفذ إلى العالم المادىّ. أما الشيوعيون فيقولون أن الأفكار والتصوّرات ideals تنشأ من المادة وتصدر عنها. وأنه ليس ثمت حقيقة فى غير المادة. ليس هذا معناه أن الشيوعيين الماركسيين ليس لهم أفكار أو مثل عليا، أو أنهم لا يكترثون بالفن أو التمثيل أو الموسيقى وسائر مناحى الحياة التى تعرف غالبا أنها روحية، ولكنهم يؤمنون بأن هذه المناحى هى نتيجة المادة وأنها تعتمد فى وجودها على المادة. وإذا كانت جميع الأفكار والتصورات كلها تصدر من المادة، ومن بينها الفن بل والديانة نفسها، فيتبع هذا كما يقول الشيوعيون أنه لا يوجد إله ولا وحي ولا حياة آخرة. وعلى ذلك فالديانة فى نظرهم ضلال عظيم وهى التى تخلق الخوف فى الناس، وهى حيلة تخدع الفقراء والمظلومين، وهى المخدر أو الأفيون opium الذى يمنعهم من أن يثوروا ضد المظالم والبؤس التى يعانونها.

و (المادة الثانية)... فى دستور الماركسية هى أن مفهوم التاريخ هو صراع بين القوى الإقتصادية، وهنا نأتى إلى جانب أشدّ جوانب الماركسية صعوبة وهى الجانب الجدلى dialectic. والجدل هو الحوار والصراع بين النزعات المتعارضة والحركات المتباينة، والجدل يتألف من «موضوع» (thesis) وهو تقرير أو إثبات لمسألة ما، ثم «مايضادّه» (antithesis) وهو معارضة ونقد للموضوع الأصلى. ومن المناقشة والصراع ينجم «التركيب» (Synthesis) وهو

santamariaegypt.org
تقرير لقضية جديدة يتولد من الصراع بين «الموضوع» (thesis) و «ما يضاده» (antithesis) وهو نتيجة تختلف عن كليهما، لكنه يحتفظ بما هو حق فيهما. هذا «التأليف» (synthesis) يصبح هو بدوره «الموضوع» (thesis) وسيتعرض حالا لنفس عملية النقد والتحول التى تعرض لها «الموضوع» الأول. على أن ماركس Marx لم يقصر هذه العملية «الجدلية» على الحوار العقلى، لكنه طبّقها على التاريخ كله. وعنده أن خلال التاريخ هناك حركة دائمة movement وليس ثمت شئ ساكن (مستقر ثابت) (statie) ولا يزال المجتمع المستقر يتعرض للهجوم والنقد حتى ينهدم، ويحل محلّه نظام آخر. ومع أنه قد تحدث عدة تغيّرات صغيرة فى كل فترة طويلة، لكن هذا التغير لا يمكن أن يستمر بلا حدّ، فلابد أن تأتى لحظة تحدث فيها قفزة إلى الأمام، ويظهر شئ جديد، يختلف عن سابقه، نوعا وليس كمّا...

و(المادة الثالثة)... فى دستور الماركسية، أن حركة التاريخ هذه تعزى إلى صراع متصل على امتلاك وسائل الإنتاج، والتبادل على مفتاح التاريخ عند ماركس هو فى التغيرات التى تمت فى امتلاك وسائل الإنتاج والتبادل والسيطرة عليها. وقد كان المؤرخون فيما مضى يفسرون التاريخ على أنه سجل للصراعات السياسية والإجتماعية والقومية، أما ماركس فلم ير فى هذه الصراعات إلاّ الصراع بين القوى الإقتصادية المتنازعة. ولا شك أن ماركس قد ساهم مساهمة قيّمة فى فهم التاريخ بإبرازه العوامل الإقتصادية التى أهملها المؤرخون القدامى إهمالا يكاد أن يكون تاما. لكنه قد غالى فى نظريته وتطرّف فى رأيه، إذ عزى «جميع» تغيرات التاريخ إلى أسباب اقتصادية، وادعّى أن العقل البشرى، والقانون، والدين، وكل شكل من أشكال الحضارة، كلها ليست إلا بناء أقيم على أساس إقتصادى ضخم. فإذا اتخذنا تحفظات كثيرة فى نظرية ماركس، وأخذنا فى الإعتبار أيضا العوامل غير الإقتصادية التى كان لها - ولابد - أثرها فى التغيرات التاريخية، يبقى بعد ذلك أن نقول أن نظرية ماركس على درجة عظيمة من الأهمية، تلك النظرية التى يقرر فيها «أن العامل الاقتصادى أساسى بالنسبة لكل النظم الإجتماعية، وعلى الخصوص بالنسبة لتطورها التاريخى» وقد قال هانت Hunt عن نظرية كارل ماركس «إنها تركت أثرا عميقا. وجميع الكتاب المحدثين مدينون له حتى لو لم يعلموا ذلك. وأى عود لما قبل نظرية ماركس الإجتماعية لا يمكن تصوّره» (١) هذا والوضع الإقتصادى الحاضر يوضح هذه النزعة الإقتصادية الجدلية للتاريخ فلقد قوض النظام الاقطاعى (Feudalism) حتى أخلى سبيله للرأسمالية (Capitalism) والرأسمالية بدورها تهاجمها الآن طبقة الدهماء (Proletariat) (٢)

(1) R.N. CAEW HUNT, The Theory and Practise of Communism' P. 42

(٢) أصل الكلمة فى اللاتينية Proletarius «المواطن من أدنأ الطبقات، الذى يخدم الدولة لا بممتلكاته بل بأولاده فقط».

santamariaegypt.org

وسيوالى هؤلاء الدهماء حملاتهم إلى أن تمحى الرأسمالية وتحل محلها الاشتراكية Socialism التى فى ظلها سيمتلك العمال وسائل الإنتاج والتوزيع، ويعتقد ماركس أن التطور من نظام العبودية أو الرق Slavery إلى الاقطاع، ومن الاقطاع إلى الرأسمالية ومن الرأسمالية إلى الاشتراكية، أمر لا مفر منه. ولكن هذا التطور لن يكون تطورا تدريجيا بطيئا إذ لابد للتغير النهائى أن يجئ نتيجة لثورة. هذا الاعتقاد فى الشيوعية أنها أمر لا مفر منه كان ولازال ملهما لملايين من الناس. أنه اعتقاد مشجع فى وسط الصراع العنيف، أن يعرف المكافح أنه لابد له من أن ينتصر، وإذا كان هناك تخوف من أن يؤدى هذا الاعتقاد إلى تقليل الجهد، لكن الذى يزيل هذا التخوف اعتقاد قوى فى أن يوم النصر يعتمد على غيرة أولئك المكافحين فى سبيل النظام الجديد، وعلى جهودهم. فمع أن النظام الجديد لابد أن يأتى، إلاّ أن مجيئة يتقدم أو يتأخر تبعا لجهود أولئك الذين يكافحون فى سبيل تحقيقه، ومدى إهتمامهم وإخلاصهم. وقد تنبأ كارل ماركس بهذا فى الفقرة الأخيرة من الفصل الذى كتبه عن: «النزعات التاريخية لتكّدس رأس المال» فى كتابه «رأس المال» قال: «كلما نقص على التوالى عدد أقطاب رأس المال الذين يغتصبون ويحتكرون كل إمتيازات عملية التحوّل هذه، نمت جحافل البؤس والجور، والعبودية (الاستعباد)، والتجريد، والاستغلال، لكن مع هذه أيضا تنمو ثورة الطبقة العاملة، وهى الطبقة التى تزداد دائما فى أعدادها، وتتهذب، وتتحد، وتنتظم بفعل ميكانيزم (آلية) عملية إنتاج رأس المال. فاحتكار رأس المال يصبح قيدا على طريقة الإنتاج، الذى نشأ منه وازدهر معه وتحت ظله. ومركزة وسائل الإنتاج والتكييف الاشتراكى للعمل يصلان أخيرا إلى نقطة يصبحان فيها متعارضين مع غلافهما الرأسمالى. فينفجر هذا الغلاف ويتهشم. ويدق جرس الموت.. للملكية الرأسمالية الخاصة. ونازعو الملكية تنزع منهم ملكيتهم» (١)

و(المادة الرابعة)... من دستور الماركسية هى أنه يجب أن يكون هناك صراع طبقى متصل لا يهدأ بين طبقة الرأسماليين أصحاب رؤوس الأموال وبين طبقة الدهماء (proletariat) ولكى يحصل العمال على حقوقهم العادلة يجب إلغاء الرأسمالية. ولما كان ملاك وسائل الإنتاج لا يمكن أن يسلموا فى ممتلكاتهم بإختيارهم، وجب أن تؤخذ منهم بالقوة. أن الرأسمالية هى العدو اللدود. ويسوق كارل ماركس فى سبيل تأييد نظريته حجتين : الحجة الأولى : وتختص بالريع أو الثمن الفائض (العائد Surplus value) يذهب ماركس فى هذا مذهبا اشتد حوله الخلاف، فيقول أن العمل (labour) هو الذى يخلق ويوجد الثمن كله، على أن بعض الثمن يعود ثانية إلى العمل

(١) رأس المال Capital صفحة ٧٨٨ طبعة (.Swan Sonnenschein & Co).

santamariaegypt.org

أو العمال فى شكل أجور. ولكن الباقى من الثمن يحصل عليه صاحب رأس المال لإستخدامه الخاص. هذه النظرية لا يقبلها معظم الاقتصاديين فى الوقت الحاضر، فهؤلاء يعلمون بأن الثمن يوجده تنظيم الأرض والمواد الخام وإدارتها وإستغلال وفوراتها كما يوجده العمل، فالقائمون على هذه كلها، لهم حق الاشتراك فى الفوائد. وحجة ماركس الثانية: ولعلها أقوى من الأولى، هى بيانه للظلم والبؤس الناجمين غالبا من استخدام القوة التى تنتج عن امتلاك وسائل الإنتاج، إستخداما بغير ضمير. ويقدم ماركس حشدا من تحقيقات رسمية عن مساوئ النظام الرأسمالى، كما شوهد فى المناجم والمصانع فى النصف الأول من القرن التاسع عشر. وعلى الرغم من أن أسوأ شرور الرأسمالية قد قضى عليه فى معظم بلاد العالم، إلا أن دعاة الشيوعية يواصلون إثارة الكراهية والسخط ضد رأس المال الخاص. ويدعون إلى أنه لا يمكن أن يقوم مجتمع العدل ما لم تلغ الملكية الخاصة. وتصبح وسائل الإنتاج والتبادل فى حيازة الشعب، وتستخدم لصالحهم.

و(المادة الخامسة) ... من دستور الشيوعية الماركسية: كل شئ يجب أن يعتبر ثانويا بإزاء التصميم على إبادة الرأسمالية، وخلق الدول الشيوعية...

هذه المادة تتبع المادة السابقة وتنشأ عنها. يجب أن لا يقف شئ فى طريق إبادة الرأسمالية وخلق الدول الشيوعية. فلابد من نبذ الأخلاقيات التقليدية لأنها نظام أخلاقى وضع لحماية الرأسماليين والبورجوازيين (أصحاب الطبقة المتوسطة من الناس bourgeois) فالحق truth والأمانة honesty والشفقة pity يجب اطراحها إذا كانت تعوق تقدم الثورية. وحيث أنه ليس هناك إله فليس هناك أيضا أخلاقيات مطلقة absolute morality وإنما الخير هو ما ينجح القضية الشيوعية، والشر هو ما يعوق تقدمها.

و(المادة السادسة) ... من دستور الشيوعية الماركسية: أنه قبل أن تنتقل الاشتراكية إلى الشيوعية الكاملة لابد من أن تكون هناك مرحلة متوسطة..

ذلك أن الدهماء الذين تحرروا حديثا وبدأوا يتمتعون بحقوقهم المدنية، لا يمكنهم مرة واحدة أن يواجهوا بنجاح التغيرات الكبيرة التى لابد منها. لذلك ينبغى حماية مصالحهم بديكتاتورية موقوته، هى ديكتاتورية البورجوازيين، فى أنها ديكتاتورية لخير الشعب. إنها ديكتاتورية تحمى النظام الجديد، تحميه من الخونة ومن الرجعيين فى داخل الأمة من أعداء الثورة. ومن الأعداء الخارجيين الذين يهددون بتدمير الدولة الجديدة بالتدخل المسلّح. فلابد إذن أن تكون ديكتاتورية قوية وبلا رحمة فى الدفاع عن سلامة الشعب. هذه الديكتاتورية لا يختارها الشعب ولو أنه تتاح لها فرص مختلفة لتنال تأييد الشعب ومساندته. ولا تزول هذه الديكتاتورية قبل أن يزول نهائيا

santamariaegypt.org

كل خطر مضاد للثورة. على أنه لم يظهر حتى الآن فى الدول الشيوعية أى علامة على قرب إنتهاء الحكم الديكتاتورى منها. على العكس من ذلك يبدو أن هذه الديكتاتوريات قد صارت أقوى وأثبت مما كان. وأقل تسامحا فى سحق أى تهديد بمعارضة من بيدهم مقاليد الأمور، أو أى نقد يوجه ضدهم.

وقد أضاف لينين Lenin إلى مواد الشيوعية الماركسية السابقة مادة أخرى وهى أن الامبيريالية (أو الاستعمار) Imperialis شر يجب أن يتحطم مع الرأسمالية.

لأنه عندما وصل الرأسماليون إلى قمة نشاطهم فى أوربا وأمريكا وامتلكوا كل إمكانيات الاحتكار والتحالف للإنتاج والتوزيع، تطلعوا فى كل مكان إلى حقول أخرى يحصلون منها فوائد كبيرة، وقد وجدوا هذا ميسورا فى البلاد المتخلفة فى أفريقيا وآسيا، حيث لم يتمكنوا فقط من بيع منتجاتهم بل تمكنوا أيضا من الحصول على المواد الخام ومن العمال بأرخص الأجور، لذلك كان لابد لإمتداد الرأسمالية وتوسعها من أن تضمن (توفر) لها أسواقا ليس فيها تقدم إقتصادى، ولعلّ أعظم شرور الثورة الصناعية تجددت فى البلاد التى ليست بها اتحادات تجارية Trade Unions لحماية العمال من الإستغلال، وحيث يمكن للمؤجر أن يضع على العامل ما شاء من شروط. وهنا بدأ الزحف Scramble على المستعمرات وهذا قاد بالقوى الرأسمالية Capitalist Powers إلى المنافسة rivalry التى لابد أن تؤدى أخيرا إلى الحرب. وفى نظر الماركسيين على وجه الدقة. تعزى الحربان العالميتان الأخيرتان إلى منافسات الامبيرياليين (الاستعماريين) واعتداءاتهم أو مبادآتهم العدوانية، لهذا السبب يتخذ الشيوعيون موقف العداء والمقاومة للاستعمار، ويحاولون أن يجعلوا الدهماء فى البلاد المتخلفة على وعى طبقى، ويهيجونهم للتذمر والتضجر ويثيرونهم للثورة باعتبارهم ضحايا الاستغلال exploitation.

والماركسية مبدأ متفائل optimistic creed والإنجيل الذى نبشر به هو أن زمنا طيبا لابد آت. والشيوعيون يعتقدون فى هذا إعتقادا حارا شبيها بإعتقاد المسيحيين الأوائل فى مجئ الرب يسوع.

santamariaegypt org

الفلسفة الوجـوديـة

santamariaegypt.org

الفلسـفة الوجـــودية

يجدر بنا بادئ ذى بدء أن نتحدث عن لفظ «الوجودية» ومعناه قبل أن نسلكها فى عداد المذاهب الفلسفية.

يشتق لفظ الوجودية Existentialism من الوجود existence، ومنه أيضا صفة «الوجودى». وكما أنه فى مذهب الاشتراكية Socialism (e) تكون الأولوية لمصالح المجتمع على مصالح الأفراد، وعلى العكس فى مذهب الفردانية (individualism) تتركز اهتمامات السلطات العامة فى الأفراد، هكذا فى الوجودية تكون الأولوية والأولية للوجود.

ولكن بالنسبة لأى شئ تكون هذه الأولوية؟ نقول إنها بالنسبة إلى الماهية essence.

الماهية والوجود

يميزون عادة فى الواقع من بين الأشياء التى نعرفها بين مبدئين ميتافيزيقيين هما الماهية، والوجود: فالماهية للشئ هى جوهره أو هى ما هو.. وعلى سبيل المثال، هذا ورق، أنا إنسان وامتلك الماهية الإنسانية...

ولكن يجب أن يلاحظ أننى إذ أقول هذا لا أذكر كل شئ بالنسبة لقطعة الورق التى أتكلم عنها، ولا كلّ ما أنا هو، وإنما أعنى فقط كل تلك الخصائص التى يملكها شئ ما بالإشتراك مع الأشياء الأخرى التى من نفس النوع: هذه الخصائص تؤلف الماهية الكلية (universal essence) فإذا أضفنا إلى الماهية الكلّية الخصائص التى يتميز بها كل فرد على حدة صارت الماهية الكلية هى الماهية الفردية (individual essence).

فإذا تكلمنا عن الماهية فقط، فالمقصود بذلك هو الماهية الكليّة، وهذا ما تعنيه التعريفات أو التحديدات. فمثلا الماهية الإنسانية تدخل فيها الخصائص الإنسانية الأساسية، وهى تلك الخصائص التى من دونها لا يكون الإنسان بعد إنسانا، وإنما يصير شيئا آخر- روحا صرفا أو ملاكا إذا لم يكن له جسم، أو حيوانا إذا لم يكن له عقل مفكّر.

والماهية لا تقتضى حتما أن تكون هناك أمثلة فعلية تتحقق فيها. فليس هناك فى كل العالم شكل ذو عشرة آلاف وجه، ومع ذلك فهذا الشكل معروف عند المهندسين والرياضيين، وله عندهم خصائص محددة. وكذلك الكيميائيون والصيادلة يمكنهم أن يتصوروا مواد ليس لها نظائر فى العالم، ومع ذلك يعرفون تماماً تركيبها وخصائصها وفوائدها، وكل ما هنالك أنهم لم يكتشفوا العملية التى تمكنهم من التوصل إلى تركيب عناصرها المكّونة لها.

santamariaegypt.org

فالماهية، من دون كيان، ليست بحال ما على العلم البحث. فالشكل ذو العشرة الآلاف وجه هو أكثر حقيقة من الدائرة المربّعة، والمادة التى يمكن أن تتكون هى أكثر حقيقة من الصيغة التى تضع المواد إلى جانب بعضها، بينما يكون معروفا من قبل أن تركيبها مستحيل وغير ممكن. فمن طبيعة الماهية أن تكون فى نطاق الإمكانية.

وهذه الإمكانية تصبح حقيقة واقعة بفضل الوجود. فالوجود ـ فى الواقع ـ هو ما يحقق الماهية أو يجعلها حقيقة واقعة. واستخدامنا اللغوى للألفاظ يكشف فى وضوح عن هذا التمييز بين مبدئين ميتافيزيقين للأشياء: فعندما أقول «أنا هو إنسان» فإن قولى «أنا هو» يؤكد الوجود، وقولى «إنسان» يعيّن الماهيّة. أمّا فى الله فلا يمكن تمييز الوجود عن الماهية، لهذا يعّرف الله ذاته فى سفر الخروج ٣ : ١٤ بأنه «الكائن»: «أنا هو الكائن» ففى ماهية الله أن يكون موجودا. والله موجود بالماهية والضرورة، ومن التناقض البيّن بذاته أن نفترض أن الله يمكن أن لا يوجد.

أسباب لهذا التمييز

لقد اتجه العقل البشرى إلى توكيد ثنائية المبادئ لإعتبارات خاصة ذات طابع علمى أو يتصل بالمعرفة والمنطق (Epistemology) واعتبارات ذات طابع أخلاقى...

فنحن نلاحظ من حولنا أعدادا كبيرة من أفراد تنتمى إلى نفس النوع (Species) ـ نبات البنفسج ورجل الغراب، فيران وقطط، وكائنات بشرية... وهدف العلم هو معرفة لا الأفراد بل الأنواع ـ أى معرفة لا هذا الفأر بالذات بل الفأر بصفة عامة، لا بطرس أو بولس بل الإنسان. ثم أن العلم يميل إلى التعميم. وهو لا يهتم كثيرا بنوع Species معيّن بل بالأحرى بالجنس genus الذى يشمل عدة أنواع.. فهو يهتم بالقوارض أكثر مما يهتم بالفيران، وبالفقاريّات (ذوات الفقرات) أكثر مما يهتم بالقوارض، وبالحياة أكثر مما يهتم بالفقاريّات. لكن ليس هناك فى عالمنا الذى نعرفه فى تجربتنا إلاّ نباتات بنفسج ورجل الغراب، وهى تعرف بخصائصها التى تميزها عن أفراد أخرى من نفس نوعها. وعبثا نبحث عن نبات البنفسج أو رجل الغراب فى بساطة التعريف الذى يصفه علماء النبات. ينتج من هذا أنه ليس للعلم التجريبى هدف واقعى، لأنه يتجه إلى معرفة الأنواع بينما أنه لا يوجد فى الواقع المنظور غير أفراد. فإذا كان العلم التجريبى يعتبر معرفة للواقع، فيجب أن نقر أن وراء الخصائص الفردية التى تبدو لعيوننا هناك النمط العام للأنواع. أى ماهيتها الجنسية (generic ossence). وهكذا يمكننا أن نتصوّر ماهية واحدة كفيلة بأن تضاعف نفسها إلى عدد غير محدود من أفراد يخرجون إلى الوجود.

santamariaegypt.org
وليست مسألة قيمة العلم هى المشكلة التى تستحق أن نهتم بها كثيرا، إذ من الممكن أن نحيا من دون أن نشغل أنفسنا بتفسير العالم. ولكن لا يمكن أن تقرر فى عبارات مماثلة.

فكل المفكرين يقررون هذا التعريف، أن يحيا المرء أخلاقيا معناه أن يحيا كما يليق به كإنسان. ولكن ما هو هذا الإنسان الذى يجب أن أحيا على مثاله؟ ليس هو بطرس أو اندراوس أو يوحنا، وليس هو نيرون أو كاليجولا. وليس هو الفرد الخيالى الذى تنصهر فيه كل خبراتنا عن الإنسانية، والذى قد يكون هو الإنسان العادى. وإذا كان ذلك كذلك فهو نموذج سئ. إن الأخلاق أو الفضيلة غير ممكنه إلاّ بشرط أن نسلّم بأن هناك وراء الأفراد البشريين الذى لابّد أن تحتّكّ بهم، نمطا أو نموذجا للإنسانية، هو الماهية الإنسانية.

المشكلة، أين هى؟

والآن يمكننا أن نقرر المشكلة التى تضعها الوجودية فى سياق الفلسفة القديمة:

عندما يكون الإنسان هو موضوع البحث، أىّ المبدئين يجب أن نعطيه الأسبقية، الماهية أو الوجود؟

أما الفلسفة القديمة حتى القرن التاسع عشر فلم تشك مطلقا فى أسبقيّة «الماهية» ولكى نميّزها عن الوجودية يمكن أن نصفها من هذه الناحية بأنها «فلسفة الماهية»... وعلى العكس من ذلك الفلسفة الوجودية فإنها تعطى المكان الأول «للوجود»

santamariaegypt.org

يفضّل الوجوديون فى عرض نظرياتهم الأسلوب غير المباشر فى التعبير عن مذهبهم - فهم يقدمون آراءهم فى روايات خيالية فى شكل حكاية novel أو مأساة drama، وذلك فى صحفهم الخاصة وفى كتاباتهم الأخرى التى يمكن أن نجد فيها أصداء للحياة الشخصية.

فقد كانت هذه هى عادة الكاتب الذى يعتبر المنشئ الأول للمذهب الوجودى، والذى يذهب إلى أن الفكر الوجودى لا يمكن نقله إلى الناس، وهو: د. س. كيركجارد Dane Seren Kierkegaard. ولا شك أنه يقدّس المنهج الذى كان يعد فى الأصل صعوبة طبيعية، فكيركجارد لا يهتم بأن يجعل أفكاره محددة، أو بأن يوفق بين الأفكار التى ومضت لعقله فى شئ من الغموض، فهو يقول «إن الرغبة فى تجنب التعريفات فيما يتصل بالمفاهيم الوجودية دليل الحصافة» (١)

ويقول شيستوف Chestov فى كتابة الآنف الذكر «أن كيركجارد يتولاه الفزع والغضب عندما يتصور أن «الأساتذة» سيشرحون فلسفته بعد موته كأنها مذهب مترابط من الأفكار، ينقسم إلى أقسام وفصول وفقرات» (٢). وعلى ذلك يجب أن نقرأ ما بين السطور ونتكهن بما لم يشرحه هو. فهو يقول لنا «أن صفحاته مكتوبة بحبر غير منظور» (٣) ولذلك فإنه يمكننا أن نتصور أن أعماله ستظل ضربا من ضروب التخمين.

وحقا أن المذهب الوجودى فى أيامنا هذه ينتشر فى صورة مباشرة أكثر مما كان فى الماضى. وفى بعض التواليف يعبّر عنه فى أمثلة من الحياة اليوميّة وبشخصيات تظهر على المسرح. ومما يستحق الذكر والتنويه من هذه الجهة كتاب «دم الآخرين» Le sang des autres تأليف سيمون دى بوفوار Simone de Beauvoir، وسنشير إليه من وقت إلى آخر، ومع ذلك فهناك عرض منهجى نجده فى مؤلفات أخرى من أمثال تواليف مارتن هيديجر Martin Heidegger وقد طبع بعضها ونشر فى ترجمة فرنسية بعنوان المحاضرة التى افتتح بها الكتاب «ماهى الميتافيزيقا» Qu'est-ce que la métaphysique وأخيرا وأهم كل تلك التواليف كتاب «الوجود والعدم» l'être et le néant تأليف جان بول سارتر Jean paul Sartre.

---

(1) L. Chestov, Kierkegaard et la philosophie existentielle, pp. 36-37. Paris 1936.

(٢) الكتاب السالف الذكر ص ٣٧

(٣) الجريدة.

santamariaegypt.org

لكن هذه الكتب تفوق فى صعوبتها صعوبة كتب المدرسيين وفلسفتهم البائدة ممن كانت تنتهى تصوراتهم إلى نقط شائكة وكأنها رؤوس الابر. فسريعا ما يخيب أمل القراء. لأنه من المؤكد عمليا أن الذين يتصفون بالصبر حتى يقرأوا كل سطر من كتاب «الوجود والعدم» يعدون على أصابع اليد الواحدة، وأقل منهم عددا الذين يزعمون بأمانة تامة أنهم قد فهموه.

لهذا ليست هناك شروح مباشرة أو نظرية، أو حتى غير مباشرة فى صورة تواليف خيالية، يمكن أن نستخلص منها فكرة الوجودية أو بالأحرى أنواع الوجوديات المختلفة.

إذ فى الواقع توجد أنواع مختلفة من الوجودية بقدر ما أن هناك فلاسفة وجوديين. وسنحاول على كل حال أن نستخلص بعض القضايا العامة المشتركة عند جميع الوجوديين. وسنمضى فى عرض نوعين من الوجودية يختلفان فى حل مشكلة هامة، مشكلة وجود الله.

santamariaegypt.org

الوجودية على وجه الإجمال

الفكرة العامة

الوجودية كما يدل عليها اسمها تتميز أولا وقبل كل شئ: بأنها تميل إلى إبراز أهمية الوجود. فالوجودى لا يهتم بالماهيات أو الاحتمالات أو التصوّرات المجرّدة. إنه على طرف نقيض من العقلية الرياضية. أن اهتمامه يتجه إلى ما هو موجود أو بالحرى إلى وجود ما هو موجود.

ولا ينبغى فى الواقع أن نخلط بين الوجودية وبين أيّة فلسفة أخرى تتخذ نقطة البدء فيها من الفرد individual أو من المادىّ Concrete، والوجودية لا تقنع كما هو الحال مثلا عند برجسون Bergson بالعودة إلى الأشياء فى ذاتها بنوع من الإلهام intuition المباشر. إن الوجودية هى كذلك من غير شك. لكنها أيضا أكثر من ذلك...

فلسفة المادىّ Concrete

تقوم الوجودية أولا وقبل كل شئ، على العودة إلى الواقع الحقيقى. يقول جابرييل مارسيل Gabriel Marcel فى كتابه (Du refus à l'invocation) «من جهتى أميل إلى أن أنكر الصفة الفلسفية الصرفة فى جميع الكتب التى لا أجد فيها أثرا لما يمكن إلاّ أن أسميه بشوكة الواقع»...

وكقاعدة عامة، وتبعا لاتجاهاتنا العقلية التى تمرسنا وتدربنا عليها، نلاحظ فى الأفراد تلك الأشياء التى تجمع بينهم، والتى بها يطابقون نمطهم، فيفلت منا ما هو خاص بذواتهم. فنحن نقترب إليهم بمقولات معروفة سابقا. ومعرفتنا هذه تمنعنا من ملاحظة ما نراه، وبالمثل، فبدلا من ملاحظة حياتنا الداخلية فى أصالتها كما تنبثق هى فينا، فإننا، من أجل أن نحصل على معرفة أوضح، ندخلها بالقوة فى مقولات علم النفس التقليدية، ونحصل بذلك على الوضوح ولكن على حساب الحقيقة.

أما الوجودى فيتخذ الإتجاه المضاد. إنه يشرع فى أن يخرج بكل أمانة فيض حياته الداخلية قبل أن يتدخل العقل فيقحم عليها منطقا لا تملكه من ذاتها. وكما يقول كيركجارد Kierke-gaard إنه يبتغى «أن يدع الأفكار تنبثق مع الحبل السرى منذ حرارتها الأولى، فبدلا من الفكر المجرّد الذى يجعل مهمته الادراك المجرد للمادىّ، على العكس من ذلك، يتخذ المفكر الباطنى أو الوجودى مهمته فى فهم المجرد فهما ماديا» (١) لهذا السبب فإن الفكر الوجودى يعبّر عن نفسه فى روايات ومسرحيات أفضل مما يعبر عنها فى تواليف عقيدية. وفى الواقع «إذا كان وصف الماهية يختص بالفلسفة بالمعنى الدقيق فإن الروايات هى وحدها التى تسمح لنا أن نحصر فى واقعيتها الكاملة الفريدة والمؤقتة. النظرة الأصلية للوجود» (٢)

(1) Kierkegaard, Postscript to pilosophical Fragments.

(2) Simone de Beauvoir , Littérature et métaphysique , published in temps modernes, April lst 1946, P.1160-1161.

santamariaegypt org

الفيلسوف المسيحى أثيناغوراس

١ ـ مقدمة

٢ ـ الدفاع

santamariaegypt.org

أثيناغوراس

كلمة مجملة عن تاريخ حياته

١ ـ هل يعرف التاريخ أثيناغوراس؟

كان أثيناغوراس شخصية فلسفية كبيرة، وعلى الرغم من ذلك فقد أغمطه المؤرخون حقه، ولم يتحدثوا عنه بما هو جدير به من عناية وإهتمام، بل إن أكثرهم لم يشر إليه على الإطلاق، فلم يرد ذكر أثيناغوراس فى مؤلفات أوسابيوس، ولا مؤلفات القديس جيروم أو فوتيوس أو سيداس Suidas، وحتى كتاب الدفاع الذى ألفه يحامى فيه عن المسيحيين قد ذاع وانتشر خلوا من اسم أثيناغوراس، ونسب خطأ إلى القديس يوستينوس من قبل القرن الرابع (راجع دوشسن: النشرة النقدية سنة ١٨٨٢ جزء ٣ ص ١٨٧) (١).

ولكن مع ذلك فقد شاء الله أن يخلد اسم أثيناغوراس، وأن نثق من حقيقة نسبة كتاب الدفاع إليه. وذلك أنه:

أولاً: قد عثر على قائمة بأسماء كتّاب الكنيسة القدامى، وفى هذه القائمة ورد اسم أثيناغوراس الأثينى.

ثانياً: أن مثوديوس Mthodius أسقف صور Jyre (وقيل أولمبيا فى ليسيا Olympie en Lycie) وقد توفى عام ٣١١م ألف فى القرن الثالث كتاباً ضد العلامة أوريجانوس «عن القيامة» *περὶ ἀναστάσεως* (٢) وقد أورد فيه (١: ٣٧) إقتباساً عن أثيناغوراس جاء بصدد تعليمه عن الشياطين فى كتابه (الدفاع ف ٢٤ ص ٢٧ ب) ثم قال صراحة أن هذا النص هو لأثيناغوراس.

كما أن أبيفانيوس ذكر هذا النص فى مؤلفه(عن الهراطقة ٦٤: ٢٠، ٢١مجموعة الآباء اليونانيين مجلد ٤١ ع ١١٠١(٣) وذكره أيضاً فوتيوس فى كتاب القوانين ـ قانون ٢٢٤، ٢٣٤ م ١٠ .ى مجلد ٦٣ع ١١٠٩(٤)(راجع بونفتش: مثوديوس(أسقف) أوليمبوس «ليبزج ١٨٩١) (٥).

---

(1) Duchesne; Bulletin oritique, 1882, t III, P, 187

(٢) عنوان الكتاب باللاتينية De Resurrcotione Animarum وبالإنجليزية (قيامة الأجساد) On the Rosur-rection of the Body.

(3) Saint Epiphane, Haer, LXIV, 20, 21, P. G. TXLI, Col. 1101.

(4) Photius, Bibl, cod 23 4;P .G .T. CIII, God, 110

(5) Bonwetsch, Methodius von Olympus, Leipzig, 1891.

santamariaegypt.org

فالأسقف مثوديوس إقتباسه من أثيناغوراس دل على أن أثيناغوراس شخصية تاريخية كما دل علي أنه مؤلف كتاب الدفاع المنسوب إليه. ودل على أن هذا الكتاب كان معروفاً فى القرن الثالث على الأقل.

ثالثاً : كذلك فيلبس الصيدوى Philip of side يتكلم هو أيضاً عن أثيناغوراس ومع أن معلوماته لايطمأن إليها دائماً كما يقول المؤرخ سقراط (فى تاريخه الكنسى جزء ٧ ص ٢٧ مجموعة الآباء اليونانيين مجلد ٦٧ ، ع ٨٠٠، ٨٠١ (١) وكما يقول فوتيوس (فى كتاب القوانين - قانون ٣٥ مجموعة الآباء اليونانيين مجلد ٦٣ ع ٦٨) (٢) إلا أنه قدم لنا معلومات عن أثيناغوراس جديرة بالإهتمام.

وفيلبس الصيدوى هذا اشتهر فى بامفيليا، وهو من رجال القرن الخامس للميلاد، وكان شماساً للقديس يوحنا ذهبى الفم وقد نبغ فى النصف الأول من القرن الخامس، وكان أولاً تلميذاً للعلامة رودون Rhodon آخر مديرى المدرسة الإكليريكية الأولى فى حكم الإمبراطور ثيئودوسيوس الكبير، ولا شك أنه استقى من أستاذه بعض الوقائع وجعلها أساسا لأقواله.

أ- ففى قائمة أساتذة الإكليريكية الأولى التى سجلها فيلبس - وقد عثر عليها دودول Dod-well يرد اسم أثيناغوراس الأثينى بإعتباره واحدا منهم.

ب - ثم أن هناك آخر لفيلبس (٣) ورد فيه اسم أثيناغوراس وقد ذكره نيكيفورس كالستوس Nicephorus Callistus يقول فيه: «كان أثيناغوراس أول رئيس لمدرسة الأسكندرية نبغ فى زمان أدريانوس وأنطونيوس اللذين كتب لهما «دفاعه عن المسيحيين، وقد اعتنق المسيحية، ولكنه ظل يرتدى زى الفلاسفة، ويدير المدرسة الأكاديمية، وكان يجد - قبل كلسوس - فى الكتابة ضد المسيحيين. ثم درس الكتب المقدسة ليتمكن من تفنيدها بدقة، ولكن الروح القدس جذبه إلى الإيمان. فكان فى هذا شبيهاً بالقديس العظيم بولس، وقد غدا معلماً للإيمان الذى كان قبلا يناهضه» ثم أردف نيكيفورس بعد ذلك قول فيلبس « أن اكليمنضس مؤلف الاستروماتا (المتفرقات) Stromata كان تلميذه (أى اكليمنضس تلميذ أثيناغوراس) وبنتينوس كان تلميذ إكليمنضس».

هذه هى رواية فيلبس الصيدوى وقد رأى فيها بعض المؤرخين من أمثال سقراط وفوتيوس وجوها للخطأ حدت بهم إلى نقد فيلبس نقداً لاذعاً وإلى اعتبار كتابه تافها لا قيمة له.

---

(1) Socrate H. E, VII, 27, p.g.t. lxv III, col 800, 801.

(2) Photuic, bill, cod. 35, p.g.t. C III col 68.

(3) Bonwetsch, Metnodius von Olympus, Leiozig, 1891.

santamariaegypt.org

وهذه الوجوه هى زعمه بأن أثيناغوراس كان مديراً للإكليريكية، وأنه كتب دفاعه فى زمان أدريانوس وأنطونيوس وأن بنتينوس كان تلميذ اكليمنضس وهى مزاعم لا تؤيدها شهادات المؤرخين وسنتناول كلا منها فى حينه.

ومهما يكن من أمر فقد اشتملت رواية فيلبس على حقائق لا ينكرها أحد من المؤرخين وهى أن أثيناغوراس كان معروفاً قبل اكليمنضس وأنه كان أستاذاً بالإكليريكية الأولى، وأنه كان وثنياً ثم صار مسيحياً وكتب «دفاعه» يحتج به عن المسيحيين.

رابعاً : أن أريتاس Arethas أسقف قيصارية، وهو من رجال القرن العاشر للميلاد يشهد كذلك عن شخصية أثيناغوراس بل وقام أيضاً بنقل ونسخ كتبه.

خامساً: يدل عنوان كتاب «الدفاع» على أنه لأثيناغوراس الأثينى (١).

(٢) من هو أثيناغوراس؟

ذهب البعض من أمثال بارونيوس Baronius وتيليمون Tillemont دون الإستناد إلى أدلة كافية إلى أن أثيناغوراس هو الشهيد أثينوجينوس Athenogenes وذهب غيرهم من أمثال تسان Zahn (٢) وهارناك Harnack (٣) إلى أن أثيناغوراس هذا هو بعينه أثيناغوراس الذى أهدى إليه بويتوس - بعد وفاة مرقص أوريليوس - كتابه المسمى: « فى أقوال أفلاطون المزعومة». *περὶ τῶν παρὰ Πλάτωνι ἀπορουμένων*

ولكن هذه المزاعم نشأت عن الإلتباس بين هذه الأسماء المتقاربة، وأما فيلسوفنا فهو رجل أثينى أو ينتسب إلى أصل أثينى، وليس من ينكر صحة إنتسابه إلى أثينا التى ربما ولد فيها، ثم أقام بمدينة الأسكندرية وكان يشغل وظيفة خطيرة بمتحفها، وكان من أساطين الديانة الوثنية ومن أنصار الفلسفة الأفلاطونية المحدثة، حيث كان يدير بالأسكندرية مدرسة فلسفية وثنية تنهج نهج الأفلاطونية المحدثة.

وكان كغيره من الأفلاطونيين يكره الديانة المسيحية ويعمل على مقاومتها، حتى أنه توفر على دراسة الكتاب المقدس لعله يجد فيه منفذا للطعن والنقد، ولكنه لم يكد ينتهى من قراءته حتى ترك فيه أثراً عميقاً جعله يؤثر الدين المسيحى، وقد تحول إليه فعلاً نحو عام ١٧٦م وصار من أنصار المسيحية ومن أكبر المدافعين عنها، إذ عطف على المسيحيين على غرار ما فعل أكثر

---

(١) انظر «مؤلفات أثيناغوراس» : كتاب المحاماه أو الدفاع.

(2) Zahn, Forsch. Zur Gesch. des Kanons, 1884, t. III, P. 60

(3) Harnack, Gesch. Der Altchristle, Lit, 1893, t. I. P. 258.

santamariaegypt.org

معاصرية عن السوفوسطائيين فى أثينا، كما يقول فيلبس الصيدوى، ولذلك لقب «بأثيناغوراس المدافع المحامى» .Athenagoras the Apologist

فلما وثق به المسيحيون قبلوه وعمدوه وعهدوا إليه بمهمة التعليم بالمدرسة الإكليريكية الأسكندرية وظل مع ذلك يرتدى زى الفلاسفة Le Pallium des Philoscphes كما كان قبل إعتناقه دين المسيحية، وبينما يميل بعض الكتاب من أمثال جيريك Guerike إلى إعتبار أثيناغوراس أول أستاذ للإكليريكية، ويشك غيرهم فى صحة هذه القضية وبالتالى فى دعوى فيلبس الصيدوى بأن أثيناغوراس كان مديراً للإكليريكية، ويقولون أن أثيناغوراس كان أستاذاً لبنتينوس واكليمنضس ولكنه ليس أول أستاذ للإكليريكية.

وربما نسبت الأولية إلى أثيناغوراس على أنها أولية من حيث الكفاءة والمقدرة وعلو المنزلة العلمية والإجتماعية، وربما أحدث إنضمامه للإكليريكية تطوراً عظيما طفر به على جميع الأساتذة السابقين، ثم كان بنتينوس وخلفه العظيم اكليمنضس. أما زمان ومكان وملابسات موت أثيناغوراس فلا نعرف عنها شيئاً على الإطلاق.

٣ - مؤلفات أثيناغوراس

عرف أثيناغوراس فى الأدب المسيحى القديم بأنه مؤلف الرسالة إلى ديوجينس وأنه مؤلف هرمياس، ونسب إليه البعض أنه المؤلف لقصة «الحب الحقيقى الكامل» Vrai et Parfait amour. أو «عواطف الحب الشريفة بين ثيوجينوس وشاريد وفيريسيد Pherecyde وميلانجينيه Melangenie وهى قصة أو رواية قيل أنها ترجمت عن اليونانية مع أنها فى الحقيقة قد ألفت فى القرن السادس عشر (١٥٥٠ - ١٦١٢) وطبعت فى باريس سنة ١٥٩٩م بمعرفة مارتين فوميه دوجنيه .Martin Fumee de genille (Signerr, dess. Geuillac) فهى منحولة على أثيناغوراس.

ولابد أن تكون لفيلسوفنا كتب كثيرة لم نهتد إليها، ولكن لم يتبق لنا من كتبه مما نثق فى صحة نسبته إليه غير مؤلفين فقط، وهما «كتاب الدفاع أو الإحتجاج أو المحاماة» ثم رسالة فى «قيامة الموتى».

أولاً: الدفاع أو المحاماة: Πρεσβεία περὶ Χριστιανῶν

للقديس الشهيد يوستينوس كتاب يحتج به لدى الإمبراطورين مرقس أوريليوس أنطونيوس، ولوسيوس أوريليوس كومودوس، وقد حاول البعض أن يخطىء جيروم فى روايته عن احتجاج يوستينوس، ولكننا يجب ألا ننسى أنه قد كتبت فى نحو القرن الثانى والثالث ثلاثة احتجاجات: احتجاج أثيناغوراس، واحتجاج يوستينوس واحتجاج ثاتيانوس. وكل منها احتجاج قائم بذاته.

santamariaegypt.org

١ - صحة نسبته إلى أثيناغوراس:

تدل فاتحة كتاب الدفاع على أنه لأثيناغوراس (١)، وليس ما يدعو إلى الشك فى صحة هذه النسبة، إذ أن أثيناغوراس لم يكن معروفاً لدرجة أن ينسب إليه خطأ تأليف هذا الكتاب، فضلا عن أنه ليس فى الكتاب ما يدل على أن ثمة شيئاً قد حدث فى غير الوقت الذى حدده المؤلف.

وقد رأينا أن مثوديوس أسقف صور وفيلبس الصيدوى ثم أريتاس شهدوا جميعاً بأن أثيناغوراس هو مؤلف كتاب الدفاع المنسوب إليه.

٢ - تاريخ الدفاع:

أ- وجه كتاب الدفاع - تبعاً لنسخة أريتاس الخطية - إلى « الإمبراطورين مرقس أوريليوس أنطونيوس، ولوسيوس أوريليوس كومودوس، (امبراطورى) أرمينيا وسارماطيا، والفيلسوفين قبل كل شىء آخر» (٢) أى أن تاريخ الدفاع يرتد إلى زمان هذين الإمبراطورين.

أما الإمبراطور الأول فليس ثمة إشكال من جهته، فهو الإمبراطور الفيلسوف مرقس أوريليوس ولكن من هو كومودوس؟ هل هو صهر مرقس أوريليوس أو إبنه؟

لقد ظن البعض أن كومودوس الوارد اسمه هنا فى فاتحة الدفاع هو لوكيوس أوريليوس فيروس أخو أنطونيوس وزوج ابنته، وعلى ذلك يكون تاريخ الدفاع لا يمتد إلى أبعد من سنة ١٦٩م. ولكن لوكيوس فيروس لم يسم كومودوس منذ أن اشترك فى الإمبراطورية، كما أنه لم يحمل لقب إمبراطور سارماطيا لأنه توفى سنة ١٦٩م أى قبل إفتتاح سارماطيا إذ نشبت الحرب ضد سارماطيا سنة ١٧٦م. وكل ما يقال أنه ربما كان يحمل لقب إمبراطور أرمنيا منذ عام ١٦٣م. ولكن هذا الافتراض لا يوافق عليه المحققون، وعليه يرى مومسن Mommsen أن هناك خطأ فى النسخ وأن كلمة أرمنيا ἀρμενικοῖς يجب أن تستبدل بها كلمة جرمانيا أو ألمانيا γερμανικοῖς وإذا كان الأمر كذلك ففى هذه الحالة يكون كومودوس هو ابن مرقس أوريليوس. وهذا يوافق إشارات أثيناغوراس فى دفاعه ف ٣٧ حيث يتكلم عن إنتقال الملك بالوراثة من الأب الإمبراطور إلى إبنه، وحدث بالفعل أن الابن خلف أباه فى الحكم إلى ١٩٢م، وقد لقبه أثيناغوراس بالفيلسوف مشركاً إياه مع أبيه فى هذا اللقب تجاوزا.

---

(١) قدم الكاتب بهذه العبارة: «إلتماس (شفاعة) من الفيلسوف المسيحى أثيناغوراس الأثينى، لأجل المسيحيين»

(2) The embassy (πρεσβεία) of Athenagoras of athens, a ehristian philosopher, concerning ehristians, to the emperors marcus aurelius antonius, and Lucus aurelius commodus, armeniaoi Sarmatici, and greatest of all, philosophers.

sahtamariaegypt.org

وإذا كان مرقس أوريليوس قد توفى سنة ١٨٠م، وذكر جرمانيا وسارماطيا لم يظهر إلا فى سنة ١٧٨م، فإن كتاب الدفاع لابد أن يكون نحو سنة ١٧٧م.

ب ـ أما صلب الكتاب فقد جاء فيه بعض إشارات عابرة يمكن أن نستخلص منها على وجه التقريب الزمان الذى يرتد إليه هذا الكتاب.

فثمة إشارات فى الكتاب إلى سلام عميق يسود المملكة، وحيث أنه قد أخمدت ثورة أفيدوس كراسوس سنة ١٧٦م، ثم قامت ثورة ماركونى سنة ١٧٨م، فلابد أن زمان تحرير «الدفاع» بين هذين التاريخين.

أضف إلى هذا أنه فى سنة ١٧٧م ثار إضطهاد على المسيحيين بسبب الشكاوى والإتهامات التى صوبها العبيد إلى المسيحيين، ولكن أثيناغوراس فى كتاب الإحتجاج أو الدفاع لم يشر إلى هذه الشكاوى ولا إلى الإضطهاد المتسبب عنها أى عن شكاوى العبيد مما يدل على أنها لم تحصل قبل تأليف الكتاب.

فالدفاع إذن قد كتب فى تاريخ ينحصر بين سنتى ١٧٦م، ١٧٧م.

٣ ـ كيف قدم الدفاع:

وسم كتاب الدفاع بأنه إلتماس لأجل المسيحيين أو شفاعة عن المسيحيين *πρεσβεία περὶ χριστιανῶν* وربما يدعونا هذا إلى الإعتقاد بأن أثيناغوراس قد اضطر إلى تقديم دفاعه شفاها، ولكن النص يدل على أنه تأليف مقصود، وعلى أنه كتب بتأمل وإمعان فى صيغة متزنة هادئة ولهجة ثابتة رصينة. إنه لم يغلظ القول بل تحدث إلى الامبراطورين باسم الفلسفة، وكان يدلل على قوله بالبراهين مثبتا فساد الإتهامات التى أثارها الوثنيون على المسيحيين مبينا مواضع الاتفاق بين الفلسفة والإيمان.

فالدفاع تحرير مقصود وقد تخير له شفارتزSchwartz اسم «كتيب» Libellus وأطلق عليه أوتو Otto أنه توسل أو ابتهال Supplicatio .

ويظهر أن أثيناغوراس قدم دفاعه هذا بشخصه إما بطريقة رسمية أو بطريقة شعبية أى أنه اصطحب معه وسطاء. كما تدل على ذلك اللفظة اليونانية *πρεσβεία* التى تفيد الشفاعة أو السفارة أو الوساطة على مايرى استفانوس.

٤ ـ محتويات الدفاع:

اشتهر الإمبراطور مرقص أوريليوس بالفلسفة والحكمة والفضيلة، ومع ذلك فقد قبل بلا فحص تلك الإتهامات الكاذبة التى وجهها أعداء المسيحية إليها، بل عذب المسيحيين أشنع عذاب عرف فى التاريخ بعد عهد نيرون الطاغية. وإذ كان يحسبهم قوماً عنيدين إختلت

serihatmariategypt.org
عقولهم، وخلت من الفضيلة قلوبهم، فقد حاول القضاء أن ينكلوا بهم ويحكموا عليهم بقصاصات مريعة، وعقوبات قاسية أليمه وكان يكفى للحكم عليهم أن تقام ضدهم أى شكوى أو إتهام ولو كان من أشر الخلق وأحطهم شأناً. وقد بالغ القضاة فى تلمس أسباب الإتهام حتى يجدوا لهم ذريعة للتعذيب والتنكيل، فقتلوا الكثيرون من المسيحيين فضلاً عن عظماء الأساقفة والكهنة القديسين، كما هدموا الكنائس ولا سيما فى ليون وفينّا، ولذلك امتاز عصر مرقص انطونيوس بكثير من الإحتجاجات التى تقدم بها رجال الكنيسة مدافعين عن المسيحيين، ومن هذه الإحتجاجات الإحتجاج الثانى ليوستينوس الشهيد، وإحتجاج تاتيانوس ثم إحتجاج أثيناغوراس الأثينى، فضلاً عن إحتجاجى ميليتو وابوليناريوس، ثم أن السحرة والعرافين أهاجوا الجماهير وحرضوهم على كراهية المسيحيين، بدعوى أنهم «أعداء الآلهة»، وأنه لغضب الآله عليهم عم الوباء مصر وآسيا وأوروبا، ولقد ذهب أحد مشاهير هؤلاء السحرة ويسمى اسكندر البنطى، وكان بمثابة نبى عظيم، إلا أنه لا يستطيع أن يجرى أعماله السحرية قبل أن يخرج المسيحى الذى قد يكون موجوداً، وكان هذا منه إمعاناً فى إظهار مقته للمسيحيين وتدليلاً على غضب الآلهة عليهم.

ويشتمل دفاع أثيناغوراس على فاتحة (إبتداء من فصل ١ ـ ٣) ثم ثلاثة أقسام غير متساوية، تناول فيها الرد على الإتهامات الثلاثة التي وجهت إلى المسيحيين، فرده على الإتهام الأول استغرق إبتداء من الفصل الرابع حتى الثلاثين (ف ٤ ـ ٣٠)، ورده على الإتهام الثانى يبتدء من ف ٣١ حتى ف ٣٤، ورده على الإتهام الثالث ورد فى فصلى ٣٥، ٣٦، وأخيراً خاتمة موجزة تناولها الفصل السابع والثلاثون.

أما فى الفاتحة، فأخذ يقارن بين المعاملة السخية التى يعامل الأباطرة بها جميع الناس، وبين المعاملة الجائرة التى يعاملون بها المسيحيين فقال: إن لكل فرد فى أنحاء الإمبراطورية ملء الحرية فى أن يعبد الإله الذى يؤمن به، وعلى الطريقة التى يختارها هو، ولكن المسيحيين وحدهم هم الذين يوشى بهم ويضطهدون، ويحكم عليهم من أجل الإسم الذى أطلق عليهم فقط. وينادى بإستعداد المسيحيين لتحمل كل نوع من العقوبة على شرط أن يحقق فى الشكاوى التى تثار ضدهم، كما يفعل مع غير المسيحيين سواء بسواء. ثم هو يرجو الأباطرة بما أُشتهر عنهم من العدل والإنصاف أن يحققوا فى الدعوى ضد المسيحيين، ويفحصوا عقائد إيمانهم ليروا بأنفسهم فساد الإتهامات وبطلانها، ومن ثم يطالب الأباطرة باسم القانون العام وباسم العدالة والفلسفة الحقيقية، أن يعملوا على حماية المسيحيين من هؤلاء الوشاة، الذين أفسدوا شعور الحكام ضد المسيحيين، ولعله يقصد بالوشاة السوفسطائيين من أمثال كريسكنس Crescens وفرونتون Fronton وكلسوس Celsus.

santamariaegypt.org

أما فى صلب الموضوع فيتناول أثيناغوراس الإتهامات الثلاثة التى يتهم بها المسيحيون وهى الإلحاد والمعاشرات الأوديبية وولائم ثيستين.

الإتهام الأول الإلحاد Ἀθεότης

اتهم المسيحيون بأنهم زنادقة ملاحدة وهو أول إتهام من نوعه (١)، وأجاب عنه أثيناغوراس بقوله: إن المسيحيين يعبدون إلهاً يختلف فى صفاته عن آلهة الوثنيين، فهو روح سرمدى (أزلى أبدى) بسيط متميز عن المادة، وهو الخالق الواجب الوجود، وهو وحده المسيطر على الكون، فهو إذن واحد وليس غيره إله. ولكن المسيحيين يعرفون فى هذا الإله الواحد أنه الآب والابن والروح القدس «وهم واحد فى الجوهر متمايزون فى الترتيب» ويعتقدون أن الملائكة فى خدمة الله، وقد وزعهم الخالق على أنحاء الوجود وسلمهم مقاليد وظائفهم، فالمسيحيون مؤمنون بالله وليسوا ملحدين، وإنما هم يعفون عن ضحاياكم الدموية لأن إلههم لا يطلب غير ضحية القلب (٢)، والطهر وحسن السلوك (فلم يشر أثيناغوراس أية إشارة إلى ذبيحة الإفخارستيا كما فعل القديس يوستينوس) فإذا كان المسيحيون لا يعبدون الآلهة الوطنية فلأنهم مخلوقون، ولأنهم ليسوا فى الحقيقة آلهة، بل كانوا بشرا رفعوا إلى مرتبة الألوهة كما يقر بذلك شعراء الوثنيين وفلاسفتهم وكهنتهم ومؤرخوهم، ولئن نسب إلى هذه الآلهة خوارق المعجزات، فإنما يرجع كل هذا إلى فعل الشياطين الذين يضلون البشر، كما يعترف بهذا الفلاسفة أنفسهم، ثم يأخذ أثيناغوراس فى مهاجمة الوثنية وأساطيرها وإعتقادها فى تعدد الآلهة، وما تنسبه إليها من ضروب الشر والغدر والفساد التى لا تليق بإله.

الإتهام الثانى - المعاشرات الأوديبية Αἱ Οἰδιπόδειαι μίξεις

وأجاب عليه أثيناغوراس بقوله إن أخلاق المسيحيين العالية تدرأ عنهم مثل هذا الإتهام الظالم، لأن المسيحيين يعتقدون فى الله أنه رقيب على أفكارهم وحركات قلوبهم، وأنهم سيدانون على كل فكر شرير، وهم يصونون ذواتهم حتى عن النظرة الشريرة، فكم بالأولى يعفون عن الأفعال الدنسة؟... كما أن شريعتهم تقيدهم بإعتبار الأقرباء كنفوسهم، فمن ثم يطالبون بأن يصونوا طهارة جسوم أخواتهم فى دين المسيح.

---

(١) راجع النصوص الواردة فى: .Paganus obrectator de kortholtus Lubeck, (1703)

(٢) راجع مختصر الرسالة إلى ديوجنيتس ٣ مجموعة الأباء اليونانيين جزء ٢ ع ١١٧٢ مختصر أريناوس، ضد الهراطقة ٤، ١٤، ٣ - مجموعة الآباء اليونانيين جزء ٧ ع ١٠١١، مختصر مينوكيوس فيلكس Minucius Felix أوكتافيوس ٣٢، مجموعة الأباء اللاتين جزء ٣ ع ٣٣٩، مختصر ترتليانس، (rad Seap) ٢، مجموعة الآباء اللاتين جزء ١ ع ٧٠٠.

santamariaegypt.org
ثم هم يزدرون شهوات الحياة الحاضرة، والبعض منهم يحيون حياة طهر كامل إذ نذروا نفوسهم لله، واختاروا البتولية واتجهوا إلى الله بالكلية، وبعضهم الآخر وإن تزوج لكن بقصد إنجاب البنين فقط (١)، ويبغضون الزوجات الثانية ويعتبرونها نوعاً من الزنى المتستر، أى أنهم يقنعون بالزيجة الواحدة، وبالزوجة الواحدة.

فليس عند المسيحيين إختلاط أوديبى، وهو فى الحقيقة يصدق على الوثنيين وآلهة الوثنيين لا على المسيحيين، وكأنهم فى إتهامهم للمسيحيين أيدوا صدق المثل القائل : «العاهرة تعير العفيفة»
ἡ πόρνη τήν σώφρονα..

الإتهام الثالث - ولائم ثيستين *Θυέστεια δεῖπνα*

ومعناه إتهام المسيحيين بأكل اللحوم البشرية (L' anthropphagie (Cannibalism وعليه أجاب أثيناغوراس بقوله ليس فى المسيحيين شىء من ثيستين، كما أثبتنا أنه ليس فيهم شىء من أوديب، لأن الإغتذاء بلحوم البشر يقتضى القتل، ولكن المسيحيين لا يمتنعون عن القتل فقط بل يفزعون من رؤية أشخاص ينفذ فيهم حكم الإعدام، كما لو كانوا مشتركين فى جريمة القتل نفسها، وليس ثمة شخص يستطيع أن يدعى على المسيحيين بأنه رآهم فعلاً يتغذون بلحوم البشر. ثم كيف يفعل المسيحيون ذلك وهم يحرمون إسقاط الجنين وتعريض الأطفال لخطر الموت وقتل الأولاد، وألعاب المصارعة، وهى أمور يرتكبها الوثنيون، فأما المسيحيون فيعتبرونها أنواعاً من القتل وهم يمتنعون عنها ويعتبرونها قسوة ووحشية تأباها شريعتهم وديانتهم.

كذلك إعتقاد المسيحيين فى قيامة الأجساد يتنافى وهذا الإتهام، لأنه كيف يستطيع مسيحى يعتقد فى قيامة الأجساد ويرتضى لنفسه أن يكون ضريحا لجسم لابد أن يقوم ثانية؟ وكيف لا يطالب أمام الله برد الأجسام التى قبرها فيه، وهو يعتقد أن التراب ذاته سيطالب برد الأجساد التى يضمها؟ إن هذا الإتهام يصدق على قوم ينكرون القيامة، ولا يصدق على المسيحيين الذى يؤمنون بحقيقة القيامة والدينونة والحياة الأبدية بعد الموت.

وفى الخاتمة يدعو الأباطرة إلى إنصاف المسيحيين والإنصات إلى شكواهم وإجابة سؤالهم بالكف عن إضطهادهم، ولا سيما أن هؤلاء المسيحيين مخلصون للعرش، إذ يصلون من أجل خير المملكة وثباتها، ودوام إنتقال التاج الإمبراطورى فى النسل الملكى من الوالد إلى الابن...

---

(١) *μέτρον ἐπιθυμίας ἡ παιδοποιία*
«ضبط الشهوات فى حدود انجاب البنين، الإنسال»
(راجع ميتوكسيوس فيلكس، أوكتافيوس ٢٨، مجموعة الأباء اللاتين جزء ٣ ع ٣٣٧ ثم اكليمنضس الأسكندرى، المربى ٢، ١٠ مجموعة الأباء اليونانيين جزء ٨ ع ٥١٢).

santamariaegypt.org

٥ - تعقيب... مميزات الدفاع:

هذا هو كتاب الدفاع أو المحاماة الذى كتبه أثيناغوراس فى القرن الثانى، وهو من خير الكتب الدفاعية وأقيمها، كما يقول العلامة بوسويه Bossuet فى (تحذيره للهراطقة: ٦) ففى هذا الكتاب يبرز ما اتصف به أثيناغوراس من الوقار والاتزان فى اسلوبه الهادىء الرصين وبحثه الدقيق المخلص وإطلاعه الواسع وعقليته الفلسفية المرتبة.

لسنا نجد فى هذا الكتاب قولاً نابيا ولا لفظا جارحا وإنما نجد فيه الدليل المقنع والحديث المشبع، أفاض فيه مظهرا صدق رأى المسيحيين وبهتان معتقد الوثنيين بأدلة عقلية ومنطق فلسفى سليم، مؤيدا قوله بأسانيد من نصوص الشعراء والفلاسفة، وبهذا أبان عن مواضع الاتفاق بين العقل والنقل، أو بين الدين والفلسفة كما فعل يوستينوس من قبله، واكليمنضس وأوريجانوس من بعده، ومما يجدر بالذكر أنه لم يقف فى كتابه موقف المدافع فحسب، بل كان يتسلل إلى بيان المعتقد المسيحى بنوع من الإسهاب، ثم ينقلب فى هدوء إلى مهاجم للوثنية فبين أن هذه الإتهامات التى وجهها الوثنيون إلى المسيحيين كان أولى منهم أن يوجهوها إلى أنفسهم أولاً، لأنهم هم الذين يرتكبون أفعال القسوة والوحشية ويسلكون بالخلاعة والفساد ويعبدون غير الإله الحقيقى، كما أننا نجد فى هذا الكتاب أول برهان عقلى على وحدانية الله فى الأدب المسيحى.

٦ - دفاع أثيناغوراس ودفاع القديس يوستينوس:

ولكن هل كان أثيناغوراس فى دفاعه ناقلاً أو متأثراً بأقوال غيره من المؤلفين؟ لقد زعم فريق من الباحثين إلى أن أثيناغوراس كان متأثراً جد التأثر بدفاع القديس يوستينوس، حتى أن التشابه الكبير بين الدفاعين يبعد أن يكون من قبيل الصدفة المحضة أو الإتفاق البحت، فكل منهما كتب يدافع عن المسيحيين مبينا أنه لامأخذ على المسيحيين فى شىء، وأن المسيحيين لا يضطهدون إلا من أجل جريمة الإسم المسيحى الذى يحملونه وهى فى الحقيقة لا تعد جريمة إذا كان هناك عدل أو إنصاف. وكل منهما حاول أن يدفع عن المسيحيين تهمة الإلحاد، وأبان بطريقة مماثلة للآخر بطلان العبادات الوثنية، والضحايا الدموية، وكل منهما تكلم عن الأخلاق المسيحية، وأشاد بالعفة وأن القصد من الزواج عند المسيحيين إنجاب البنين فقط. ثم أن سبب سقوط الملائكة يكاد يكون واحدا عند كليهما. على أن الإتفاق بين أثيناغوراس ويوستينوس فى دفاعيهما ليس إتفاقاً فى الروح والفكر فحسب، بل فى اللفظ أحياناً، ففى كتابيهما فقرات تكاد أن تكون واحدة، وقد وردت فى بعض المواضع عبارات بنصها. ويبدو هذا الإتفاق على الخصوص عند مراجعة فاتحتى الدفاعين، وهذا هو ماحدا بالكاتب كلاريس Clarisse أن لا يرى فى أثيناغوراس غير مردد ومنظم وملخص لما أورده يوستينوس فى دفاعه (١) فهو عنده فى صورة الناقل أو الحاكى الذى لم يأت من عنده بشىء جديد.

---

(١) ترجم دفاع الشهيد يوستينوس فى مجلة الكرمة مجلد ١٣ ص ١٩٠، ٢٥٦، ٣٠٤، ٣٥٠، ٤١٣، ٥٣٠.

santamariaegypt.org

ولكن هذا الزعم وهم باطل وحكم ظالم عاطل ولا نجد مبرراً له، إذ لابد لكاتبين يكتبان فى موضوع واحد ويعالجان مشكلة فى عصر يكاد أن يكون واحدا، ويردان على إتهامات تصوب من أعداء دين واحد، لابد أن يلتقيا فى الفكر فى أكثر من موضع، وعلى ذلك فنحن لا ننكر وجوه الإتفاق التى تَحدّث عنها كلاريس، بل نضيف إليها أيضاً أن أثيناغوراس فى دفاعه كان يطالب نظير القديس يوستينوس بأن يعامل المسيحيون معاملة الوثنيين، فلا يعاقبون على جريمة دون أن يثبت التحقيق أنهم اقترفوها بالفعل، وأن الاسم المسيحى ليس فى ذاته خيرا ولا شرا، فلا يصح أن يضطهد المسيحى لأنه يحمل اسم المسيح، بل يجب أن يعاقب إذا كان قد ارتكب شرا. كما أنهما دفعا معا تهمة الإلحاد عن المسيحيين قائلين: أن المسيحيين لا يكفرون بالإله الواحد السرمدى، وإنما يكفرون بآلهة الوثنية، وإذا كان الوثنيون أنفسهم على غير الحق فى إحترام آلهة بعينها، فكيف يلومون على المسيحيين إذا كانوا يقفون موقف بعض الوثنيين على الأقل فلا يؤمنون بآلهة الوثنيين الآخرين. وكيف تكون الآلهة الوثنية آلهة حقيقية وهى مخلوقة، كما أنه تنسب إليها أفعال الدنس والخبث والشر التى لا تليق بالآلهة. كذلك أثبت أثيناغوراس ما أثبته القديس يوستينوس من أن أعمال الفساد والضلال والعبادات الوثنية والهرطقات هى من فعل الشياطين، وأن المسيحيين ينتظرون ملكوتا أبديا، ولابد أن يدان الناس جميعاً من الله الفاحص القلوب والنيات، ولذا فإن قيامة الأجساد ضرورة لا مفر منها ثم يتبعها الخلود فى أبدية لا نهاية لها.

نقول أننا لا ننكر التوافق بين أثيناغوراس والقديس يوستينوس فى كل هذا، ولكننا نجد أن هذا التوافق فى الفكر أمر طبيعى فى معالجة موضوع واحد فى قرن واحد. ولا غضاضة فى هذا التوافق الفكرى، لاسيما وأن إحتجاج أثيناغوراس قدم لغير من قدم إليهم إحتجاج يوستينوس. فأثيناغوراس وجه دفاعه إلى الأمبراطورين مرقس أوريليوس أنطونيوس، ولوكيوس أوريليوس كومودوس، أما القديس يوستينوس فكتب دفاعه إلى الإمبراطور تيتوس (تيطس) ايليوس أدريانوس أنطونيوس بيوس أوغسطس قيصر وإلى إبنه فبريسيموس الفيلسوف وإلى لوسيوس الفيلسوف والإبن الطبيعى لقيصر، وبالتبنى لبيوس والمحب للعلم، وإلى مجلس الشيوخ المقدس مع جميع الشعب الرومانى.

وعلى الرغم من كل ذلك فبمراجعتنا للدفاعين نتبين وجوه إختلاف عدة بينهما، منها ما يتصل بمنهج الكتابة ومنها ما يتصل بالموضوعات والأسانيد.

أولاً: أما عن منهج الكتابة فلاشك أن أثيناغوراس رقيق العبارة جدا بالنسبة إلى القديس يوستينوس، نظرا لأنه يرى أن إغلاظ القول لا يفيد سوى زيادة الحقد. فهو لا يتهم الأباطرة بالظلم والقسوة، بل يؤمل فيهم العدل والحكمة والإنصاف، وعبارته هادئة غير حانقة، أما

القديس يوستينوس فيتحدث بإسلوب صارم وبروح جديئة غير هيابة، وهو لا يسأل الأباطرة أن يرفعوا الإضطهاد عن المسيحيين كما فعل أثيناغوراس، بل يعلن ترحيب المؤمنين بالإضطهاد والحيف ولكنه ينذر المضطهدين بسوء المصير الأبدى، وهو لا يدافع عن المسيحيين فقط ولكنه يدعو الأباطرة والوثنيين إلى إعتناق المسيحية ويبكتهم على قساوتهم معلناً براءته من مسئوليتهم لأنه قد أنذرهم.

santamariaegypt.org

وثانياً : يختلف الإثنان فى منهجهما من حيث أن أثيناغوراس عقلى أما يوستينوس فنقلى. فأثيناغوراس مع إيراده أحياناً بعض نصوص من التوراة والإنجيل، إلا أنه يكلم الوثنيين، لذلك يؤيد أقواله بنصوص كثيرة من أقوال الشعراء والفلاسفة، حتى ليكاد أن تكون بعض أجزاء دفاعه أسانيد صرفة من أئمة العالم الوثنى القديم، ويورد هذه الأسانيد غير ملخصة، بل كثيرا ما يوردها كما هى بنصها. ولكن يوستينوس على العكس تماماً أى أنه يورد أحياناً شهادات مقتضبة غاية الإقتضاب لبعض العبارات والأسماء الوثنية، ولكنه يفيض جدا فى إيراد النصوص الإلهية من مختلف كتب العهد القديم على الخصوص، حتى تكاد أن تجد فصولا بتمامها ليست غير أقوال الأنبياء العبرانيين.

وثالثاً : يمتاز أثيناغوراس عن القديس يوستينوس فى منهجه التأليفى حيث نرى أثيناغوراس كاتباً منطقياً رائعاً. وقد رتب أحاديثه ترتيباً شهد له به كبار الباحثين، وحتى الذين قالوا أن أثيناغوراس لم يأت فى دفاعه بجديد لم ينكروا عليه أنه مؤلف منظم لتأليفه، وهذا قول حق.

أما وجوه الإختلاف بين الدفاعين من حيث الموضوعات والأسانيد فكثيرة، نذكر منها أن أثيناغوراس أهمل كلية الحديث عن تجسد ابن الله (١) ومعجزاته الخارقات، وميلاده الزمنى وآلامه وصلبه وموته وقيامته وصعوده إلى السماء، ولم يعالج نظرية الفداء بينما تحدث القديس يوستينوس عن ذلك، وعن كرازة الرسل الأطهار، ثم أورد عن كل هذه الحوادث المقدسة أقوال الأنبياء من موسى وأشعياء وأرميا وداود ودانيال وزكريا وحزقيال، معلقا على النصوص بتفسيرات دقيقة يطابق بها بين أقوال الأنبياء وتفاصيل حياة المسيح على الأرض، ومراده من ذلك أن يبين مقام المسيح أنه ليس بساحر بل الموعود الذى تنبأت عنه الأنبياء قبل مجيئه بآلاف السنين، فكتاب يوستينوس سجل مرتب محترم بالنسبة لنصوص التوراة التى تحدثت عن المسيح وميلاده من عذراء على غير الطبيعة، ومكان ولادته ودخوله أورشليم والأشفية والعجائب التى يصنعها، ورفضهم له وتآمرهم ورؤساؤهم عليه والهزء به، وأنواع

(١) ولكنه لم يكن يجد فى تجسد الإله غضاضة، ففى صدد حديثه عن الآلهة الوثنية كان يقول «ولو أن إلها اتخذ جسدا فى سبيل الوصول إلى غرض سماوى (إلهى) فهل يكون لذلك مستعبدا (عبدا) للشهوة» (الدفاع ف ٢١).

santamariaegypt.org
تعذيبه وماعاناه قبل الصلب وبعده تفصيلاً، وعن قوة المسيح وقيامته وعظمته، وعن خراب اليهودية من بعده وإتماما لقوله، وعن عهد السلام الذى يتم للمؤمنين به، وأن المؤمنين به من الأمم أكثر ممن يؤمنون به من اليهود، وعن مجيئه الثانى للدينونة، وبينما يكتفى أثيناغوراس بالحديث عن التثليث المسيحى بنوع من التفصيل، ولا يتكلم عن المسيح إلا فيما يختص به بوصفه الابن الأزلى، نجد القديس يوستينوس يتكلم بوضوح عن وجودين للمسيح، وجود زمانى بميلاده من العذراء ووجود حقيقى سابق على الزمان، ويتحدث عن ظهوراته قبل التجسد فى العليقة أو فى أشخاص الملائكة... ويضرب أمثلة لذلك من العهد القديم (التوراة)، ويقول أن الأنبياء يوبخون اليهود لأنهم لم يفهموا المسيح الذى تنبأوا عنه (أش ١ : ٣).

أما كلام أثيناغوراس عن الشياطين فكلام يحتاج إلى إمعان وتأمل، ويؤيده بأقوال من الفلسفة والدين، وهو مسهب وطويل، بينما لم يتحدث يوستينوس عن الشياطين من حيث خلقتهم ولا من حيث وظائفهم، وسبب عداوة الشياطين لله كما فعل أثيناغوراس، وإنما اكتفى بأن يبين أن عناية الله شملت البشر الذين سقطوا ولم تشمل الشياطين، وأن هؤلاء الشياطين هم الذين نقلوا طقوس العبادة المقدسة إلى الأمم الوثنية إمعانا لهم فى الضلال، فقلدوا العماد والقرابين والهياكل وما إلى ذلك.

وبينما يحاول أثيناغوراس إثبات قيامة الموتى بأدلة فلسفية، يتكلم يوستينوس عن ذلك بغاية الإيجاز ويقول أن الوثنيين وهم يستحضرون أرواح الموتى يثبتون أو يؤيدون حقيقة القيامة التى إن كان يعسر على الإنسان أن يتصورها، فليس يعسر على الله أن يحققها، لأن الذى خلق الإنسان من تراب أو من علق فصار إنساناً كاملاً لا يعسر عليه أمر القيامة.

وبينما يورد أثيناغوراس شواهد من أقوال الفلاسفة والشعراء ليبين التوافق بين الدين المسيحى والفلسفة اليونانية، يزعم القديس يوستينوس أن أفلاطون قد اقتبس من موسى حديثه عن الخلق من المادة، وعن عقاب الأشرار حسب ميلهم وإختيارهم الشر. بل ويقول أن المسيح هو الكلمة أو هو العقل، فهو المتكلم بالحق على أفواه جميع السابقين يونانيين من أمثال سقراط وأفلاطون، أو عبرانيين وهم الأنبياء إبتداء من آدم إلى موسى وسائر الأنبياء اللاحقين، ولذلك فقد قاومهم الذين يقاومون أعمال العقل، وهذا هو سر قتل سقراط وجميع الأنبياء. ثم لقد عنى يوستينوس القديس بما لم يعن به أثيناغوراس فى دفاعه، فتكلم عن كيفية تحول الوثنى إلى المسيحية... وإذن فقد تكلم عن الإيمان وعن سر العماد، مؤيداً ذلك بقول المسيح إن كان أحد لا يولد من الماء والروح فلا يقدر أن يدخل إلى ملكوت الله (يو ٣ : ٥). ويقول أشعياء النبى (أش ١ : ١٢ - ١٦) كما تكلم عن الصلاة والصوم وقوة علامة الصليب، وأنها معلنة فى الأمور الطبيعية، وتحدث عن الصلوات الإجتماعية وطقوس العبادة من قراءة فى الأسفار المقدسة، إلى تعليم شفاهى إلى

santamariaegypt.org
تقديس الخبز والخمر وإستحالتهما إلى جسد المسيح ودمه، وأن ذلك بمعرفة الرئيس الدينى، وتحدث كذلك عن تقديس يوم الأحد والأسباب التى تحدو المسيحيين إلى ذلك، وعن الصدقة التى تجمع وكيف أنها توضع عند الرئيس الذى يوزع منها بحسب حاجات الكنيسة، وتكلم أيضاً عن الصلوات العامة التى تصليها الكنيسة أثناء القداس، من أجل المؤمنين والمعتمدين وسائر الناس، كما تكلم عن القبلة الكنائسية وكيفية التناول من الإفخارستيا، وكيف كان يحمل القربان للغائبين أى المرضى أو المسجونين.

والخلاصة إن التشابه بين دفاع أثيناغوراس ودفاع القديس يوستينوس، لا يعدو أن يكون تشابهاً من حيث أن كلا من الكتابين رد على إتهامات ضد المسيحيين، ومحاولة لرفع نير الإضطهاد الذى لا مبرر له، ولئن إتفقا فى بعض نقط الدفاع، لكنه إتفاق من قبيل التوافق الفكرى، أما منهج الكتابة وأسلوبها وروحها وكثير من الآراء بين الكتابين فيها إختلاف واضح يشهد بما لكل منهما من طابع خاص وبما لكل من الفيلسوفين من شخصية مستقلة فى الفكر وفى الإسلوب

٧ ـ الدفاع والأوكتافيوس:

وزعم كذلك فريق آخر من الباحثين بأن هناك كثيراً من وجوه الشبه بين دفاع أثيناغوراس، وبين كتاب الأوكتافيوس Octavius لمؤلفه مينوكيوس فيلكس (١) Minucius Felix حتى لقد أثيرت هذه المسألة.. أى الكتابين يعتمد على الآخر، الأوكتافيوس أم الدفاع؟....

وقد أنكر كروجر krüger أن يكون أحد الكتابين إعتمد على الآخر بتاتاً، أما جروندرس وايبرت ولوسكة فقد رأوا أن أثيناغوراس أفاد من مينوكيوس فيلكس (٢)، وأما هارناك فبعد أن قال سنة ١٨٨٣ أنه ليس ثمة شىء يثبت هذه العلاقة، عاد وأكد سنة ١٨٩٦ أن مينوكيوس فيلكس هو الذى انتفع من كتاب الدفاع لأثيناغوراس (٣)، وعلى العكس من ذلك أعلن فلهام سنة ١٨٨٧ أن إثبات هذا الإنتفاع أو هذه العلاقة غير ممكن (٤).

---

(١) السعيد مينوكيوس، أول مؤلف لاتينى مسيحى فى القرن الثانى للميلاد، وضع كتاباً أسماه (الأوكتافيوس) ودافع فيه عن المسيحية.

(2) Gundriss der theol, Wissensch aften, P. 87, Ebert, Allg. Gesch. der Lit., 1874, t. I, P. 25, Loesche, Jahrbucher fur Pretest. Theol., 1882, T. VII, P. 168, 178, Grundriss: Fundementals (or an Elementary book) about theological knowledge, Ebert History of Literature Loesche. The Year book about Protest Theology.

(3) Harnack, Teste und Unters., t. 1, fasc. 2, p. 181 en 1883. Harnack, Gesch. der Altchrist. Lit., t.i,p. 288 en 1896.

(4) Breslau philol. Abhandt., 11,1, 1887, P. 71, De Minucii Felicis Octavio et Fertulliani Apologeticc.

santamariaegypt org

ثانياً: رسالة فى قيامة الموتى: Περὶ Ἀναστάσεως Νεκρῶν

١ - صحة نسبتها إلى أثيناغوراس وتاريخ تحريرها:

يدل عنوان هذه الرسالة أو البحث كما وردت فى المخطوطات القديمة على أنها لأثيناغوراس «رسالة أثيناغوراس الأثينى والفيلسوف المسيحى فى قيامة الموتي» وليس من يشك فى صحة هذه النسبة ولا سيما أن أسلوب المؤلف ومنهجه الفكرى يكاد أن يتفق إتفاقاً تاماً مع كتاب الدفاع لأثيناغوراس.

ثم أن أثيناغوراس فى الفصل السادس والثلاثين من كتاب الدفاع، يشير إلى قيامة الموتى، ولكنه إذ يخشى الإطناب يكتفى بهذه الإشارة العابرة ويقول فى ختام الفصل «ولكن فلنؤجل الحديث عن القيامة...» وهذا معناه أن أثيناغوراس قد اعتزم أن يتكلم بالتفصيل عن موضوع القيامة فى بحث خاص... «لئلا يظن بنا أننا نقحم فى بحثنا «الدفاع» أمورا لا توائم ما نحن بصدده»...

فرسالة قيامة الموتى هى لأثيناغوراس، وقد حقق فيها ما وعد به فى كتاب الدفاع، وعلى ذلك فتاريخها يجيء بعد تاريخ «الدفاع» بقليل وهى ترد فى المخطوطات عادة بعد الدفاع.

٢ - موضوع الرسالة أو البحث:

ينتسب أثيناغوراس إلى عصر كان يُنظر فيه إلى قيامة الأجساد بنظرة الشك والريبة، حتى لقد كانت حجر عثرة فى سبيل اعتناق الناس دين المسيح، ولا شك أن أثيناغوراس الأثينى يعلم كيف قوبلت تصريحات القديس بولس عن القيامة بالسخرية الشديدة فى محكمة أريوس باغوس «ولما سمعوا بقيامة الموتى، كان بعضهم يهزأون «بها» والآخرون يقولون: «سنسمع منك عن هذا مرة أخرى» (أع ٢٧ : ٣٢).

أمام هذه الشكوك التى اصطدم بها المعاصرون لهذه البيئات، لم يجد أثيناغوراس بدا من أن يتناول بالبحث موضوع القيامة، فيرد على الإعتراضات التى يثيرها الخصوم، ثم يبرهن على هذه الحقيقة تثبيتاً لإيمان المؤمنين إذ هى قاعدة من قواعد الإيمان «وننتظر قيامة الموتى، والحياة فى الدهر الآتى» (١) (١ . كو ١٥ : ١ - الخ)، (عب ٦ : ٢).

ويظهر من العبارات الختامية (ف ٢٣) أن هذه الرسالة قصد بها أن تكون محاضرة، أُلقيت على مستمعين مثابرين على الإستماع، وهذا ما يدل عليه قوله «ليس غرضنا أن لا نهمل شيئاً يتصل بموضوعنا، بل أن نبين لهؤلاء فى إيجاز، ما هو الرأى الذى يجب أن يتخذوه بصدد

---

(١) لم تعرف هذه القاعدة بهذه الصيغة المحددة إلا منذ سنة ٣٨١ فى مجمع القسطنطينية.

santamariaegypt org

القيامة، كما أن فاتحة الرسالة وترتيب الأفكار فيها، يؤيدان كذلك أنه لم يقصد بها فى بادىء الأمر إلا أن تكون محاضرة، وربما أضاف إليها أثيناغوراس أو تلامذته بضع أشياء عند تنقيحها وتسجيلها على الصورة التى وصلت إلينا.

٣ ـ محتويات الرسالة:

تشتمل الرسالة على قسمين : القسم الأول إبتداء من الفصل الأول إلى العاشر (ف١ : ١٠) يرد فيه أثيناغوراس على الإعتراضات التى تثار ضد إمكانية القيامة، ثم القسم الثانى إبتداء من الفصل الحادى عشر حتى الفصل الخامس والعشرين وفيه يقدم أثيناغوراس الأدلة على حقيقة القيامة.

الإعتراضات على قيامة الموتى:

يُعترض على إمكانية القيامة، إما بأن الله لا يستطيع أن يقيم الموتى، وإما بأن الله لا يشاء أن يقيم الموتى.

فإذا كان الله لا يستطيع أن يقيم الموتى، فهذا يعزى إما إلى نقص فى المعرفة أو إلى نقص فى القدرة. ولكن الله لا تعوزه المعرفة لأنه يعرف أن يخلق الأجساد، فيمكنه بالأولى أن يعيدها إلى الحياة، ثم أن له القوة والقدرة، فإذا كان يقدر أن يخلق الأجساد فإنه يستطيع أن يعيد تأليفها وتركيبها من جديد، حتى بعد أن تحللت وتناثرت واندمجت عناصرها فى الأرض أو فى النبات أو الحيوان أو الإنسان.

فإذا كان الله لا يشاء أن يقيم الموتى، فهذا مرده إما خوفاً من أن يكون فى القيامة ظلم أو حيف يلحق بالموتى المقامين أو بكائنات أخرى. والظلم لا يوافق مشيئة الله. وإما لأن القيامة فى ذاتها أمر شائن أو قبيح لا يليق بالله. ولكن القيامة لا تلحق بالميت المقام ظلما ولا كذلك بغيره من الكائنات، كما أنه ليس فيها ما يشين الله، ولا هى أقل لياقة من عملية الخلق، وإذن فالله يشاء القيامة من الموت كما يشاء الخلق من العدم.

santamariaegypt org

الأدلة على قيامة الموتى :

إن القيامة حقيقة تقتضيها ملاحظة الأمور الآتية:

١ - العلة الغائية :

من غاية خلق الإنسان هى أن يعاين الله وحكمة الله معاينة دائمة، وحيث أن الموت يفصل بين الإنسان وبين هذه الغاية... فلابد من قيامة الموتى حتى تتحقق الغاية من الإنسان.

٢ - طبيعة الإنسان :

وهى تآلف تكاملى بين الروح والجسد أى بين النفس والبدن، ولكن الروح - فيما يقول أثيناغوراس - لا يمكن أن تبلغ كمال حياتها العقلية إلا مرتبطة بالجسم، إذ هى خلقت مرتبطة به وعلى ذلك فالأجساد لابد أن تقوم لترتبط بها أرواحها، هذا الإرتباط الذى تقتضيه طبيعة الإنسان بوصفه مخلوقا من روح وجسم.

٣ - الجزاء الأخروى :

وإذ أن الإنسان كما تقدم - مؤلف من جسد وروح، وحيث أنه يصنع الخير والشر بالروح والجسم كليهما، فعناية الله بالإنسان ثم عدالته جل اسمه تقتضى قيامة الموتى.

أما العناية الإلهية فلأنها تحفظ الروح لحياة خالدة، وهى بالمثل كفيلة أن تحفظ الجسم وتعنى به، فتقيمه من الموت إلى الحياة، وأما العدالة الإلهية فلأن الروح والجسم فعلا الخير والشر معا، وعلى ذلك لابد أن يجزيا معا، فلا تبقى الروح وحدها بل يقوم الجسم ليشاركها الثواب أو العقاب.

٤ - الغاية القصوى للإنسان :

هذه الغاية التى يسعى الإنسان للتحقق بها، وهى الحياة السعيدة مع الله فى الأبدية، لا يمكن أن يدركها فى الأرض، ولما كان بالموت ينحل رباط النفس بالجسد، وينزل الجسم إلى التراب، فلزم أن الجسم يقوم ثانية فيرتبط بالنفس ليتحقق الإنسان بغايته القصوى.

تعقيب ونقد :

هذه كلمة مجملة عن هذه الرسالة أو البحث الذى يطابق دفاع أثيناغوراس، ويلتقى معه فى كثير من النقاط شكلا وموضوعا، إلا أنه ليس بحثا كاملا، فقد أهمل الحديث عن حالة الأجساد المقامة من الناحية الفسيولوجية، ثم من الناحية العالية عن الطبيعة، كما أغفل كذلك وجوه الشبه التى أشار إليها من قبل القديس اكليمنضس الرومانى، والتى أوضحها من بعد مينوكيوس فيلكس والقديس كيرلس الأورشليمى، هذا وأنه لم يأت فيه بصور محسوسة عن القيامة، كالصور التى

santamariaegypt.org
أدرجها ثيئوفيلس الإنطاكى فى بحثة عن أوتوليسوس (١) Autolycus والتى استعان بها ترتوليانوس فى رسومه البديعة التى أوردها فى كتابه «قيامة الأجساد».

ومهما يكن من شأن هذه الملاحظات فإنها لا تنقص من قيمة الرسالة، فهى أول بحث من نوعه فى هذا الموضوع، ولم يَظْهر من قبلها بحث أكثر أهمية وأعظم فائدة منها، فهى ذات قيمة كبرى فى التآليف المسيحية، وقد عالج فيها أثيناغوراس قيامة الموتى، وأفاض فى شرحها وتبيانها بإخلاص للبحث وقوة منطقية رائعة، فلم يعتمد فيها على نصوص من التوراة أو الإنجيل، بل كتبها بإسلوب الفيلسوف الذى يستند فى كل ما يقول إلى أدلة من العقل، وبهذه الخاصية يبرز هذا البحث عن الدفاع لأنه بحث عقلى صرف فلسفى بحت.

٤ - أثيناغوراس الكاتب

يشهد المؤرخون بأن أثيناغوراس يمتاز عن جميع المدافعين فى القرن الثانى إمتيازا واضحا بأدلته السديدة وحججه الدامغة، ومع ذلك فقد قيل أن فى حديثه إمتثالا مغاليا للسلطات القائمة وإفراطا فى إستجداء رضى الأباطرة. لأنه تكلم عن خضوع المسيحيين للملوك وصلواتهم من أجل إنتقال الملكية فى النسل الملكى. ولكن ليس أثيناغوراس وحده الذى كان يلجأ فى دفاعه إلى مثل هذه الأمور، فكل كتاب هذا العصر الكنسيين تقريبا لجأوا إلى هذا، مثال ذلك ما توجه به ملتون (٢) Meliton إلى الإمبراطورية وترتليانس الذى يقول أن الأباطرة الصالحين يحامون عن المسيحية، بينما الأباطرة الأشرار هم وحدهم الذين يضطهدونها (٣) وكل ما يقال أن أثيناغوراس كان أكثر رقة لأنه يؤمن أن إغلاظ القول لا يفيد بل يزيد الحقد والضغينة والكراهية، وأما فيما يتصل بصلوات المسيحيين من أجل الرؤساء فهذا تقليد رسولى، تقرأ إشارة عنه فى رسائل معلمنا بولس (١ . تى ٢ : ١ ، ٢) ونقرأ عنه كثيرا فى كتب الآباء الرسوليين (٤).

---

(١) أوتوليسوس هو ابن هرمس Hermes وكيونيهChione وهو أبو انتيكليا Anticlea التى هى والدة أوليسيس Ulysses وكان يعيش على جبل بارناسوس Mount Parnassus وقد اشتهر بأنه زعيم اللصوص فى العالم القديم.

(٢) أوسابيوس، تاريخ الكنيسة، ٤، ٢٦ مجموعة الآباء اليونانيين مجلد ٢٠ ع ٣٩٦.

(٣) ترتليانس - الدفاع ٥، مجموعة الأباء اللاتينيين جزء ١ ع ٢٩٠ - ٢٩٧.

(4) Saint Clément, 1 Cor LXI, dand Funk, Opera Patr. appost. t. 1, p, 140; Théophile d'Antioche, Ad Autol. 1,11, p. G.g. VL, col. 1041; Tertullien, Apblog. XXX, p.L., t. l, col. 442 - 445; Ad Scap., ll, p. l. t. l, col. 700 Voir Mangold, De Ecclesia primaeva pro caesaribus et magistratibus romanis preces fundente, Bonn, 1881.

وترجمته «الكنيسة الأولى (القديمة) تقدم الصلوات من أجل القياصرة والحكام»

sanjamarlaegypt.org

فأثيناغوراس كاتب مجيد رقيق العبارة، طلى الأسلوب، قوى الحجة، منطقى التفكير له مقدرة ممتازة على الوصف، وله تأثير رائع يشهد بعلمه الواسع بمشاعر النفس الإنسانية، فضلا عن علمه بأفكار العالم القديم، ومؤلفاته تخلو من الحشو، وإن كانت لاتخلو من الجمل الإعتراضية (دفاع ف١، ف٢٠، ف٢٢)، (قيامة الموتى ف ١٨) أحيانا، ولكن هذا يعزى إلى خصوبة تفكيره وإحتشاد الأفكار الكثيرة فى ذهنه فى أثناء الكتابة، الأمر الذى قد يؤدى إلى نوع من الغموض أحيانا، ولكنه على كل حال عقلية فلسفية فذة، ويمتاز فى اسلوبه بالرصانة والقوة.

٥ ـ أثيناغوراس والكتاب المقدس

يقرر أثيناغوراس فى لهجة صادقة أن الكتاب المقدس كتاب موحى به من الله، وهو من نفثات الروح القدس فى روح الأنبياء (راجع كتاب الدفاع ف٩).

وكثيرا ما كان يقتبس أثيناغوراس آيات من الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد، ولكنه يندر أن يوردها بنصها، ولذا يعسر علينا معرفة الترجمة التى كان يستند إليها فى النصوص التى كان يختارها، وربما كانت الترجمة السائدة هى الترجمة السبعينية، وقد كان المسيحيون ينظرون إليها بإعتبار عظيم.

ولكن أثيناغوراس ما كان يشير إلى مواضع الآيات أو النصوص التى يقتبسها من الكتاب المقدس، ولعل السر فى ذلك شهرة هذه النصوص بالنسبة للمسيحيين، وعدم الحاجة إلى معرفة مواضعها بالنسبة للوثنيين. ولا شك أن مثل هذا المنهج فى التأليف يوافق الوثنيين، فهم لا يؤمنون بالكتاب المقدس ولا بالوحى، فلا داعى لأن يدلل على أقواله بنصوص من التوراة أو الإنجيل، وإنما يكتب إلى الوثنيين بلغة العقل والفلسفة، فإذا اضطر إلى إيراد نص من كتاب المسيحيين ليشير به إلى إعتقادهم فى الله، فيكفيه فى ذلك ذكر النص أو الإشارة إليه دون تحديد موضعه.

ومع ذلك، فإنه إذ يؤمن بقيمة الكتاب المقدس وفاعليته فى الذين يقرأونه، يدعو الأباطرة الوثنيين بمختلف الأساليب إلى الإهتمام به وقراءته.

٦ ـ أثيناغوراس والفلسفة

كان أثيناغوراس، قبل تحوله إلى المسيحية، فيلسوفا ينتسب إلى الفلسفة الأفلاطونية المحدثة، وكان يدير الأكاديمية فى الأسكندرية على ما يقول فيلبس الصيدوى، ويعلم الفلسفة فيها على نهج الأفلاطونية الجديدة.

ولكنه لم يكن خاضعا لهذه الأفلاطونية الجديدة خضوعا تاما، بل كان ولاسيما بعد تحوله إلى الدين المسيحى، يتخير أفضل ما فى المذاهب الفلسفية جميعها، حتى لقد قيل عنه أنه أول القائلين بمذهب التخير وتأليف المذاهب Eclectisme ، وهو المذهب الفلسفى القائل بأن فى كل مذهب جزءا من الحقيقة وهو خير ما فيه، وعلينا فى طلب الحقيقة الكاملة أن نتخير هذه الأجزاء ونؤلف بينها لتصير حقيقة واحدة، ولذا فإن أثيناغوراس كان يورد فى كتبه أقوالا من جميع المذاهب مما يؤكد لنا أنه كان عالما بجميع الإتجاهات الفلسفية التى عرفت فى عصره، فقد استشهد بدفاع سقراط وتيماوس وغورغياس وفيدروس والسياسى من محاورات أفلاطون، كما أنه اقتبس كثيرا من نصوص الشعراء الأقدمين كهوميروس وهزيرد وأورفيوس، ومن الفلاسفة السابقين على سقراط مثل تالييس وانبادوقليس والسوفسطائيين، وكان يستشهد كذلك بأرسطو وبالرواقيين والمشائين (١) ثم بالقوريناثيين والأبيقوريين (٢) وقد يعسر علينا أن نقطع فيما إذا كان أثيناغوراس قد قرأ كتب أفلاطون والفلاسفة، أم أنه كان يكتفى بأن يورد النصوص عن المختصرات المتداولة فى أيامه، وقد لوحظ عليه أنه أسند إلى أرسطو رأيا لم يقل به ولم يرد فى كتبه الحقيقية: «كذلك أرسطو وأتباعه يقولون بإله واحد يعتبرونه شبيها بموجود حى مركب من نفس وجسم، جسمه هو الفراغ الأثيرى، والكواكب السيارة وفلك النجوم الثابته، متحركا فى دوائر، ونفسه هى العقل المدبر لحركة الجسم، فليس يخضع هو ذاته للحركة، وإنما هو علة لحركة الغير» (الدفاع ف ٦)، وهو رأى ليس لأرسطو ولكن لمؤلف كتاب «العالم» المنحول لأرسطو مضافا إلى كتابه «السماء» والمؤلف أرسطاطالى متأثرا بالرواقية.

ولئن أورد أثيناغوراس نصوصا من الفلاسفة الآخرين، لكنه دون شك كان متأثرا بأفلاطون تأثرا بالغا، وهذا نلاحظه من إشاراته الكثيرة دواما إلى أفلاطون بل ومن أن آراء أفلاطون كان لها تأثير واضح فى تفكيره وتعبيره حتى بعد أن صار مسيحيا، وليس يعسر علينا أن نكتشف هذا التلاقى بينهما فى حديث أثيناغوراس عن المادة وأنها أصل للشر، وعن الأرواح والملائكة والطبائع الحسية والعقلية، وعن التأمل فى الله بإعتباره غاية للإنسان، وعن ابن الله بوصفه «اللوغوس أو الكلمة» وبوصفه (الصانع) أو الخالق و «المثال» أو «النموذج» أو «القوة والنشاط» وجميعها مصطلحات أفلاطونية، كما أنه أشار فى قيامة الأجساد (ف ١٤) إلى التذكر الأفلاطونى، على أن أثيناغوراس فيلسوف مسيحى، يؤمن بإله واحد وبالجزاء الأخروى والحياة

---

(١) الدفاع ف ٦، ف ١٦.

(٢) قيامة الموتى ف ١٩.

santamariaegypt.org
الأبدية، فحبه للفلاسفة مصدره إعتقاده فى قدرة العقل على كشف بعض الحقائق، ولكنه يعلم أن الفلاسفة قد إختلفوا وتخبطوا فى أبحاثهم لأنهم اعتمدوا على العقل وحده. وحقا أنهم يملكون إلى حد ما، نوعا من النور السماوى، غير أنهم يعجزون بذواتهم عن الوصول إلى معرفة الله معرفة كاملة، الأمر الذى يقتضى الوحى بالضرورة، هذا الوحى الذى هبط على الأنبياء كما تدل على ذلك كتب المسيحيين المقدسة (راجع الدفاع ف ٧).

وعلى قدر ما تلفت أثيناغوراس إلى الفلاسفة الحكماء، بهذه النظرة المتسامحة، ولم يتهمهم بالأخذ عن التوراة كما فعل يوستينوس من قبله، كان يتكلم فى قسوة عن هؤلاء الذين سماهم بالوشاة، أعنى الذين يتهمون المسيحيين بلا تمييز ولا معرفة ولا ضمير مع أنهم لا يعلمون عن المسيحية شيئا، قوم قد امتلأوا تجبرا وقسوة، مفسدين حقودين، وهم خليط من النحويين والبيانيين والسوفوسطائيين وذوى المناصب والغنى، ومن مشيرى الأباطرة وقادة الرأى العام وكانت أثينا مقرهم، ولم يشر أثيناغوراس إلى ثيئودوتيوس Theodotius ولوليانس Lollianus وأدريانوس Hadrianus وهيرودس أتيكوس Herodes Atticus وتلميذيه أولوجيل - Aulu Gelle وأبولو، ولكنه أعلن صغارة نفوسهم وجبانتهم وتفاهة تعليمهم وفساد أخلاقهم وقبح مسلكهم فى وشايتهم.

هل كان أثيناغوراس مانويا؟

ويذهب تيليمون Tillemont إلى أن أثيناغوراس كان مانويا، يستند فى ذلك إلى دليلين، أولهما: رأيه فى النبوءة، وثانيهما رأيه فى تحريم الزواج الثانى بتاتا(١).

---

(١) المانوية بدعة ظهرت فى القرن الثالث على يد مانوى ابن فاتك الذى زعم أن للعالم مبدئين هما النور والظلمة (الله وديمون) وأنه خاتم المرسلين إذ هو رابع ثلاثة تقدموه، المسيح وزرادشت وبوذا، ودعى نفسه البارقليط الذى وعد بمجيئه المسيح، وينكر كتب العهد القديم، ويرى أن المسيح لم يولد بل جاء رجلا. كما أنه لم يصلب بل الذى صلب هو الشيطان، والناس عنده صديقون أو سماعون أو خطاة. أما الصديقون فأتباعه بالعلم والعمل، ولا يتزوجون ولا يحاربون ولا يذبحون الحيوان ولا يأكلونه هو أو مستخرجاته، من بيض وحليب وجبن، ولا يشربون الخمر بل يكتفون بالخبز والحبوب والبطيخ لأنها من صنع الله النور وتلك من صنع إله الظلمة، وتصعد نفوسهم توا إلى النعيم، وأما السماعون فيشتركون فى جميع الشعائر ولكنهم لا يقوون على سائر التكاليف، فإذا تزوجوا فهم مجبرون على الإكتفاء بزوجة واحدة وليجتهدوا أن لا يعقبوا نسلا وأن يحسنوا إلى الصديقين، وهؤلاء تبقى نفوسهم بعد الموت فى العالم ولكنها تدخل جسما آخر، وهكذا حتى تستقر فى جسم صديق وبعد ذلك تصعد إلى النعيم، وأخيرا الخطاة هم أهل الأديان الأخرى ويهلكون فى جهنم.

ورأس المانوية الإمام، يتبعه إثنا عشر معلما، يليهم إثنان وسبعون أسقفا، ثم الكهنة والشمامسة. ولهم طقوس وأعياد، والأسرار عندهم إثنان: المعمودية والقربان.

(راجع تاريخ الفلسفة اليونانية للأستاذ يوسف كرم طبعة ١٩٤٦ ص ٢٥٨)

santamariaegypt.org

أما رأيه فى النبوءة أو الإلهام أو الوحى فلا يزيد عن سطور فى الفصل التاسع من «الدفاع» حيث يقول: «هؤلاء الأنبياء قد نطقوا بما أوحى إليهم فى غيبوبة عن الحس (اختطاف الروح ex-tasy)، سمت بهم عن عمليات العقل الطبيعية، وذلك بفعل الروح القدس الذى استخدمهم ونفث فيهم كما ينفخ لاعب الناى فى نايه» وهو تشبيه يقرب من تشبيه مانى الذى شبه النبى بالقيثارة والروح القدس بالضارب عليها.

ولكن هذا التعبير أو التشبيه قد استخدمه كذلك القديس ترتليانوس فى رده على ماركيون Marcion وقد نجد نظيره فى مؤلفات الفيلسوف الشهيد يوستينوس، فإذا استخدمه أثيناغوراس فهل نتهمه بإنتسابه إلى المانوية؟ إن كتبة العهد الجديد إقتبسوا نصوصا من التوراة فهل صاروا بذلك يهودا، وقد استشهد مار بولس بأقوال من شعراء الوثنية وفلاسفتها «... لأنه به قد صارت لنا الحياة والحركة والوجود، كما يقول بعض شعرائكم إننا أيضا ذرية (الله) فإذ نحن ذرية الله لا ينبغى أن نظن أن اللاهوت شبيه بالذهب أو الفضة أو الحجارة...» (أع ١٧ : ٢٨، ٢٩) قال واحد منهم وهو نبيهم أن الكريتيين دائما كذابون، وحوش رديئة بطون لاعمل لها، وهى شهادة صادقة (تى ١ : ١٢) فهل يفهم من هذه الإقتباسات ومن تأييد الرسول لها أنه تحول فصار وثنيا؟

فإذا كان أثيناغوراس يستخدم تشبيها استخدمه مانى، فليس هذا دليلا على إعتقاد أثيناغوراس بالمانوية، ولاسيما أنه لم يستخدم التشبيه ذاته بل ما يقاربه، ثم أنه لا يصر فيما بعد على هذا التشبيه أو ذلك بل يستبدله بآخر، إن الروح يحرك أفواه الأنبياء وكأنها آلات موسيقية (د ف ٧) كما أن كلمة الإختطاف بالروح أو الغيبوبة عن عالم الحس، لا تكفى فى بيان الإتفاق بين عقيدة مانى وعقيدة أثيناغوراس، إن كل ما يعنيه فيلسوفنا هو أن النبى يكون محمولا خارجا عن نفسه بفعل الروح القدس ودفعه وتأثيره، وإن الكلمات التى ينطق بها ليست كلمات من عنده بل من وحى روح الله القدوس، وهو بعينه التعليم المسيحى الرسولى الذى ترجم عنه مار بطرس بقوله «لأن النبوءة لم تأت بالإرادة الإنسانية قط، وإنما نطق (بها) رجال الله القديسون مسوقين من الروح القدس» (٢ . بط ١ : ٢١).

أما رأيه الثانى الخاص بتحريم الزواج الثانى *εὐπρεπὴς μοιχεία* فيبدو لأول وهله أنه يلتقى فيه بالمانويين، ولكن هل هذا صحيح؟ إن كلمات أثيناغوراس هى بنصها:

«وكل منا يحسب المرأة التى بنى بها زوجة له.. وقصده من الزواج إنجاب البنين فقط، وكما أن الرجل يلقى البذار فى الأرض ثم ينتظر الحصاد فلا يبدر أيضاً، هكذا نحن نضبط شهواتنا لا

santamariaegypt org

نفسح لها إلا فى حدود إنجاب البنين، وليس ذلك فقط بل قد تجدون بيننا كثيرون من الرجال والنساء شاخوا ولم يتزوجوا أملا فى أن يحيوا مع الله حياة أكثر إتحادا وكمالا... فإما أن يظل الشخص (منا) على الحالة التى ولد فيها (بتولا)، أو يقنع بزواج واحد لأن الزيجة الثانية هى فى حقيقتها زنى وإن كانت زواجا صحيحا فى الظاهر، فقد قال المسيح «لأن من طلق إمرأته وتزوج بإمرأة أخرى يزنى» فلم يبح (المسيح) للرجل أن يطلق إمرأته بعد أن يفض بكارتها، ولا أن يتزوج مرة أخرى إذ أن من يعتزل (أو يفصل نفسه) عن زوجته الأولى، حتى ولو ماتت، إنما هو زان متنكر (متخفف) يقاوم إرادة الله ـ لأن الله فى البدء خلق رجلا واحدا وإمرأة واحدة ـ ثم هو يحل أوثق رباط للجسد بالجسد قد أوجده الله لبقاء النوع الإنسانى» (الدفاع لأثيناغوراس ف ٣٢).

* * *

ونحن نرى أن أثيناغوراس بأقواله هذه التى ذكرناها يفترق عن مانى من عدة وجوه منها:

١ ـ أن أثيناغوراس يعتبر الزواج «أوثق رباط للجسد بالجسد قد أوجده الله لبقاء النوع الإنسانى» فكأن الزواج من مقاصد الله السامية، ولاجناح على الإنسان فى أن يتزوج. أما مانى فقد جعل من الزواج أمرا محروما يمتنع عنه الصديقون أو المختارون، وهو من أفعال الرجس والدنس التى هى من إيجاد إله الظلمة أو الشر.

٢ ـ أن أثيناغوراس يعتبر البتولية، وفقا للتعليم المسيحى، حالة أكثر كمالا وإتحادا بالله، ومع ذلك فهى إختيارية يقبل عليها الراغبون فيها بلا قهر أو دون جبر أو إلزام، ولكن مانى يجعلها أمرا مفروضا على الصديقين وأبناء النور.

٣ ـ أن أثيناغوراس يعتبر الزواج رباطا إلهيا مقدسا، يقبل عليه المسيحى التقى وغايته فيه إنجاب البنين فقط، أى أن الزواج المسيحى إتحاد بين الزوجين لإنسال البنين، وليس إشباعا لشهوة الجنس، لأن المسيحيين يزدرون شهوات الحياة الحاضرة، ويحتقرون أباطيل العالم متطلعين إلى العالم الباقى، فهم يستطيعون ضبط شهواتهم. ولكن مانى الذى يعتبر الزواج نجسا ومحروما، ينظر إليه على أنه إشباع للميول البهيمية، ولذا فإنه لا يبيح لمن تزوج أن ينسل. وهى طريقة تكشف عن قبح فكرته فى الزواج.

فما أبعد الفرق بين تعليم أثيناغوراس وتعليم مانى!!!

حقا أن أثيناغوراس قال بتحريم الزواج الثانى، ولكن مراده من ذلك هو أن الزواج المسيحى بوصفه رباطا إلهيا فهو لا ينفك أو يفسخ إلا بالموت، فإذا طلق الرجل إمرأته عد زانيا إذا اقترن بإمرأة أخرى طالما أن زوجته الأولى حية... لأن الزيجة الثانية هى فى حقيقتها زنى وإن كانت زواجا صحيحا فى الظاهر، فقد قال (المسيح) «لأن من طلق إمرأته وتزوج بإمرأة أخرى يزنى»

santamariaegypt org

ودليلك على أنه لا يقصد بقوله هذا إلا أن يبين العقيدة المسيحية بتحريم الإقتران بزوجة ثانية والزوجة الأولى حية، أنه يؤيد رأيه بالرجوع إلى مقاصد الله الأولى فيقول «لأن الله فى البدء خلق رجلا واحدا وإمرأة واحدة»، وهو قول يثبت به الرأى المسيحى القائل بوحدة الزيجة. وهذا معناه أنه بموت أحد الطرفين يمكن للآخر أن يتزوج... أما قوله «... لم يبح (المسيح) للرجل أن يطلق إمرأته بعد أن يفض بكارتها ولا أن يتزوج مرة أخرى إذ أن من يعتزل زوجته الأولى ولو ماتت إنما هو زان متنكر يقاوم إرادة الله» (١) فليس معناه أن رباط الزيجة قائما بموت أحد الطرفين، فقد قال الرسول... فإن المرأة التى تحت سلطان رجل، مرتبطة برباط الشريعة مع زوجها طالما أنه حى... فإذا مات زوجها عتقت من الشريعة (التى ربطتها) بزوجها، وإذن فمادام زوجها حيا، فإنها تدعى زانية إن اقترنت برجل آخر، ولكن إن مات زوجها صارت حرة من هذه الشريعة حتى إنها لا تكون زانية إذا اقترنت بزوج آخر (رو ٧: ٢، ٢) (ثم راجع ١ . كو٧: ٣٩) . وإنما معناه أن موت الزوجة - بعد تطليق الرجل لها وإقترانه بإمرأة أخرى لا يبرره ولا يغير من وضع المسألة لأنه بزواجة ثانية وزوجته حية قد عد فى نظر الشريعة زانيا. وقد قال بهذا التفسير جميع آباء الكنيسة الشرقية والغربية.

ثم إن إعتقاد مانى فى الروح القدس يخالف إعتقاد أثيناغوراس... فمانى يقول أن الله النور إذا أراد أن يخلص النفوس النورانية من جسدها الخبيث، أخرج من ذاته كائنين هما المسيح والروح القدس، الذى هو مادة حيوية منتشرة فى كل الجلد المحيط بأرضنا تدفئ النفوس وتثمر الأرض، بينما يعتقد أثيناغوراس فى الروح القدس أنه كائن فى جوهر الله وأنه روح لا مادة.

وأخيرا كيف يعقل أن يكون أثيناغوراس مانويا وهو من رجال القرن الثانى، وكتب دفاعه نحو ١٧٦م، مع أن مانى من رجال القرن الثالث ولد حوالى ٢١٥م وأعدم سنة ٢٧٢ ؟؟!!

٧ - الإلهيات عند أثيناغوراس

أولا : وجود الله :

١ - الله هو الصانع : المادة متغيرة فهى قابلة للفناء ومن ثم فهى حادثة أى مخلوقة، وإذن فهى تفتقر إلى مكون وصانع هو الذى أضفى عليها وجودها، وخلق منها صنوف الكائنات،

---

(١) راجع ثيئوفيلس الأنطاكى «إلى اتوليكوس ٣، ١٥ . مجموعة الآباء اليونانيين مجلد ٦ ع ١١٤١ واكليمنضس الأسكندرى، المتفرقات (الموشيات) Strom ٣، ١٢، مجموعة الآباء اليونانيين مجلد ٨ ع ١١٨٤، وأوريجانوس فى تفسير لوقا عظة ١٧ مجموعة الآباء اليونانيين مجلد ١٣ ع ١٨٤٦ وترتليانس «وحدة الزوج والزوجة» De Monog مجموعة الأباء اللاتين مجلد ٣ ع ٩٣١ ومينوكيوس السعيد «الأكتافيوس» ٢٨ مجموعة الآباء اللاتين مجلد ٣ ع ٢٣٧ ثم انظر الشهادات التى اشار إليها ماران Maran وأوتو Otto وجمعها كوتيلية Cotelier عن هرماس: «الراعى Mond ٤، ٤.

santamariaegypt.org

ولابد أن يكون الصانع أقدم من المادة، لأن العلة الفاعلة يلزم بالضرورة أن تكون سابقة فى وجودها على المصنوعات (راجع الدفاع فى ١٩).

فالله بالنسبة للكون كالخزاف بالنسبة إلى الصلصال وهو الذى كونه وشكله، وكالملحن بالنسبة للآلة الموسيقية يضرب عليها ويصدر عنها الأنغام ويمنحها الإيقاع، وكمدير الدفة بالنسبة إلى السفينة، يحركها ويسيرها وفق إرادته وهى طوع أمره (راجع الدفاع ف ١٥، ١٦، ٢٢)

٢ ـ الله هو المنظم: العالم كله يحكمه نظام بديع. وليس شئ فيه يفلت من دقة هذا النظام وصرامته. والإنسان كذلك كائن يخضع من حيث طبيعته التى ولد بها ومن حيث تركيبه لهذا النظام، فجميع الناس يولدون بكيفية واحدة ولهم طبيعة واحدة ويخرجون من العالم بصورة واحدة، فضلا عن أن تركيب جسومهم من النواحى التشريحية والوظيفية والبيولوجية يخضع لنظام واحد مطرد، لا يقل فى دقته وصرامته وحتمية وقوعه عن النظام الذى تخضع له الطبيعة غير الناطقة من جمادات ونباتات وحيوانات.

فإذا كان لكل معلول علة... فإن النظام الذى تسير عليه الطبائع الحية وغير الحية، الناطقة وغير الناطقة يقتضى بالضرورة واضعا له، وحافظا له، فيتم لجميع الكائنات الجمال والإئتلاف العام، هذه العلة الفاعلة لهذا النظام هى الله. (راجع الدفاع ف ١٦، ف ٢٥).

ثانيا : طبيعة الله. صفاته ووحدانيته :

أ ـ صفاته : الله روح بسيط غير مركب... أزلى... أبدى (سرمدى) كامل فى كل شئ... قادر على كل شئ، هو الخير المحض وهو النور... وهو القوة... وهو الجمال... وهو الحق... وهو العقل غير المنظور واجب الوجود غير المادى، خالق المادة وصانع الكون، المسيطر على كل الوجود، الضابط الكل، المعتنى بالكائنات، الموجود بذاته، غير المخلوق، الذى لا يمكن تصوره، غير المحدود، الفاحص غير المفحوص، الثابت غير المتغير، العادل الرحيم الذى لا ينفعل ولا يشتهى ولا يحتد ولا يحزن...

ب ـ وحدانيته :

الأدلة العقلية : أثيناغوراس هو أول مفكر مسيحى حاول أن يبرهن على وحدانية الله برهنة عقلية، وله فى ذلك دليلان:

santamariaegypt.org

الدليل الأول : لا يمكن أن يكون الله أكثر من إله واحد، لأن آلهة كثيرين لا يستطيعون أن يوجدوا معا فى مكان واحد، إذ الإله يجب أن يتميز بشئ ينفرد به من حيث هو إله، وهذا يقتضى فى الله التركيب والتجزؤ، وحيث أن الله بسيط لأن المركب يقتضى علة مركبة، ولأن المركب يمكن أن ينحل فهو قابل للفناء، فلابد أن يكون الله واحدا....

ولا يمكن أن يكون الله أكثر من إله واحد فى غير مكان واحد، لأن الله الذى خلق العالم هو فى العالم ويحيط بالعالم معنيا به، وليس ثمة مكان لإله آخر، وإذا كان له مكان خارج العالم فهو لا يعنينا، كما أن وجوده فى مكان يدل على أنه محدود، فليس هو بإله وعلى ذلك فليس غير إله واحد هو الذى خلق العالم ويسيطر على كل الوجود (راجع الدفاع ف ٨)

الدليل الثانى : مؤداه أن كل موجود فهو مخلوق بفعل واجد فالإله بالضرورة وهو واجب الوجود.

الأدلة النقلية :

١ - **الفلاسفة والشعراء** : لقد فطن الفلاسفة إلى إيمان المسيحيين بضرورة أن يكون الإله واحدا، ثم يؤيد هذا الرأى بأقوال الشعراء والفلاسفة الوثنيين من أمثال: ايريبدس ومسوفوكليس واسكليبوس وهوميروس وهزيود وهيراقليس وفيلولاوس، وليسيس وأوبسيموس والفيثاغوريين وتاليس وانبادوقليس، وأفلاطون وأرسطو والمشائين والرواقيين.

٢ - **الأنبياء** : ولئن أقر الفلاسفة والشعراء بذلك عن طريق عقولهم إلا أن الأنبياء أيدوا الوحدانية بوحى من السماء هبط على قلوبهم، ثم يورد أقوال الأنبياء بالروح القدس من أشعياء وأرميا وغيرهما، إلا أنه يقتبس من أشعياء على الخصوص: «أنا هو الله، الأول والآخر، لم يكن قبلى إله، ولا يكون بعدى إله، وليس غيرى إله» (أش ٤٣ : ١٠، ١١ - ٤٤ : ٦). (راجع الدفاع ف ٥، ٦، ٧، ٩).

ثالثا : الثالوث الأقدس :

يؤمن المسيحيون بوحدانية الله، ولا يطعن فى هذه الوحدانية إعتقادهم فى الآب والابن والروح القدس، لأن هؤلاء الثلاثة واحد فى الجوهر، ولقد نقول «الله الآب، الله الابن، الله الروح» ومع ذلك فهو إله واحد منذ الأزل وإلى الأبد، وإذا كنا نميز بين الآب والابن والروح القدس، فمن حيث الترتيب الوجودى، لا من حيث الترتيب الزمنى.

أما الآب فغير مخلوق وغير مولود، وهو العقل، الأزلى الأبدى غير المنظور، ويقيم فيه الابن قياما أزليا أبديا بغير إفتراق، فالآب فى الابن والابن فى الآب وهما متحدان إتحادا طبيعيا

santamariaegypt.org
جوهريا، وإن كان الآب هو العقل Νοῦς فالابن هو الكلمة أو اللوغوس Λόγος أى العقل الظاهرفى الكون، إذ أن الابن هو الذى أظهر الله أو هو المظهر لله والمعبر عن الله، وهو صورة الله وقوة الله وحكمة الله، وبه خلق الملائكة وقلدهم شتى وظائفهم، وبه خلق الناس وسائر الكائنات. فالكلمة هو الخالق أو قوة الخلق الفاعلة وهو الصورة أو المثال archetype الذى خلق الناس على نموذجه وبه وفيه خلقت الكائنات.

الابن إذن مولود غير مخلوق، هو أول إنتاج الآب γέννημα لا يعنى أن الآب أوجده إذ أن الابن كائن مع الآب منذ الأزل λογικός بل معناه أن الابن برز أو تقدم προελθὼν ليكون الصورة والقوة الفاعلية لجميع الأشياء، وهذا هو تفسير قول النبى عن الكلمة «الرب صنعنى أول سبل أعماله» (أم ٨ : ٢٢) ...

ومع أن أثيناغوراس يؤكد أن الكلمة قائم مع الآب وفى الآب منذ الأزل، إلا أن عبارته هنا عن الابن تحمل على الإعتقاد بأن الكلمة لم يولد إلا فى زمن الخلق ومن أجل الخلق، وهى عبارة خطرة تعد أساسا للفكرة الخاطئة القائلة بولادة الابن فى الزمان، بينما أن العقيدة المسيحية تجعل بنوة الابن للآب أزلية لا زمانية، فضلا عن أنها متصلة غير منفصلة، طبيعية لا وضعية، عقلية غير مادية، روحية غير جسمية، وهى فريدة فى بابها، ولذا سمى الكلمة بأنه الابن الوحيد (الكائن) فى حضن الآب وهو الذى خبر، أى أعلمنا عن الآب غير المنظور، وأما الروح القدس فهو الروح الفاعل فى الأنبياء والناطق بألسنتهم هو صدور من الله ἀπόρροια أى فيض أو بثق يصدر عن الله ويرتد إليه كالنور أو كشعاع الشمس ينبثق منها ويرتد إليها (١) وهو الحافظ للموجودات.

ولئن كان أثيناغوراس لا يتكلم عن الآب أو الابن أو الروح القدس على أنهم أقانيم للثالوث، إلا أنه يعنى ببيان الوحدة الجوهرية القائمة فيهم، وأنهم واحد فى الأزلية والأبدية والسرمدية وسائر الكمالات الإلهية. وهو ما يتفق مع إيمان المسيحيين بوحدانية الله وإنكارهم لتعدد الآلهة. (راجع الدفاع ف ١٠، ١٢، ٢٤).

---

(١) هذا التشبيه الذى استخدمه أثيناغوراس فى دفاعه، قد شجبه القديس يوستينوس إذ إتخذه السابليون فيما بعد واستعاروه على الكلمة، يقولون أن هذه القوة غير قابلة للإنقسام، كما أنها غير قابلة للإفتراق عن الآب كضوء الشمس على الأرض، فإنه لا يقبل الإنقسام ولا يقبل الإفتراق عن الشمس فى السماء.

ويظهر أن القديس يوستينوس شجب هذا التشبيه لأنه قائم على أساس إنكار سابيلوس وأتباعه للأقانيم، الذين علّموا بأن الثالوث اقنوم واحد سمى فى العهد القديم بالآب وفى الجديد بالابن وحل على الرسل باسم الروح... وقد شجبت الكنيسة هذا التعليم بمجمع عقد فى الأسكندرية وآخر فى رومية عام ٢٥٨م.

santamariaegypt org

رابعا : الملائكة :

يعتقد بعض المبتدعين فى الملائكة أنهم ظهورات مؤقتة أى أنهم أشباح، تظهر فى أوقات معينة ثم تختفى بعد ذلك، وتمضى إلى العدم المحض، فهى فى عرفهم ظهورات وليست كائنات، وأشباح وهمية وليست موجودات حقيقية، ظهورها مؤقت عارض وليس ثابتا ولادائما. وربما كان هؤلاء القوم الذين يعتقدون فى الملائكة هذا الإعتقاد هم الصدوقيون من بين الفرق اليهودية أو من على شاكلتهم، «لأن الصدوقيون يقولون أنه ليس قيامة ولاملاك ولا روح» (أع٢٣ : ٨).

أما أثيناغوراس فيكتب عن الملائكة بإعتبارهم كائنات مشخصة وليست ظهورات، ويذكرهم كعادة اللاهوتيين المسيحيين فى المرتبة التالية بعد الثالوث الأقدس. ويقول أن المسيحيين يعتقدون بقوى أخرى تسيطر على المادة وبالمادة هى الملائكة والخدام، وهى مخلوقات برأها الله بواسطة الكلمة ووزعها على أنحاء الوجود وأقامها على مختلف أجزاء الكون، لتعنى بالعناصر والسموات والأرض ويحسن تدبيرها جميعا، وبذا تصير عناية الله شاملة لجميع الكائنات شمولا عاما مطلقا (راجع الدفاع ف ١٠، ٢٤)، (ومجموعة الآباء اليونانيين مجلد ٦ ع ٩٠٨، ٩٠٩).

خامسا : الإنسان :

يتألف الإنسان كما يقول أثيناغوراس من الروح والجسم أو من النفس والبدن، والروح خالدة ولها ملكات أو قوى تخصها، ولكن التمييز العقلى ليس هو من فعل الروح وحدها، بل هو من فعل الإنسان بإعتباره كلا مؤلفا من روح وجسم. وكل ما يصدر عن الإنسان من أفعال وما يجرى على لسانه من أقوال، إنما يشترك فيه الروح والجسد معا، لأن أعضاء الجسم هى الآلات التى تتم بواسطتها الأفعال وتظهر بها الأفكار والأقوال. فالروح والجسم متحدان فى الطبع والجوهر، ومتحدان كذلك فى الفكر والقول والعمل، وعلى ذلك فإن الروح تعتبر ناقصة وغير كاملة إذا لم تكن متحدة بجسدها، ولذا فالعبادة الكاملة لا تقوم إلا بإشتراك الروح والجسم، كما أن محاكمة الإنسان فى يوم الدين لا تكون عادلة إلا إذا وقعت على الروح والجسم معا. (راجع الدفاع فـ٢٧ ، قيامة الموتى).

سادسا : مشكلة الشر فى الوجود :

أ ـ خلق الله الملائكة أحرارا غير مقيدين، مختارين غير مسيرين، وقد أحسن بعضهم تصرفه فقاموا بما عهد إليهم القيام به بأمانة ولم يتعدوا حدود وظائفهم، وهؤلاء هم الملائكة الأخيار، ولكن البعض الآخر قد خرجوا على قانونهم الطبيعى وتخطوا السلطان الذى خول لهم وهؤلاء هم

santamariaegypt.org

الملائكة الأشرار أو الجن، ومن بينهم وعلى رأسهم أمير المادة وعدو الله أو ـ على الأصح ـ عدو الخير الذى فى الله.

أساء الأخيرون إستغلال حريتهم وأطلقوا العنان لشهواتهم، فسقطوا مع العذارى الآدميين (بنات الناس) فى الدنس، واستعبدتهم اللذة البهيمية وصاروا أشرارا وأهملوا ترتيب وظائفهم، وقد انسلوا من بنات الناس كائنات تدعى بالجبابرة.

وإذن فقد هوى الملائكة الأشرار من السماء وأمسوا يسكنون الهواء والأرض أى فى دائرة السماء الأولى، ولم يعد فى إستطاعتهم أن يرقوا إلى السماء أو ما يتصل بالسماء، ولذلك فهم يجوبون حول العالم يثيرون فى الناس الشك والقلق، ويعملون على إغراء الأفراد والأمم بمختلف الأساليب الباطنية والظاهرية على الضلال، طورا بإثارة الميول والأهواء الشريرة وأخرى بالإستناد إلى الأفكار والمشاعر الروحية السامية ثم يستميلونهم إلى عبادة الأوثان، وإذ يمتلكون عقولهم يلقون إليها بتصورات باطلة ويوهمونهم بأنها صادرة عن التماثيل لتضليلهم، مع أنها قد تصدر عن الشياطين أو قد تصدر أحيانا عن النفس الإنسانية، التى قد تبلغ فى بعض الناس مرتبة من الشعور والحساسية حتى أنها تنبئ بالمستقبل، وعلى ذلك فإن ما يعزوه الوثنيون إلى آلهتهم وتماثيلهم من المعجزات وخوارق العادات وأنواع الأشفية والإنباء بالمستقبل، إنما هو من فعل الشياطين لا من فعل الآلهة على الحقيقة. (راجع الدفاع ف ٢٤، ٢٥، ٢٦، ٢٧)

ب ـ هذا هو الدور الذى لعبته الشياطين فى خلق الشر بالوجود، ولكن الإنسان يلعب دورا أيضا. يقول أثيناغوراس إن الله لم يخلقنا على غرار البهائم والأغنام، بل خلقنا أحرارا مختارين بيدنا مناط أمرنا، فإما أن نرغب الشر والضلال ونستعبد أنفسنا للحم والدم ونتلهى بالشهوات المادية واللذات البهيمية فنسئ إلى حريتنا، وإما أن نرغب الخير والبر فنسلك بالفضيلة والتقوى فى الفكر والقول والعمل ونكون قد أحسنا إستغلال حريتنا الممنوحة لنا من الله.

ذلك أن النفس الإنسانية إذا كانت تتأمل الحق وتتطلع إلى الآب وصانع الكائنات جميعها، تصبح نفسا روحانية ولكنها عندما تشارك فى الروح المادى وتمتزج أو تتحد به وتتحول بنظرها إلى أسفل، فتنصرف إلى الأرضيات فتنزل عن جلالها وسموها، وحينئذ تدركها أفكار غريبة لا توافق العقل، وقد تمتلكها الشياطين فتلقى إليها بتصورات وهمية كاذبة وترديها فى ضلالات ومفاسد وشرور.

فالشر فى الإنسان وهو علة شقائه وبؤسه، يرجع إلى تحوله عن التأمل فى الحق والتطلع إلى الله، ثم إلى إنصراف الإنسان عن الغرض الحقيقى من وجوده (القيامة ف ٢٧) وإلى إرتباكه بالمادة (الدفاع ف ٢٧) وأخيرا إلى الشياطين إذ امتلكت نفسه فألقت إلى عقله بالأفكار المضلة.

santamariaegypt.org

سابعا : الجزاء والمصير :

أ- وإذا كان الإنسان حرا (راجع الدفاع ف ٢٥، ٢٧، ٣١) فإن الحرية تقتضى المسئولية، ولابد لنا أن نقدم لله الذى خلقنا وخلق جميع الكائنات حسابا عن كل شئ صدر منا فى حياتنا الحاضرة، فهو الديان العظيم والفيصل الحق الذى سيقضى جميع أعمالنا وسيكتشف بنوره أعماق قلوبنا وخلجات أفكارنا، بحيث لن يفلت من فحصه أو حكمه شئ فى الخفاء كان أو فى العلانية، فى الليل أو فى النهار، ولقد يمكن للإنسان أن يفر من عقوبة القوانين الوضعية أما الله فمن يستطيع أن يفر من بين يديه؟؟؟

ب- ولن تخمد النفس أو تفنى بموت الجسد وإنحلاله - كما يزعم بعض الناس - ولن تنتهى بحكم الديان حياة نفوسنا إذ هى خالدة لن تموت، ولسوف تحيا حياة أخرى أبدية سعيدة أو شقية، حسبما يصور الحكم على النفس وفقا لأعمالها فى الجسد. فإذا كانت النفس قد ضلت وغوت ثم سقطت فى الشر والعصيان والفساد صار مقرها النار الأبدية (١). وإلا فإذا أرضت الله وعاشت فى الطهر والبر والخير أنعم عليها بالخلود فى سعادة مقيمة. وستحيا حياة أبدية، حياة سماوية لا أرضية، فتقيم إلى جوار الله ومع الله، لا يعتريها تغير أو فساد أو ألم أو شقاء، فالمسيحيون إذن يترجون حياة أفضل من الحياة الراهنة بحيث لا يستطاع وصفها أو التعبير عنها فى ألفاظ وعبارات، على شرط أن يصلوا إليها أطهارا من كل فعل أثيم، وقد اتصفوا بالحلم والعفة وضبط النفس وعلى قدر التعب سيكون الجزاء لأن الله سيجزى كل واحد حسب أعماله (راجع الدفاع ف ١٢، ٣١).

جـ- وإذ أن النفس متحدة - فى الأرض بالبدن، وقد فعلا الخير معا. فعدالة الله تقتضى أن تنال النفس جزاءها مع الجسد. إذ أنه كان فى خدمة الدوافع النفسانية والميول والأهواء الموافقة أو المضادة للعقل، وإذن فلابد للجسم الذى مات وبلى ثم تحلل وفنى من أن يعود للحياة من جديد، وليس ثمة ما يمنع كما يقول الفلاسفة من أن تتكون الأجساد ثانية بعد إنحلالها من نفس العناصر التى كانت تتألف منها أولا. وهل يعسر على الله أن يجمع الجزئيات التى تبعثرت وتشتّت ويؤلف بينها، وهو الذى خلقها من العدم!!!

---

(١) كتب القديس اغناطيوس فى رسالته إلى أفسس : ١٦ عن النار التى لا تُطفأ (راجع فونك مؤلفات الآباء الرسوليين مجلد ١ ص ١٨٦) (Funk, Opera Patr. apost., t. I, p. 186) راجع أيضا الرسالة إلى ديوجنيتس ١٠ مجموعة الآباء اليونانيين مجلد ٢ ع ١١٨٤، ثم القديس يوستينوس «الدفاع» ١، ٢١ مجموعة الآباء اليونانيين مجلد ٦٥ ع ٣٦١، وثيئوفيلوس الإنطاكى «إلى أوتوليكوس» Ad Autol ١، ١٤ مجموعة الآباء اليونانيين مجلد ١ ع ١٠٤٥.

santamariaegypt.org

لم يكن أثيناغوراس شخصا مثقفا فحسب، ولكنه معلم عظيم وأستاذ كبير، استطاع أن يجمع فى شخصه عقلية المحامى والفيلسوف والمؤرخ، وعالم المنطق وعالم النفس وعالم الأخلاق وعالم الدين معا، فقد رأيناه قانونيا ضليعا ومحاميا بارعا بديعا، يدفع الإتهام بدفوع سليمة لا يستطيع الخصم منها إفلاتا، ورأيناه فيلسوفا عالما يجمع المذاهب الفلسفية السابقة عليه والمعاصرة له، شارحا أفكارها شرحا دقيقا، كما أنه كان يدلى بآرائه الخاصة بعقلية فلسفية متزنة وآراء طريفة حصيفة، ثم رأيناه مؤرخا عارفا بتاريخ الأقدمين، بحيث أن ما كتبه عن تاريخ وعادات وتقاليد وديانات القدامى الوثنيين يعد مرجعا محترما قدم لنا معلومات هامة، قد لا نجدها فى كتب أخرى، أما أنه عالم منطقى فهو كذلك نظريا وعمليا، فقد تحدث عن المقولات والبدهيات، والقياس ورد القياس والموضوع والمحمول، ثم كان مرتبا فى تفكيره منظما فى تأليفه بما يشهد له بالعقلية المنطقية الممتازة، وكان عالما بالنفس يعرض ما يجرى بالنفوس البشرية من ضروب المشاعر والإنفعالات والعواطف وكيف تتغير النفس فى إتجاهاتها ومشاعرها، وكيف تستطيع العوامل والإغراءات الخارجية أن تؤثر فيها. وكان عالما بالأخلاق يسخر بالسوفوسطائيين الذين يعنون بالألفاظ ويهملون سلوك الحياة، وكان يدلى فى عالم الأخلاق بأحكام صائبة تدل على ضمير مستقيم وأخلاق قويمة، ومن أخلاقه ما يمكن أن نستدل عليه من أسلوبه، فهو كاتب نزيه لا يغالط فى الحق، رقيق لكنه شجاع، ويبدو من صرامته فى حديثه عن العفاف وأنه ذو أخلاق كريمة.

ثم هو فوق هذا كله يكتب بوصفه رجلا من رجالات الدين المسيحى، وقد أجاد فى شرح التعاليم والعقائد المسيحية، مستغلا معارفه المنطقية والقانونية والسيكولوجية والفلسفية والخلقية والتاريخية بما يؤيد به الدين المسيحى، ويدفع عنه كل ما يثار ضده من إتهامات، ولو أنه وقع فى أخطاء لاهوتية يجب أن نشير إليها من وجهة نظر المسيحية:

١ ـ قال أثيناغوراس أن الابن ولد من الآب ليكون الصورة والقوة الفاعلية لجميع الأشياء، وهى عبارة خطرة كما قلنا سابقا، وقد تعد أساسا لبدعة تزعم أن الابن ولد فى الزمان، ولو أننا يجب إنصافا للرجل أن نقول أنه كثيرا ما كان يؤكد أن الابن مع الآب وفى الآب منذ الأزل.

٢ ـ قال: أن الروح القدس فيض من الله، يصدر عنه كشعاع الشمس ينبثق منها ويرتد إليها، ويظهر أن هذا التشبيه شجبه الآباء لأن السابليين استعملوه، وهم ينكرون أقنومية الروح القدس.

٣ ـ قال عن الشيطان: أنه أمير المادة، وأن الله أقامه عليها ليعنى بها، ويسوسها ويدبرها وهو تعليم لا أساس له فى المسيحية.

santamariaegypt.org

٤ ـ قال : أن الروح الإنسانية تعد ناقصة أو غير كاملة إذا لم تتحد بجسدها، وأن العبادة تعتبر ناقصة مالم تصدر عن الروح والجسد، وهذا قول حق إذا قيل عن الروح مادامت مرتبطة بجسدها، فإذا إنفصلت عنه بالموت لم تكن عبادتها بالروح وحده ناقصة، وهذا ما تؤيده أقوال الرسل فى العهد الجديد.

٥ ـ زعم أن الأطفال لا يعاقبون إذ لم يفعلوا شرا ولاخيرا، وهو رأى يهدم نظرية الفداء فى المسيحية من أساسها.. لو ترتب عليه عدم حاجة الأطفال للعماد.

٦ ـ قال : أن الله لا يطلب غير ضحية القلب، فلم يشر إلى الأفخارستيا كما أفاض بالحديث عنها القديس يوستينوس بإعتبارها ذبيحة غير دموية، كما أنه لم يتحدث عن ذبائح التوزيع وأفعال الرحمة فى العهد الجديد.

٧ ـ أنه على قول مثوديوس، اشترك فى خطأ الذين نسبوا سقوط الملائكة إلى علائق العشق من العذارى البشريات وأنهم أنسلوا منهن الجبابرة ـ وربما كان أساس هذه الفكرة قول الكتاب المقدس: «وحدث لما ابتدء الناس يكثرون على الأرض وولد لهم بنات، أن أبناء الله رأوا بنات الناس أنهن حسنات فاتخذوا لأنفسهم نساء من كل ما اختاروا. فقال الرب: لا يدين روحى فى الإنسان إلى الأبد لزيغانه وهو بشر، وتكون أيامه مائة وعشرين سنة، وكان فى الأرض طغاه فى تلك الأيام، وبعد ذلك أيضا إذ دخل بنو الله على بنات الناس وولدن لهم أولادا، هؤلاء هم الجبابرة الذين منذ الدهر ذوو اسم «(تك ٦ : ١ ـ ٤) على أن هذا التأويل الذى يفسر أبناء الله بأنهم الملائكة لم يقل به أثيناغوراس وحده بل قال به غيره أيضا. ولكنه على كل حال يثير عدة مشاكل... لأنه اعتبر أبناء الله هم الملائكة، وليس فى الكتاب ما يقطع بصحة هذا التأويل، بل فى الكتاب نصوص تفيد بأن القديسين يدعون كذلك أبناء الله... ثم إن هذا التأويل يفترض فى الملائكة أنه قد استعبدتهم الشهوة البهيمية أو اللذة الجنسية... ثم يفترض كذلك أنه يمكن للملائكة أن ينسلوا من البشر، وهو أمر يقتضى من الوجهة البيولوجية أن تكون الملائكة من فصيلة مقاربة للفصيلة البشرية على الأقل، حتى يتم بينهما الإتصال الجنسى المخصب، وهل يتفق هذا التأويل مع قول السيد المسيح عن البشر فى الحياة الأخرى «لأن (الرجال) بعد القيامة لا يتخذون لهم نساء ولا النساء (أزواجا) وإنما سيكونون كملائكة الله (الذين) فى السماء» (١).

هذه هى النظرات الشاذة فى مؤلفات «أثيناغوراس» ولابد أن نشير إليها على الرغم من إشادتنا بعقلية فيلسوفنا وعبقريته، وربما لهذه الأسباب، وربما لغيرها أيضا، لم يحسب أثيناغوراس بين قديسى الكنيسة، وإنما عرف بلقب الفيلسوف فقط.

---

(١) ورد هذا النص فى ترجمة المدرسة الإكليريكية وفقا للنسخ القبطية وهكذا: «أنهم فى القيامة لا يتزوجون ولا يتزوجن بل يصيرون كملائكة الله فى السماء» (مت ٢٢ : ٣٠)

santamariaegypt org

الدفـــاع

أو الإحتجاج أو المحاماة

للفيلسوف أثيناغوراس

santam aegypt g

الدفاع

أو الإحتجاج أو المحاماة

إلى الإمبـراطـوريــن مـرقـس أوريـليـوس أنطـونيوس،

ولوسيوس أوريليوس كومودوس فاتحى أرمينيا وسارماطيا،

والفيلسوفين، قبـل كـل شـئ آخـر

الفصل الأول

المسيحيون يعلنون الجور والبغيان

فى إمبراطوريتكم، يا أعظم الحكام، أمم مختلفة، ذات عادات وقوانين مختلفة، وليس محظوراً على أحد فيها، لا من قبل القانون، ولا خوفاً من عقاب، أن يتبع عادات أسلافه، مهما تكون زرية مضحكة، فالمواطن فى اليوم يدعو هكتور إلهاً، ويتعبد لهيلين متخذاً إياها لادراستيا. والمقدونى يحترم أجامنون كأنه زيوس، وكذلك فيلونيه ابنة تينداروس، كما أن أهل تينيدوس يعبدون تينيس (١) والأثينى يضحى القرابين لإيريخثيوس كما لپوزيدون، كذا يقوم الأثينيون بأداء فروض دينية وطقوس تقليدية إجلالاً وتعبداً لأجراولوس وياندروسوس وهما إمرأتان متهمتان بجريمة العصيان أو الكفر، بسبب فتحهما للصندوق، وبالإيجاز فإن فى كل أمة وشعب، يقدم الناس ضحاياهم ويحتفلون بطقوسهم كما يشاءون، بل والمصريون يحسبون، حتى القطط والتماسيح، والثعابين، والأفاعى والكلاب من بين آلهتم، فلقد أجزتم، وأجازت القوانين أيضاً، لهؤلاء جميعاً، أن يتعبدوا كما يريدون، إعتقاداً منكم أن عدم الإيمان بإله على الإطلاق شر وإثم، هذا من جهة، ومن جهة أخرى، فإنه من الضرورى لكل إنسان، أن يتعبد للآلهة التى يختارها لعبادته، إذ أن مخافة الله تقى الناس أفعال الشر، ولكن لِم، وأنتم لا تساقون كما تساق عامة الناس بالقيل والقال ـ لم يكن مجرد الإسم ممقوتاً لديكم؟ (٢) إن الأسماء لا تستحق أن تكره، وإنما الفعل الأثيم هو الذى يستحق القصاص والعقاب، وبناء على ذلك يتمتع الأفراد بالمساواة فى الحقوق. معجبين بحلمكم ورقتكم وميلكم إلى السلام وحب الخير لكل إنسان، كما أن المدن أيضاً تستمتع بكرامة ملائمة لمرتبتها، بل والإمبراطورية بتمامها تنعم، فى ظل حكومتكم الرشيدة، بالسلام الكامل، ولكنكم لم تعنوا العناية نفسها بنا نحن المسيحيين، فمع أننا لم نرتكب شراً على الإطلاق ـ كما سيظهر من تتمة هذا المقال (الحديث)، إذ أننا جميعاً نعبد الله بكل ورع

---

(١) هنا نجد إختلافات كثيرة فى القراءات، ولكننا أخذنا بالنص الذى اقترحه جسنر.

(١) وقد أخذنا هنا بنص أوتو، بينما يقرأه آخرون : لدينا.

santam aegypt g

وتقوى، خاضعين لحكومتكم - إلا أنكم سمحتم بأن يثقل علينا وأن نسلب، وأن نضطهد وأن يثير الجمهور علينا حرباً من أجل الاسم الذى دعى علينا فقط. لذلك نجرؤ على أن نقدم إليكم تقريراً عن حالتنا، وسوف يتبين لكم من هذا المقال، إننا نعامل بغير عدل معاملة يأباها كل قانون وكل عقل - فنتضرع إليكم أن تعيرونا نحن أيضاً شيئاً من عنايتكم، حتى لا تهرق بعد دماؤنا إرتكاناً على إتهامات باطلة، إذ أن الغرم الذى يفرضه علينا مضطهدونا لا يتناول ممتلكاتنا فقط، ولا شتائمهم تثلم هيبتنا فحسب، ولا الضرر الذى يلحقوه بنا قاصراً على أكثر الأشياء نفعاً لنا، فكل هذه الأمور ننظر إليها نظرة إزدراء، ولو أنها تبدو لأكثر الناس على جانب عظيم من الأهمية، لأننا قد تعلمنا ليس فقط أن لا نرد ضربة بضربة، أو أن نقاضى ناهبينا وسالبينا، بل أن نقدم خدنا الأيسر لمن يصفعنا على خدنا الأيمن وأن نعطى الرداء لمن ينزع عنا الثوب، ولكننا عندما نسلم لهم فى ممتلكاتنا، (لا يكتفون بذلك بل) يكيدون لنا فى أجسامنا وأرواحنا، ويصبون علينا أثقالاً من الجرائم، نحن براء من إقترافها، ومن مجرد التفكير فيها ولكنها تخص أولئك المهذارين أنفسهم ممن لا نفع منهم، وكل من على شاكلتهم.

الفصل الثانى

فى المطالبة بأن يعامل المسيحيون كما يعامل غيرهم عندما يتهمون

إذا استطاع أحد، حقاً، أن يثبت علينا جريمة، صغيرة كانت أو كبيرة، فإننا لا نطلب أن نعفى من العقوبة، بل نحن على إستعداد أن نحتمل أشد عقاب وأقصاه (وأقساه) أما إذا كان الإتهام يقوم على مجرد إسمنا. وليس من ينكر أن القصص التى يروونها عنا حتى الآن لا تقوم على شئ أكثر من أقاويل وإشاعات، يذيعها العوام بغير تمييز، وأن واحداً من المسيحيين لم تثبت عليه جريمة ما - فمن ثم يلزمكم أيها الملوك الأجلاء والعلماء الكرام أن تمنعوا بالقانون هذه المعاملة البغيضة الجائرة، حتى أنه كما يتمتع بحسن معاملتكم، جميع العالم مدناً وأفراداً، نشعر نحن أيضاً بشعور الإمتنان نحوكم، مغتبطين، إذا كنا لا نصير بعد الآن ضحايا إتهامات باطلة.

إذ لا يتفق مع عدالتكم أن غيرنا إذا كان متهماً بجريمة ما، لا يعاقب إلا إذا ثبتت عليه جريمته، أما بالنسبة لنا فالإسم الذى نحمله يعتبر أقوى من كل دليل يحتج به أمام القضاء، فبدلاً من أن يبحث القضاة ما إذا كان المتهم قد ارتكب جريمة ما، يصبون لعناتهم على الإسم، كما لو كان الإسم نفسه جريمة، لكن ليس من اسم يعتبر فى ذاته وبذاته خيراً أو شراً (جيداً أو رديئاً) فالأسماء تظهر جيدة - أو رديئة تبعاً للأفعال التى تستقر وراء هذه الأسماء، رديئة كانت هذه الأفعال أو جيدة، ومع ذلك، فأنتم أنفسكم تعرفون هذا جيداً، إذ أنكم قد أجدتم دراسة الفلسفة

santam aegypt g

وكل علم، ولهذا فإن الذين يحاكمون أمامكم لا يخشون من شئ، مع أنهم قد يكونون متهمين بأشنع الإتهامات، وذلك لأنهم يعرفون إنكم ستستعلمون عن حياتهم السابقة، دون أن تتأثروا بالإسم الذى يتسمون به، إذا لم يكن هذا الإسم يحمل جريمة، ولا بالإتهامات الواردة ضدهم . إذا كانت هذه الاتهامات باطلة، أنهم يتقبلون برضى، على حد سواء، الحكم بالإدانة (العقوبة أو البراءة) إذا كان عادلاً، فنحن إذن لا نطالب لأنفسنا إلا بما خول به حقاً عاماً لجميع الناس، نطالب بأن لا نمقت أو نعاقب فيما بعد لأننا مسيحيون إذ ما هى جريرة الإسم إذا كنا نحن أشراراً؟ بل نطالب أن نحاكم على أى تهمة قد توجه ضدنا (إلينا) فإما أن نتبرأ إذا ما استطعنا أن ندحضها، أو أن نعاقب - إذا ثبتت علينا - ولكن لا من أجل الإسم الذى يطلق علينا، بل من أجل الخطأ الذى نكون قد إرتكبناه بالفعل. والحق أنه ليس من مسيحى شرير إلا إذا كان قد أقر بتعاليمنا إقراراً باطلاً. هكذا رأينا الفلاسفة يحاكمون، إذ القاضى لا يحكم على أحد منهم بأنه فاضل أو شرير نظراً لعلمه أو فنه، بل يحكم عليه بالعقوبة إذا اتضح له أنه قد ارتكب جرماً (إثماً .. شراً) ودون أن توصم الفلسفة فى ذاتها بالشر، إذ هو الشرير لأنه لم يدرس الفلسفة على منهج سليم، أما العلم فلا عيب فيه، فإذا أقام الحجة على بطلان ما أتهم به. حكم له بالبراءة - اطلق سراحه - فلنتمتع نحن إذن بهذه العدالة سواء بسواء. ولتفحص حياة المتهمين، وليبرأ الإسم من كل تنديد. فينبغى فى مطلع هذا الدفاع، أن أتضرع إليكم أيها الإمبراطرة الأجلاء. أن تنصتوا إلىّ بغير تحيز: فلا تكونوا محمولين - (تحملوا) - بالأحاديث غير المعقولة التى تتناقلها العامة، أو تحكموا فى قضيتنا قبل أن تستوعبوها، بل فلتلبوا نداء رغبتكم فى المعرفة وحبكم للحق، وافحصوا عقيدتنا أيضاً. بذلك لا تقعون من جانبكم فى خطأ الجهالة، ونحن أيضاً بردنا على التهم التى أشاعتها عنا الجماهير- العامة - بلا ترو أو تمييز، نوقف تيار هذه الهجمات.

الفصل الثالث

الإتهامات التى تثار ضد المسيحيين

يُدّعى علينا بثلاثة أمور: الإلحاد، ولائم ثيستين، المعاشرة الأوديبية، أما إذا كانت هذه الإتهامات حقيقية فلا تستثنوا أى نوع منها: اشرعوا فى الحال لمقاومة جرائمنا، استأصلونا - أبيدونا - أصلاً وفرعاً بزوجاتنا وأولادنا، إن وجد هناك مسيحى (١) يعيش كما تعيش البهائم والوحوش، مع أن الوحوش نفسها لا تقرب حيواناً من جنسها، وهى تتزاوج لا بدافع من العبث البحت بل وفقاً لقانون طبيعى، ولا يتم ذلك إلا فى فصل معين من السنة، كما أنها أيضا تعترف

(١) هكذا جاء فى نص أوتو، ولكن آخرين يقولون «أى إنسان» .

santam aegypt g

بفضل المتفضلين عليها والمحسنين إليها، وإذن، فأى عقاب يمكن أن يوقع على من هو أشد وحشية من الوحوش. فليكون ملائماً لمثل هذه القباحات والشرور؟ .... ولكن إذا لم تكن هذه الإتهامات غير روايات باطلة، وإشاعات لا نصيب لها من الصحة، أساسها أن الرذيلة تعارض الفضيلة بطبيعتها ، وأن الأضداد، يضاد الواحد منها الآخر بموجب قانون إلهى (وأنتم أنفسكم تشهدون لنا أننا لم نرتكب مثل هذه الشرور، وقد رفضتم دعواهم فيما نسبوه إلينا من مخالفات) فيتبقى عليكم بعد هذا أن تتحروا الحقيقة فيما يختص بحياتنا أو مسيرتنا، ومعتقداتنا ومدى ولائنا وطاعتنا لكم ولبيتكم، وحكومتكم، ثم ... أن تهبوا لنا أخيراً نفس الحقوق (ولسنا نطالب بأكثر من ذلك) ، التى يتمتع بها مضطهدونا، وحينئذ سوف ننتصر عليهم، نحن الذين قد سلمنا ولا نتردد فى أن نسلم، بالفعل، حياتنا ذاتها من أجل الحق...

الفصل الرابع
ليس المسيحيون ملاحدة ولكنهم لا يعرفون(يعترفون) غير (بغير) إله واحد

وها أنا أتناول إتهاماتهم. واحداً بعد الآخر، حتى لا نصبح مثار سخريتهم إذا لم نرد على تلك الإتهامات التى أثاروها ضدنا. أما أولاً: فقد ادّعوا علينا بأننا ملحدون نظير دياجوراس، ولكن لقد حكم الأثينيون على دياجوراس، بجريمة الإلحاد لا لأنه أفشى المذهب الأورفى فقط، أو لأنه أذاع أسرار اليسيس وأسرار كابيرى، أو لأنه شقق تمثال هيركيلس الخشبى واستخدمه فى سلق اللفت، بل لأنه قال صراحة أنه ليس إله على الإطلاق، أما نحن أفليس من المستحيل (غير المعقول) أن ينطبق علينا اسم الالحاد ونحن نميز الله عن المادة، ونعلم أن المادة شئ والله شئ آخر. وأن هناك بوناً واسعاً يفصل بينهما. لأن الذهن والعقل يكفيان وحدهما للحكم بأن الإله غير مخلوق أزلى أبدى، ، بينما المادة مخلوقة قابلة للفساد، فإذا كانت ميولنا شبيهة بميول دياجوراس مع أننا نؤمن بالله مدفوعين ببواعث من النظام القائم، والوفاق (الإئتلاف) العام وحجم العالم (الكرة الأرضية) ولونها وشكلها وتنظيمها وترتيبها فإن ما أشاعوه عنا من الكفر، يمكن أن نحمل عبئه على ذواتنا، إذا كنا ننكر علة وجودنا ولكن حيث أن عقيدتنا تقر إلهاً واحداً، هو الصانع لهذا الكون. وهو ذاته غير مخلوق (إذ الموجود لا يصدر إلى الوجود ، بل غير الموجود) . وإنما خلق الأشياء كلها بكلمته المولود منه، فنحن نعامل بغير عدل من جهتين: يطعن فينا ثم نضطهد معاً...

santam aegypt g

الفصل الخامس

شهادة الشعراء لوحدانية الله

لا يعتبر الشعراء والفلاسفة ملحدين حيث أنهم قد بحثوا فيما يختص بالله. وإذا يتكلم أيريبيدس عن كائنات، تدعى على غير علم، آلهة، وفقاً للتصور العامى السابق فإنه يقول متحيراً:

« إذا كان زيوس يحكم حقاً فى السماء من فوق، فما كان ينبغى أن يبلى البار بالآلام (١) ولكن عندما يتكلم عنه أى عن الله هذا الذى قد توصل الذهن إلى أنه جوهر ذو معرفة يقينية، فإنه يبدى رأيه فى وضوح وذكاء، على هذا النحو:

« ألا تراه فى الأعالى، هذا الذى بذراعيه النديتين يضم الأثير الذى لا حد له والأرض معاً؟ فلتحتسبه زيوس، ولتعتبر أنه الله » (٢)

لم يرد أبداً، لهذه التى يدعونها آلهة، أى وجود حقيقى يكمن وراء ما ينسب إليها عادة من أسماء، فزيوس مثلاً: أنا لا أعرف من هو زيوس، ولكنى اسمع ما يشاع عنه أو أن الأسماء تطلق على كائنات ليس لها وجود واقعى بالفعل (إذ ما قيمة الأسماء لكائنات ليس لها وجود حقيقى تستند إليه؟) ولكنه قد رأى الله عن طريق أعماله (فى أعماله أو مخلوقاته) ناظراً بعين واحدة إلى الأشياء غير المنظورة، متأملاً فى الأشياء التى تظهر فى الهواء أو فى الأثير أو على الأرض. وعلى ذلك فقد استنتج أن من أبدع جميع الخلائق، ومن بروحه يتولى زمامها، إنما هو الله وقد وافقه سوفوكليس على ذلك حين قال:

«هناك إله واحد، وفى الحقيقة ليس غير إله واحد الذى خلق السماوات والأرض الفسيحة من تحتها» (٣)

فإيريبيدس يتحدث عن طبيعة الله الذى أفعم أعماله ومخلوقاته بالجمال مبيناً فى أى مقام يجب أن يكون الإله، كما أنه ينبغى أن يكون واحداً...

---

(١) عن رواية مجهولة.

(٢) عن رواية مجهولة الأصل، ملتبس «فى طبيعة الآلهة» ف ٢٥، وقد ترجم فى بعض المواضع هكذا: ألا ترى هذا الأثير الذى لا حد له فى الأعالى، وهو يحتضن الأرض فى ذراعيه النديتين؟ فلتعتبر هذا هو «زيوس» فأثيناغوراس لم يتمكن من فهم ايريبيدس.

(٣) ليس لهذا النص وجود فى كتبه التى لا تزال باقية.

santatm_laegypt

آراء الفلاسفة فى الإله الواحد

كذلك فيلولاوس عندما قال أن الله بمثابة حصن يشتمل على جميع الأشياء، علم بأن الله واحد، وأنه أرفع من المادة، كما أن ليسيس ثم أوبسيموس (١)، قد عرفا الله على هذا النحو. فقال أحدهما: إن الله عدد لا يمكن أن ينطق به، وقال الآخر أنه الزيادة فى أكبر عدد على أقرب عدد إليه. ولما كان العدد عشرة هو أكبر عدد عند الفيثاغوريين، إذ هو مجموع الأعداد الأولية (٢)، والذى يحتوى على جميع مبادئ التوافق الحسابية، وكان العدد تسعة يجاوره، فالله إذن هو الوحدة ـ أى أنه واحد. لأن العدد الأكبر يزيد على العدد الأقل منه والمجاور له بواحد. ثم هناك أفلاطون وأرسطو على أننى لست بصدد إيراد جميع أقوال الفلاسفة فى الله، كما لو كنت أريد أن أعرض مختصراً كاملاً لآرائهم، فأنا أعرف أنكم تفوقون جميع الناس ذكاءً وسطوة فى الحكم، كذلك وبنفس النسبة، تبرزون عليهم جميعاً فى المعرفة الدقيقة بجميع المعارف والعلوم، وقد درستم بالفعل كل فرع منها على حدة بنجاح أكبر، حتى مما أحرزه أولئك الذين كرسوا أنفسهم بالتمام لدراسة أى فرع منها فقط. ولكن حيث أنه من المستحيل أن نبرهن على أننا لسنا وحدنا القائلين بوحدانية الله، دون إيراد الأسماء، فقد أقدمت على سرد الآراء، وعلى ذلك يقول أفلاطون:

«يصعب علينا أن نكتشف الصانع والأب لهذا الكون، وعندما نكتشفه، فإنه يستحيل علينا أن نظهره للجميع» (٣) يقول هذا وهو يتصور إلهاً سرمدياً، واحداً، غير مخلوق. وإذا كان يقول بآلهة أخرى كالشمس والقمر والنجوم، إلا أنه يقول بها على أنها مخلوقة: «آلهة، ذرية آلهة، وأنا صانعهم، وأب لخلائق لا يمكن أن تنحل بدون إرادتى، ولو أن كل مركب يمكن أن ينحل» (٤) فإذا لم يكن أفلاطون ملحداً لأنه تصور الإله واحداً غير مخلوق، وهو سيد الكون، فإننا نحن أيضاً كذلك غير ملحدين لأننا نقرر ونعتقد إعتقاداً راسخاً أن الله هوالذى أبدع جميع الأشياء بالكلمة، وأنه يبقى على وجودها بروحه. كذلك أرسطو وأتباعه إذ يعترفون بوجود إله واحد يعتبرونه أشبه ما يكون بمخلوق حى مركب (زيوس)، يتكلمون عن الله بوصفه مكوناً من روح وجسم، جسده هو الفراغ الأثيرى والكواكب السيارة وفلك النجوم الثابتة، وهو يتحرك فى دوائر، وأما روحه فهى العقل الذى يشرف على حركة الجسم، فلا يخضع هو نفسه للحركة بل قد أصبح علة

---

(١) هكذا ورد فى نص أوتو، أما فى النص العام فقد ورد أوبى.

(٢) واحد، وإثنان، وثلاثة و أربعة مكونة عشرة.

(٣) طيماوس ص ٢٨ ج.

(٤) طيماوس ص ٤١ أ.

santam aegypt g
لحركة غيره، والرواقيون أيضاً، بإطلاقهم أسماء مختلفة على مختلف التغيرات، المتتابعة، التى تجرى على المادة ـ هذه المادة التى يقولون أنها مفعمة بروح الله ـ نقول ـ إن الرواقيين ـ قد قالوا بتعدد الآلهة إسمياً فقط، غير أنهم فى الحقيقة يعتقدون بوحدانية الله. لأنه ـ إذا كان الله ناراً تصنع وينحو بانتظام نحو إنتاج مختلف الأشياء فى العالم، متضمناً فى ذاته جميع المبادئ البذرية (أى جميع مبادئ الخلق والتكوين) التى تنتج وتكون كل شئ طبقاً للقدر وإذا كان روحه يتخلل العالم كله، فالله عندهم إذن واحد، يسمى زيوس نظراً للجانب الحار ٢ *τὸ ζέον* المادة، ويسمى هيرا نظراً للهواء *ὁ ἀήρ* ويسمى بأسماء أخرى بالنظر إلى ذلك الجانب بعينه من المادة ، الذى يتخلله الله.

الفصل السابع
سمو التعليم المسيحى فيما يختص بالله

لما كان الكل تقريباً، يعترفون ولو على الرغم منهم، بوحدانية الله عندما يقدمون على البحث فى مبادئ الكون الأولى، ولما كنا نحن أيضاً نؤكد أن الله هو الذى نظم هذا الكون ـ فلم يتمكن أولئك من أن يقولوا أو يكتبوا ما يشاءون فيما يختص ـ بالله، دون أن يلحقهم من ذلك أذى، بينما نحن يتعقبنا القانون بالقوة مع أننا نستطيع أن نبرهن على صحة ما نرتئيه ونعتقد به، أعنى: أن هناك إلهاً واحداً ـ بأدلة قاطعة وبراهين دامغة؟

إن الشعراء والفلاسفة قد سلكوا فى هذا الموضوع كما فى غيره، سبيل الحدس والتخمين وقد اندفع كل منهم بروحه محاولين أن يجدوا الحق وأن يدركوه، مدعين أنهم على إتصال بإلهام من الله، ولكنهم لم يكونوا أهلاً بالتمام لأن يدركوا الحق، ذلك أنهم ظنوه لائقاً أن يتعلموا عن الله. كل واحد من قبل نفسه وليس من قبل الله. ولذا، فقد إنتهى كل منهم إلى رأى خاص فيما يتصل بالله والمادة وأشكالها، والعالم.

وأما نحن فلنا شواهد من الأنبياء على صحة ما نرتئيه ونعتقد به، «والأنبياء» رجال (إناس) تكلموا عن الله وما يتعلق به مسوقين بروح الله. وأنتم أنفسكم إذ تفوقون جميع الناس فطنة وتقوى نحو الإله الحق *τὸ ὄντως Θεῖον* تسلمون معنا بأنه من المحال بالنسبة لنا، أن نكف «نمتنع» عن أن نؤمن بالروح الذى من الله وهو الذى يحرك أفواه (ألسنة) الأنبياء كما لو أنها آلات موسيقية، بل وعن أن نحذر الآراء البشرية البحتة.

santarita-egypt

الفصل الثامن

محـــالات الشـــرك

إذن يمكن على هذا الأساس أن نعرفكم بالأدلة والحجج، التى يستند إليهاإيماننا وإعتقادنا فى أن هناك إلهاً واحداً منذ البدء «الأزل»، هو الذى أبدع هذا الكون، فإذا كان هناك منذ البدء إلهان أو أكثر، فإنهم إما أن يكونوا فى مكان واحد بعينه، وإما أن يكون كل واحد منهم فى مكان يخصه على إنفراد. لكنهم لا يمكن أن يوجدوا فى مكان واحد بعينه لأنهم إذ كانوا آلهة فإنهم لا يتشابهون ولما كانوا غير مخلوقين لذا يكونون متخالفين، إذ الأشياء المخلوقة هى التى تشابه نماذجها أما غير المخلوقة فتكون متخالفة، فليس شئ منها قد صدر عن شئ أو صيغ وفقاً لمثال ما. إن العين واليد والقدم أجزاء لجسم واحد تؤلف معاً إنساناً واحداً، فهل الله واحد بهذا المعنى (١) ؟ وفى الواقع، لقد كان سقراط مؤلفاً ومفصلاً إلى أجزاء، وذلك لأنه كان مخلوقاً وقابلاً للفناء، ولكن الله غير مخلوق لا يخضع للألم ولا يقبل الإنقسام ولذا فهو لا يشتمل على أجزاء.

وعلى العكس من ذلك، إذا كان كل منهم منفصلاً عن الآخر، وكان الإله الذى خلق العالم يوجد فوق جميع المخلوقات وحول الأشياء التى خلقها ونظمها. فأين يوجد الإله أو الآلهة الأخرى؟ لأنه إذا كان العالم وهو كروى، محصوراً فى داخل دوائر الفلك، وكان خالق العالم كائناً فوق الخلائق وهو يدبره (٢) بعنايته الإلهية وإهتمامه بهذه الخلائق. فأين إذن موضع الإله الآخر أو الآلهة الأخرى؟ فهو ليس فى العالم لأن العالم يختص بالإله الآخر ولا حول العالم لأن الله الذى صنع العالم هو فوق العالم، فإذا لم يكن فى العالم ولا حول العالم (لأن كل ما يحيط بالعالم يمتلكه «يضبطه» هذا الإله الواحد) (٣)، فأين هو إذن؟ هل هو فوق العالم والإله «الأول»... أفى عالم آخر أو حول عالم آخر؟ ولكن إذا كان فى عالم آخر، أو حول عالم آخر، فهو إذن لا يحيط بنا إذ أنه لا يحكم العالم، وليس عظيماً فى قوته حيث أنه يوجد فى مكان محدود.

فإذا لم يكن لا فى عالم آخر (لأن الإله الآخر يملأ جميع الأشياء)، ولا حول عالم آخر (لأن الإله الآخر يشغل جميع الأشياء)، فمن الواضح أنه لا وجود له على الإطلاق، إذ لا يكون ثمة مكان يمكن أن يوجد فيه، أو ما هو عمله، إذا كان هناك إله آخر ينتسب إليه العالم، وكان هو فوق الصانع للعالم، ومع ذلك ليس فى العالم ولا حول العالم؟

---

(١) لم تنقل.

(٢) أى: العالم.

(٣) أى : الخالق أو الإله الأول.

santam aegypt g
فهل ثمة مكان آخر يمكن أن يقف فيه؟ ولكن الله وما ينتسب إلى الله فوقه (فوق هذا الإله)، ثم أين يوجد هذا المكان، إذا كان الإله الآخر يملأ الأصقاع التى فوق العالم؟ ربما يبدى إهتماماً وعناية إلهية؟ (بدون أى وسيلة). فإذا لم يفعل هذا، فلا يكون قد فعل شيئاً. فإذا لم يفعل شيئاً ولا أبدى عنايته الإلهية، وإذا لم يكن هناك مكان آخر ليوجد فيه، فهذا الوجود الذى نتحدث عنه هو الإله الوحيد منذ البدء والصانع الفريد للعالم.

الفصل التاسع
شهـادات الأنبيـاء

وإذ نقدم مثل هذه الإعتبارات، فإننا نرضى نفوسنا ولعل البعض ينظر إلى معتقداتنا على أنها معتقدات إنسانية. ولكن أصوات الأنبياء تثبت ما نحن بصدده (أدلتنا) ويخيل إلى أنكم أنتم أيضاً، بما لكم من حماس للمعرفة عظيم، وكبير إحاطة بالعلوم والآداب لا يمكن أن تكونوا جاهلين بما كتبه موسى أو إشعياء وأرمياء وسائر الأنبياء. هؤلاء الذين قد نطقوا بما أوحى إليهم، فى غيبوبة عن الحس سمت بهم عن عمليات العقل الطبيعية، وذلك بفعل قوة الروح القدس الذى استخدمهم ونفث فيهم كأنه لاعب الناى ينفخ فى نايه.

فماذا قال هؤلاء الرجال؟

«الرب هو إلهنا، وليس له نظير» (١) وأيضاً (ثم): «أنا هو الله الأول والآخر، وليس غيرى إله» (٢). وعلى هذا المنوال: «لم يكن قبلى إله، ولا يكون بعدى إله، أنا هو الله، وليس غيرى إله» (٣) ومن جهة عظمته (قالوا) «السماء هى عرشى، والأرض موطئ (وطأة) قدمى: أى بيت تبنون لى، وما هو موضع راحتى» (٤).

ولكنى أترك ذلك لكم عندما تواجهون الكتب نفسها، لتفحصوا بإهتمام وإنتباه ما تشتمل عليه من نبوءات، حتى يمكنكم بالإرتكان على أدلة معقولة، أن تدفعوا عنا ما يرموننا به من شتائم وسباب.

---

(١) إشعياء ف ٤١: ٤، الخروج ف ٢٠: ٢، ٣ (بالمعنى لا بالمبنى).

(٢) إشعياء ف ٤٤: ٦.

(٣) إشعياء ف ٤٣: ١٠، ١١.

(٤) إشعياء فى ٦٦: ١.

santamariaegypt.org

المسيحيون يعبدون
الآب، والابن، والروح القدس

لقد برهنت برهنة كافية على أننا غير ملحدين حيث أننا نقر بإله واحد، غير مفحوص، أزلى أبدى «سرمدى»، غير منظور، غير قابل للتأثر والإنفعال، لا يمكن إدراكه، غير محدود، يدرك على نوع ما بالعقل وحده، وهو الذى يكتنفه النور، والجمال، والروح، والقوة التى لا يعبر عنها وبه خلق الكون بواسطة «كلمته» وبه نظم وبقى فى الوجود.

(وقد قلت «كلمته»)، لأننا نعترف أيضاً بابن الله، ولن أسمح لإنسان ما أن يظن من السخرية أن يكون الله ابن. ولو أن الشعراء فى رواياتهم وخرافاتهم، لا يصفون الآلهة بصفات تسمو بهم عن البشر، إلا أن أسلوب تفكيرنا يختلف عن أسلوبهم (أسلوب تفكيرهم) فيما يختص بالله الآب أو الابن. لكن ابن الله هو «كلمة الآب» فى الرأى (الصورة) والفعل، لأن جميع الأشياء قد صنعت به وعلى مثاله (١)، فالآب والابن هما واحد، ولما كان الابن فى الآب، والآب فى الابن، فى وحدة الروح وقوته، فإن الفهم والعقل *νοῦς καὶ λόγος* (العقل والكلمة) فى الآب هو ابن الله. ولكن إذا لاح لكم نظراً لذكائكم المفرط، أن تبحثوا عن المقصود بالابن، فإننى أقرر فى إيجاز أن الابن هو نتاج الآب. لا من حيث أنه أخرجه إلى الوجود (إذ أن الله، منذ البدء، وهو العقل (*νοῦς*) الأزلى الأبدى (السرمدى) يوجد فيه «الكلمة»، وهو منذ الأزل كائن مع الكلمة (*λογικός*)، بل من حيث أنه قد ظهر «برز» ليكون الصورة والقوة الفاعلة لجميع الأشياء الهيولية «المادية»، وهى منه بمثابة طبيعة ليس لها خواص أو أرض ساكنة (غير متحركة) تمتزج فيها الجزئيات الثقيلة بالجزئيات الخفيفة.

هذا وروح النبوءة يؤيد أقوالنا. فهو يقول: «الرب صنعنى، أول سبل أعماله» (٢).

بل ونحن نؤكد أن الروح القدس نفسه والفاعل فى الأنبياء. إنما هو فيض (بشق) من الله، يصدر عنه ويرتد إليه كشعاع من الشمس. فمن ذا الذى لا يتحير عندما يسمع إناساً يتكلمون عن الله الآب، وعن الله الابن، وعن الروح القدس، ويجاهرون بما لهم (للثالوث) من قوة فى الإتحاد وتمايز فى الترتيب، ومع ذلك يدعون ملحدين؟

على أن تعليمنا فيما يتصل بالطبيعة الإلهية (السماوية) لا يقتصر على هذه الأمور، فنحن نسلم أيضاً بجمهور الملائكة والخدام، وزعهم الإله الذى صنع العالم ونظمه، وقلدهم شتى

(١) أو، به وفيه.

(٢) الأمثال ف ٨: ٢٢.

santam aegypt g

وظائفهم بواسطة (عن طريق) «كلمته»، ليهتموا (ليعنوا) بالعناصر، والسموات، والأرض وما فيها، ويحسن تدبيرها جميعاً.

الفصل الحادى عشر
تعاليم المسيحيين الخليقة تدرأ عنهم ما يوجه ضدهم من إتهام

لعله لا يدهشكم أن أدخل معكم فى تفاصيل تعاليمنا ودقائقها. فأنتم لا تسلمون بالرأى الشعبى الذى يتنافى مع العقل، وإنما تريدون الحق واضحاً أمامكم. ونحن نقدم معتقداتنا نفسها والتى نتمسك بها على أنها ليست بشرية بل على أن الله هو الذى تكلم وعلم بها، وبهذا نستطيع أن نقنعكم أن لا تفتكروا فينا أننا ملحدون. فما هى تلك التعاليم التى تربينا فيها؟ «أقول لكم، أحبوا أعدائكم باركوا لاعنيكم، تضرعوا عن الذين يضطهدونكم، فتكونوا أبناء أبيكم الذى فى السماء، وهو يشرق شمسه على الشرير والصالح ويرسل غيثه على البار والظالم» (١).

اسمحوا لى هنا أن أرفع صوتى بشجاعة وجرأة، فى صياح عال وصراخ مسموع، محتجاً لدى أمراء الفلسفة. لأنه منْ من أولئك الذين يردون القياسات ويوضحون المبهمات (يجلون الغوامض) ويشرحون أصول الكلمات، أو من أولئك الذين يعلمون المتشاكلات والمترادفات، والمقولات والبديهيات (الأوليات)، وما هو الموضوع وما هو المحمول، والذين وعدوا تلاميذهم أن يسعدوهم بهذه الأمور وأمثالها: من منهم قد طهر أرواحهم، فجعلهم يحبون الأعداء بدل أن يكرهوهم، وأن يدعوا لهم بالبركة بدلاً من أن يتكلموا شراً على من يلعنهم (وإذ يعفون عن ذلك، فهذا بينة فى ذاته على حلم غير عادى)، ويصلون من أجل الذين يأتمرون على حياتهم؟ إنهم، على العكس، لا يكفون مطلقاً، لسوء نيتهم، عن أن يتقصوا بمهارة أسرار فنهم (٢)، وهم دائبون أبداً على فعل شر ما، وقد جعلوا حرفتهم ومهنتهم فن الألفاظ، لا إظهار الحقائق. لكنكم تجدون بيننا أشخاصاً غير مثقفين، وصناعاً، وعجائز، وإذا عجزوا عن أن يبرهنوا على قيمة تعليمنا بكلماتهم، إلا أنهم بأعمالهم، يظهرون ثمرة إقتناعهم بالحق. إنهم لا يسردون ألفاظاً، بل يظهرون أعمالاً صالحة فإذا ضربوا لا يضربون، وإذا سرقوا لا يلجأون إلى القانون، وهم يعطون من يسألهم، ويحبون أقرباءهم كنفوسهم.

---

(١) لوقا ٦ : ٢٧، ٢٨ ـ متى ٥ : ٤٤، ٤٥.

(٢) المعنى ملتبس، والمحتمل أنه يشير إلى ممارسات السوفوسطائيين.

santam - arabegypt.org

الفصل الثانى عشر

المحال المترتب على تهمة الإلحاد

أفهل كنا (نستطيع أن) نطهر نفوسنا من الشر، لو لم نعتقد بأن (هناك) إلهاً يسيطر على الجنس البشرى؟ قطعاً لا. ولكن لأننا اقتنعنا بأننا سنقدم لله، الذى خلقنا وخلق العالم أيضاً، حساباً عن كل شئ فى الحياة الحاضرة، لذلك جرينا فى الحياة على منهج، فيه كبح لجماح النفس وحب للخير، ولو أن أكثر الناس يحتقرون مثل هذا المنهج، لأننا نؤمن أننا سوف لا نكابد هنا شراً عظيماً، وحتى لو كان هذا الشر هو إنتزاع حياتنا منا، فلن يكون عظيماً بالقياس إلى ما سنحصل عليه هناك من الفيصل العظيم نظراً لما نحن عليه من حياة خيرة حليمة (وديعة ساكنة).

حقاً لقد قال أفلاطون أن مينوس ورادامانثوس سيدينان الأثيم ويعاقبانه ولكننا نقول: حتى لو كان الرجل هو مينوس، أو رادامانثوس نفسه، أو إياهما، فإنه سوف لا يفلت من قصاص الله. فهل يحسب تقياً، ذاك الذى يعتبر الحياة مشتملة فى هذه (القاعدة) «لنأكل ولنشرب، لأننا غداً نموت» وينظر إلى الموت على أنه «نوم عميق وغفلة تامة» «النوم والموت توءمان (صنوان)»(١) أما الذين حسبوا الحياة الحاضرة تافهة القيمة فى واقع الأمر، وقد اهتدوا إلى الحياة الآتية بهذا الشئ وحده، أى أنهم عرفوا الله وكلمة الله، وما هى وحدة الابن مع الآب وما هى شركة الآب مع الابن، وما هو الروح، وما هى وحدانية هؤلاء الثلاثة، الروح، والابن، والآب، وعرفوا أن الحياة التى نتوقعها (ننتظرها) هى أفضل بحيث لا يستطاع وصفها فى كلمات، على شرط أن نصل إليها أطهاراً من كل فعل شرير (أثيم). هذا إلى أنه قد بلغ من حلمنا أننا لا نحب أصدقائنا فقط، إذ قال المسيح «لأنكم إن أحببتم من يحبونكم، وأقرضتم الذين يقرضونكم، فأى ثواب تتوقعون؟» (٢) أقول، إذا كانت هذه هى سجايانا، وإذا كنا نحيا مثل هذه الحياة، فهل ننجو من العقاب أخيراً؟

ومهما يكن من شئ، فهذه أمور صغيرة من أخرى عظيمة وأشياء قليلة من أخرى كثيرة نكتفى بها حتى لا يعيل صبركم، فمن يتذوق العسل وماء الجبن، يحكم بقليل منه على الكل إذا كان جيداً أم لا.

---

(١) عظة ٤٩ : ١٦ : ٦٧٢.

(٢) لوقا ٦ : ٣٢، متى ٥ : ٤٦.

santam aegypt g

الفصل الثالث عشر

لِمَ لا يقدم المسيحيون ضحايا (حيوانية)

ولكن، حيث أن أكثر الذين يتهموننا بالإلحاد، لأنه ليس لديهم ولو أوهى تصور لماهية الله ولأنهم بلهى وعديموا الخبرة بتاتاً بالشئون الطبيعية والسماوية، يقيسون التقوى بمقياس الضحايا والقرابين، ويتهموننا بعدم الإعتراف بنفس الآلهة التى تدين لها المدن، لذلك يسرنى أن أنبهكم، أيها الامبراطرة، إلى الإعتبارات الآتية من ناحيتين، أما: أولاً فبالنسبة لعدم تقريبنا الضحايا: فالآب لهذا الكون ومبدعه، ليس فى حاجة إلى الدم، ولا إلى رائحة المحرقات أو أريج الأزهار والبخور، إذ لما كان «هو» نفسه شذا كاملاً، فلا يعوزه شئ من داخل أو من خارج. ولكن أثمن ضحية نقربها نحن إليه هى أن نعرف من بسط السموات وقباها، وثبت الأرض فى موضعها كأنها نقطة الإرتكاز (المركز)، من جمع المياه فى البحار وفصل النور من الظلمة، من زين القبة الزرقاء (السماء) بالنجوم. وجعل فى الأرض أن تنبت بذوراً من كل نوع، من خلق الحيوان وصنع الإنسان. فعندما (فمتى) نعتقد فى الله أنه مكون الأشياء جميعها، وأنه يصونها فى الوجود، ويرعاها جميعاً بمعرفته وحكمة تدبيره (تدبير حكمته)، بذلك، «نرفع (إليه) أيدى طاهرة» فما حاجته بعد إلى ذبائح من ثيران كثيرة؟

«إذا أخطأ البشر وفشلوا فى سبيل البر والخير، فقد يرضى الآلهة عنهم، بتقديم الضحايا والصلوات والسكائب والمحرقات» (١).

وماذا أقول عن المحرقات، وليس لله إفتقار إليها، إنه يليق بنا حقاً أن نقدم لله ذبيحة غير دموية «وعبادة عقولنا» و «عبادتنا العقلية» (٢).

الفصل الرابع عشر

تناقض أولئك الذين يتهمون المسيحيين

أما نظراً للإتهام الآخر، وهو إننا لا نبتهل إلى آلهة المدن أو نعتقد فيها كما يفعلون، فهو إتهام سخيف غاية السخف. إذ أن الذين يشكوننا بتهمة الإلحاد لأننا لا نعترف بآلهتهم، هم أنفسهم ليسوا على إتفاق فيما بينهم فى شأن الآلهة، فالأثينيون نصبوا كيليوس وميتانيرا إلهين عليهم وأهل مقدونية جعلوا مينيلاوس، وبينما يقدمون إليه الضحايا ويقيمون له الولائم والأعياد، لا

---

(١) عظة ٤٠ : ٩ : ٤٤٩ وما بعدها. ترجمة اللورد دربى، وهى الترجمة التى اعتمد عليها المترجم غالباً.

(٢) الحجة الرومانية ١٢ : ١.

يحتمل رجال اليوم مجرد سماع اسمه، وإنما هؤلاء يتعبدون لهكتور وأما أهل كينيا، فيعبدون أريستيوس ويعتبرونه اعتبار زيوس وأبولون ، وأهل تاسيا يعبدون ثياجينس وهو رجل قد ارتكب جريمة القتل فى الألعاب الأوليمبية، والساميون يعبدون ليساندر على الرغم من جميع المجازر، وجميع الجرائم التى اقترفها، والإلكمان والهزيود يعبدون فيديا، وأهل كيليكيا يعبدون نيوب، وأهل سيشل يعبدون فيلبس بن بوتاسيد والاماتوسيون يعبدون أونيسيليوس، وأهل قرطاجنة يعبدون هاملكار، وإنه ليعوزنى الوقت إذا أردت أن أحصى جميع الآلهة. فإذا كانوا يختلفون فيما بينهم على آلهتهم، فلماذا يحملون علينا ويتهموننا إذا لم نوافقهم؟

ثم انظروا إلى الممارسات والمزاولات السائدة بين المصريين: أليست مثاراً لتمام الزراية والهزء؟ إذ أنهم فى أعيادهم المقدسة ومواسمهم الرسمية، يقرعون صدورهم عن موتاهم، وفى الوقت نفسه يقدمون إليهم الضحايا على أنهم آلهة. ولا عجب إذا اعتبروا البهائم والوحوش آلهة، فإذا ماتت مزقوا نفوسهم من أجلها ثم دفنوها فى المعابد وأقاموا عليها مناحة عظيمة وعلى ذلك، فإن كنا (نحن) نعد كفرة مذنبين لأننا لا نمارس عبادة تطابق عبادتهم، فجميع المدن وجميع الأمم كفرة مذنبون كذلك، لأنهم لا يعترفون جميعاً بآلهة واحدة.

الفصل الخامس عشر
المسيحيون يميزون الله عن المادة

فلنسلم جدلاً أنهم يعتقدون إعتقاداً واحداً، فماذا بعد هذا؟ إن عامة الناس الذين لا يمكنهم أن يميزوا بين المادة وبين الله، أو أن يروا ما بينهما من فارق عظيم، يتضرعون إلى أصنام مصنوعة من مادة. أما نحن فنفرق ونفصل بين المخلوق وغير المخلوق، بين ما هو كائن وما ليس بكائن، بين ما يمكن إدراكه بالذهن وما يمكن إدراكه بالحواس، ونسمى كلا منها باسمه الذى يليق به، فهل ينتظر منا أن نتعبد للتماثيل؟

إذا كان حقاً أن الله هو بعينه المادة، اسمين لشئ واحد، فحينئذ، إذا لم نعتبر أصول الأشجار والأحجار والفضة والذهب، إنها آلهة فنكون يقيناً كفرة مذنبين. ولكن إذا كنا، على أقصى إحتمال، يختلفان الواحد عن الآخر، بل يفترقان كما هو الحال بالنسبة إلى الفنان والمواد التى يشتغل عليها بفنه فلم ندان نحن أو نحاسب؟

لأنه كالخزاف مع الصلصال (المادة هى الصلصال، والصانع هو الخزاف) هكذا الله مكون العالم وصانعه مع المادة التى يستخدمها لتحقيق مقاصده فى الخلق والتكوين، كما أن الصلصال

santam aegypt g
لا يمكن أن يصبح أوعية وآنية من ذاته وبدون صنع، هكذا المادة، وهى قابلة لأن تتخذ جميع الشكول، لا يمكنها مطلقاً من دون الله منظمها ومكونها أن تتميز أو تتشكل أو تنتظم، إذ هو الصانع والمكون، وكما أننا لا نقوم الأدوات أو الآنية الخزفية أكثر من صانعها، ولا الآنية الزجاجية أو الذهبية بأزيد ممن قد عملها، بل إذا وجدنا فيها شيئاً بديع الصنع امتدحنا (أثنينا على) الصانع، ونسبنا إليه ما فى الآنية من جمال.

هكذا شأن الله مع المادة، فإن ما فى تنظيم العالم وإتساقه من عظمة وجلال، يرتد بحق لا إلى المادة بل إلى الله الذى كوّن المادة ونظمها.

فإذا كنا ننظر إلى أشكال المادة المتنوعة على أنها آلهة، فإننا نبدو وكأنه ليس لنا شعور نحو الإله الحق (إحساس بالإله الحق) إذ قد وضعنا ما هو قابل للإنحلال والفناء بإزاء ما هو أزلى أبدى (سرمدى).

الفصل السادس عشر
المسيحيون لا يعبدون الكون

عالمنا جميل ولا شك في ذلك. وهو يفوق (١) فى كبره كما فى نظام أجزائه بل فى شكله الدائرى. سواء تلك العوالم التى فى الدائرة المنحرفة أو تلك التى نحو الشمال، ومع ذلك، فليس لهذا العالم يجب أن نتعبد بل لصانعه.

فمتى جاء إليكم بعض أتباعكم فإنهم لا يتوانون عن أن يقدموا طاعتهم (وخضوعهم) لكم، بوصفكم حكامهم وسادتهم، الذين منهم سيحصلون على كل ما يحتاجون إليه، وأن يعدوا نفوسهم لقصركم العظيم.

فإذا خاطروا فدخلوا البيت الملكى، فإنهم يلقون نظرة إعجاب عابرة على مبناه الجميل، ولكنهم يظهرون إحترامهم نحوكم بالذات، إذ أنتم «الكل فى الكل».

أنتم فى الواقع ، أيها الملوك تشيدون القصور وتزينونها لأنفسكم، ولكن العالم لم يخلق لأن الله فى حاجة إليه، إذ أن الله هو ذاته كل شئ لذاته، (هو) نور لا يدنى منه، (هو) عالم كامل، (هو) روح، (هو) قوة، (هو) عقل.

(١) هكذا ورد فى نص أوتو، ولكن آخرين يقولون «يشتمل».

santam aegypt.org

وعلى ذلك، فإن كان العالم آلة موسيقية منغمة تتحرك فى زمن مقيد (محدود) مضبوط، فإنى لا أعبد الآله وإنما أعبد «الكائن» الذى منحها الإيقاع (توافق الأصوات) وهو الذى يضغط على علاماتها الموسيقية ويغنى اللحن المناسب.إذ المحكمين فى المنافسات الموسيقية لا يمرون باللاعبين على الأعواد فيتوجون أو يبجلون الأعواد (بل بالحرى الضاربين عليها) .

وإذن، فإما أن يكون العالم كما يقول أفلاطون، نتيجة صنع إلهى، وحينئذ أعجب بجماله وأعبد صانعه، وإما أن يكون (العالم) هو جوهر (الإله) وجسمه، كما يؤكد المشاءون وإذ ذلك لانغفل عن أن نعبد الله الذى هو علة للحركة فى الجسم، فلا نتنزل إلى العناصر الفقيرة الواهنة، أو نعبد المادة القابلة للتأثر (الإنفعال) والكائنة فى الهواء الذى لا ينفعل (١) (على حد تعبيرهم) .

وإذا كان أحد يحسب أجزاء العالم المتنوعة قوى لله، فنحن لا نخشع لهذه القوى ولا نقترب إليها، بل إلى صانعها وربها، أنا لا أسأل من المادة ما لا تستطيع أن تمنحنى إياه، أو أغفل الله فأخضع للعناصر التى لا يمكنها أن تفعل أكثر مما يطلب إليها.

ومع أنها جميلة المنظر وبديعة الصنع، إلا أنه لا تزال لها طبيعة المادة. ولهذا الرأى يشهد أيضاً أفلاطون بقوله «لأن ما يدعى السماء والأرض، قد قبلت بركات كثيرة من قبل الآب، لكنها مع ذلك تشارك فى جسم. ولذلك لا يمكنها على طريقة ما أن تبرأ من التغير» (٢) .

فلئن كنت أعجب بالسموات والعناصر من حيث صنعها، بيد أنى لا أعبدها على أنها آلهة لأننى أعرف أنها خاضعة لقانون الإنحلال، وكيف يمكن أن أدعو تلك الأشياء آلهة وهى التى أعلم أن البشر هم الذين صنعوها؟

أرجو أن تتوقعوا بضع كلمات فى هذا الموضوع.

(١) ينسب هذا عند البعض إلى الروح البشرى.

(٢) السياسى ص ٢٦٩ د.

santam aegypt g

الفصل السابع عشر

أسماء الآلهة وتماثيلهم حديثة العهد

يجدر بالمدافع أن يورد حججاً أكثر تحديداً ودقة مما قد فعلت حتى الآن، سواء فيما يختص بأسماء الآلهة فيبرهن على حداثة أصلها، أو فيما يختص بتماثيل الآلهة، فيثبت أنها بالتالى منذ الأمس القريب.

ومع ذلك فأنتم أنفسكم خبيرون بهذه الأمور خبرة تامة إذ أنكم متضلعون فى جميع فروع العلم وأوسع معرفة بالأقدمين من جميع الناس.

وعليه، أؤكد أن أورفيوس وهوميروس وهزيود هم (١)، الذين خلعوا على تلك التى يدعونها آلهة، أسماء وأنساباً وهذه هى أيضاً شهادة هيرودتس (٢) فهو يقول: «إعتقادى أن هزيود وهوميروس قد سبقانى بأربع مائة سنة فقط، وأنهما اللذان وضعا لليونان نسباً، وسميا الآلهة بأسمائها، وحددا لها مختلف إمتيازاتها ووظائفها، ورسما لها طقوسها (٣).

(١) اتبعنا هنا نص أوتو، وقد وضع آخرون هذه العبارة فى الجملة الآتية:

(٢) «زار هيرودوت مصر فيما بين سنتى ٤٤٨، ٤٤٥ ق. م. على الأرجح، وفى عصر الملك ارتاكزرسيس الأول. وأغلب الظن أنه جاء مصر لمشاهدة البلاد... وكان المصرى على الرغم من كرهه لليونانى وعزوفه عنه وإعتباره نجساً، يتلطف معه ويؤاخيه وهكذا تأتى لهيرودوت أن يستمع لبعض الكهنة والتراجمة. ومكث هيرودوت فى مصر حوالى ثلاثة أشهر ونصف، كانت من أغسطس إلى نوفمبر على الأرجح. فقد كان فى مصر زمن الفيضان، نزل بمصر فى كوم سمعدى شمال شرق الأسكندرية وذهب منها إلى كوم جيف بالقرب من نقراش ومنها إلى ميت رهينة ومن هنا قام برحلة قصيرة إلى المطرية، ثم ركب النيل إلى اسوان ونزل فى الأشمونين والأقصر، ثم رجع إلى ميت رهينة وقام بجولة فى وسط الدلتا وشرقها. فإذا لم يكن هيرودوت عالماً باللغة المصرية ولا هو حاول أن يتعلمها، فكيف استقى معلوماته من الكهنة ؟ كان المترجمون عونه على ذلك بلا شك، ولقد أعجب بحسن تعبيرهم باللغة اليونانية، مما حدا به إلى الإطناب فى الحديث عن نشأتهم، ولعل هؤلاء المترجمين كانوا مثل خلفائهم من التراجمة ولعين بالإعراب والمبالغة، معتمدين على جهل الأجانب بلغة النقوش وإستعدادهم للتصديق لفرط إعجابهم بالآثار. أم لعل القوم كانوا قليلى العلم، حسنى النية أدلوا بما وصل إليه علمهم، وإذن فهيرودوت قد حفظ لنا تاريخ مصر كما كان يتصوره أبناؤها فى القرن الخامس ق. م . فأبان بذلك عن حالة البلاد الفكرية فى تلك الفترة.

ويقرر هيرودوت فى مواضع متعددة أن سنده فيما يروى من أخبار هو كهنة منف، وأغلب الظن أنه لم يتصل بكبار الأحبار وفقهائهم، بل كان إتصاله بالكتاب والمسجلين فى المعابد. ولم يكن هؤلاء على علم غزير. ولعلهم كانوا قادرين على قراءة النقوش الهيروغليفية، ولكنهم لم يجشموا أنفسهم مشقة الجمع والترجمة، فاتحفوا المؤرخ بما فاضت به عقولهم من روايات وقصص مرتجلة لا تستند إلى أساس من التاريخ قويم.

(عن كتاب هيرودوت فى مصر نقله عن اليونانية الاستاذ وهيب كامل - القاهرة - ١٩٤٦) .

(٣) كتاب هيرودوت ٣ : ٥٣ .

santami_aegypt

هذا ولم يكن ثمة تصوير للآلهة على الإطلاق طالما أن صناعة التماثيل وفني التلوين والنحت، كانت (أمورا) مجهولة، بل، ولم تصبح شائعة قبل أن يظهر ساويرس السامي وكراتوس الصقلي وكليانتس الكورنثي والفتاة الكورنثية، حيث أن التخطيط الإجمالي قد ابتكر بمعرفة ساويرس الذي خطط حصاناً في الشمس بهيئة إجمالية، والرسم، بمعرفة كراتوس الذي دهن بالزيت وعلى لوحة بيضاء، تخطيط رجل وإمرأة، أما فن صناعة الحروف البارزة فقد ابتكرته الصبية (١) التي كانت تحب شخصاً فرسمت ظله، وهو نائم، على حائط، وإذ قد سر والدها من دقة الشبه وقد كان خزافاً، حفر في موضع التخطيط وملأه بالصلصال، ولا زالت هذه الصورة محفوظة في كورنثوس.

بعد هؤلاء، ديدالوس ثم ثيئودوروس الميليسي، وقد ابتكرا ـ علاوة على ذلك ـ النحت وصناعة التماثيل.

تلاحظون، إذن ، إنه منذ عهد قريب قد بدأ تصوير الأشكال وصناعة الصور، حتى إننا نستطيع أن نذكر اسم من صنع أي إله منها، فمثلاً تمثال أرطاميس في أفسس وتمثال أثينا (أو بالحرى تمثال أثيلا، لأنه هكذا يدعوها أولئك الذين يتحدثون في الأكثر بأسلوب الأحاجي «الأساطير»، فقد كان التمثال القديم مصنوعاً مما يسمونه شجرة الزيتون) ثم التمثال الجالس للآلهة نفسها.

كل هذه الآلهة قد صنعها أندوس وهو تلميذ من تلامذة ديدالوس كما أن إله البيثيين كان من عمل ثيئودوروس، وتيليكليس. كذلك إله الديليين وأرطاميس هما من صنع تيكتيوس وأنجيليوس أما هيرا في ساموس وفي أرغوس فقد صنعتها يدا سميليس، والتماثيل الأخرى (٢) أقامها فيدياس، ثم أن أفرديتس العاهرة في كنيدس هي من إنتاج براكسيتيليس كذلك اسكليبيوس في ايبداوروس من عمل فيدياس.

وفي كلمة واحدة، لا يمكن أن يقال عن أي تمثال من هذه التماثيل، إنه لم يصنعه إنسان، فإذا كانت هذه آلهة، فكيف لم توجد منذ البدء؟ ولِمَ تكون بالحقيقة أصغر من أولئك الذين صنعوها؟ ولماذا تفتقر في وجودها إلى معونة البشر ومهارتهم؟

الحق إنها ليست غير تراب وأحجار، ومادة، وفن بديع.

---

(١) أو، (كورية). يشك فيما إذا كان هذا اللفظ علماً (اسم علم) أم لا.

(٢) يشك في هذه القراءة.

santam aegypt g

الفصل الثامن عشر

إن الآلهة ذاتها قد خلقت كما يعترف بذلك الشعـــــــــــــراء

يصرح البعض إنه مع أن هذه (الآلهة) مجرد تماثيل إلا أن هناك آلهة (حقة) قد شرفتها فصنعتها. وأن الابتهالات والضحايا التى تقدم إلى التماثيل ترتد إلى الآلهة أو هى فى الحقيقة ترفع إلى الآلهة»، وأنه ليس ثمت سبيل آخر للتقرب إليها، لأنه : «من العسير على الإنسان أن يرى إلها مرأى العيان» (١) ولكيما يدللوا على صحة قضيتهم، يسوقون فى سبيل ذلك ما فى حيازة هذه التماثيل من قدرات ووجوه للنشاط.

وعلى ذلك، فلنمتحن هذه القوة التى ينسبوها إلى أسمائها.

وإنى أسألكم، يا أعاظم الامبراطرة، قبل أن أخوض غمار هذا البحث، أن تشملونى بعطفكم حينما أتقدم إليكم بملاحظات ذات قيمة واعتبار. وليس قصدى أن أبين ضلال (العبادة) الصنمية، بل أن أبرهن على بطلان إفتراءاتهم التى يتفوهون بها علينا، كيما أقدم سببا يكفى لتعليل وتبرير السبيل الذى نسلكه فى الحياة.

ألا يمكنكم إذا تفكرتم وتأملتم فى نفوسكم أن تقفوا على (شئون) ملكوت السموات أيضا. لأنه كما أن جميع الأشياء تخضع لكم، أبا وابن، حيث أنكم قد تسلمتم الملك من عل («وروح الملك فى يد الله» (٢) كما يقول «الروح» النبوى)، هكذا بالمثل تخضع جميع الأشياء للإله الواحد والكلمة المولود منه (وهو) الابن الذى نعتقد فيه أنه غير مفترق عنه (عن الله).

هذا هو، على وجه الخصوص، ما أرجو أن تولوه عنايتكم، أن الآلهه، كما يؤكدون، لم تكن منذ البدء، بل لقد وجد كل منها كما وجدنا نحن تماما، ولقد اتفقوا على هذا الرأى جميعا.

فهوميروس يتكلم عن :

«الأوقيانوس (المحيط) القديم، سيد الآلهة، وأعظم آلهات البحار» (٣) كذلك أورفيوس وهو، فضلا عن ذلك أول من ابتدع أسماءها (أى الآلهة) وعدد سلسلة أنسابها، وروى لكل منها مآثر خالدة قد صدقوها وآمنوا بها وبحقيقتها، أكثر مما صدقوا وآمنوا بمآثر السمائيات، والتى كان هوميروس، نفسه، يتبعها فى أكثر الأمور ولاسيما إذا استشهد بالآلهة) - فهو أيضا قد عين أن أصلها الأول الذى ترتد إليه إنما هو الماء:

---

(١) عظة ٤٠ : ٢٠ ص ١٣١.

(٢) أم (امثال) ٢١ : ١.

(٣) عظة ٤٠ : ١٤ ص ٣٠١، ٣٠٢.

«الأوقيانوس (المحيط) أصل الكل» (١) إن الماء، على رأيه. أصل جميع الأشياء : فمن الماء تكوّن الطين، ومن كليهما معا تكون الحيوان : تنين له رأس أسد تقترب نحوه، ويوجد بين الإثنين وجه إله يسمى هيراكليس (هرقل) وكرونوس. وقد أنجب (باض) هيراكليس بيضة كبيرة الحجم فلما اكتظت واكتمل نضجها، إنفلقت بقوة ذلك (حك) منجبها إلى قسمين : قسم أعلى وقد اتخذ شكل السماء (أورانوس) وقسم أدنى وقد اتخذ شكل الأرض (جى).

ثم أنه قد ظهر للآلهه (جى) جسم وبإتحاد أورانوس مع جى أنجب إناثا، هن : كلوثو، لاشييزس، اتروبوس، وذكورا هم : كوتيس ذو المائة يد، جيجس برياريوس، ثم العور برونتيس وستيروبيس وارجوس، هؤلاء الذين قيدهم ودفعهم بعنف إلى جهنم، عندما علم أن أولاده طردوه من الحكم، حينئذ حنقت (جى) فوضعت (فولدت) الجبابرة (٢).

«لقد ولدت الآلهة (جى) لأورانوس أبناء، عرفوا باسم الجبابرة، لأنهم قد إنتقموا من أورانوس، صاحب الجلالة، وهو يتلألأ بتاجه المتألق بالنجوم» (٣).

الفصل التاسع عشر
يتفق الفلاسفة مع الشعراء فيما يتصل بالله

هكذا بدأ وجود آلهتهم ووجود الكون. والآن فماذا نقول فى هذا؟ لأن كل ما يقال عنه أنه إله يتصور (يدرك) على أنه موجود منذ البدء. فإذا كانت (الآلهة) قد صدرت إلى الوجود ولم يكن لها سابقا وجود - كما يقول أولئك الباحثون فى الآلهة - فهى إذن غير موجودة كآلهة. لأنه إما أن يكون الشئ سرمديا غير مخلوق أو يكون مخلوقا قابلا للفناء.

ولست أرى فى هذا الأمر غير مايراه الفلاسفة :

«فما هو ذاك الموجود على الدوام وليس له بدء، وما هو ذاك الذى خلق وأوجد ومع ذلك لا يدوم إلى الأبد» (٤).

---

(١) عظة ٤٠ : ١٤ ص ٢٤٦.

(٢) Τιοάιθην تيساستين.

(٣) اورفيوس : شذرات.

(٤) افلاطون : طيماوس ص ٢٧ د.

santam aegypt g

ولما تكلم أفلاطون عن المعقول والمحسوس، قال إن ما يوجد على الدوام، وهو المعقول، ليس له بدء، أما الذى لايوجد دائما - وهو المحسوس - فهو المنظور لوجوده إبتداء وإنتهاء.

وبالمثل يقول الرواقيون أن جميع الأشياء ستحترق وتتكون من جديد، وأن العالم سينشأ نشأة أخرى. ومع أن هناك علتين، حسب رأيهم، : علة فاعلة حاكمة، أو هى العناية الإلهية، وعلة قابلة ومتغيرة أو هى المادة، إلا أن العالم - من حيث هو مخلوق - لا يمكن أن يظل على حالة واحدة بعينها ولو أنه تحت تدبير العناية الإلهية.

فكيف يدوم بقاء هذه الآلهة وهى غير موجودة بذاتها(١) بل بفعل واجد؟ وبم تمتاز الآلهه عن المادة وقد تكونوا من الماء؟

ومع ذلك، فليس الماء أيضا - تبعا لرأيهم - هو أصل الأشياء لأنه لايمكن أن يتكون شئ ما، من عناصر بسيطة ومتجانسة.

زد على ذلك أن المادة تفتقر إلى صانع، والصانع تعوزه المادة، فكيف يمكن أن تصنع الأشكال والرسوم بلا مادة أو صانع؟ كما أنه ليس من المعقول أبدا أن تكون المادة أقدم من الله، إذ أن العلة الفاعلة يلزم بالضرورة أن تكون سابقة فى وجودها على المصنوعات.

الفصل العشرون
تصورات فى الآلهة لايقبلها العقل

إذا كانت آلهتهم مناقضة للعقل، وكانت هذه المناقضة محصورة فى أن الآلهة مخلوقة وأن تكوينها يعزى إلى الماء، وبما أننى قد أقمت الدليل القاطع على أن كل شئ مصنوع هو عرضة أيضا للإنحلال، فمن ثم يمكننى أن أتناول الإتهامات الباقية.

ولكنهم قد وضعوا هيئاتها الجسمانية فتكلموا عن هرقل (هيركليس) مثلا ووصفوه بأنه إله فى شكل تنين قد إنطوى على نفسه، وعن غيره، بأنه ذو مائة يد، وعن أخت زيوس التى أنجبها من أمه «رية»، أو عن ديميتر بأن لها عينين فى الوضع الطبيعى وأخريين فى جبهتها، ووجه حيوان فى الجزء الخلفى من رقبتها، وأن لها أيضا قرونا، حتى أن (رية) - وقد فزعت من فظاعة منظر طفلتها - هربت منها ولم تقدم لها نهدها (ثديها) (θηλή). لذلك دعيت فى الأساطير باسم أثيلا، ولكنها تدعى فى العادة باسم فيرسيفونية وكورية مع أنها ليست كأثينا (٢) التى تسمى

---

(١) حرفيا : «بطبيعتها».

(٢) أى منيرفا.

santam aegypt.org

كورية من إنسان العين، هذا من جهة ومن جهة أخرى فقد رووا عنها أعمالا خطيرة وغريبة(١) كما توسموا فيها : كيف أن (كرونوس) مثلا قد خصى أباه ودفعه بقوة من مركبته الملوكية وكيف أنه قتل أولاده وابتلع الذكور منهم، وكيف أن زيوس ربط أباه (قيده) ورماه فى جهنم، كذلك فعل أيضا (أورانوس) بأبنائه وقد حارب الجبابرة من أجل السيادة والحكم، وكيف اضطهد أمه (يريا) عندما رفضت أن تتزوج به، وإذ صارت هى تنينة وتحول هو نفسه فأصبح تنينا، قيدها (شدها) بما يسمى العروة الهرقلية ثم أتم غرضه، وهى واقعة يرمز إليها صولجان هرمييس (عطارد). وكيف اغتصب أيضا ابنته فيرسيفونية فى هذه الحالة كذلك متخذا صورة تنين فأصبح أبا لديونيزوس.

لابد فى مواجهة أمثال هذه الأخبار (الأساطير) أن أقول على الأقل، تبا لهم.

أفهل فى مثل هذا التاريخ ما يليق أو يفيد حتى نذعن بألوهية كرونوس وزيوس وكورية وسائر الباقين؟ وما هو؟ أهو أوصاف جسومهم (الآلهة)؟ كلا، فأى إمرؤ له بصيرة وتمييز، يصدق أن إلها يلد أفعى؟

يقول أورفيوس :

«إنما قد ولد فينيس من رحمه المقدس ولدا آخر، مرعبا وشديدا، فى منظر أفعى مخيفة، وعلى رأسه شعرات : وجهه جميل، لكن باقى (جسمه) إبتداء من رقبته فما دون، يحمل صورة مرعبة (لتنين هائل)» (٢).

أو من يسلم بأن فينيس نفسه، وهو الإله البكر (لأنه هو الذى خرج من البيضة) له جسم التنين أو شكله أو أن زيوس قد ابتلعه، ولذا أصبح زيوس كبيرا جدا لأنه إحتواه فى داخله؟

«فإذا كانوا لا يختلفون فى شئ عن أحط الوحوش (مع أنه من الواضح أن الإله لابد أن يختلف عن الأشياء الأرضية وعن تلك الأشياء المتولدة من المادة) فهم لذلك ليسوا آلهة.

وبناء عليه، أتساءل :

كيف يمكن أن ندنوا منهم ونبتهل إليهم، إذا كان أصلهم يشابه أصل البهائم وكانوا هم أنفسهم فى صورة الوحوش، ومن القبح بحيث لا نستطيع أن ننظر إليهم؟

---

(١) أو «قد وضعوا على وجه الدقة».

(٢) شذرات.

santam aegypt g

الفصل الحادى والعشرون

أهواء وميول غير طاهرة تنسب إلى الآلهة

لكن إذا قيل أن لهم (أى الآلهة) أشكالا جسمية، وأن فيهم دما وبذور الحياة (حيونات منوية) وأنه تجيش فى نفوسهم إنفعالات الغضب، والشهوة الجنسية، فحتى مع هذا يجب أن ننظر إلى هذه المزاعم على أنها هذر، وأمور تثير السخرية والضحك، إذ أن الآلهة لاتغضب وليست فيها رغبة أو شهوة، ولابذور منوية للتوالد والإنسال.

فليكن أن لهم أشكالا لحمية ولكن يجب أن يتعالوا عن السخط والغضب فلا ترى أثينا : «تشتعل بالغيظ وتحتد فى الباطن مع جوبيتر» (١).

أو تبدو هيرا هكذا :

«صـــــدر يـــونـــــو لا يستطيع أن يطيق غضبها» (٢).

بل يجب أن يجلوا عن الحزن :

«رأت عيناى منظرا أليما : رجلا أحبه، يفر حول الأسوار! إن قلبى يتفجع على هكتور» (٣).

إن من يدع سبيلا إلى الغضب أسميه فظا وأحمق، حتى لوكان من البشر. فإذا كان «أبو البشر والآلهة» ينوح على ولده :

«ويحى. ويحى! ذاك القدر حكم على أعظم محبوب إلى» على ساربيدون أن يسقط بيد باتروكلوس» (٤).

وليس فى مقدوره وهو يبكى أن يخلصه من مأزقه :

«ابن جوبيتر، ومع ذلك فجوبيتر لم ينقذه» (٥).

فمن لا يُخطئ أولئك على حماقتهم، أعنى الذين يعشقون الآلهة على أمثال هذه الروايات، أو بالأحرى هؤلاء الذين يعيشون بدون إله؟

ولتكن لهم هيئة جسدية، ولكن (هل يسوغ أن يقال) أن ديوميديس جرح افرديتى فى جسمها :

«لقد جرحنى؟ «ديوميد المتشامخ، ابن تيديوس» (٦) أو أن آريس آلمها فى روحها :

---

(١) عظة ٤٠ : ٤ص ٢٣.

(٢) نفس المرجع : ٤ ص ٢٤.

(٣) نفس المرجع : ٢٢ ص ١٦٨ وما بعدها.

(٤) نفس المرجع السابق : ١٦ ص ٤٣٣ وما بعدها.

(٥) نفس المرجع : ١٦ ص ٥٢٢ وما بعدها.

(٦) نفس المرجع : ٥ ص ٣٧٦.

santamariaegypt.org

«لقد إستخفت بى، وإستثقلتنى وسلمت سحر جمالها إلى ذاك الفاسق الأنيق والإله قوى الذراعين (١) فإخترق السلاح جسمها» (٢) (وأن) من كان مخوفا فى الحرب، وحليفا لزيوس ضد الشياطين، قد ظهر أنه أضعف من ديوميديس؟

«غضب كأنه مارس (إله الحرب) عندما يهز رمحه» (٣) صه ياهوميروس! فالإله لن يغضب أبدا.

ثم أنك تصور لى الإله ملطخا بالدم، وأنه مهلك البشر:

«مارس، مارس، مهلك الناس، ملطخ بالدم» (٤) بل وتخبر عن فساده (زناه) وعلاقاته (الدنسة) :

«وعلى ذلك فليس ما يدعو إلى التقزز، أنه أرشد الحسناء التى وقع فى غرامها وقادها بيده إلى مضجع حيث إستغرق معها فى طرب ولذة فوقعت حالا فى شراكه» (٥).

أليسوا يذيعون عن الآلهة أمورا كثيرة مثل هذه تعارض التقوى؟ أورانوس قد خصى، كرونوس مقيد وقد قذف به إلى جهنم، الشياطين شقوا عصا الطاعة، ستيكس يموت فى الحرب : أجل فقد تصوروا الآلهة كالبشر، يعشق الواحد منهم الآخر، أو يعشقون الكائنات الإنسانية...

«الزهرة (إلاهة العشق) الخالدة حملت إينياس وهربت به إلى انكيزس، بين قمم ايديا البارزة»(٦) ألا يعشقون؟ ألا يشقون؟

لا لا، إنهم حقا آلهة، والشهوة لايمكن أن تدركهم... ولو أن إلها اتخذ جسدا فى سبيل الوصول إلى غرض سماوى (إلهى)، أفهل يكون لذلك عبدا (مستعبدا) للشهوة؟ «لأنه لم يحدث حتى الآن، أن غمر نفسى مثل هذا الفيض من الحب نحو الآلهة أو نحو بشر، ولانحو زوجة ايكسيون الرشيقة التى ولدت بيريتوس، وهو ذو مشورة صالحة كالآلهة، أو نحو دانية، الفتاة ذات القدمين النظيفتين (الجميلتين) أخت أكرزيوس التى أنجبتها بيروسيوس، التى يعرفها الجميع أو نحو إبنة النبيل فونيكس... أو نحو سميليه، أو نحو حسن الكمينا، لا، ولا نحو كيريس، ملكة

---

(١) عظة ٨ ص ٣٠٨ وما بعدها (ترجمة بوب).

(٢) عظة ٤٠ : ٥ ص ١٥٨.

(٣) نفس المرجع السابق ص ٦٠٥.

(٤) نفس المرجع ص ٥٣١.

(٥) عظة ٨ ص ٢٩٦، ٢٩٨ (ترجمة بوب).

(٦) عظة ٤٠ : ٢ ص ٨٢٠.

santamariaegypt org
الذهب المضفور ولانحو بهاء لاتونا، ولانحوك أنت» (١)

إنه مخلوق، قابل للفناء وليس فيه أى أثر للألوهة، كلا، بل هم خدمة مأجورون للناس.

«فى دور أدميتوس ظللت، أمدح مائدة الأجير، مع أنه إله» (٢) وهم (الآلهة) يحرسون الماشية :

«وإذ أتيت إلى هذه الأرض، فإننى أطعمت ماشية ضيفى، وحرست هذا البيت» (٣) فادميتوس، إذن، أعظم من الإله. أيها النبى والحكيم، يامن يستطيع أن ينبئ الآخرين عما يصيبهم. إنك لم تنبئ بقتل محبوبك، بل لقد قتلته بيديك مع أنه كان عزيزا لديك :

«لقد صدقت (آمنت) أن فم كاهن أبولون يخبر بالحق كما يفعل النبى» («وها هو» أسكيلوس يوبخ أبولون لأنه نبى كذاب).

«إن من يغنى فى العيد هو بعينه الذى قال هذه الأشياء وا أسفاه! إنه الذى ذبح ابنى» (٤).

الفصل الثانى والعشرون

التأويلات والتفسيرات الرمزية التى يدّعونها

ولربما تكون هذه الأشياء تصورات شعرية، ولربما يكون لها تأويل طبيعى، مثلما يفعل أنباذوقليس وهو يقول :

«فليكن جوبيتر نارا، وليكن يونو نبع الحياة وبمعية بلوتونبستيس، يغسل بدموعه منابع البشر».

وحينئذ، إن كان زيوس نارا وهيرا هى التراب، وايدونيوس هو الهواء، ونيستيس هو الماء - وهذه كلها عناصر - أى النار، والماء، والهواء - فليس شئ منها إلها لا زيوس، ولا هيرا، ولا ايدونيوس، إذ أنها نشأت وتألفت من المادة بعد أن فرقها الله وقسمها إلى أجزاء :

«نار، ماء، تراب، والهواء بإرتفاعه ورقته وإئتلافه معها».

فهذه أشياء لايمكن أن يظل لها وجود إذا لم تأتلف، فإذا تنافرت أدركها الفساد فكيف يسوغ لأحد أن يقول بأنها آلهة؟ إن المحبة (الألفة) - تبعا لأنباذوقليس - تليق بالسيادة، والأشياء المركبة

---

(١) عظة ٤٠ : ١٤ ص ٣١٥ وما يتبعها.

(٢) ايريبيدس.

(٣) نفس المرجع : ص٨ وما بعدها.

(٤) من رواية مجهولة لاسكيلوس.

مسودة محكومة، أما التى تليق بالحكم فهى التى لها السيادة فإذا حسبنا القوة فى الأشياء المحكومة والحاكمة واحدة بعينها، فنكون - دون قصد منا قد وضعنا المادة الفانية القلقة المتغيرة على قياس المساواة مع الله، وهوغير مخلوق سرمدى (أزلى أبدى) مطابق لذاته مطابقة أبدية.

وأما عند الرواقية، فزيوس هو جانب الطبيعة المتوقد بالحرارة (الجانب الحار من الطبيعة) وهيرا هو الهواء ἀήρ وهو ما يعنيه الإسم نفسه مضافا إلى ذاته (إذا ما أضيف إلى ذاته)، وبوزيدون هو مايشرب ماء ἡ πόσις وهذه الأشياء قد فسرها أشخاص مختلفون بأمور طبيعية وبطرق متنوعة: فبعضهم يدعو (زيوس) هواء مذكرا - مؤنثا ضعفين (مرتين)، وغيرهم يدعوه الفصل الذى يلطف الطقس، ذلك لأنه هو وحده الذى نجا من كرونوس، وعلى ذلك يمكن أن نجابه الرواقيين ونقول لهم: إن كنتم تعترفون بإله واحد، وهو الواحد العالى الأزلى الأبدى غير المخلوق، وأنه بقدر ما هناك من أجسام مركبة، بقدر ذلك تكون هناك تغيرات فى المادة، وإذا كنتم تقولون أن روح الله الذى يشتمل المادة يتخذ تبعا لتغيرات المادة أسماء متعددة (متنوعة)، فإن أشكال المادة ستصبح هى جسما لله، وعندما تبيد العناصر فى الإحتراق العام، تزول الأسماء حتما إلى جانب الأشكال، ويبقى روح الله وحده.

وإذن فمن ذا الذى يعتقد بألوهية تلك الأجسام التى تفسد تغيراتها تبعا لفساد مادتها؟

أما الذين يزعمون أن كرونوس هو الزمن، وريا هى الأرض (التراب) وأنها قد حملت من كرونوس وولدت وهى لذلك تعتبر أما للجميع، وأن (كرونوس) أنجب ثم إلتهم ولده، وأن الإتصال الجنسى بين الذكر والأنثى يتم بجب الخصيتين فتنتزع الأنثى البذور التناسلية وتلقى بها فى رحمها فتنتج كائنا بشريا تتحرك فيه الشهوة الجنسية،وهو افروديتيه، وأن فى جنون كرونوس تغير الفصول وأنه هو الذى يدمر الكائنات الحية وغير الحية، ويدّعون أن القيود وجهنم هى أيضا زمن يختفى ويتغير بتغير الفصول.

نقول لمثل هؤلاء، إذا كان كرونوس هو الزمن فإنه يتغير، وإذا كان فصلا فإنه يتحول ويتبدل، وإن كان ظلمة أو صقيعا، أو الجانب الندى (الرطب) من الطبيعة فليس شئ من هذه جميعها يبقى أو يدوم. أما الله فهو خالد ثابت لا يتغير: فليس الله أبدا هو كرنوس أو صورته.

كذلك زيوس أيضا، إذا كان هواء قد ولده كرونوس، جانبه (طرفه) الذكرى يسمى زيوس وجانبه الأنثوى يدعى هيرا (وهى لذلك اخته وزوجته) فإنه عرضة للتغير، فإذا كان فصلا فإنه يتحول (يتبدل). أما الله فلا يتغير ولا يتحول أو يتبدل من جانب إلى آخر.

ولكن لم أضايقكم بسرد أمور أخرى، إذا كنتم تعلمون جيدا ماقاله كل واحد من أولئك الذين أحالوا تلك الأشياء إلى الطبيعة، أو ما رآه كثير من الكتاب فيما يختص بالطبيعة أو ما يقولونه

santamariaegypt.org
عن أثينا التى يؤكدون أنها هى الحكمة φρόνησις التى تنفذ إلى جميع الأشياء، أو عن ايزيس التى يسمونها المولود كل حين φύσις αἰώνιος عنها صدر كل شئ، وبها يوجد كل شئ. أو عن أوزيريس الذى قتله تيفون أخوه، فأخذت ايزيس وابنها هورس يبحثان لعلهما يجدان أعضاءه (جثته)، فلما عثرا عليها أكرماها بوضعها فى ضريح، وهو الضريح الذى يدعى إلى اليوم بناووس أوزيريس؟ (١).

فطالما يهيمون على وجوههم هنا وهناك حول أشكال المادة، فلسوف يظلون قاصرين عن أن يجدوا الإله الذى يمكن أن ندركه بالعقل وحده، بينما يؤلهون العناصر وأجزاءها المتنوعة، ويطلقون عليها فى أزمنة مختلفة، أسماء مختلفة، فيسمون بذر الحبوب مثلا أوزيريس ولذلك يقولون فى الأساطير أنه عندما اكتشفت أعضاء جسمه، أو نتاجه أصبحت ايزيس تخاطب على هذا النحو : قد وجدناه، نريد أن تكونى فرحة (طروبة). ويسمون ثمر الكرمة، ديونيزوس والكرمة ذاتها باسم سيميليه، وحرارة الشمس بالصاعقة.

ومع ذلك، فالذين ينسبون الخرافات إلى هذه الآلهة لا يفعلون فى الواقع أكثر من أن يضيفوا إليها صفاتها الإلهية وهم لا يدركون أنهم بدفاعهم عن الآلهة، يؤيدون ما ينسب إليها. وماذا تفعل ايرويا، والثور، والبجعة (أوز عراقى) وليدا، بالأرض (التراب) والهواء أفهل بين زيوس وبينها إتصال جنسى غير مشروع، وأن من شأنه أن يكون ثمة إتصال نظيره بين التراب والهواء.

---

(١) ومما يؤسف له أنه لم تصل إلينا من الأقدمين قصة متصلة عن هذه الخرافة، ولذلك ترانا مضطرين إلى قصها كما وصلت إلينا من العصور المتأخرة بشكلها المحرف نقلا عن بلوتارخ :

يقال أنه كان لآلهة السماء (رية) «وهى عند المصريين نوت» وإله الأرض كرونس (وهو عند المصريين (جب) أربعة أولاد هم الإلهان أزريس وست (والأخير عند اليونان تيفون (والإلهتان إزيس ونفتيس. وقد تربع أزريس على عرش مصر، وأسعد أهلها، فسن لرعاياه القوانين العادلة، وعلمهم احترام الآلهة ونشر بينهم فن الزراعة، ثم طاف فى أنحاء البلاد رسولا للمدينة غير معول فى ذلك على القوة، بل على جذب قلوب القوم إليه بالإغراء والتعليم تارة، وبكل أنواع الغناء والموسيقى تارة أخرى لذلك كان يعتقد اليونان الأقدمون أنه دايونيوس.

ولما عاد من طوافه تآمر عليه أخوه ست ومعه ٧٢ شخصا آخرون. وقد حصل سرا على مقاس جسم ازريس، وصنع حسب هذا المقاس صندوقا جميلا محلى بأبهى أنواع الزينة، وأحضره معه فى وليمة أعدها لأخيه. وفى أثناء الوليمة استرعى جمال هذا الصندوق أنظار المدعوين، فوعد ست مازحا أن يعطى هذا الصندوق لمن يتفق مقاسه معه تماما إذا اضطجع فيه. فجرب كل الحاضرين (وكانوا على علم بالمكيدة)، فلم يتفق الصندوق مع واحد منهم. وفى النهاية اضطجع فيه ازريس فانطبق عليه تمام الإنطباق. وإذ ذاك أسرع المتآمرون، وسمروا الصندوق من الخارج وصبوا فوقه رصاصا ذائبا، وحملوه إلى النهر، ودفعوا به إلى البحر عن طريق الفرع التانيتى للنيل. =

santamariaegypt.org

فلما كانوا عاجزين عن أن يصلوا إلى قطعة الله، وقاصرين عن أن يتساموا بعقولهم (إذ لاتصلهم بالمقام السماوى صلة ما)، لذلك فقد جاسوا خلال أشكال المادة وتمسكوا بالأرض، وعبدوا تغيرات العناصر: كما لو أن أحدا وضع السفينة فى موضع المدير لدفتها، ولكن كما أن السفينة حتى لو كانت مجهزة بكل شئ، لاقيمة لها مالم يكن ثمة مدير لدفتها، هكذا العناصر، ولو كانت مرتبة فى نظام كامل، لا تصلح لشئ مطلقا بدون عناية الله، لأن السفينة لاتبحر من نفسها كذلك العناصر لاتتحرك بغير مكونها وموجدها.

= ولماعلمت ازيس بموت زوجها وأخيها جدّت فى البحث عن جثته، وبعد جهد ونصب أخبرها بعض الصبية، أن الصندوق ألقى به فى النيل، فسار مع التيار إلى البحر، ثم وصل إلى مسامعها كذلك أن الصندوق رسا على الشاطئ بالقرب «ببلص» (فى سورية) وهناك نمت حوله شجرة ضخمة واشتملت عليه فى ساقها. ولما رأى ملك تلك الناحية هذه الشجرة إجتثها من فوق الأرض وفى جوفها الصندوق، ثم اتخذها عمودا يرفع سقف بيته. فلما سمعت ازيس بذلك ولت وجهها شطر ببلص، حيث اتخذتها الملكة مربية لأولادها فى قصرها، وعلى مر الأيام أظهرت الآلهة حقيقة أمرها للملكة، وطلبت إليها هذا العمود، فاستلته من تحت السقف وانتزعت الصندوق منه، ثم رمت بنفسها عليه وكان لايزال موصدا، وحملته معها فى سفينة، وقد بقى مغلقا حتى وصلت مصر، ووجدت نفسها فى مأمن لايرقبها أحد ففتحته، ثم وضعت وجهها على وجه الميت وقبلته بدموع حارة. ثم ذهبت بعد ذلك لإبنها حوريس الذى كان يتربى فى «بوتو» وهنالك أخفت الصندوق الذى يشتمل جثة ازريس. وبينما كان «ست» ذات ليلة يصطاد فى ضوء القمر عثر على الصندوق فعرف الجثة، ومزقها أربع عشرة قطعة، وبعثرها فى الجهات القاصية، ولم يكد ذلك النبأ يصل إلى مسامع ازيس حتى أخذت تبحث عن تلك الأجزاء، ولهذا شرعت تجوب مناقع الدلتا فى زورق من البردى. وكانت كلما عثرت على شلو من أشلاء ازريس دفنته حيث وجدته. وهذا هو السر فى تعدد قبور ازريس فى مصر.

ولما ترعرع حوريس واشتد ساعده، أخذ يتأهب بمساعدة أمه للإنتقام من ست قاتل أبيه، وقد استمرت نار الحرب مشتعلة بينهما أياما عدة، وأسفرت المعركة عن فوز حوريس على خصمه ست. وقد كبل ست وسيق إلى ازيس فلم تمسه بسوء وأطلقت سراحه، فأهاج ذلك حنق حوريس وفى ثورة غضبه مزق تاج ازيس من رأسها، غير أن تحوت «هرميس» وضع بدلا منه رأس بقرة. تلك هى بالإختصار مشتملات هذه الأسطورة كما وصلت إلينا نقلا عن بلوتارخ المؤرخ اليونانى.

راجع كتاب ديانة قدماء المصريين تأليف الأستاذ اشتيندروف Steindorff الألمانى وتعريب سليم حسن، الطبعة الأولى «لمطبعة المعارف» سنة ١٩٢٣ ـ المحاضرة الأولى ـ صفحات ٢٥ و ٢٦ و ٢٧).

santamariaegypt.org

الفصل الثالث والعشرون

آراء تاليــــــس وأفلاطـــــــون

ومع هذا فقد تقولون - إذ أنتم تفوقون جميع الناس فهما - إذا لم تكن تلك التى تنصب لها التماثيل آلهة فكيف يحدث أو يمكن لهذه الأوثان أن تظهر قوة وإقتدارا؟

فإنه ليس من المعقول أن الأصنام التى تفتقر إلى الحياة والحركة يمكن أن تفعل شيئا من ذاتها دون محرك.

ونحن لا نستطيع أن ننكر أن هناك أفعالا تجرى باسم الأوثان فى مختلف المواضع والبلدان (المدن) والأمم، ولكن إذا كان بعض الناس قد أفاد منها، والبعض - على العكس - قد تأذى، فليس يمكن أبدا أن نحسب أولئك الذين يفعلون على كلتا الحالتين، آلهة.

ولقد بحثت مليا فى هاتين المسألتين : (الأولى) لِم تعتقدون فى الأصنام أنها تمتلك هذه القدرة، و (الثانية) من هؤلاء الذين يتخذون أسماءها ويحدثون هذه الآثار؟

ومهما يكن من شئ، يجب علىّ ضرورة - إذ أحاول تبيان من هم الذين يحدثون تلك الآثار التى تنسب إلى الأوثان، وأنهم ليسوا آلهة - أن ألتجئ إلى شهود من الفلاسفة.

فأولا : طاليس، كما يقرر أولئك الذين فحصوا آراءه بدقة، يقسم (الكائنات السامية) إلى : الله ثم الجن، ثم الأبطال، وهو يعتقد فى الله أنه عقل *νοῦς* العالم وفى الجن أنهم كائنات تمتلكهم النفس *ψυχικαί* ، وفى الأبطال أنهم نفوس الناس متفرقة، فالأبطال الصالحون هم النفوس الصالحة، والأبطال الأردياء هم النفوس التى لاقيمة لها.

كذلك أفلاطون، مع أنه قد امتنع عن أن يسلم بأمور أخرى، إلا أنه يقسم (الكائنات العليا) إلى : الإله غير المخلوق، ثم أولئك الذين أوجدهم «الواحد» غير المخلوق لتزيين السماء، (أى) الكواكب السيارة والنجوم الثابتة، ثم الجن.

أما عن الجن، فلم ير من المناسب أن يتكلم هو نفسه عنهم، ومع ذلك يرى وجوب الإصغاء لأولئك الذين تكلموا عنهم.

santamariaegypt.org

«ليس فى مقدورنا أن نتكلم عن الجن الآخرين أو أن نقف على أصلهم، ولكن يجب أن نصدق أولئك، الذين سبقوا فتكلموا عنهم، وقالوا : أنهم نسل الآلهة ـ ولابد أن يكونوا قد عرفوا أسلافهم معرفة جيدة : فلا يمكن، إذن، أن نجحد أبناء الآلهة، ولو أنهم يتحدثون عنهم بدون براهين محتملة أو مقنعة، ولكن حيث أنهم يجاهرون بأن (الجن) يخبرونهم بشئونهم العائلية فنحن مضطرون، جريا على العادة بأن نصدقهم. وعلى هذا، فلنعتقد ونتكلم كما يعتقدون ويتكلمون فيما يختص بأصل الآلهة أنفسهم.

فلقد ولد أوقيانوس (المحيط) وتيثيس (أعظم آلهات البحار) من جى (الأرض) وأورانوس (السماء) ومن أوقيانوس وتيثيس ولد فوركوس وكرونوس وريا والباقون. ومن كرونوس وريا، ولد زيوس وهيرا، وجميع الآخرين الذين نعلم أنهم يدعون أخوة لهما، وزد على ذلك سلالة أخرى من هؤلاء الآخرين (١).

أفهل رأى (أفلاطون)، ذاك الذى تفكر وتأمل فى العقل السرمدى وفى الإله الذى يمكن أن يدرك بالذهن، وقد أعلن أيضا صفاته ـ (أى) وجوده الواقعى، وبساطة طبيعته والخير الذى يصدر عنه وهو الحق، ثم تحدث عن القوة الأولية، وكيف أن «جميع الأشياء فى متناول ملك الكل، وجميع الأشياء كائنة من أجله، وأنه علة الجميع «وأنه حول إثنين وثلاثة، وهو «الثانى الذى يدور حول الثوانى، والثالث (الذى يدور) حول الثوالث» (٢).

نقول، أفهل رأى (فيلسوفنا) أن معرفة الحقيقة ـ فيما يتصل بمن قيل فيهم، أن خرجوا من المحسوسات، أى الأرض والسماء ـ أمر يفوق قواه ؟

لأول وهلة لا يمكن أن نثق فى هذا ...

لقد كان من المستحيل عليه أن يعتقد فى الآلهة أنها تلد وتولد حيث أن كل شئ يبتدئ، ينتهى أيضا، وكان (أشد عسرا عليه) أن يغير آراء عامة الناس الذين يقتبلون الخرافات دون فحص. لذا فقد صرح بأنه فى غير مقدوره أن يعرف أصل الجن (الشياطين) أو يتكلم عنه، بما أنه كان عاجزا عن أن يسلم أو يعلّم بولادة الآلهة.

---

(١) طيماوس ص ٤٠، د. هـ.

(٢) أفلاطون المزور، رسالة ٢ ص ٣١٢د. هـ. المعنى فى غاية الغموض.

santamariaegypt.org

أما قوله : «سلطان السماء العظيم، زيوس، يسوق عربة مجنحة، ولذا يتقدم هو أولا، ثم يرتب ويدبر جميع الأشياء، وهناك يتبعه جيش عظيم من الآلهة والجن» (١)، فهذا (القول) لا يشير به إلى زيوس الذى يقال أنه إنبثق من كرونوس، وإنما الإسم الذى ورد هنا (فى النص المذكور) يطلق على «صانع» الكون. وهذا ما بينه أفلاطون نفسه، فلما لم يكن فى مقدوره أن يسميه باسم أو لقب آخر يناسبه، اكتفى بالإسم الشائع بين الناس لا كأنه يليق بالله. بل نشدانا للوضوح، إذ لا يمكنه أن يتكلم عن الله إلى جميع الناس كما ينوى ويريد. ولكنه قد أضاف إليه فى نفس الوقت، نعت الـ«عظيم» كيما يميز بين السماوى والأرضى، بين غير المخلوق والمخلوق أو من هو أصغر من السماء والأرض ومن الكريتيين الذين اختطفوه (سرقوه) حتى لا يقتله أبوه.

الفصل الرابع والعشرون
فى الملائكة والجبابرة

أو هل، فى حديثى إليكم، يامن بحثتم فى كل دائرة من دوائر العرفان، ما يدعونى إلى أن أذكر الشعراء، أو أفحص آراء من طراز آخر، يكفى، أنه أمر يطول شرحه. وإذا كان الشعراء والفلاسفة. لم يعرفوا أن هناك إلها واحدا، ولم يكونوا على رأى (إعتقاد) واحد فيما يتصل بهذه الآلهة : البعض يقول أنهم جن : والبعض يقول أنهم مادة وغيرهم يقول أنهم كانوا - فى يوم ما - بشرا، فلعل لنا عذرا فيما يضيق علينا من أجله، إذا كنا نستخدم لغة تدع تفرقة وتمييزا بين الله والمادة بين طبيعتيهما لأننا كما نؤمن «بإله»، «وبابن» هو «كلمته» و «بروح قدس» (ثالوث) متحد فى الجوهر، «الآب» و «الابن» و «الروح» حيث أن الابن هو «بصيرة» الآب «وعقله» و«حكمته» و «الروح» فيض (أو صدور) أو بثق، كما ينبثق النور من النار، هكذا نعتقد أيضا بوجود قوى أخرى تسيطر على المادة وبالمادة، وبأن واحد منها - على وجه الخصوص - خصم لله : وليس شئ فى الواقع ضد الله كما هو الحال بين الكراهية والمحبة (النفور والألفة) على مذهب أنبادوقليس، أو بين الليل والنهار تبعا لظهور النجوم وإختفائها (فلو أن شيئا ما قد جعل من

(١) افلاطون : فيدروس ص ٢٤٦ هـ.

santamariaegypt.org

ذاته ضد الله، لما بقى موجودا، إذ لابد أن يفنى بقوة الله) وإنما هو عدو أو ضد للخير الذى فى الله والذى يختص ضرورة به، ويشاركه فى وجوده، كاللون للجسم، والذى بدونه لايكون له وجود (لاعلى أنه جزء منه بل على أنه صفة تتبعه وتلازمه (كائنة معه) متحدة معه وممتزجة به، كما أن النار صفراء بطبيعتها والأثير أزرق معتم (بطبيعته) - أقول إن الخير الذى فى الله، يضاده الروح الذى فى المادة، وهو مخلوق من الله كما أن الملائكة الآخرين قد خلقوا من الله، وقد أؤتمن (هو) على تدبير المادة وأشكال المادة. لأن هذه هى وظيفة الملائكة، أن يباشروا ويوجهوا عناية الله نحو الأشياء التى برأها الله ونظمها (ورتبها)، حتى يحيط الله الجميع بعناية شاملة مطلقة (كاملة كلية)، ولو أنه قد زود أجزاء الكون المختلفة بملائكة أقامهم عليها.

وكما أن البشر أحرار مختارون فى الخير والشر (فأنتم لاتثيبون الفاضل أو تعاقبون الشرير، إلا إذا كان فى مقدور كل منهما أن يكون فاضلا أو شريرا)، بعضهم معنى بما عهدتم به إليهم، وبعضهم الآخر خونة (غادرون) هكذا الحال فى الملائكة. فالبعض منهم - كما سترون - وكلاء مطلقوا التصرف، ظلوا كما خلقهم الله معنيين بتلك الأشياء التى أوجدهم من أجلها وسلطهم عليها. وأما البعض الآخر فقد تعدوا على قانون طبيعتهم والسلطة التى خولت لهم، وأعنى (بهذا البعض) هذا الحاكم الذى يحكم المادة وأشكالها المتنوعة، وغيره ممن جعلوا فى دائرة السماء الأولى. (وأنتم تعلمون أننا لانقول شيئا بدون شهود، وإنما نقرر ما صرح به الأنبياء).

ولقد سقط هؤلاء (الملائكة الأشرار) مع العذارى فى عشق مدنس، وقد استعبدتهم (قهرتهم) لذة الشهوة البدنية، فصار (الشيطان) مهملا وشريرا فى تدبيره للكائنات التى أؤتمن على تدبيرها. ومن ثم فقد ولد أولئك الذين يدعون الجبابرة، ممن عشقوا العذارى.

وليس فى هذا ما يدعو إلى العجب أو الدهشة إذا كان الشعراء قد تكلموا هم أيضا عن الجبابرة: فالحكمة العالمية والحكمة السماوية تختلفان عن بعضهما إختلافا كبيرا، كالفرق بين الحق وما يبدو أنه الحق، أحداهما من السماء والأخرى من الأرض، وحقا على قول إله (أمير) المادة:

«نحن نعلم أننا كثيرا ماننتكلم بالأكاذيب التى تبدو وكأنها حقائق» (١).

---

(١) هزيود : البحث فى منشأ آلهة الأقدمين : ٢٧.

santamariaegypt.org

الفصل الخامس والعشرون

الشعراء والفلاسفة قد أنكروا عناية الله

وعلى ذلك فهؤلاء الملائكة، الذين سقطوا من السماء والذين يسكنون الهواء والأرض، وليس فى إمكانهم بعد أن يرتقوا إلى السمائيات، ثم أرواح الجبابرة وهم الجن (الشياطين) الذين يجوبون حول العالم (أن هؤلاء وأولئك) يقومون بأعمال ملائمة (لطبائعهم) . فالفريق (الثانى) وهم (الجن)، فعالهم تلائم طبائعهم التى إتخذوها والفريق الآخر (أى الملائكة) (فعالهم تلائم شهوائهم التى أطلقوا لها العنان.

لكن أمير المادة، كما يظهر مما يقال عنه، يقوم بتدبيرها وإدارتها، بما يضاد الخير الذى فى الله.

«كثيرا ماتخطر لبالى هذه الفكرة المزعجة، أهى الصدفة أم هو الله، الذى يحكم فى أمور الناس وشئونهم الصغيرة، فهو على الرغم من الأمل ومن العدل، يضطر إلى أن ينفى البعض ويجردهم من كل أسباب الحياة، بينما يظل البعض الآخر ناعما مع ذلك، باليسر والرخاء» (١)

إن اليسر والعسر، على النقيض من الأمل والعدل، جعلا من المستحيل على ايريبيدس أن يقول : بمن يختص تدبير شئون الأرض، وهى من طراز كان يمكن أن يقول المرء فيها :

«كيف يمكن إذن، ونحن نرى هذه الأشياء، (كيف يمكن) أن نقول أن هناك آلهة أو أن نذعن للقوانين» (٢) .

وهذا هو عينه ماحدا بأرسطو إلى أن يقول أن الأشياء التى تحت السماء لا تتمتع بعناية الله وتدبيره، ولو أن عناية الله السرمدية (الأزلية الأبدية) تشملنا نحن تحت السماء على السواء.

«ليكن أن الأرض تحركها إرادة أو لا تحركها، ولكن، لابد أن تنتج العشب وهكذا تقوم بأود قطعانى» (٣)

---

(١) ايريبيدس : عن رواية مجهولة.

(٢) نفس المرجع.

(٣) ايريبيدس : دور ص ٢٣٢ وما بعدها.

santamariaegypt.org

وتحوط كل فرد على حدة إذا كان مستأهلا لها... حقا وليس إعتبارا. أما سائر الأشياء الأخرى فهى خاضعه لقوانين العلة، تبعا لنظام الطبيعة العام.

ولكن، لما كانت حركات الجان وأفعال الروح المضاد، هى التى تحدث الإضطراب والقلق فضلا عن أنها تغرى بعضا من الناس على أن يسلكوا سبيلا ما، وغيرهم على أن ينتهجوا سبيلا غيرها، سواء كانوا أفرادا أو أمما، متفرقين أو مجتمعين وسواء كان ذلك مجاوبة لميل مادى أو موافقة لرغبة روحية سماوية، إن من الداخل أو من الخارج (لما كان ذلك كذلك) فإن بعضا من ذوى الشهرة غير العادية، ظنوا أن هذا الكون أُنشئ دون أدنى نظام مرسوم، وأنه يندفع تارة إلى هنا وطورا إلى هناك بفعل صدفة عمياء. وما علموا أن ليس هناك شئ من تلك الأشياء التى يتركب منها العالم كله. يمكن أن يفلت من النظام أو ينصرم منه، وإنما كل شئ منها قد صدر عن علة، وهى لذلك لاتتعدى أو تتخطى النظام الذى رسم لها، بل والإنسان نفسه، طالما أن (الله) الذى خلقه معنيا به، هو أيضا على أتم نظام، سواء من حيث طبيعته الأصلية، وهى واحدة عند جميع الناس، أو من حيث تركيبه الجسمانى، وهو لايتخطى القانون الذى فرض عليه، أومن حيث نهاية حياته، وهى أيضا ستظل عند جميع الناس متماثلة وعلى نمط واحد.

ولكنه ينساق فى هذا الإتجاه أو ذاك وفقا لمزاجه الخاص، وفعل الرئيس (الأمير) الذى يسيطر عليه والشياطين التابعين لهذا الرئيس. ولو أن تركيب العقل (١) فى أصله، واحد عند جميع الناس.

الفصل السادس والعشرون

الشياطين يستميلون الناس إلى عبادة التماثيل

فالشياطين الذين ذكرناهم آنفا الذين يستميلون البشر إلى الأوثان، يتوقون إلى دماء الضحايا، ويلعقون فيها، أما الآلهة الذين يرتضيهم الجمهور والذين تطلق أسماؤهم على التماثيل، فهم بشر - كما ينبئ بذلك تاريخهم، بل وتدل طبيعة الأفعال التى يقومون بها على أن الشياطين هم الذين

(١) أو «قوى الاستدلال» (لوجيسموس *λογισμός*)

santamariaegypt.org

يفعلونها، وإن كانوا يتخذون أسماء الآلهة إذ أن البعض منهم يَجُبُّ (يسل) الخصيتين مثل ريا، والبعض يجرح وينحر مثل أرتيموس، كما أن الآلهة (الثور) تقتل جميع الغرباء ....

وإنى أتجاوز عن أولئك الذين يمزقون بالسكاكين والسياط ذات العظام، ولا أحاول أن أصف جميع أنوع الشياطين، لأنه ليس من صالح الإله أن نستشير ما هو ضد لطبيعته.

«لكن عندما يكيد الشيطان لإنسان، فإنه يلحق بعقله أولا بعض الضرر» (١)

أما الله، فمن حيث أنه خير وكامل فى خيريته، فهو لذلك يفعل الخير أبدا...

زد على ذلك أن ترواس وياريوم، خير بينة قاطعة على أن من يظهرون القوة ليسوا هم أولئك الذين أقيمت لهم التماثيل، ففى إحداهما، تماثيل نيريلينوس، وهو رجل من (بين) المعاصرين لنا، وفى ياريوم تماثيل الكسندر وبروتوس ولازال ضريح الإسكندر وتمثاله قائمين فى باحة (رومية).

وإذن فتماثيل نيريلينوس، هو (بمثابة) زينة عامة، إذا جاز حقا أن تتزين المدينة بمثل هذه الأشياء، ولكن قد كان مفروضا فى واحد منها أن ينبئ بالغيب المحجب وأن يشفى المرضى. ولذا يقدم أهل طرواده ضحاياهم لهذا التمثال ويطلونه بالذهب ويتوجونه بأكاليل الزهر.

أما فيما يتصل بتمثالى، الإسكندر وبروتوس (والأخير كما تعلمون - قد ألقى بنفسه فى النار بالقرب من أوليمبيا). فيقال عن تمثال بروتوس أنه كذلك ينبئ بالغيب المحجوب ويقال عن تمثال الإسكندر - «ياريس أيتها التعيسة، ولو أنك جميلة الصورة لكنك عبدة للمرأة» (٢) إنهم يقربون له الضحايا ويقيمون الولائم على نفقة الجماهير، كما لو كانوا يفعلون لإله يسمع ويصغى.

أنيريلينوس وبروتوس والإسكندر هم الذين يصنعون هذه القوات بالإتحاد مع التماثيل أم هى طبيعة المادة ذاتها. ولكن المادة هى نحاس أصفر. وهل يستطيع النحاس الأصفر أن يصنع شيئا من ذاته وهو القابل لأن يصاغ من جديد فى صورة أخرى مغايرة للأولى، على غرار ما فعل أماسيس بقاعدة يان (إله المواشى)، كما يخبرنا بذلك هيرودوتس؟ بل ماهو الخير الذى يمكن أن

---

(١) عن فاجعة لكاتب مجهول.

(٢) عظة ٤٠ :٣ ص ٣٩.

santamariaegypt.org
يؤديه نيريلينوس وبروتوس والإسكندر للمرضى؟ إن مايروونه عما يفعله الآن تمثال نيريلينوس إنما لم يفعله فى حياة نيريلينوس عندما كان مريضا.

الفصل السابع والعشرون

حيل الشيطـــان

ثم ماذا؟ أما أولا : فإن مايدرك النفس البشرية من تحولات فكرية غريبة لا تتفق مع العقل هو علة مايطرأ على التماثيل من تنوع وتغير وتعدد من زمن إلى آخر.

لقد استخرجوا بعضها من المادة، وصنعوا بعضها الآخر وخلقوه لذواتهم، وهذا ما يحصل للنفس ولاسيما عندما تشارك فى الروح المادى وتصبح ممتزجة به وناظرة لا إلى الأشياء السماوية ومن صنعها، بل إلى أسفل، إلى الأرضيات، كلية إلى الأرضيات، من حيث أنها لم تصبح بعد روحا بحتة، بل هي الآن مجرد لحم ودم، إن هذه التحولات الغريبة التى لاتطابق العقل، مما يدرك النفس البشرية، هى منشأ هذه التصورات الذهنية التى يصبح بسببها العقل مشبعا بالأوثان حتى الجنون.

فإذا كانت ثمة نفس، تتميز بالحساسية والشعور، لا علم لها ولاخبرة بالمعتقدات السائدة ولم تألف أن تتأمل الحق أو تنظر مليا إلى الآب وصانع الأشياء جميعها، ثم تأثرت مثل هذه النفس بآراء باطلة قد اتصلت بها، فإن الشياطين ـ وهم يدورون حول المادة تائقين إلى رائحة التقدمات ودماء الضحايا وعلى أتم استعداد لأن يقودوا الناس إلى الضلال، ينتهزون فرصة هذه التحولات الوهمية فى نفوس الجماهير، ولما كانوا يمتلكون أفكارهم فإنهم يلقون إلى عقولهم بتصورات باطلة ويوهمونهم أنها صادرة عن الأوثان والأصنام.

فإذا تحركت النفس من ذاتها، حيث أنها خالدة ـ وكانت فى حركتها مطابقة للعقل ـ أما لتنبئ عن المستقبل أو لتصلح من الحاضر، فإن الشياطين تدعى ذلك لنفسها لتنال عنه فخرا ومجدا.

santamariaegypt.org

الفصل الثامن والعشرون

الآلهة الوثنية مجرد بشـــــــــــــر

وربما يكون من الضرورى أن أتحدث ولو قليلا عن أسمائهم (الآلهة) تأييدا لما أوردناه سابقا من أدلة وبراهين وعليه، فهيرودوتس والإسكندر ابن فيليب - فى خطابه إلى أمه (ويقال أن كلا منهما قد تحدث إلى الكهنة فى هليوبوليس، وميمفيس (منف وطيبة - يؤكدان أنهما قد تعلما منهم (أى من الكهنة) أن الآلهة كانوا بشرا.

ويقول هيرودوتس «يقولون أن الكائنات التى تمثلها هذه التماثيل، لها مثل هذه الخصائص الطبيعية، وهى - فى الواقع - أبعد ماتكون عن الآلهة. ومهما يكن من أمر، فقد كانت شيئا آخر فى الأزمنة السابقة على وجودها (كالآلهة). وعلى ذلك، كان لمصر آلهة وكانوا هم حكامها الذين يسكنون مع الناس على الأرض، إذ كان أحدهم - دوما - يسود على الآخرين (الباقين) وآخرهم هورس بن أوزيريس، والذى يعرف عند الأغريق باسم أبولون وقد خلع (هورس) تيفون وحكم مصر على أنه آخر الملوك الآلهة أما أوزيريس فيسميه اليونان ديونيزوس (باخوس) (١)

«وجميع أسماء الآلهة تقريبا قد جاءت إلى بلاد اليونان من مصر» (٢).

وقد كان أبولون ابن ديونيزوس وإيزيس كما يؤكد هيرودوتس أيضا : «أن أبولون وديانا عند المصريين هما إبنا خبوس وايزيس، بينما أن لاتونا مرضعتهما ومربيتهما» (٣).

---

(١) ف ٢ ص ١٤٤ : الإقتباسات من هيرودوتس تبعا لترجمة راولنسون (نص ما يقوله هيرودوتس هو : يقال أن كهنة هليوبوليس أفقه المصريين فى العلم، أما ما سمعت من قصص الآلهة فلست حريصا على أن أثبت منها إلا أسماء الآلهة فحسب فإنى أعتقد أن الناس أجمعين يعلمون عن الآلهة قدرا متساويا، أما ما عساى أن أذكره عنها فإنى مضطر إلى ذكره بسياق التاريخ) هيرودوت فى مصر - الكتاب الثانى - يوتربى ربة الشعر الغنائى : ترجمة الأستاذ وهيب كامل.

(٢) ف ٢ : ٥٠ (ويقول الكهنة أيضا : إن المصريين كانوا أول من سمى الآلهة الإثنى عشر بألقابهم وأن اليونانيين أخذوا ذلك عنهم).

راجع هيرودوت فى مصر - الكتاب الثانى يوتربى ربة الشعر الغنائى، نقله عن اليونانية الأستاذ وهيب كامل - الإقتباس عن نمرة ٤ ص ٢٥).

(٣) ٢٢ : ١٥٦.

هذه الكائنات ذات الأصل السماوى، كانت هى أول ملوكهم وقد كانوا يعتبرونهم مع زوجاتهم آلهة، نظرا لجهلهم بعبادة الله الحقيقية من جهة، وإعترافا منهم بفضل حكومتهم من جهة أخرى.

santamariaeuwls.org

ويضحى المصريون كلهم بالثيران والعجول الطاهرة ولايحل لهم أن يضحوا بالأبقار. بل والعجول يستخدمها المصريون جميعا فى الذبائح، لكنه لم يكن جائزا أن يقدموا ذبائحهم من الإناث فهى مكرسة لإيزيس، وتمثال إيزيس على هيئة إمرأة ولكن له قرنان مثل قرنى البقرة على نفس الصورة التى يصور بها اليونان (١) تمثال بو.

ومن ذا يمكنه بأن يكون أكثر إستحقاقا لأن يوثق به فى هذه البيانات من أولئك الذين تسلموا الكهنوت وتوارثوه إبنا عن أب، بل وتناقلوا التاريخ أيضا؟ وليس معقولا أن الكهنة الذين يعينهم أن يوصوا الناس بتوقير الأوثان، كانوا يؤكدون زورا وبهتانا أنهم (الآلهة) كانوا بشرا، ولو كان هيرودوتس وحده الذى قال أن المصريين تحدثوا فى تواريخهم عن الآلهة بإعتبارها بشرا عندما قال : «ليس فى نيتى أن أردد ثانية مارووه لى فيما يختص بديانتهم - إذا إستثنيت أسماء آلهتهم فقط، وهى أمور تافهة عديمة الأهمية» (٢).

(لو كان هيرودوتس وحده الذى قال أن آلهة المصريين كانوا بشرا) لكان علينا أن لانثق فى هيرودوتس ولو كمؤلف روائى. وإنما الإسكندر وهيرميس الملقب تريسميجستوس ومن يشاركهما فى صفة السرمدية، وآخرون لايحصون ممن لا نستطيع أن نذكرهم واحدا واحدا (نقول عنهم بالمثل) ليس هناك أدنى منفذ للشك فى أنهم - وهم ملوك - كانوا يعتبرون آلهة، وأن أكثر العلماء المصريين ممن يذهبون إلى أن الأثير والأرض والشمس والقمر، آلهة، وينظرون إلى الباقين كبشر فانين وإلى المعابد كمقابر لهم، يشهدون أيضا أن الآلهة كانوا بشرا.

وقد أيد ذلك أيضا أبولود وروس فى رسالته فى الآلهة، لكن هيرودوتس يسمى حتى آلامهم، أسرارا.

---

(١) كان اليونانيون يعتقدون أن زيوس أحب أيو فغارت زوجة هيرا ومسخت أيو بقرة وظلت هذه تنتقل على هذه الحال من أوربا إلى آسيا إلى أن حطت رحالها فى مصر وفيها إستعادت هيئتها الأولى وأنجبت أبافوس.

(هيرودت فى مصر - يوتربى - الكتاب الثانى - تعليق على ٤١).

(٢) ٢ : ٣ والنص هنا غير واضح وهو يختلف عن نص هيرودوتس.

santamariaegypt.org
لقد تكلمنا من قبل عن الطقوس فى عيد إيزيس بمدينة بوصير (بوسيريس) هناك حيث كل الجمهور من الرجال والنساء - ويبلغون عدة آلاف - يضربون نفوسهم فى نهاية الذبيحة إكراما (تعبدا) لإله يمنعنى شعور دينى عن ذكر اسمه (١).

فإذا كانوا آلهة فإنهم كذلك خالدون، لكن إذا كان الناس يضربون من أجلهم، وكانت آلامهم أسرارا خافية، فهم بشر كما يقول هيرودوتس نفسه : «هنا أيضا، فى مقاطعة منيرفا ذاتها فى سايس يوجد مدفن لمن لا أظن أنه يصح أن أذكره بمثل هذه الصفة، وهو قائم فى مؤخرة المعبد فى مقابل الحائط الخلفى، وهو يخفيه تماما (بالكلية) وهناك أيضا بضع مسلات كبيرة من الحجر فى داخل السور، وإلى جانبهم بحيرة مزينة بشط من الحجر. وهى فى شكلها مستديرة، وفى حجمها - كما يبدو لى - تساوى تقريبا، البحيرة التى توجد فى ديلوس والتى تدعى هوب «الحلقة». هنا، وعلى هذه البحيرة، يمثل المصريون - ليلا - آلام (الاله) الذى أمتنع عن ذكره، وهم يدعون هذا التمثيل أسرارهم» (٢).

وليس ضريح أوزيريس وحده هو الذى يرى، بل وأيضا جثمانه محنطا : «إذا احضروا إليهم جثة، أرشدوا حاملها إلى نماذج مختلفة من أجساد مصنوعة من خشب ومدهونة بحيث تبدو وكأنها طبيعية. ويقال أن اكمل (هذه الأجساد) ما كان منها على نمط من لا أظن أنه يناسب التقوى والتدين إن ذكر إسمه متصلا بمثل هذا الأمر» (٣).

الفصل التاسع والعشرون
إثبات القضية عينها من أقوال الشعراء

يؤيد هذا من اشتهروا بين اليونان فى الشعر والتاريخ: فيقول هيراقليس (هرقل).

«ذاك الشقى المخالف للقانون، ذاك الرجل ذو القوة الغاشمة الوحشية، الذى لايسمع لصوت السماء ويتعدى على الطقس الإجتماعى (٤) وإذا كانت تلك طبيعته فبحق قد جن، وبحق قد أشعل حزمة الحطب الجنازية وأحرق نفسه حتى مات».

وقد قال هزيود عن اسكليبيوس :

---

(١) ٢ : ٦١. (٢) ٢ : ١٧٠.

(٣) ٢ : ٨٦. (٤) عظة ٢١ ص ٢٨ وما بعدها.

santamatiaegypt.org

«العظيم أبو الآلهة والبشر، معا، استشاط غضبا، على ابن لاتونا الحبيب وقذف به فى صاعقة ملتهبة من فوق قمة أوليمبوس، ثم قتله ـ هكذا كان سخطه» (١)

ويقول بندار :

«وحتى الحكمة وقعت فى شراك الكسب، لقد إنغوى اسكولابيوس نفسه(٢)، فظهرت فى يده رشوة من ذهب يلمع.: من أجل ذلك ابن كرونوس، أوقف نسمة الحياة فيه، سريعا، بكلتا يديه، وقد تمم قضاءه عليه بصاعقة من نار» (٣).

وعلى ذلك، إما أن يكونوا آلهة فلا يشغفوا بالذهب. «أيها الذهب، وياخير غنيمة للبشر الفانين أنت مصدر بهجة و لاتضاهيها أم ولا أولاد أعزاء(٤) إذ أن الله فى غير حاجة إلى شئ، وهو عال عن الشهوة الجسمانية. كما أنه لايموت».

وإما أن يكونوا قد ولدوا بشرا ولذا فهم أشرار بسبب الجهل وقد تغلب عليهم حب المال، وهل يعوزنى بعد أن أشير إلى كاستور أو بوليكس أو امفياروس. الذين ولدوا منذ أمس القريب كما يقولون ـ وهم بشر من بشر، وقد اعتبروهم آلهة بل وقد تصوروا يونو أيضا إنها قد صارت آلهة بعد جنونها وبعد ما لحق بها من آلام من جراء ذلك؟

«قرصان البحر يحبون اسمها ليكوتيا» (٥)

وابنها : «أوغسطس باليمون، يستغيث به البحارة».

---

(١) هزيود : شذرات.

(٢) أى اسكولابيوس.

(٣) فيثاغورس : ٣ ص ٩٦ وما بعدها.

(٤) نسبها سنيكا إلى بيليريفون لابربيديس.

(٥) من يونو لابريبيديس.

santamariaegypt.org

الفصل الثلاثون

الأسباب التى من أجلها نسبت الألوهة إلى بشر

فإن كان للبشر الممقوتين والمكروهين من الآلهة أن يبلغوا إلى مرتبة الألوهه، وإذا كانت إبنة ديكريتو، أعني سميراميس - وهى إمرأة داعرة (فاسقة) ملطخة بالدم - تعتبر إلاهه سورية، وإذا كان السوريون - من أجل ديكريتو - يعبدون الحمام وسميراميس (مع أنه من المستحيل أن تنقلب المرأة) إلى حمامة : (ومهما يكن من أمر) فتاريخها فى كتيزياس، (إذا كان ذلك كذلك) فهل من عجب أن يدعو الناس (ملوكهم) آلهة لأنهم يحكمونهم ويسيطرون عليهم؟!!

وتقول سيبيل (الكاهنة) التى أشار إليها أفلاطون أيضا : إن ذرية الناس ثم عشرهم، قد وهب لهم أن يتكلموا منذ أن تفجر الفيض واندفق على السابقين من البشر، وقد ملك كرونوس وجابيتس ثم الشيطان على الناس الذين أذاعوا عنهم أنهم أنبل أبناء أورانوس وجايا. وقسموهم بهذه الأسماء(١) ، لأنهم كانوا أول من منحوا موهبة الكلام (٢) .

(فهم يدعون هؤلاء آلهة لأنهم ملكوا عليهم) ويدعون غيرهم آلهة (كذلك) نظرا لقوتهم نظير هيراقليس، وبرسيوس، أو نظرا لمهارتهم مثل اسكليبوس.

وإذن فسواء ادعى الحكام الألوهة لأنفسهم، أو كان ذلك تعبيرا وترجمة لشعور التجلة والإكرام من جانب المحكومين فقط صاروا آلهة، إما عن خوف بالنسبة للبعض، وإما عن إجلال وتقديس بالنسبة للبعض الآخر.

لذا اعتبر اثتينواس إلها لما اشتهر به أسلافكم من حسن المعاملة لمحكوميهم، وقد اتخذ اللاحقون هذه العبادة دون فحص أو بحث.

«الكريتيون دائما يكذبون، لأنهم أيها الملك، قد بنوا لك قبرا، وأنت لم تمت». ومع أنك تؤمن ياكاليماخوس بمولد زيوس، إلا أنك لاتؤمن بقبره، وبينما تظن أنه يمكنك أن تتعامى عن الحق، أنت فى الواقع تذيع أمر موته حتى لأولئك الذين يجهلونه، فإذا رأيت الكهف (المغارة) تذكر مخاض ريا، لكنك عندما ترى النعش تحاول أن تخفى حقيقة موته دون أن تفطن إلى أن الإله الذى لم يولد هو وحده السرمدى.

---

(١) أى بعد جايا واورانوس، الأرض والسماء.

(٢) سيبيل ٣: ص ١٠٨ – ١١٣.

santamariaegypt.org

فإما أن تكون الأقاصيص التى يرويها عامة الناس والشعراء عن الآلهة، غير جديرة بالثقة ومن ثم فليس مايدعو إلى تقديس (هذه الآلهة) (لأنه ليس لهم وجود، كما أن القصص التى تروى عنهم باطلة) وإما أن تكون المواليد والمحبات وضروب القتل والسرقات والتطويشات والصواعق، أمورا حقيقية، وحينئذ لايكون (لهؤلاء الآلهة) وجود بعد، وإنما ينقطع وجودهم حيث إنهم قد ولدوا ولم يكن لهم سابقا وجود.

ثم على أى أساس نؤمن بأشياء وننكر غيرها، إذا كان الشعراء قد ألفوا رواياتهم أملا فى أن يحققوا لهم إحتراما أعظم؟

يقينا أن أولئك الذين اعتبروهم آلهة - وقد بذلوا قصارى جهدهم فى أن يجعلوا فعال الآلهة جديرة بالتقديس - ما كانوا يستطيعون أن يختلقوا للآلهة آلاما.

وعلى هذا، فقد أبنت - على قدر استطاعتى وإن لم يكن على قدر أهمية الموضوع - أننا غير ملحدين، وأننا نقر بالله صانع هذا الكون.

الفصل الحادى والثلاثون

نقض الإتهامات الأخرى التى تثار ضد المسيحيين

لكنهم - علاوة على ذلك أيضا - ألفوا ضدنا روايات ونسبوا إلينا ولائم تعارض التقوى، كما نسبوا إلينا المعاشرة المحرومة بين الجنسين، كيما يبرروا لأنفسهم بغضتهم لنا، ولأنهم يظنون أنه يمكن أن نعدل عن سبيلنا فى الحياة بالإرهاب والتخويف أو بتهييج الحكام علينا وإيغار صدورهم نحونا نظرا لجسامة الإتهامات التى يثيرونها ضدنا.

لكنهم قد قطعوا صلتهم بمن عرفوا أن الرذيلة تناهض الفضيلة عادة، منذ القِدم لا فى أيامنا فقط : فقد أُحرق فيثاغورس مع ثلثمائة آخرين إلى أن ماتوا جميعا، وقد طُرد هيراقليطس وديموقريطس : أحدهما من مدينة الأفسسيين والآخر من ابديرا لأنه قد اتهم بالجنون، كما أن الأثينيين حكموا على سقراط بالموت. ولكن كما أن (هؤلاء) لم يتزعزعوا عن إعتقادهم أو يتحولوا عن فضيلتهم تمشيا مع رغبات الجماهير. هكذا نحن أيضا لايمكن أن تؤثر فينا أو تحولنا عن سبيلنا القويم فرية من بضع أشخاص يتهموننا زورا ودون تمييز، إذ أن الله يشد أزرنا ويقف فى نصرتنا.

وإنى - بكل تأكيد سأواجه هذه الإتهامات أيضا، ولو إنى واثق جدا من أننى قد استطعت أن أبرىء نفسى أمامكم، بما قد أفضيت به حتى الآن وإذ أنكم تفوقون جميع الناس فطنة وذكاء،

santamariaegypt.org
يمكنكم أن تعرفوا أن أولئك الذين يتخذون قاعدة حياتهم أن يتجهوا بها إلى الله حتى يصبح كل منهم بلا عيب ولا لوم أمامه، لن يرحبوا مطلقا بأية فكرة شريرة مهما تكن ضئيلة جدا، لأنه إذا كنا نعتقد أننا نحيا فى هذه الحياة الحاضرة فحسب، لكان يمكن أن نتهم بالإثم طالما كنا مستعبدين للحم والدم وخاضعين للربح والشهوة البدنية، أما ونحن نعرف أن الله شاهد على أفكارنا وأقوالنا، بالليل والنهار، وأنه هو نفسه النور الذى يكشف كل ما فى قلوبنا فنحن مقتنعون بأننا إذا إنتقلنا من الحياة الحاضرة فسنحيا حياة أخرى أفضل من الحياة الحاضرة. حياة سماوية وليست أرضية إذ أننا سنقيم إلى جانب الله، ومع الله، لا يعترينا تغير أو ألم فى نفوسنا، لا من حيث أجسادنا، بل من حيث أرواحنا السمائية، فإذا سقطنا مع سائر من سقطوا، كانت لنا حياة أخرى تعيسة نحياها فى النار، لأن الله لم يخلقنا على غرار الأغنام والبهائم، إنما خلقنا أحرارا مسئولين، ثم أننا سنفنى ونبيد.

على هذا فليس معقولا أننا نرغب الشر، فتسلم نفوسنا لعقوبة الديان العظيم.

الفصل الثانى والثلاثون
سمو الأخلاق المسيحية

ومهما يكن من أمر، فليس عجيبا أو غريبا أن ينظموا ويؤلفوا عنا قصصا كما يؤلفون ويروون عن آلهتهم، حكايات تجعل من حياتهم أسرارا. ولكنه يلزمهم - إذا أرادوا أن يقضوا على هذه الغلائق المعيبة الفاضحة أو الشيوعية الجنسية - أن يبغضوا سواء زيوس الذى أنجب أولادا من أمه ريا وإبنته كوريه واتخذ أخته زوجة، أو أورفيوس الذى ابتدع هذه الروايات فظل زيوس دنسا ومكروها أكثر من ثيستيس نفسه، إذ أن الأخير قد دنس إبنته عملا بمشورة الوحى عندما أراد أن يفوز بالمملكة ويثأر لنفسه.

أما نحن فأبعد من أن نمارس هذه الشيوعية الجنسية، بل أنه ليس مشروعا عندنا ولامباحا أن نتطلع بنظرة تثير شهوة الجنس، إذ قال (المسيح) لأن من يتأمل إمرأة ليشتهيها فقد زنى بها فى قلبه (١).

وإذن، فأولئك الذين حرم عليهم أن ينظروا إلى شئ بأكثر مما خلق الله عيوننا من أجله (هذه العيون) التى قصد الله بها أن تكون نورا لنا، والذين يحسبون النظرة الشريرة (الخليعة) زنى، وأن العيون قد خلقت لأغراض ومقاصد أخرى (غير النظرة الشريرة)، والذين أمروا أن يحصوا حتى أفكارهم، (أقول) من يشك فى أن مثل هؤلاء الأشخاص يتصفون بضبط النفس والعفة؟

---

(١) متى ٥ : ٢٨.

santamariaegypt.org

إن مسئوليتنا لاتقف عند حد الخضوع للقوانين البشرية التى يمكن للشرير أن يفلت منها (وإني - أيها السادة العظام - قد برهنت منذ البدء على أن عقيدتنا هى من تعليم الله) بل إن لنا قانونا يجعل كمال السيرة فى إعتبار الأقرباء كنفوسنا (١).

لهذا السبب، مع مراعاة السن أيضا، ننظر إلى البعض كأنهم أبناؤنا وبناتنا، وننظر إلى غيرهم كأنهم إخوتنا وأخواتنا، أما المتقدمون علينا فى العمر فنقدم لهم الكرامة التى تليق بالآباء والأمهات. وإذن فنحن - كوكلاء عن أولئك الذين نعتبرهم إخوة وأخوات وما إلى ذلك من أنواع القرابات - نبذل أقصى جهدنا فى أن نحتفظ بأجسادهم طاهرة نقية، إذ أن « الكلمة» قال لنا أيضا «إذا قبّل أحد (صاحبه) مرة ثانية لأن القبلة لذت له، (فقد أخطأ) ثم أضاف » على ذلك، فالقبلة، بل والسلام أيضا يجب أن يؤدى بغاية الحذر، لأنه إذا اختلط به أقل تصور دنس، فإنه يحرمنا من الحياة الأبدية» (٢).

الفصل الثالث والثلاثون
طهارة المسيحيين فى نظرتهم إلى الزواج

لهذا - ونحن نترجى الحياة الأبدية - نزدرى شئون هذه الحياة وأيضا مسرات النفس (البشرية)، فكل منا يحسب (المرأة) التى بنى بها، زوجة له وفقا للقوانين التى أوضحناها وقصده (من الزواج) إنجاب الأولاد فقط، وكما أن الرجل يلقى البذار فى الأرض ثم ينتظر الحصاد، فلا يبذر أيضا، هكذا نحن نضبط شهواتنا فلا نسمح لها إلا فى حدود إنجاب البنين.

ليس ذلك فقط، بل قد تجدون بيننا كثيرين من الرجال والنساء، كبروا ولم يتزوجوا أملا فى أن يحيوا مع الله حياة أكثر إتحادا وكمالا.

فإذا كان من يظل بتولا وفى منزلة الخصى، يكون أكثر قربا من الله، ومن يطلق العنان للأفكار والشهوات الجسدية يبتعد عنه بعيدا، وكان علينا فى هذه الحالات أن نتجنب الأفكار والتصورات، فبالأولى أن ننكر الفعال (الأعمال) إذ نحن لانعنى بدراسة الألفاظ بل بأن نظهر الأعمال ونتدرب عليها، فإما أن يظل الشخص (بتولا) كما ولد، أو أن يقنع بزواج واحد لأن الزواج الثانى إنما هو فى حقيقته زنى أو إن كان زواجا صحيحا فى الظاهر فقد قال (المسيح)

---

(١) يترجم اوتو (هذه العبارة) هكذا : «قد جعلنا نحن وأقرباءنا ندرك أرفع درجة من الكمال أو الإستقامة، النص غامض، ولكن النص الوارد فى المتن يبدو قريبا إلى المعنى : متى ٢٢ : ٣٩ ... الخ.

(٢) ربما اقتبس من كتاب محذوف.

santamariaegypt.org

«لأن من طلق إمرأته وتزوج بأخرى يزنى» (١) فلم يسمح (المسيح) للرجل أن يطلقها بعد أن يفض بكارتها ولا أن يتزوج مرة أخرى، إذ أن من فصل نفسه عن زوجته الأولى، حتى ولو ماتت إنما هو زان متنكر (متستر) يقاوم إرادة الله - لأن الله، فى البدء، خلق رجلا واحدا وإمرأة واحدة - ويحل أوثق رباط للجسد بالجسد، قد جعله الله لبقاء النوع (الإنسانى).

الفصل الرابع والثلاثون
الفارق الكبير بين سلوك المسيحيين وسلوك المدّعين عليهم

ولئن كان سلوكنا على هذا النحو (أواه «واأسفاه» كيف إضطررت لأن أتكلم عن أمور ليست جديرة بالذكر؟) فإن ماقيل عنا جاء طبقا للمثل القائل «العاهرة توبخ العفيفة» فإن الذين أقاموا سوقا للفسق والفجور وشادوا محافل للصغار سافلة غاية السفالة يعرضون فيها كل أنواع المسرات القبيحة. والذين لا يعفون حتى عن مضاجعة الذكور - إذ الذكور يرتكبون مع الذكور نجاسات فظيعة، وينتهكون حرمة أنبل الأجساد وأجملها بكافة الطرق والوسائل وبذا يشينون عمل الله الجميل (لأن الجمال فى الأرض ما نشأ فيها من ذاته ولكنه جاء بقدرة الله وإرادته) (أقول) إن هؤلاء الناس يعيروننا ويتهموننا بأمور يشعرون هم أنفسهم أنها فيهم بل وينسبونها إلى آلهتهم ويفتخرون بها كأنها أعمال نبيلة تليق بالآلهة.

كيف لهؤلاء الزناة الذين يفسدون عفة الأطفال، أن يفتروا على الخصيان وذوى الزيجة الواحدة (بينما هم أنفسهم يعيشون كالأسماك يتهمون كل من يقع فى سبيلهم، والقوى فيهم يطارد الضعيف : هؤلاء هم فى الواقع أكلة اللحوم البشرية والذين يخالفون - فى جرأة وقوة - ذات القوانين التى قررتموها أنتم وأسلافكم طبقا للحق والعدل) حتى إن حكام المقاطعات (ولاة الأقاليم) المرسلين من قبلكم لايكفون فى سماع الشكاوى التى تقام ضد هؤلاء (المسيحيين) الذين لايتاح لهم حتى أن يقيموا الدعوى على من يضربهم، أو أن لايقدموا نفوسهم لمن يصفعهم، أو أن لايباركوا من يلعنهم : إذ أنه لايكفى (بالنسبة لمطاليب شريعتنا المسيحية) أن نسلك بالعدل (والعدالة «تقضى» بأن نرد المثل بالمثل) بل أنه قد فرض علينا أن نقابل الشر بالخير والحلم.

---

(١) متى ١٩ : ٩.

santamariaegypt.org

الفصل الخامس والثلاثون

المسيحيون يمقتون كل أنواع القسوة ويبغضونها بغضة شديدة

وإذن فمن ذا يكون سليم العقل يمكنه أن يقول إننا قتلة وهو يعرف ما هى أخلاقنا؟ لأننا لانأكل لحم بشر إلا إذا قتلنا أحد من الناس، وعلى ذلك فالتهمة الأولى باطلة وإذا سألهم أحد بصدد التهمة الثانية ما إذا كانوا قد رأوا (فعلا) ما يزعمونه فليس منهم من يبلغ به السفه أن يقول أنه رأى شيئا. ومع أننا نملك عبيدا ـ البعض منا يملك منهم كثيرا والبعض يملك قليلا، ولا مفر من أن يرونا ويبصرونا (إذا كنا نأكل لحوما بشرية) إلا أن واحدا منهم لم يدَّعِ علينا بشئ من هذا، ومن منهم يمكنه أن يتهمنا بالقتل وأكل لحوم البشر وهم يعلمون أننا لا نحتمل مجرد رؤية إنسان ينفذ حكم الإعدام، ولو كان ذلك حقا وعدلا؟

ومن لا يحسب معارك الإقتتال فى المسارح (برومية) ومصارعة السباع والحيوانات الضارية، من أعظم الأمور المشوقة الملذة، لاسيما إذا كانت السباع ممن تقدمونها أنتم (أيها الأباطرة) ؟ ولكننا نحن (مع ذلك) نهرب من مثل هذه المناظر، إعتقادا منا أن رؤية إنسان يقتل ليست أقل شناعة من مباشرة قتله.

فكيف، إذن، نقتل الناس ونحن لانطيق حتى مجرد النظر والتطلع إلى ذلك خوفا من أن نحسب مشاركين فى الجريمة والدنس؟

وإذا كنا نقول أن أولاء النسوة اللائى يستعملن العقاقير لإسقاط الجنين، يرتكبن جريمة القتل، ولسوف يسألن أمام الله عن هذا الأمر، فكيف نرتكب نحن جريمة القتل؟ لأنه ليس من حق الإنسان، أن ينظر إلى الجنين فى الرحم على أنه كائن مخلوق وبالتالى موضوعا لعناية الله، فإذا خرج إلى الحياة (ليس من حقه) أن يقتله أو يعرض حياته للخطر ـ لأن الذين يعرضون الأطفال للخطر، تقع عليهم تبعة قتل هؤلاء الأطفال ـ أو يهلكه إذا كبر. فنحن ـ فى جميع الأشياء على السواء ـ نخضع نفوسنا دائما لعقولنا ولا نخالفها.

santamariaegypt.org

الفصل السادس والثلاثون

يقوم الاعتقاد فى القيامة على ممارسات المسيحيين

ومن ذا الذى يعتقد فى قيامة الموتى ثم يجعل من ذاته ضريحا لأجساد لابد أن تقوم ثانية؟ وهل يليق بأشخاص يؤمنون بقيامة الأجساد أن يأكلوها كما لو كانت لا تقوم، أو أن يظنوا أن التراب سيرد الأجساد التى ضمها، فى حين أن الأجساد التى قبرها المرء فى نفسه لايطالب بردها؟

كلا، بل المعقول أن نفترض فى أولئك الذين يظنون، أنهم لايسألون عن الحياة الحاضرة : هل أنفقوها فى عمل صالح أو طالح، وأنه لا قيامة للأجساد، وإنما يحسبون النفس تفنى مع الجسد، كما لو كانت قد خمدت فيه أو إنطفأت، (من المعقول أن نفترض فيهم) أنهم لا يكفون ولا يحجمون عن أعمال الإقدام والمجازفة.

أما أولئك الذين قد إقتنعوا بأن الله سيتقصى كل شيء، وأن شيئا ما لا يفلت من هذا الإستقصاء والتحرى، بل أن الجسد الذى كان فى خدمة الدوافع النفسانية المضادة للعقل وخاضعا لشهوات النفس سيعاقب إلى جانبها، ليس معقولا (أو محتملا) أنهم يرتكبون ولو أصغر الشرور.

ولكن إذا كان يبدو لأحد أن من المحال بتاتا أن يقوم الجسد من جديد بعد أن بلى وتحلل وارتد إلى العدم، غير أنه لايمكن - قطعا - أن ينهض ثمة دليل على أننا نصنع شرا بمن يخالفوننا إعتقادنا، (فإذا جاز أن نتهم بشيء) إنما يمكن أن نتهم بالحماقة أو الجهل فقط... لأننا إذا كنا نخدع نفوسنا بهذه المعتقدات لكننا لانضر بأحد آخر.

على إن الإعتقاد فى قيامة الأجساد ليس هو إيماننا نحن فقط، بل كثيرون من الفلاسفة يرون مثل هذا الرأى. ولا يسمح المجال الآن فى بيان ذلك لئلا يظن إننا نقحم فى بحثنا أمورا لاتوائم ما نحن بصدده، سواء تكلمنا فى المعقول والمحسوس وطبيعة كل منهما أو قلنا إن غير المادى أقدم من المادى وأن المعقول يسبق المحسوس، ولو أننا قد عرفنا الأخير (المحسوس) قبل أى شيء آخر من حيث أن المادى قد نشأ وتكون من غير المادى وذلك بإتحاده مع المعقول، وأن المحسوس قد تكون من المعقول، وليس هناك ما يمنع تبعا لفيثاغورس وأفلاطون - أن تتكون الأجساد من جديد - بعد إنحلالها - من ذات العناصر التى كانت تتألف منها أولا.

ولكن فلنؤجل الحديث عن القيامة.

santamariaegypt.org

الفصل السابع والثلاثون

إلتماس بمراعاة العدالة فى الحكم

والآن، ألا تومئون بالرأس الملكى إيماءة الإستحسان والرضى - وأنتم، فى كل شىء، طبعا وعلما، تتصفون بالبر والعدل وحسن المعاملة والجدارة فى الحكم - بعد أن نفيت مختلف الإتهامات، وبرهنت على تقوانا وحلمنا وعفة نفوسنا؟

ومن ذا يستحق أن يجاب إلى طلبه قبلنا، نحن الذين نضرع من أجل حكومتكم كيما يصان الملك فى العائلة فيتولاه الإبن عن الأب - وهو أمر جد مشروع - وكيما تنمو المملكة وتزدهر، ويخضع جميع الناس، لسلطانكم وسيادتكم؟

إنه يكون لنفعنا نحن أيضا، حتى نحيا حياة مطمئنة هادئة، فننجز حالا (وبسرور وإرتياح) كل ما نؤمر به.

انتهى والشكر لله.

santamariaegypt org

الفيلسوف بنتينوس

santamariaegypt.org

الفيلسوف بنتينوس

(١) مولده :

لا يعرف على وجه الدقة مسقط رأس بنتينوس، فمن قائل أنه صقلية أو أثينا ومن قائل أنه من الأسكندرية، ومن قال أنه أثينوى أو يونانى فهذا رأى ضعيف واهن لا يسنده إلا زعم واهم يجعل من جميع الأباء الشرقيين قوما يونانيين أو منتسبين إلى اليونان. ولو قالوا أن الآباء كتبوا باللغة اليونانية، لأن اليونانية كانت لغة الثقافة فى كل العالم لكان قولهم صوابا وصدقا، ولكن لغة الكتابة لا تقطع بحقيقة جنسية الكاتب ولاسيما فى تلك العصور (١).

أما القول الراجح فهو أن فيلسوفنا صقلى محتدا اسكندرى مولدا (٢)، ومقرا يونانى قبطى الثقافة، ولعل أقطع دليل على ذلك تلقيب أكليمنضس الأسكندرى لأستاذه بنتينوس «بالنحلة الصقلية» وهذا للدلالة على تنقلاته ورحلاته من جهة، وعلى أنه من أسرة صقلية الأصل من جهة أخرى.

أما عن زمن ولادته، فعلى ما يظهر، أنه ولد فى أوائل القرن الثانى لميلاد المسيح، وإن كنا لا نستطيع أن نحدد بالدقة تاريخ ميلاده.

(٢) فلسفته القديمة وثقافته الأولى :

اتفق جمهور المؤرخين على أن بنتينوس كان قبل تنصره فيلسوفا رواقيا (٣) ويقول أوسابيوس وايرونيموس أن بنتينوس درس الرواقية أولا - وكان ذلك فى عهد الأمبراطور والفيلسوف الرواقى مرقس أوريليوس، وقد وجد بنتينوس فى هذا المذهب ما يوافقه ويناسبه ولذا اعتنقه وصار من القائلين به.

والمذهب الرواقى مذهب أخلاقى من الطراز الأول، إذ الرواقيون يجعلون غايتهم القصوى الأخلاق، ويحسبون الخير الأعظم فى الفضيلة، وهم يؤمنون بالله ولو أن اعتقادهم فيه أنه باطن فى العالم وموجود فى كل شئ.

---

(١) ورد فى كتاب برهان الكنيسة الشرقية طبعة تلاميذ مدرسة اليونان برومية سنة ١٧٠٢م، «إنما دعى الأباء الشرقيون يونانيين لأنهم كتبوا تآليفهم باللغة اليونانية».

(٢) ويزعم فيلبس الصيدوى خلافا لجميع المؤرخين أن بنتينوس كان فيثاغوريا ويقول غيره أنه كان غنوسيا.

(٣) على ما يرى المؤرخ كيف Cave راجع مقال:

Gunn (W.M.), Pantaenus in Dictionary of Greek and Roman Biography and Mythology. vol. lll

santamariaegypt.org

ومهما يكن من أمر فإن العلماء متفقون على أن بنتينوس قد تهذب بالفلسفة اليونانية وأنه إلى هذا التهذيب يرجع الكثير من نواحى عظمته كمعلم.

وقد تحدث العلامة أوريجانوس عن بنتينوس حديثا نقله إلينا أوسابيوس المؤرخ فقال: إنه مثال أو بالأحرى (إنه) أقدم مثال يمكن أن يورده عن معلم مسيحى استطاع أن يفيد من دراسته الوثنية.

وكان بنتينوس يقرأ دواما فى فلاسفة اليونان ومع ذلك لم يحتج عليه أهل عصره بأنه مرق عن الإيمان، حتى أن أوريجانوس عندما وجه إليه اللوم بأنه يطالع فى كتب الفلاسفة كثيرا، كان يبرر موقفه بما كان يفعله القديس بنتينوس.

(٣) ديانته القديمة والجديدة :

يقول بعض المؤرخين أننا نجهل ديانة بنتينوس الأولى أكانت هى المسيحية، أم أنه كان فى الأصل وثنيا ثم تحول فصار مسيحيا، ولكن هناك من الدلائل ما يكفى للاعتقاد بأنه صار مسيحيا فيما بعد، وأن تنصره كان على يدى أثيناغوراس الفيلسوف المسيحى الذى كان أولا وثنيا، ثم آمن بدين المسيح وصار من أكبر المدافعين عن المسيحية وأستاذا بالإكليريكية الأولى.

وفى الوقت الذى قبل فيه بنتينوس الدين المسيحى، كانت المسيحية قد بدأت تغزو عقول المفكرين والفلاسفة وتفتح قلوب العظماء فى المملكة الرومانية، على ما يحدثنا بذلك المؤرخون.

وليس ثمة ما يدعو إلى الشك فى أن اعتناق بنتينوس للديانة الجديدة كان فى مصر أى بمدينة الأسكندرية، وأنه قد وجد تشابها كبيرا بينها وبين الرواقية مذهبه القديم. ولكن كيف يمكن أن نفسّر هذا التحول عن دين تعلق به زمنا طويلا، ما لم يكن قد رأى فى المسيحية وجوها تتميز بها وتسمو عن دين أصحاب الرواق.

على أننا نجد فى اعتناق بنتينوس للرواقية أولا والمسيحية ثانيا ما نستدل به على سمو أخلاق فيلسوفنا، إنه كان دوما يميل إلى الطهر والفضيلة والحلم وضبط النفس، وغيرها من الفضائل السامية التى وجدها فى الرواقية، ووجدها أيضا فى المسيحية لكن بصورة أوضح وأكمل، وعلى أساس أقوم وأمثل.

أما تحول بنتينوس فقد تم فى أواخر القرن الثانى للميلاد.

(٤) بنتينوس فى رياسته للمدرسة المسيحية :

فرح المسيحيون بانتقال بنتينوس إلى حظيرة المسيح إلههم، ومن فرط ثقتهم به عهدوا إليه برياسة مدرستهم المسيحية، مدرسة النصوص الإلهية والأقوال المقدسة. وقد أثبت بنتينوس أنه

santamariaegypt.org
كان جديرا بهذه الثقة، إذ نجح فى إدارة المدرسة نجاحا باهرا، فازهرت بالطلبة والأساتذة، وبدأ الراغبون فى العلم والدين يقصدونها من كل بلاد المعمورة، وكانت مقدرة بنتينوس وشخصيته أعظم مشجع على الإقبال على هذه المدرسة.

وإذا كان بنتينوس قد ذهب إلى بلاد الهند مبعوثا من قبل البابا ديمتريوس ليقوم بمهمة التبشير هناك، فلذلك قصة يجب أن ندونها بالفخار لفيلسوفنا العظيم، فقد روى المؤرخون أن تجارا من الهند قد استمعوا إلى دروس بنتينوس فأعجبوا واعتنقوا النصرانية بحماس عظيم، ولم يكتفوا بذلك بل حركتهم غيرتهم المقدسة على خلاص مواطنيهم. فتوسلوا إلى البابا الأسكندرى أن يسمح بإرسال القديس بنتينوس إلى بلادهم، ليقود الهنود إلى معرفة المسيح ويرشدهم إلى طريق الخلاص.

وعلى ذلك فليس صحيحا أن البابا ديمتريوس أرسل القديس بنتينوس إلى بلاد الهند تخلصا منه، كما يحاول بعض المفسدين ليصوّر البطريرك بصورة المبغض للعلم والمضطهد للعلماء. إذ أن إرسالية بنتينوس كما يروى جميع المؤرخين كانت بطلب وإلحاح من الهنود أنفسهم، بل لقد زاد أكثر المؤرخين بأن رسالة جاءت من الهند بهذا الخصوص، وقال آخرون. أن وفدا من الهند قد جاء لهذا الغرض. وعلى كل حال، فإن الهنود بأنفسهم هم الذين طلبوا معلما للدين المسيحى اشترطوا فيه التقوى مع العلم وقد عينوا مقصودهم أنه هو القديس بنتينوس الفيلسوف القبطى.

عُيِّن بنتينوس رئيسا للمدرسة المسيحية فى أيام بطريركية الأنبا يوليانس البابا الحادى عشر، أو فى السنة الأولى أو الثانية من حكم الأمبراطور كومودوس الذى خلف الأمبراطور مرقس أوريليوس على المملكة الرومانية، وإذا كان البابا يوليانس قد جاء خلفا للقديس أغريبانوس، وأن نياحة هذا الأخير كانت فى سنة ١٧٩م وهى السنة الأخيرة من حكم الأمبراطور مرقس أوريليوس، فإن بنتينوس لم يصر مديرا أو رئيسا للمدرسة المسيحية قبل سنة ١٨٠م أو حوالى ١٨١م.

وظل الفيلسوف يدير المدرسة حتى عام ١٩٠م حيث اضطر إلى السفر إلى بلاد الهند، وحينئذ ترك إدارة المدرسة لخلفه العظيم القديس اكليمنضس الأسكندرى، إلى أن عاد ثانية من رحلته الموفقة، ومع أننا لا نعرف، على الحقيقة، مدة تغيبه عن مدينة الأسكندرية، إلاّ أننا نعلم أنه عند عودته تسلّم إدارة المدرسة ثانية إلى زمان وفاته، على غرار ما فعل أوريجينوس فيما بعد إذ ترك إدارة المدرسة ثم استردها مرة أخرى.

santamariaegypt.org

(٥) بنتينوس فى رحلته التبشيرية :

رحل الفيلسوف والقديس بنتينوس إلى بلاد الهند بناء على الرسالة أو الوفد الذى شخص إلى البابا الأسكندرى، ليتوسل إليه فى شأن إرسال معلم إليهم يعرفهم طريق الخلاص ويرشدهم إلى الإيمان المسيحى. ذلك أن الأسكندرية قد صارت معروفة فى ذلك الزمان بأنها مركز الثقافة المسيحية، وشهرتها فى ذلك قد بلغت شأوا بعيدا، وهذا بفضل المعلمين والقادة الذين زينوا جيد المسيحية بتعاليمهم وسيرتهم، ومن بين عوامل الدعاية الواسعة النطاق المدرسة المسيحية التى كان صيتها قد طبّق الآفاق، وتردد التجّار على دروس الأساتذة والفلاسفة المسيحيين، فإذا انتقلوا إلى بلادهم نقلوا إليهم تعاليم الدين المسيحى. وحدثوا مواطنيهم عن معلمى الأسكندرية ومفكريها العباقرة.

ومن أقوال المؤرخين عرفنا أنه عن طريق هؤلاء التجار الهنود، قد شعر الهنود بحاجتهم إلى الفيلسوف بنتينوس، ومن يدرى فربما كان هؤلاء التجار هم الوفد الهندى الذى تقدم إلى البابا بطلب بنتينوس بعد أن تقووا برسالة يحملونها من بلاد الهند تؤيد مطلبهم.

ومهما يكن من شئ فقد عرض البابا الأسكندرى هذه المسألة على القديس بنتينوس فقبل الدعوة راضيا مسرورا، وبعد أن تزود ببركات ودعوات الجالس على عرش الخلافة الرسولية سلّم مقاليد المدرسة اللاهوتية إلى تلميذه النابغة القديس اكليمنضس وقد كان حينئذ أستاذا بالمدرسة، ثم مضى إلى بلاد الهند يكرز وينادى ويعلم تعاليم المسيح.

ويظهر أن بنتينوس رحل إلى الهند نحو عام ١٩٠م، إذ أن ايرونيموس يقول أن هذه البعثة كانت فى عهد البابا ديمتريوس، ويروى أوسابيوس المؤرخ أن الأنبا ديمتريوس جلس على عرش البطريركية فى السنة العاشرة للأمبراطور كومودوس، بينما أن بنتينوس صار رئيسا للمدرسة اللاهوتية فى السنة الأولى لعهد هذا الأمبراطور، وإذن فلا يبعد أن بنتينوس قد قضى تسعة أو عشرة أعوام رئيسا للمدرسة قبل أن يغادرها إلى بلاد الهند، أى أنه تعيّن فى المدرسة سنة ١٨٠ أو سنة ١٨١ ورحل إلى الهند حوالى سنة ١٩٠م.

وثمة ما يدعو إلى الاعتقاد بأنه ذهب إلى شاطئ بحر مالابار Malabar وكان فى ذلك الوقت اتصال عظيم بين الهند الجنوبية والشرق الأوسط، وربما استطاع الفكر المسيحى أن يلعب دورا كبيرا فى تكوين مذهب تاميل Tamil الفلسفى والمعروف بالسيفا سيدهانتا Saiva Sidhanta

ويقال فى بعض المصادر أن بنتينوس عند رجوعه من الهند قد عرّج على الحبشة وبلاد العرب واليمن يكرز ببشارة الخلاص. وهو قول يوقفنا على مدى جهود خريجى الإكليريكية

santamariaegypt.org
القبطيـة فـى نشر الإيمـان المسيحى، ومدى اتساع رقعة الكـرازة المرقسية فـى القـرن الثانى للميلاد.

وهناك فـى بلاد الهند (١) وقيل فى بلاد اليمن (٢) وجد الفيلسوف نسخة من إنجيل القديس متى مكتوبة بخط الرسول نفسه وباللغة العبرانية، وكانت موضع تقديسهم وإجلالهم وقالوا أن القديس برثولماوس الرسول كرز بينهم وترك هذه البشارة بين أيديهم، فلما عاد إلى مدينة الأسكندرية أحضر معه هذا الإنجيل على رواية إيرونيموس وأوسابيوس المؤرخ (٣) ثم تولى مدرسة التعليم المسيحى من جديد وصار يديرها إلى يوم وفاته..

* * *

ومما يجدر ذكره أن أناستاسيوس Anastasius يتكلم عن بنتينوس باعتباره كاهن كنيسة الأسكندرية *τῆς ʼΑλεξανδρείας ἱερεύς* وهى قضية خطيرة، وإن لم يكن لنا مصدر مباشر نستقى منه معلوماتنا عن حقيقة السيامة وزمانها ومكانها.

والحقيقة أن بنتينوس لابد وأن يكون قد حصل على الكهنوت، لا من حيث أنه مدير للإكليريكية، فقد كان أوريجانوس عاميا (علمانيا) - بل من حيث أنه مبعوث من قبل البابا للكرازة والتبشير، ولا غنى للناس فى تلك البلاد عن كاهن يعمدهم ويمسحهم بالميرون ويناولهم من الأسرار الربانية ويباشر لهم سائر الخدمات والطقوس الروحية التى تقتضى وظيفة الكهنوت (٤).

(٦) بنتينوس وترجمة الكتاب المقدس :

شعر القديس بنتينوس بحاجة الكنيسة إلى ترجمة قبطية للكتاب المقدس يسهل تداولها فى الكنائس والمنازل، فاصطدم بمشكلة عسيرة هى أن اللغة القبطية المستعملة فى ذلك الوقت كانت تنقسم إلى قسمين : اللغة الهيروغليفية ثم اللغة الديموطيقية.

أما اللغة الهيروغليفية أو بالحرى الخط الهيروغليفى فكان صورا وأشكالا رمزية ترسم على الآثار كالمعابد والبرابى (الهياكل) والمسلات والتماثيل، وكل صورة أو شكل يدل على معنى

(١) بحسب رواية القديس ايرونيموس (٢) فى رواية أخرى

(٣) ك ٥ ف ١٠

(٤) راجع Murray's Dictionary of Christian Biography

santamariaegypt.org

مستقل ويسمى بالمصرية الخط المقدس أو كتابة بيت الحياة (تيكى)، ويقرب منه الخط الهيراطيقى وكان أيضا مقدسا يستخدم لأغراض دينية، يستعمله الكهنة لتحرير العقود الرسمية والأوامر الملكية على ورق البردى والرقوق...

والخط الهيراطيقى هو مختصر الخط الهيروغليفى الذى وفق إلى كشف حروفه وتفسير غوامضها ووضع أبجدية تفصيلية لها، الشهير فرنسوا شاباس، بعد عناء كثير وبذل جهد كبير.

أما الخط الديموطيقى فكان هو الخط الدارج يستخدمه الناس فى المعاملات، وهو عبارة عن مجموعة إشارات، كل إشارة منها تدل على معنى خاص للتعامل فى البيع والشراء وما إلى ذلك(١) من أمور الحياة العادية.

ولما وجد بنتينوس أن هذه الخطوط لا تصلح بالنسبة للكتاب المقدس استعار الحروف اليونانية فى كتابة اللغة القبطية تسهيلا للكتابة، ثم أضاف للأبجدية اليونانية سبعة حروف من الخط الديموطيقى لا توجد نظائرها فى الأبجدية اليونانية وهى (شاى، فاى، خاى، هورى، جنجا، اتشيما، تى (Ϣ, Ϥ, Ϩ, Ϫ, Ϭ, Ϯ,

(وبذا تكون الحروف فى الأبجدية القبطية اثنين وثلاثين حرفا: خمسة وعشرين حرفا يونانيا وسبعة حروف هيروغليفية).

وقد عاونه فى عمله هذا العظيم تلميذاه اكليمنضس وأوريجانوس، وبذا تمت أول ترجمة للكتاب المقدس فى تاريخ المسيحية.

على أنه قد اتفق المؤرخون وعلماء الآثار على أن الخط القبطى، مع ذلك هو أصل جميع الخطوط التى استخدمتها الأجناس البشرية، بدليل وجوده على الآثار قبل عهد بناء الأهرام فى الوقت الذى كانت جميع الأمم الأخرى غارقة فى همجيتها، وظل القبط منفردين بهذه الميزة نحو ألف وثمانمائة عام، إذ أن الهكسوس (الملوك الرعاة) عندما طُردوا من مصر عام ١٧٠٣ق.م رحلوا إلى فينيقية، ومن ثم نقلوا إلى الفينيقيين الخط القبطى الديموطيقى الذى تعلموه من المصريين مدة وجودهم بمصر، وعلى ذلك فالخط القبطى هو أصل خطوط الفينيقيين

---

(١) يلاحظ أن الخطين الهيراطيقى والديموطيقى أصغر من الخط الهيروغليفى وربما يشبهان خطى النسخ والرقعة بالنسبة إلى الثلث فى اللغة العربية، ويعتبر الخطان الهيروغليفى والهيراطيقى اللغة المصرية الفصحى وأما الديموطيقى فهو لغة العامة.

santamariaegypt.org
وبالتالى اشتقت منه خطوط الكنعانيين والأشوريين والعبرانيين والكوفيين والعرب.. ثم اليونان والرومان..

فاذا استعان فيلسوف القبط بحروف أو أبجدية اليونان فهى بضاعة الأقباط وقد رُدَّت إليهم..

(٧) مؤلفات بنتينوس

حدثنا المؤرخ ايرونيموس عن القديس بنتينوس أنه ترك «تفاسير كثيرة فى الكتب المقدسة» وقال أوسابيوس أيضا أن بنتينوس «شرح كنوز التعاليم الإلهية شفاهيا وتحريريا»، ولكن لم يبق من تعليمه إلا مذكرات مختصرة قليلة، ولقد تميّز بنتينوس ـ على ما يقول أوسابيوس ـ بأنه «مفسر كلمة الله» (١)

وعلى كل حال فقد قرر ايرونيموس وأوسابيوس أن الكنيسة مدينة لبنتينوس بتعليمه الشفاهى أكثر من مؤلفاته، ويظهر أن القطعتين اللتين أوردهما روث فى كتابه (٢) هما الأثر الخالد لتعليمه الشفاهى.

وهناك شخص نقل إلينا طابع إجابة بنتينوس الشفاهية على سؤال وجه إليه، والشخص الذى احتفظ لنا بهذا النقل هو مكسيموس المعترف (٣) فلما كان فى معرض الحديث عن تعليم ديونيسيوس الأريوباغى فى الإرادة الإلهية، حدثنا أن بنتينوس عندما سأله بعض الفلاسفة : «كيف يفسر المسيحيون معرفة الله بالأمور الجارية؟» أجاب أن الله «لا يعرف المحسوسات بالحس ولا المعقولات بالعقل، لأنه ليس يمكن أن الله الذى يعلو جميع الأشياء الكائنة، يعلم بما يتصل بهذه الأشياء الكائنة، وإنما نقول أن الله يعرف الأشياء الكائنة بوصفها من أعمال إرادته *ὡς ἰδία θελήματα* ,ثمة سبب كاف نقدمه لنتخلص من هذا المأزق، لأنه إذا كان الله قد خلق كل الأشياء بفعل إرادته (وهو ما لا يأباه العقل)، وإذا كان مما يوافق التقوى والصواب أن يقال أن الله يعلم إرادته، وأنه خلق بإرادته كل موجود، فالله يعلم، إذن، بالأشياء الكائنة من حيث أنها من أعمال إرادته، بما أنه قد خلق الأشياء الكائنة بإرادته»

---

(١) راجع أيضا (Routh, Rel. sac. I, 375-383).

(2) (Routh. Rel. Sac. I.p. 378)

(3) (Scolia in S. Greg.haz)

وإشارة أخرى عن أقوال بنتينوس وردت فى «المنتقاة من أقوال الأنبياء» (١) مضافة إلى مؤلفات اكليمنضس وقد صدرت بهذه العبارة «اعتاد بنتينوس أن يقول» ἔλεγε وكان يتخذ هذه القاعدة فى تفسير النبوءات: «إنها (أى النبوءة تورد أقوالها دون تحديد (فى الزمان)، فتستخدم المضارع للمستقبل أحيانا وللماضى أحيانا أخرى».

ويذهب ليتفوت Lightfoot إلى أن خاتمة الرسالة المشهورة إلى ديوجنيتوس ربما تكون من وضع بنتينوس (٢).

* * *

وبنتينوس هو صاحب الاتجاه المعروف فى تفسير العهد القديم تفسيرا روحيا صوفيًا، وقد استشهد أناستاسيوس السيناوى (فى القرن السابع) فى «تأملاته فى ستة أيام الخلق»، مرتين بكلام بنتينوس، واعتبره مرجعا فى تفسيره حين جعل من المسيح وكنيسته مرموزا إليهما فى تاريخ خلقة الفردوس (٣) (وقد اقتبس روث هذا التفسير) (٤).

كما أننا لا نهمل هنا ما كتبه العلاّمة أوريجانوس عن القديس بنتينوس من أنه أدخل الفلسفة فى سياق اللاهوت..

(٨) بنتينوس وأستاذه وتلاميذه :

كان بنتينوس فيلسوفا رواقيا على ما أسلفنا، ولكنه بعد تحوله إلى المسيحية قطع صلته بالمتحف القديم وأصحابه وصار مشغولا بدراساته وبحوثه وتعليمه الشفاهى ومؤلفاته التحريرية، غير أننا إذا أردنا أن نتساءل عن الأستاذ المسيحى الذى تتلمذ على يديه بنتينوس، لم يكن لدينا اعتمادا على أقوال المؤرخين غير الفيلسوف المسيحى أثيناغوراس الذى قَبِل بنتينوس على يديه الإيمان بالمسيح وصار يعاونه بعد ذلك فى مدرسة التعليم المسيحى.

أمّا تلامذة بنتينوس فكثيرون نذكر على رأسهم القديس الفيلسوف اكليمنضس الأسكندرى ثم الاسكندر أسقف أورشليم وأوريجانوس.

وفى صدد علاقة بنتينوس باكليمنضس نجد أمامنا روايتين متعارضتين، رواية فيلبس الصيدوى فى كتابه (تاريخ المسيحية) كما هى مدونة فى قطعة طبعها دودول Dodwell، ثم

---

(1) (Eclogae e Propheticis)

(٢) فى الفصلين الحادى عشر والثانى عشر من الرسالة.

(٣) التأملات، ١ص ٨٦٠ (٤) راجع كتابه ص ١٥.

santamariaegypt.org

santamariaegypt.org
رواية أوسابيوس المؤرخ. أما فيلبس فقد جعل «أكليمنضس تلميذا لأثيناغوراس، وبنتينوس تلميذا لأكليمنضس» ولكن أوسابيوس يقول فى يقين الواثق أن بنتينوس هو أستاذ أكليمنضس وأن أكليمنضس نفسه قد وضع بنتينوس (فى متفرقاته) فوق جميع الناس الذين انتفع بهم فى تعليمه، وهو يصف مقابلته لأستاذه بنتينوس بأنها «المقابلة الأخيرة لكنها الأولى من حيث قوتها» وهذا معناه أن اكليمنضس إلتقى بكثيرين قبل بنتينوس لكنه ما «وجد راحته» إلا فى هذا الأخير.

ويؤيد هذا رواية بامفيليوس الذى كتب الجزء الرئيسى من كتاب ألف للدفاع عن أوريجانوس، ويقرر فوتيوس (١) استنادا إلى هذا الكتاب (وقد فقد) - أن أكليمنضس «كان مستمعا لبنتينوس وكان خلفا له فى المدرسة». ولا شك أن هذه المعلومات قد استقاها بامفيليوس عن أستاذه بيروس الذى كان هو نفسه رئيسا للمدرسة خلفا للعلامة أوريجانوس، وربما ظل مرؤسا له نحو خمسين عاما.

ثم أن مكسيموس المعترف قد ذكر هو أيضا أن بنتينوس هو «أستاذ» καθηγητήν أكليمنضس.

من كل هذا نتبين أن بنتينوس هو الأستاذ وأكليمنضس هو التلميذ النابغة الذى رأس المدرسة المسيحية فى غيبة أستاذه بنتينوس فى بلاد الهند، وهذا ما نلاحظه فى تاريخ أوسابيوس، حيث نقرأ أنه فى السنة الثانية لحكم الأمبراطور ساويرس كان أكليمنضس فى مدينة الأسكندرية «خير معلّم يشعل جذوة الفلسفة المسيحية» وربما كان الحل الوحيد لهذه الإشكالات التاريخية فيما أوردناه سابقا، من أن بنتينوس كان رئيس المدرسة المسيحية قبل رحيله إلى الهند وبعد أوبته منها، ولكن فيما بين هذين التاريخين كان أكليمنضس هو خير معلم فى مدينة الأسكندرية.

هكذا جمع الأسكندر اسقف أورشليم بين بنتينوس وأكليمنضس فى رسالة بعث بها إلى أوريجانوس، لكنه وضع بنتينوس أولا، وقد تحدث فيها عن هذين «الأبوين» وذكر أنهما قد ماتا قريبا، وهى رسالة تدل على تقدم بنتينوس على أكليمنضس علاوة على أنها تحتوى دلائل تقطع بأن الأسكندر وأوريجانوس نفسه كانا تلميذين لبنتينوس...

(٩) بنتينوس وشهادات التلاميذ عنه:

كان بنتينوس شخصية فذة جمعت من الفضائل أسماها ومن المواهب أرقاها. كان عبقريا نافذ البصيرة، جم النشاط، وافر التقى، استطاع أن يريح التعابى وأن يقنع الحيارى ويرشد السائلين إلى الحق والهدى...

(١) كتاب ف ١٨.

santamariaegypt.org
شهد عنه تلميذه القديس اكليمنضس بأنه مقتدر وكفء، وعظيم وكامل، فقال «أن بنتينوس لهو من أعظم الأساتذة وأكملهم» (١) وبهذا أيضا شهد الاسكندر أسقف أورشليم والعلامة أوريجانوس فقد اعترف الجميع بمواهبه العالية وكفايته الممتازة وخلقه الرفيع، ويكفى أن القديس اكليمنضس يصف مقابلته الأولى لبنتينوس بإزاء مقابلاته لكثيرين من الفلاسفة بأنها «المقابلة الأخيرة لكنها الأولى فى قوتها» وأنه وجد فيه راحته.

ثم وصف أكليمنضس نشاط أستاذه بهذه العبارة حيث لقبه «بالنحلة الصقلية»

أما عن توجيهاته الجديدة، فقال عنه العلاّمة أوريجانوس أنه أدخل الفلسفة فى سياق اللاهوت، ومع ذلك لم يقع فى بدعة أو تعليم غريب عن روح الديانة المسيحية، بل لقد شهد عنه أكليمنضس قائلا: «إنه موعب من روح الكتاب» وهى شهادة لها قيمتها فى بيان عدم إنحراف بنتينوس عن التعليم المسيحى على الرغم من دراساته الفلسفية، ولذلك يلقب بنتينوس بلقب يدل على ما اجتمع فى شخصه من العلم والقداسة أى «القديس والفيلسوف بنتينوس».

ولقد تأثر القديس أكليمنضس على الخصوص بشخصية وآراء بنتينوس حتى أنه كان يدعوه «لسان القفل فى مؤلفاته» Le pène de ses ouvrages وهو تعبير يدل على مدى تعلّق اكليمنضس باستاذه بنتينوس وإعجابه بآرائه واتجاهاته.

(١٠) وفاة بنتينوس :

لا يُعرف على وجه الدقّة تاريخ وفاة بنتينوس، ولكن ايرونيموس وغيره من المؤرخين يقولون بأن بنتينوس قد امتد نشاطه إلى حكم الأمبراطور ساويرس (١٩٣م - ٢١١م) وكذا الأمبراطور كراكلا، فليس ما يمنع كما يقول أيرونيموس أن يكون بنتينوس عاش إلى ما بعد حكم الأمبراطور ساويرس...

ولكن بعض المؤرخين يجعل وفاة الفيلسوف سنة ١٩٤م على أساس أن الاضطهاد الذى حدث سنة ٢٠٣م كان فى عهد القديس اكليمنضس الذى كان قد استقل بالمدرسة منذ بضع سنوات، ولكننا مع ذلك لا نستطيع إرتكانا إلى هذا الدليل أن نقطع فى وفاة بنتينوس فى هذا التاريخ، ولاسيما أننا لا نعرف بالضبط تاريخ عودة الفيلسوف من بلاد الهند، وعلى كل حال فقد ذهب بعض المؤرخين إلى أن الوفاة كانت فى عام ٢٠٢م. أمّا نحن فليس لنا ما نقطع به أكثر من أن الوفاة لم تكن قبل عام ١٩٣م، وليس يبعد أن يكون بنتينوس قد غادر الأسكندرية فترة أخرى من

(١) المتفرقات رقم ١ : ٢٧٤

santamariaegypt.org
زمان الاضطهاد لتثبيت المؤمنين فى خارج الأسكندريه كما كان يفعل نظراؤة فيما بعد. أى أنه ليس لدينا ما يمنع من أن يكون بنتينوس قد عاش إلى ما بعد عام ٢١١م على ما يروى ايرونيموس...

ومهما يكن من فرض فقد كان فوتيوس غير مصيب فى زعمه أن بنتينوس قد استمع لا إلى الآباء الرسوليين فقط (وهو ما يحتمل أن يكون، إذ الآباء الرسوليون عاشروا الرسل وعاشوا من بعدهم) .. بل يزعم أيضا أنه استمع إلى بعض الرسل أنفسهم. لأن بنتينوس قد عاش - على الأقل - إلى ما بعد عام ١٩٣م وكان سابقا على أكليمنضس بزمن قليل، فليس يعقل أنه ولد فى زمن متقدم حتى يمكنه أن يستمع إلى أحد الرسل، ولو كان هو يوحنا الحبيب باعتباره آخر من عمّر من الرسل.

وربما كان السبب فى هذا الخطأ الذى وقع فيه فوتيوس أنه أخذ قول اكليمنضس فى المتفرقات على ظاهره وهو أن: «معلميه قد تسلّموا التقليد الحقيقى، تقليد التعليم المقدس، من الرسل القديسين مباشرة أى بطرس ويعقوب ويوحنا وبولس»..

مات بنتينوس بعد أن سلّم مقاليد المدرسة المسيحية إلى تلميذه وخلفه العظيم والذى فاق أستاذه شهرة ونفوذا، أعنى به أكليمنضس الأسكندرى. تسلّم المدرسة كما تسلّم ثيوفراسطس مدرسة الليسيه من أرسطو قديما، وكما تسلّم سبيسبوس المدرسة الأكاديمية من أفلاطون، فأحسن إدارتها على ما سنبينه فى تاريخ القديس اكليمنضس.

santamariaegypt.org

الفيلسوف
اكليمنضس الأسكندرى

santamariaegypt.org

اكليمنطس الأسكندرى

يعرف هذا الفيلسوف بالأسكندرى تمييزا له عن اكليمنضس الرومانى أسقف روما من الآباء الرسوليين، اسمه الكامل هو تيطس فلافيوس اكليمنضس Titus Flavius Clemens على ماورد فى عنوان كتاب «المتنوعات» كما ذكر أوسابيوس (١)

Τίτου Φλαυίου Κλημέντος (πρεσβυτέρου ʼΑλεξανδρείας)
τῶν κατὰ τὴν ἀληθῆ φιλοσοφίαν

«متنوعات الذكريات الغنوسية، تبعا للفلسفة الحقيقية، لتيطس فلافيوس اكليمنضس (قسيس الأسكندرية) (٢) وهذا الاسم على ما يظهر اسم رومانى (٣). وهذا ما حمل المؤرخين على أن يستدلوا من الاسم على أن اكليمنضس الأسكندرى له صلة بالعائلة الأمبراطورية (٤)، وأنه من سلالة عبد أعتقه فاسباسيانوس أو ابنه (٥).

ولد اكليمنضس الأسكندرى نحو عام ١٥٠ (٦) ميلادية أى فى منتصف القرن الثانى للميلاد، من أبوين وثنيين على الراجح (٧). وتدل سعة معارفه على أنه تربى تربية حرة طليقة وعلى أن عائلته كانت تتمتع بمركز اجتماعى كبير (٨).

ومع أن اسمه رومانى لكنه لا ينتسب بروحه أو مسقط رأسه إلى الرومان. ويحدثنا أبيفانيوس، وهو أقدم عمدة فى هذا الموضوع، عن رأيين فى زمانه : «البعض يقول أنه كان اسكندريا، والبعض الآخر يقول أنه كان أثينيا»

(٩) ***Κλήμης ὅν φασῖ τινες ʼΑλεξανδρέα ἕτεροι δὲ ʼΑθηναίον***

(١) تاريخ الكنيسة كتاب ٦ فصل ١٣

(٢) صفة اكليمنضس هذه أضافها فوتيوس. راجع : Murray's Dictionary of christian Biography

(3) Cheetham (s.) , A History of the Christian Church during the first six centuries, London 1905.

(4) E. L. But cher, the story of the church of Egypt, vol-i London 1897 P.49

(5) Bigg (charles), the christian platonists of Alexandria, Oxford 1886 p. 45

(٦) من المؤرخين من يجعل تاريخ ميلاد اكليمنضس سنة ١٤٥م، مثل هارناك Harnack, Dictionnaire d theologie catholique, t.3 راجع Die chronologie, t. 11, p. 12 premiere partie
ومن المؤرخين من يجعل هذا التاريخ يمتد بين سنتى ١٩٠، ١٦٠م.

(7) Eusehius Ecclesiastical History by Lawlor (H.J.) & oulton (J.E.L.) London 1928, vol. ii. p. 165.

(8) Murray's Dictionary

(٩) ابيفانيوس: الهرطقات ٣٢ : ٦ Murray's Dictionary of christian Biography

santamariaegypt.org
وأكثر المؤرخين على أن اكليمنضس ولد فى أثينا، ويستدلون على ذلك من اسلوبه فى الكتابة ومن أنه عندما روى خبر رحلاته بدأ باليونان وانتهى بمصر. بيد أن هاتين القرينتين غير كافيتين، ولا ترقيان إلى مرتبة الدليل القاطع. ولا يبعد فى نظر البعض أن يكون اكليمنضس ولد فى أثينا وعاش فى الأسكندرية أكثر أيام حياته. وسواء ولد فى أثينا أو ولد فى الأسكندرية، فالثابت أنه عاش فى الأسكندرية فترة طويلة وتربى فيها، وتتلمذ على يد علمائها ثم علم فيها وكتب بحوثه، وتفكير الإنسان عادة يتأثر بالبيئة التى يحيا فيها، وبالأشخاص الذين يقابلهم ويعايشهم، وبالمسائل والمشاكل التى تشغل أذهان معاصريه ومواطنيه. فاكليمنضس يعد فيلسوفا اسكندريا شرقيا حتى لو كان مسقط رأسه بلاد اليونان.

ويبدو من كتب اكليمنضس سعة اطلاعه وكثرة معارفه. كان شوقه نحو المعرفة عارما، وحبه للعلم بلا حدود. لقد بحث فى جميع فروع العلم والفلسفة كما كان يتمتع بعاطفة دينية غنية. لم يكن سطحيا فى بحثه وراء الحقيقة، فلم تكن نفسه تقنع بالحلول الضعيفة التى كانت تقدم إليه إجابة على الأسئلة التى كانت تثور فى نفسه. وفى سبيل ذلك احتمل الأسفار والأتعاب، ليقابل المشهورين من رجال الفكر والمعرفة، يستمع إلى أحاديثهم ودروسهم ويعرض عليهم أسئلته ويناقشهم. وشهد أنه مدين لكثيرين من المعلمين، لكنه لم يجد راحته إلا فى بنتينوس، فكان أقواهم أثرا فى نفسه. تعلق به وأحبه ولازمه إلى يوم وفاته. وتدل كتابات اكليمنضس على مدى الإعجاب الذى حمله نحو استاذه - بنتينوس، سواء فى علمه أو فى خلقه. قال اكليمنضس فى كتابه المتنوعات :

«لم أضع هذا الكتاب فى إتقان ومهارة للمباهاة، وإنما هو ذكرياتى التى ادخرتها لأيام الشيخوخة فتكون دواء للنسيان، صورة مبسطة وتخطيطا مجملا لتلك الكلمات القوية الحية التى كان لى شرف سماعها من أولئك المغبوطين الجديرين بالإعتبار من الرجال.

«كان أحدهم فى اليونان، وكان ايونيا (١)، وآخرون فى اليونان الكبرى (٢) Magna gyraecia جاء أولهم من (كيليكية) سوريا المجوفة (٣) Coele - Syria والآخر من مصر. وكان غيرهم فى الشرق. كان أحدهم من بلاد الأشوريين والآخر فى فلسطين، وكان فى الأصل عبرانيا.

لكننى عندما التقيت بآخرهم، وكان أقدرهم جميعا، وجدت فيه راحتى. لقد اقتفيت أثره، وظفرت به وهو مختف فى مصر. كان النحلة الصقلية بحق. كان يقتطف الأزهار من مروج الأنبياء والرسل ويولد فى نفوس الذين يسمعونه ذخيرة من معرفة صافية لا تموت.

---

(١) من ايونية، على ساحل آسيا الصغرى بين Phocœa فوقيا وميليتس.

(٢) اليونان الكبرى، هى المدن اليونانية الواقعة على ساحل ايطاليا الجنوبية.

(٣) سوريا المجوفة بالمعنى الدقيق، هى الوادى المنحصر بين لبنان غربا، ومقابل لبنان شرقا Anti-Lebanon

santamariaegypt.org

«هؤلاء الرجال قد حفظوا التقليد الصحيح، تقليد التعليم المبارك، المسلم لهم مباشرة من الرسل القديسين بطرس ويعقوب ويوحنا وبولس، والذى وصل إلينا بعناية الله، أبنا عن أب» (١).

فاكليمنضس يشير فى هذا النص إلى عدد من العلماء الذين درس عليهم قيل أنهم سبعة (٢)، وقيل أيضا أنهم ستة (٣) أو على الأقل خمسة (٤) ويرى تولنتون Tollenton أن أولهم هو أثيناغوراس وخامسهم هو تاتيان Tatian (٥)، ويرى غيره أن الأول هو تاتيان والثانى هو تيودوتوس Theodotus (٦) وإذا كان هناك مجال للتخمين فى التعرف على شخصيات أكثر هؤلاء المعلمين، إلا أنه يكاد يكون من المقطوع به أن الأخير منهم هو بنتينوس. ولئن لم ينص اكليمنضس فى الفقرة التى نقلناها عن «المتنوعات»، على اسم بنتينوس، فقد نص على ذلك صراحة (٧) فى كتاب المجمل Ὑποτυπώσεις وقد أجمع على هذا كل (٨) الذين أرخوا لاكليمنضس الأسكندرى وللفيلسوف بنتينوس.

ولا يبعد أن يكون اكليمنضس قد عرف أثيناغوراس، واستمع إلى دروسه بعض الوقت (٩). ولكن ليس من شك فى أن اكليمنضس لم يجد راحته إلا فى بنتينوس، وأنه إلتصق به ولم يفارقه، فكان بنتينوس هو أستاذ اكليمنضس الأكبر أو أستاذه بالمعنى الكامل الدقيق. وقد أيد حقيقة هذه التلمذة جمهور من المؤرخين (١٠) منهم على الخصوص بامفيليوس وهو تلميذ بيروس الذى خلف أوريجينوس فى رياسة المدرسة المسيحية، كما أيدها فوتيوس، وأوسابيوس، ومكسيموس المعترف، ولم يكتف اكليمنضس نفسه بالإشارة فى كتبه إلى إعجابه بشخصية بنتينوس ووصفه له بأنه أعظم الأساتذة وأكملهم، ووصف مقابلته له بأنها كانت الأخيرة لكنها أول مقابلة أحدثت أقوى أثر فى نفسه، وإنما كان أيضا يستعين بأقوال بنتينوس، ويصفها بأنها لسان القفل فى مؤلفاته (١١) ولا يخفى أن إتصال اكليمنضس ببنتينوس وبغيره من المعلمين الوثنيين

---

(١) المتنوعات كتاب ٥١ ف ١ : ١١

(2) Encyclopaedia Britanica

(3) Murray's Dictionery Eusebiua Eccles. History by Lawlor & Oulton vol. 2. pl66

(4) Encyel. britanica

(5) Dict. de The'ol. catholique; Eusebius E ccl. Hist. by Lawlor vol. 2. p. 166

(6) Wilson (w.) The Writings of A. of Alex. (The Ante-Nice ne christ. Libr.) 1909 p. 355

(٧) اوسابيوس تاريخ الكنيسة كتاب ٥ ف ١١

(٨) المراجع السابقة

(9) Butcher,ib.,vol 2.p.49

(١٠) راجع بحثنا فى بنتينوس

(١١) راجع بحثنا فى بنتينوس

santamariaegypt.org
والمسيحيين، وإن كان يكشف عن رغبة حقيقية في المعرفة، وذهنية فلسفية عميقة، فهو يشير في الآن نفسه إلى الفائدة الفكرية التي لابد قد جناها من إختلافه إلى هؤلاء الأفذاذ من فلاسفة الفكر في عصره.

وكما تدل كتبه على سعة اطلاعه العجيب ووقوفه على معارف متنوعة في شتى فنون العلم والفلسفة، كذلك نعلم مما كتبه اكليمنضس أن غنى شعوره الديني دفعه إلى أن يستقصي عن الأسرار الدينية الوثنية وهو يدلي بتفصيلات (١) في هذه الأسرار لا يتوافر العلم بها إلا لمن سلك طريقها وهو ما يدعو إلى الاعتقاد أن اكليمنضس انتظم ضمن روادها (٢) إلى أن عرف المسيحية وأسرارها فآثرها على الوثنية وأسرارها.

اعتنق اكليمنضس المسيحية، ولازم بنتينوس في المدرسة المسيحية، وتعين مساعدا له فيها، إلى أن ذهب أستاذه مبعوثا إلى بلاد الهند نحو سنة ١٩٠م، فترك رياسة المدرسة بين يديه، حتى رجع من رحلته. فلما مات بنتينوس عاد اكليمنضس فتسلم الرياسة من جديد.

ويبدو أنه في هذا الوقت سامه الأسقف ديمتريوس قسيسا (٣). فقد كان رئيس المدرسة المسيحية عادة من أصحاب الدرجات الكهنوتية (٤)، إلا أوريجينوس فإنه رسم قسيسا فيما بعد. وظل اكليمنضس يعلم في مدينة الأسكندرية إلى أن ثار اضطهاد الأمبراطور ساويرس سنة ٢٠٢ أو ٢٠٣، فاضطر اكليمنضس إلى مغادرة الأسكندرية. ولا يعرف المكان الذي اختفى فيه أولا، غير أننا نقرأ عنه في رسالة كتبها الأسكندر أسقف أورشليم إلى الإنطاكيين وهو سجين من أجل الإيمان سنة ٢١١م يمدحه فيها قائلا :

«هذه الرسالة أرسلها إليكم يا أخوتي الأحباء، على يد اكليمنضس القسيس الطوباوي، والرجل الفاضل المغبوط، الذي سمعتم عنه وستعرفونه أيضا، والذي بحضوره إلى هنا بفضل عناية الله وتدبيره قد ثبت كنيسة الرب وأنماها» (٥).

ولم يكن فرار اكليمنضس من الأسكندرية عن جبن، وإنما عن حكمة (٦). وقد ترك المدرسة لتلميذه وخلفه الأشهر العلامة أوريجينوس ولم يكن قد تعدى الثامنة عشرة من عمره (٧). ولا

---

(١) راجع مثلا كتابه «الهادي» ὁ προτρεπτικός فصل ٢ : ١٤

(2) Butterworth, Clement of alex. Introduction p. xI; Encyclop. Britanica

(٣) يوسابيوس، تاريخ الكنيسة. كتاب ٦ : ١١، اكليمنضس، المربي : كتاب ١ : ٣٧

(4) Butcher, ib. vol. I. P. 49

(٥) يوسابيوس، تاريخ الكنيسة كتاب ٦، ف ١١ : ٦

(6) Murray's Dictionary

(٧) يوسابيوس، تاريخ الكنيسة كتاب ٦، ف ٣ : ٣، كتاب ٦، ف ٦

santamariaegypt.org
نعرف على وجه التحقيق إذا كان اكليمنضس قد عاد إلى الأسكندرية بعد ذلك أم لم يعد إلى يوم وفاته، كما لا نعرف أين أو متى توفى. غير أن الأسكندر أسقف أورشليم الذى كان تلميذا لإكليمنضس يكتب للعلامة أوريجينوس رسالة يشير فيها إلى اكليمنضس كمن فارق هذه الحياة قال فيها :

«لأننا اتخذنا كآباء، هؤلاء الطوباويين الذين انطلقوا قبلنا، والذين سنلحق بهم عم قريب بنتينوس أستاذى، وكلى الطوبى، والقديس اكليمنضس أستاذى الذى انتفعت منه.........» (١).

وإذا كان تاريخ هذه الرسالة يرجع إلى عام ٢١٦م تقريبا (٢) بينما أن رسالة الأسكندر الأولى التى حملها اكليمنضس نفسه إلى إنطاكيا كتبت فى عام ٢١١، فإن وفاة اكليمنضس تمتد بين هذين التاريخين (٢١١ - ٢١٦) (٣) أى أنه عمّر نحو خمسة وستين عاما (من ١٥٠ تقريبا إلى ٢١٥ أو ٢١٦م).

ويعتبر اكليمنضس الأسكندرى من آباء الكنيسة وقديسيها وكان الغربيون يحتفلون بذكراه فى الرابع من ديسمبر من كل عام (٤) وأول من حذف اسمه من مختصر تراجم الشهداء Martyrology هو اكليمنضس الثامن تبعا لتصحيحات بارونيوس Baronius وقد كتب بندكت Benedict الرابع عشر فى عام ١٧٤٨م رسالة إلى يوحنا الخامس أسقف البرتغال يبرر بحماس شديد هذا الحذف إستنادا إلى بعض التعاليم الفاسدة التى اشتملت عليها كتب اكليمنضس الأسكندرى. ولما كان المؤرخون الأوائل من أمثال يوسابيوس والقديس ايرونيموس لم يشيروا إلى هذه الأخطاء، فالراجح أنها أقوال مدخولة على كتب اكليمنضس، إذ كان من دأب الهراطقة أن يفسدوا كتابات الآباء المشهورين (٥) ليؤيدوا بها مذهبهم، ولينشروا عن طريقها بدعتهم.

مؤلفاته

وضع اكليمنضس كتبا ومقالات كثيرة، نذكر منها :

أولاً : كتاب «الهادى للأمم» أو «النصح للوثنيين»

Λόγος προτρεπτικὸς πρὸς Ἕλληνας

وفيه يثبت اكليمنضس تفاهة الوثنية، وسمو المسيحية عليها فى معتقداتها أو آدابها، ويحض الأمم على ترك الوثنية، والإيمان بيسوع المسيح.

---

(١) يوسابيوس، تاريخ الكنيسة كتاب ٦ ، ف ١٤ : ٩

(2) Encyclopaedia Britanica

(٣) ومن المؤرخين من يؤخر وفاة اكليمنضس إلى ٢٢٠م. Dict. of yr. & Rom. Biography & Mythology.

(4) Murray's Dictionary

(٥) دائرة المعارف للبستانى

santamariaegypt.org

ثانياً : كتاب «المربى» Ὁ Παιδαγωγός

ويتألف من ثلاثة أجزاء : يتكلم المؤلف فى جزئه الأول عن المربى وطبيعته وصفاته، ويذهب إلى أن المسيح بوصفه اللوغوس قام ولا يزال يقوم بعمل المربى أو المؤدب، ويتناول فى الجزئين الثانى والثالث تعليم المربى، ويسترسل إلى الآداب العملية فيما يتصل بالطعام والشراب والأثاث، والنوم، وعلاقات الرجال والنساء، كما يبحث فى طبيعة الجمال الحقيقى وصفاته لينقد البذخ والإسراف وسوء إستغلال الثروة، وينصح بالاقتصاد والاعتدال إلى آخرها من المسائل التى تعرض للمسيحى فى حياته العملية.

وتطبع عادة بعد كتاب «المربى» مباشرة، قصيدتان شعريتان موجهتان إلى المسيح، إحداهما بعنوان «**ترنيمة إلى المسيح المخلص**» : *ὕμνος τοῦ Σωτῆρος Χριστοῦ*

والثانية بعنوان : «**إلى المربى**» *εἰς τὸν παιδαγωγόν*

ثالثاً : كتاب «المتفرقات» Στρωματεῖς

وقد أورد يوسابيوس عنوان هذا الكتاب بالكامل (١)، وقد أخذ الكتاب اسم المتفرقات ـ أو المتنوعات لأنه تأليف من مذكرات مجموعة بغير ترتيب أو نظام. ويشتمل على ثمانية أجزاء : الجزء الأول : قال فيه اكليمنض أن الفلسفة اليونانية ثانوية بالنسبة للناموس والأنبياء، ومع ذلك فهى علم إلهى، والفلاسفة أنبياء الوثنية مهدوا الطريق للمسيح كما فعل أنبياء العبرانيين بين العبرانيين. والفلسفة ليست خصما للدين، وإنما هى خادمة له، وضرورية للدفاع عنه ضد المعارضين له.

والجزء الثانى : أظهر فيه المؤلف سمو الآداب المسيحية على آداب الوثنية. وتكلم عن طبيعة الإيمان وفى نسبة الإنفعالات البشرية إلى الله، وفى أن المسيحية رفعت طموح الإنسان فجعلته مخلوقا مشابها لله، ويجد مثله الأعلى فى الله.

والجزء الثالث : يقدم فيه التعليم المسيحى الصحيح فيما يتصل بالزواج. ويرد على الذين أطلقوا العنان لشهواتهم من جهة، وعلى الذين زعموا كراهية الخالق للزواج من جهة أخرى. ويأخذ اكليمنضس فى تفسير فصول مختلفة من الكتاب المقدس أخطأ الهراطقة فى تأويلها.

والجزء الرابع : يبحث فى الغنوسى الحقيقى وما يتصف به من بذل النفس، والحب، والاحتمال، والاستعداد للاستشهاد، وكيف يعلو الغنوسى المسيحى على الخوف إلى ذلك الكمال الذى يتوافر فى المعرفة ومحبة الله ويرسم كذلك صورة عن المرأة الفاضلة.

---

(١) راجع مطلع هذا البحث.

santamariaegypt.org

والجزء الخامس : يبحث فى الإيمان والرجاء وينتقل إلى مبدأ التعليم السرى. ويقول إن هذا المبدأ كان متبعا عند علماء الوثنية واليهودية على السواء، ويعمد أيضا إلى إثباته بأدلة من العقل - وبشهادات من الرسل.

والجزء السادس : يقول فيه اكليمنضس أنه كان لليونان بعض المعرفة الحقيقية عن الله. وقد كرز بالإنجيل لمن عاش منهم طبقا للنور الذى كان لهم، ولو أن هذا النور باهت بإزاء مجد الإنجيل وضيائه.

وفى هذا الجزء يرسم اكليمنضس صورة للفيلسوف المسيحى الذى يدرك حالة تخلو من الإنفعال خلوا تاما، كما أنه يصل إلى معرفة أسرار كثيرة لا تعلن لغيره.

وهنا يظهر فضل المسيحية، فإن الفلسفة اليونانية مع أنها هبة من الله لتهذيب الأمم لكنها ليست شيئا بالقياس إلى المعرفة التى يحصلها المسيحى.

وفى الجزء السابع : يقول اكليمنضس أن الفيلسوف المسيحى هو وحده الذى يعبد الله بحق. إنه يجاهد ليصير شبيها بابن الله. وليس كذلك الوثنيون فإنهم هم الذين يصنعون آلهتهم على أشباههم!!

ثم يرد اكليمنضس على ما يعترض به على المسيحية من منازعة البدع لها، ويقول : أنه يمكن إثبات فساد الهراطقة بأمرين، أولهما : مناقضتها للكتاب المقدس، وثانيهما: حداثة عهدها.

وأما الجزء الثامن : فمفقود. ويشير إليه اكليمنضس فى ختام الجزء السابع من المتفرقات، وإن كانت الإشارة تحمل على الاعتقاد أنها إلى كتاب جديد. كما أن الشذرة الوحيدة الباقية من هذا الجزء، هى قطعة من رسالة فى المنطق مما يدعو إلى الشك فى جعلها الجزء الختامى من المتفرقات، لولا أن يوسابيوس وفوتيوس أشارا بوضوح إلى أن المتفرقات تتألف من ثمانية أجزاء (١).

هذه الكتب الثلاثة : «الهادى» و «المربى» و «المتفرقات» وضعها اكليمنضس وفقا لترتيب منطقى آمن أنه الترتيب عينه الذى نهجه كلمة الله فى خطة الخلاص، فهو يهدى أولا، ثم يهذب وأخيرا يعلم (٢). ولعله هنا متأثر بالأفلاطونية الجديدة (٣) Neo-platonism فإنها تقول أيضا بمراحل ثلاثة : الأولى : التطهير (٤) ***ἀποκάθαρσις*** والثانية

---

(١) راجع يوسابيوس، تاريخ الكنيسة، كتاب ف ١٣ : ١

(٢) «المربى» كتاب ١ فصل ١

(٣) قارن .Murray's Dict

(5) Purification

santamariaegypt.org

التثبيت (١) μύησις والثالثة الرؤيا (٢) ἐποπτεία ويبدو أن اكليمنضس لم يتمكن من وضع كتاب «المعلم» كما كان يريده، كتابا يقدم للمسيحى الحقيقة الكاملة، فاكتفى بجمع بعض مذكراته ومقالاته إلى بعضها فى كتاب «المتفرقات» أو «المتنوعات» الذى وصل إلينا فى صورة مفككة لا تربط بين أجزائها وحدة الموضوع أو وحدة التأليف المقصود.

رابعاً : كتاب «من هو الغنى الذى يخلص ؟» τὶς ὁ σωζόμενος πλούσιος ; (٣)

يشرح فيه اكليمنضس رأى المسيحية فى الغنى : ليس الغنى فى ذاته، وإنما التعلق به هو الذى يعوق الإنسان عن الخلاص. فالزهد فى محبة المال ممدوح، ولكن لا خطأ فى الحصول على المال لسد الحاجات الضرورية للحياة. والثروة إذا أحسن إستغلالها لا تتنافى مع المسيحية.

وفكرة الكتاب المقدس تقوم على قصة الشاب الغنى الذى سأل السيد المسيح عما يفعله ليرث الحياة الأبدية، والآيات التى نطق بها المسيح إجابة على سؤال الشاب وأظهر فيها نظرته إلى الغنى (مر ١٠ : ١٧ – ٣١) وفى ختام الكتاب (ف ٤٢ : ١ – ١٥) يروى اكليمنضس قصة يوحنا الرسول مع الشاب الصغير الذى أهمله الأسقف فأصبح لصا ثم رده الرسول إلى التوبة. وهى القصة التى استعارها يوسابيوس في تاريخ الكنيسة (كتاب ٣ ف ٢٣) عن اكليمنضس.

خامسا : «المجمل» Ὑποτυπώσεις

ويقع على قول يوسابيوس (٤) فى ثمانية أجزاء. ويتضمن تفسيرا موجزا لجميع أسفار الكتاب المقدس (٥) بعهديه القديم والجديد، يظهر أنه كان متأثرا فيه باستاذه بنتينوس (٦).

والكتاب مفقود، لم تتبق منه إلا شذرات قليلة (٧) واقتباسات متفرقة من أجزائه الرابع، والخامس والسادس، والسابع. لكن تلك الشذرات وهذه الاقتباسات هى من القلة والتفرق بحيث لا يصلح جمعها لتؤلف موضوعا متماسكا، فضلا عن أن بعضها أصابه التحوير والتغيير، بل وأفسده الهراطقة وضمنوه تعاليم مضلة، جعلت فوتيوس يهاجم الآراء الواردة فى هذا الكتاب

---

(١) initiation أى الدخول أو التكريس

(٢) Revdation ; Vision وهى أعلى درجة فى الوصول.

(٣) وعرف باللاتينية تحت عنوان : Quis dives salvetur

(٤) يوسابيوس : تاريخ الكنيسة، كتاب ٦ فصل ١٣ : ٢

(٥) ، (٦) نفس المرجع، ونفس الموضع ثم ك ٦ ف ١٣ : ١ – ٧

(٧) أورد يوسابيوس بعضها : تاريخ الكنيسة، ك ٦ ف ١٤ : ٣ ، ٤

santamariaegypt.org
بعنف شديد، أساء إلى اكليمنضس نفسه الذى نحلت عليه هذه الآراء. وبسبب هذا حاول بعض العلماء (١) أن ينقح النصوص ليطهرها من الأفكار الغريبة ويردها إلى الأرثوذكسية من جديد. فلابد أن يكون عبث الهراطقة بأقوال اكليمنضس مسئولا عن الحملة التى تعرض لها الفيلسوف فى إتهامه بالآراء الفاسدة التى اشتملت عليها كتاباته، والتى ترتب عليها الشك فى قداسته من جانب بعض المؤرخين كما أسلفنا.

هذه الشذرات نجد بعضا منها فى المجموعات الآتية :

١ ـ الملخصات عن ثيودوتوس وعن المذهب (٢) المسمى بالمذهب الشرقى، فى زمان فالينتينوس :

ἐκ τῶν Θεοδότου καὶ ἀνατολικῆς καλουμένης
διδασκαλίας κατὰ τοὺς Οὐαλεντίνου χρόνους ἐπιτομαί

وهى أكثر المجموعات اشتمالا على أراء عدة فاسدة فيما يتصل بطبيعة الابن، والتجسد، والكلمتين، وخلقة حواء، والقضاء والقدر، وما إليها من مسائل اعتمد عليها من اتهم اكليمنضس بإحتواء كتبه على آراء خاطئة، ولو أن إنقطاع النص بين الحين والحين لا يسمح بالبت فيما إذا كانت هذه الآراء هى للمؤلف نفسه أو لأصحاب مذهب فالنتينوس يعرضها اكليمنضس لمناقشتها.

٢ ـ المختارات النبوية : *ἐκ τῶν προφητικῶν ἐκλογαί*

وهى أكثر ترابطا من الملخصات، وأقل منها تعقيدا فى أسلوبها وموضوعها. وتتضمن كلا ما عن الرمزية فى العناصر، ومنها الماء على الخصوص. وفيها تأملات فى التهذيب، والإيمان، والمعرفة والخليقة القديمة، والخليقة الجديدة، وعلامات الغنوسى الحقيقى. يتبعها حديث مسهب يتناول مسائل متنوعة منها ما يتصل بوظائف الأعضاء. وفى الختام شرح مفصل للمزمور الثامن عشر.

---

(١) مثلا كاسيودورس، كما سيلى

(٢) أو المدرسة المسماه بالمدرسة الشرقية.

santamariaegypt.org

٣ ـ والمجموعة الثالثة وصلتنا مترجمة إلى اللاتينية بمعرفة كاسيودورس Cassiodorus موسومة بعنوان «**المجمل فى الرسائل القانونية**» :

Adumbrationes in epistolas canonicas

وتتضمن تعليقات على أجزاء، وآيات، من رسائل يهوذا ويعقوب، وبطرس الأولى، ويوحنا الأولى والثانية. ويعترف المترجم كاسيودوروس بأنه اضطر أحيانا إلى تنقيح النص ليكون سليما فى معناه موافقا للتعليم الصحيح.

سادساً : رسالة فى عيد الفصح (١) : Περὶ τοῦ Πάσχα

ويروى يوسابيوس (٢)، أن اكليمنضس صرح فى هذا الكتاب بأن معاصريه قد ألحوا عليه أن يدون التقاليد التى سمعها من الشيوخ المتقدمين، لفائدة الأجيال الآتية. فدونها اكليمنضس وذكر فيها أيضا أقوال ميليتو Melito وايريناوس Ireneus وبعضا آخرين.

وقد نقل بيتافيوس Petavius شذرتين من هذه الرسالة تجدهما فى الطبعات الحديثة

سابعا : مقالات فى الصوم : *Διάλεξεις περὶ νηστείας* (٣)

ثامنا : مقال فى النميمة : Περὶ Καταλαλίας (٤)

تاسعا : رسالة «فى الحث على الثبات وإلى من قبلوا العماد حديثا» :

***Προτρεπτικὸς εἰς ὑπομονὴν ἤ πρὸς τοὺς νεωστὶ βεβαπτισμένους* (٥)**

عاشرا : مقال فى الشتيمة : Περὶ Κακολογίας

حادى عشر : كتاب فى القانون الكنسى أو ضد المتهودين (القائلين بفرض الطقوس اليهودية على المسيحيين)

κανὼν ἐκκλησιαστικὸς ἢ πρὸς τοὺς ᾿Ιουδαΐζόντας

---

(١) وتعرف باللاتينية تحت اسم : de paschate

(٢) تاريخ الكنيسة، ك ٦ ف ١٣ : ٩

(٣) وتعرف باللاتينية تحت اسم : de je junio

(٤) وتعرف باللاتينية تحت اسم : de Obtrectatione

(٥) وتعرف باللاتينية تحت اسم : Exhortatio ad Patientiam

santamariaegypt.org
وقد أهداه اكليمنضس إلى الاسكندر أسقف أورشليم (١) وسماه جيروم وتبعه فوتيوس «قوانين الكنيسة»

De canonibus ecclesiastieis et adversum
eos qui judaeorum sequuntur errorem

ونحن لا نعرف شيئا عن هذا الكتاب، غير أنه يبدو أن ايرونيموس وفوتيوس قد أخطئا الفهم، ذلك أن اكليمنضس يذكر القانون الكنسي : *ἐκκλησιαστικὸς κανών* في كتابه المتفرقات ٦ ف ١٥ : ١٢٥ ويعرفه بأنه الاتفاق أو التوافق بين شريعة العهد القديم وشريعة العهد الجديد. ولابد أن تكون هذه الفكرة هي موضوع الكتاب.

ثاني عشر : وحفظت لنا شذرات أو مقتطفات من رسالة لاكليمنضس **«في سبق العلم بالمصير»** *περὶ προνοίας* ورسالة في **«النفس»** *περὶ ψυχῆς* وقد أشار إليهما هو ذاته في المتفرقات ف ٣ : ١٣ ، ف ٥ : ٨٨. وقيل أيضا أنه كتب كتابا في **عاموص النبي** ، *εἰς τὸν προφήτην Ἀμώς* آخر في **«التعريفات المختلفة** *ὅροι διάφοροι* هذا إلى أن اكليمنضس تكلم كثيرا عن اعتزامه الكتابة في موضوعات أخرى أشار إليها في كتبه منها «في المبادئ الأولى (٢) *περὶ ἀρχῶν* و **«في الزواج»** (٣) *γαμικὸς λόγος* ، و **«في النبوءة»** (٤) و **«ضد الهرطقات»** (٥) و **«في القيامة»** (٦) و **«في العفاف»** و **«في واجبات الأساقفة والقسيسين والشمامسة والأرامل»** و «في تناسخ الأرواح» و **«في الشيطان»** و **«في الملائكة»** ، و **«في أصل الكون»** و **«وفي التفسيرات المجازية للنصوص التي** قيلت في غضب الله ونظائرها من الإنفعالات» ، و **«في وحدة الكنيسة»** وما إليها من موضوعات وعد اكليمنضس بالكتابة فيها، إلا أنها لم تصل إلينا، إما لأنها فقدت أو لأن اكليمنضس لم يجد وقتا لتحريرها.

---

(١) يوسابيوس : تاريخ الكنيسة ك ، ف ١٣ : ٣

(٢) المتفرقات ٣ : ١٣ ص ٥١٦ ، المتفرقات ٣ : ٢١ ص ٥٢٠ ، المتفرقات ٤ : ٢ ص ٥٦٤

(٣) المربي ٣ : ٨ ص ٢٣٨ (٤) المتفرقات ٥ : ٨٨ ص ٦٩٩

(٥) المتفرقات ٤ : ٩٢ ص ٦٠٤ (٦) المربي ١ : ٦ ص ١٢٥

santamariaegypt.org

من كتاب المربى

للفيلسوف والقديس أكليمنضس الأسكندرى

الفصل الأول

«مهمة المربى»

أن فى حالة الإنسان أمورا ثلاثة : عادات وأفعالا وأهواء. أما العادات فهى التى إذا ما وجهت بكلمات الوعظ أمكن أن تقود الإنسان إلى التقوى. والتقوى كالقاعدة للمركب على أساسها يقوم الإيمان الذى به نتهلل ونفرح غاية الفرح ونجحد معتقداتنا الأولى، كما أننا بالخلاص نولد من جديد، فنغنى مع النبى مرنمين : «كم هو صالح إلهنا لاسرائيل، ولأنقياء القلب» (١) كذلك جميع الأفعال تدخل ضمن نطاق الفرائض، بينما أن الكلام المقنع هو ما يعمل على شفاء النفس من أهوائها. وعلى كل حال فهذه الكلمة بعينها هى وحدها التى تخلص الإنسان من عادات هذا العالم الذى نشأ فيه، وترقى به إلى الخلاص الذى يتم مرة بإيمانه بالله.

وعلى ذلك : فعندما كان القائد السماوى أى «الكلمة» يدعو الناس إلى الخلاص كانت كلمة «الواعظ» منطبقة عليه تمام الانطباق. وهذه الكلمة بذاتها كانت تدعى إيقاظا (للكل من جانب ما) لأن التقوى الصحيحة هى وعظ يولد فى سائر ملكات العقل اشتياقا (وحنينا) إلى الحياة القويمة فى الحاضر والمستقبل. ولكن بما أنه (الكلمة) سريعا ما يشفينا، ويلزمنا بإتباع فرائضه، فإذا ما جرينا فى أثر خطواته تمم المفروض علينا، ووعد بتطهيرنا من أهوائنا، فلنسمِ هذا «الكلمة» باسم يليق به وحده، أى «المهذب» (أو المربّى، أو المؤدب).

ولما كان المربى عمليا لا نظريا. فهو يهدف إلى اصلاح النفس لا إلى تعليمها وإلى ترويضها على حياة فاضلة لا على حياة عقلية. ومع أن هذه الكلمة بالذات تفيد التعليم إلا أنها هنا فى هذه الحالة لا تفيد ذلك. فاللفظ الذى يدل على الشرح والإيضاح فى شئون الاعتقاد، هو مما يؤدى معنى التعليم ولكن مربينا عملى. يعظنا أولا كيما نحصل على الخصال (الحميدة) والأخلاق القويمة ثم يقنعنا بوجوب أداء ومباشرة واجباتنا بنشاط ويأمرنا بأوامر صريحة، مقدما لنا فى ذلك أمثلة بأولئك الذين سبقوا فسقطوا فى الضلال. على أن كلا من المنهجين مفيد أعظم الفائدة سواء (المنهج) الذى يتخذ صورة النصح بإلتزام الطاعة أو (المنهج) الذى يقدم لنا (هذا النصح) فى صورة مثال. هذا و (المنهج) الأخير على نوعين يطابقان الازدواج السابق - أما (النوع) الأول فالقصد منه أننا يجب أن نختار الخير وأن نحاكيه. ومن (النوع) الآخر أن ننبذ نقيضه (أى الشر) ونتحول عنه.

---

(١) (مز ٧٣ : ١).

santamariaegypt.org

ومن ثم يترتب على هذا أن نبرأ من أهوائنا إذا ما طرحنا تلك الأمثلة عنا. فالمربى يقوى نفوسنا بل ويقود المرضى إلى معرفة الحق الكاملة، بواسطة أوامره المقبولة وأطبائه المحبوبين.

على أن هناك فرقا واسعا بين الصحة والمعرفة، إذ الأخيرة (أى المعرفة) تحصل بالدرس أما الأولى فتكتسبها بالعلاج. فالمريض لا (يمكنه أن) يدرس أى فرع من فروع الثقافة قبل أن يحصل على كمال العافية. أى أن التلاميذ (الدارسين) والمرضى لا تصلح لهما وصيّة واحدة وإنما ينصح الدارس بنصيحة تقوده إلى المعرفة، وأما المريض فتسدى إليه النصيحة فى صحته. وكما أن المرضى منا بالجسد يحتاجون إلى طبيب، كذلك المرضى بنفوسهم يفتقرون إلى مربٍ يعالج أمراضهم، ومن ثم إلى معلم يهذب النفس ويقودها إلى المعرفة التى تفتقر إليها عندما تكون أهلا لأن تقبل الوحى من «الكلمة» فإذا كنا نتوق إلى أن تكمل نفوسنا فتتدرج إلى أن تدرك الخلاص والتهذيب المنتج الفعّال فأن «الكلمة» الكلى الرأفة قد راعى فى ذلك ترتيبا بديعا هو : أن يرشدنا أو يعظنا «أولا» ثم يهذبنا «ثانيا» ويعلَمّنا أخيراً.

الفصل الثانى

«كيف يعالج المربّى خطايانا»

والآن (أقول لكم) يا أولادى، أن مربّينا نظير الله أبيه، وهو ابنه، بلا خطيئة، بلا لوم وله روح (نفس) مجردة عن الهوى. هو الله فى صورة الإنسان، ليس فيه شائبة، وهو الخادم لإرادة الله أبيه، هو الكلمة الذى هو الله، الكائن فى الآب والكائن على يمين الآب وهو الله إذ هو صورة الله، هو (بالنسبة) لنا صورة لا عيب فيها نبذل كل جهدنا فى أن نصيِّر نفوسنا مماثلة لها، وهو يخلو من الأهواء البشرية خلّوا تاما وعلى ذلك فهو وحده، الديّان لأنه وحده بلا خطيئة. **ومن ثم فلنسع جهدنا أن نخلص من الخطيئة على قدر ما يمكننا**، فليس شئ أكثر ضرورة من أمر خلاصنا من أهوائنا وأمراض (اضطرابات) نفوسنا، ومن الوقوف فى سبيل انحدارنا للسقوط فى الخطايا التى اعتدنا عليها. فالخير كل الخير أن لا نخطئ فى شئ على الإطلاق وهى صفة نعتقد أنه لا يتصف بها غير الله وحده. **وثانيا أن نحترس من الخطايا الإرادية وهى صفة يتميز بها الحكيم وثالثا ان لا نسقط فى كثير من الخطايا غير الإرادية وهو ما يختص به أهل التربية الممتازة. وأخيرا أن لا نسترسل فى آثامنا**. على أن هذا مفيد كذلك للذين دعوا إلى التوبة وإلى القتال من جديد.

ثم أن المربى على ما أظن، يقول على لسان موسى قولا فى غاية الروعة «وإذا مات (ميت) عنده أى (عند النذير) (بغتة) على فجأة فإن الدنس يلحق برأسه فى الحال (من حيث أنه نذير)

santamariaegypt.org

فلابد له من أن يحلقها، (١) فالموت المفاجئ خطيئة غير إرادية. ويقول الله أنها تدنس إذ تنجس النفس (الروح) وبناء على ذلك يشير بالعلاج بغاية السرعة فينصح بحلق الرأس فى الحال، أى أنه ينصح بأن تجزّ بالكلية خصلات الشعر التى تغطى العقل. وهو ذاك العقل (الذى مركزه فى المخ) الذى إن تعرّى عن حجاب الشر الكثيف، هرع سريعا إلى التوبة. ثم - بعد بضع ملاحظات - يضيف قائلا «الأيام السابقة لا تحسب ضد العقل» (٢) وبذا يتضح أن الخطايا المقصودة (أى الإرادية) هى التى تضاد العقل! وهو يدعو الفعل غير الإرادى «مفاجئا» أما الخطيئة فيدعوها «مضادّه للعقل» وعلى ذلك فالكلمة أى المربى قد صار نائبا عنّا لينقذنا من الخطيئة التى تضاد العقل.

ومع ذلك، فلنتأمل عبارة الكتاب المقدس «لهذا، قال الرب هذه الأمور «فالخطيئة التى ارتكبت سابقا قد صارت مرذولة من تعقيبه عليها بقوله «لهذا» وما يترتب عليه من حكم عادل (مستقيم) وهذا ما أبانه الأنبياء بوضوح عندما قالوا «أو لم نخطئ، أنه (الله) ما كان لينطق بهذه التهديدات» «فمن ثم هكذا يقول الرب» «لأنك لم تسمع هذه الكلمات، لهذا قال الرب هذه الأشياء» «ولهذا أنظر، فالرب يقول «لأن النبوءة قد يوحى بها بسبب الطاعة أو بسبب المخالفة : فللطاعة حتى يمكن أن نخلص وللمخالفة حتى يمكن أن نقوّم.

فمربينا أو هو الكلمة يعالج بالمواعظ أهواء نفوسنا التى تضاد الطبيعة إذ أنه من اللائق جدا أن يسمى علاج الأمراض الجسمية بفن الشفاء، وهو فن تفتقر إليه المهارة البشرية. ولكن الكلمة الأبوى هو وحده الطبيب الواسع الحيلة الذى يشفى (يعالج) الأسقام البشرية، والساحر المقدس للنفوس المريضة. لقد قيل «خلص يا إلهى عبدك المتوكل عليك. اشفق علىّ يارب لأننى إليك اصرخ اليوم كله» (٣) أن «فن الطبيب» على ما يقول ديموقريطوس «يشفى أمراض الجسم فى لحظة» والحكمة تخلص النفس من أهوائها «ولكن المربى الصالح أى الحكمة وهو كلمة الآب الذى خلق الإنسان يعتنى بخليقته وكل ما فيها (وكل أجزائها) هو طبيب الإنسانية الكلى القدرة (القدير) وهو المخلص الذى يشفى كلا من الجسم والروح. قال للمفلوج «انهض واحمل فراشك الذى ترقد عليه، وأمض إلى بيتك» (٤) وقد نال المريض القوة فى الحال وقال للميت «لعازر هلم خارجا» (٥) فخرج الميت من قبره كما كان قبل موته وقام من بين الأموات.

وأكثر من هذا، أنه يشفى النفس ذاتها. وذلك بشرائعه ومواهبه. أى بالشرائع حقا بكر الأيام وإذ هو سخى فى العطاء فأنه يقول لنا نحن الخطاة «مغفورة لكم خطاياكم»

---

(١) عدد ٦ : ٩ (٢) عدد ٦ : ١٢ (٣) مز ٨٦ : ٢، ٣ (٤١) مرقس ٢ : ١١ (٥) يوحنا ١١ : ٤٣

santamariaegypt.org

وعلاوة على ذلك فقد أصبحنا أولاد الله منذ أن تصورنا (الله) فى فكره وقد خصنا بأفضل مرتبة وأعظم صيانة من تدبيره الذى ينتظم (يشمل) الكرة الأرضية أولا ثم السموات وحركات الشمس الدائرية وهو يعنى بسائر النجوم لخير الإنسان ونفعه ثم يشغل ذاته بالإنسان نفسه الذى تتركز فيه كل غايته إذ أنه ينظر إليه (إلى الإنسان) على أنه أعظم مخلوقاته. ولذا فقد ضبط نفسه (نفس الإنسان) بالحكمة والعفة وجعل فى جسده الجمال والتناسب فكل ما فى أفعال الإنسان من صحة واتساق يرجع إلى ما توحى به إليه استقامة (التدبير) وترتيبه.

الفصل الثالث

«المربى فى محبته للبشر»

أن الرب يقدم لنا كل الخير وكل العون بوصفه الإنسان وبوصفه الله معا. فبوصفه الله يغفر خطايانا وبوصفه الإنسان يروضنا على أن لا نخطئ. فالإنسان حقا عزيز عند الله حيث أنه صنعته، فقد أوجد سائر المخلوقات بكلمة الأمر وحدها أما الإنسان فشبهه بذاته (تعالى) وشكله بيده ونفث فيه من ذاته و(الإنسان) الذى صنعه وعلى شبهه، إما أن يكون قد خلق على أنه مرغوب فيه لذاته أو أنه جبل على أنه مرغوب فيه لأمر آخر. فإذا كان الإنسان مخلوقا «مرغوبا»فيه لذاته. فإن الله «الذى هو خير قد أحب ما هو خير (أى الإنسان) والحب قائم بين الله والإنسان بقوة جاذبة وهى ذلك الشيء عينه الذى يسمى إلهاما (أو نفثا) من الله. ولكن إذا كان الإنسان شيئا مرغوبا فيه لأمر آخر، فليس من سبب آخر عند الله لخلق الإنسان غير هذا أنه إن لم يوجد الإنسان فما كان يمكن لله أن يصبح خالقا حقيقيا، أو ما كان يمكن للإنسان أن يصل إلى معرفة الله. لأن الله ماكان يدرك ذلك الذى بسببه خلق الإنسان لو أن هناك أسبابا أخرى من أجلها خلق الإنسان، فقوة الله الكامنة فى إرادته قد أبرزها بالكمال فى فعل الخلق بأن مدها فى الخارج آخذا من الإنسان ما جعله إنسانا (١)

---

(١) ترجم الأسقف كاى (فى كتابه) «بعض فقرات من مؤلفات وآراء اكليمنضس الأسكندرى ص ٤٨ (قوله) «آخذا من الإنسان ما صنع به الإنسان» (الذى بسببه صنع الإنسان) ولكن يبدو على الأرجح أن اكليمنضس الأسكندرى يشير إلى الإنسان المثالى ἄνθρωπος ἀπαθής فى العقل الإلهى الذى يقول عنه فى مواضع أخرى أنه هو اللوغوس Λόγος والإنسان هو صورة اللوغوس. وسيلاحظ القارئ أن اكليمنضس يتكلم عن الإنسان على أنه كان موجودا فى العقل الإلهى من قبل أن يخلق، وأن الخلق قد تحقق بأن رأى الله ما كان فيه سابقا ولكن باعتباره قوة كامنة.

santamariaegypt.org
وما أخذه كان قد رآه وما أراده كان، وليس ثمة شئ لا يستطيع الله أن يفعله. فالإنسان الذى خلقه الله مرغوب فيه لذاته وما هو مرغوب فيه لذاته شبيه بمن هو مرغوب فيه من أجله. وهذا أيضا أمر مقبول ومعقول.

ولكن هل هناك أمر يمكن أن يحب ولم يحبه هو (الله) أيضا ؟ وإذ قد ثبت أن الإنسان يمكن أن يحب. فبالتالى هو محبوب من الله وكيف لا يكون محبوبا من الله من أرسل لأجله الابن الوحيد من حضن الآب، كلمة الحب، والحب الفائض، وقد أقر الرب هذا بنفسه بكل وضوح وقال «فإن الآب هو أيضا يحبكم، لأنكم قد أحببتمونى» (١) «وأنى أحببتهم كما أحببتنى» (٢) وقد رأينا الآن ما يرغب فيه السيد وما ينادى به، وكيف أنه منظم فى أعماله وأقواله. وكيف يأمر بما يجب أن يفعل وينهى عن نقيضه.

وعلى ذلك فمن الواضح أن النوع الآخر من الوعظ، أى الوعظ التعليمى روحانى وفعال ينشد الدقة ويستنفذ (أو يستغرق) فى تأمل الأسرار. ولكن فلندع هذا الآن، وبعد فأنه مفروض علينا أن نقابل حبه بحب نظيره. وهو الذى يقودنا بلطفه إلى تلك الحياة الفضلى وإلى أن نعيش وفقا لوصاياه وإرادته، فلا نتمم ما أمرنا به فقط أو نحترس مما نهينا عنه فحسب، بل أن نجتنب بعض الأمثلة وأن نحاكى بعضها الآخر على قدر ما نستطيع، وبهذا نعمل أعمال السيد (المعلم) طبقا لمثاله ونتمم ما يقوله الكتاب المقدس من أننا تكونا فى صورته وشبهه. لأننا إذ نهيم على وجوهنا فى الحياة كما لو كنا فى ظلمة دامسة نفتقر إلى قائد لا يضل ولا يعثر، وقائدنا خير قائد وليس كما يقول الكتاب القدس «يقود الأعمى إلى الهوات» (٣) بل الكلمة نافذ البصر ويفحص أعماق القلب. وإذ أنه ليس نور ولا ينير، ولا حركة لا تتحرك، ولا حب لا يحب، هكذا ليس خير لا يفيد أو يقود إلى الخلاص فلنهدف إلى إتمام الأوامر بأعمال الرب، لأنه الكلمة ذاته إذ هو أيضا قد صار جسدا (٤) علانية أظهر الفضيلة عينها عمليا ونظريا. وعلى ذلك، فلننظر إلى «الكلمة» كما ننظر إلى الشريعة، وإلى أوامره ونصائحه على أنها أقصر وأقوم السبل (الطرق) إلى الخلود، لأن فرائضه مفعمة بالإقناع لا بالإرهاب.

---

(١) يوحنا ١٦ : ٢٧
(٢) يوحنا ١٧ : ٢٣
(٣) متى ١٥ : ١٤
(٤) يوحنا ١ : ١٤

santamariaegypt.org

الفصل الرابع

«الرجال والنساء على السواء تحت أمر المربى»

فلنسلم نفوسنا للرب، مذعنين تمام الإذعان لطاعته متعلقين أشد التعلق بمرساة الإيمان فيه عالمين أن فضيلة الرجل هى بعينها فضيلة المرأة لأنه إذا كان إلههما واحد فإن معلمهما واحد كذلك. ثم كنيسة واحدة، عفة واحدة، اتضاع واحد، طعام مشترك، إلتزامات الزواج ونيره عليهما معا. وكل منهما نظير الآخر فى التنفس والنظر والسمع والمعرفة والأمل والطاعة والحب. وإذا كان يشتركان فى الحياة، فإنهما يشتركان أيضا فى النعمة وفى الخلاص ويشتركان فى الحب وفى التهذيب. وقد قال : (الكلمة) «لأنهم فى هذه الحياة يتزوجون ويتزوجن» (١) ففى (هذه الحياة) وحدها تتميز الأنثى من الذكر «ولكن ليس كذلك فى الحياة الأخرى» ثم أن الجزاءات التى يستحقها الزوجان عن حياة الائتلاف والقداسة تّدخر هناك (فى الحياة الأُخرى) لكل منهما لا بوصفه ذكرا أو أنثى بل بوصفه إنسانا (فقط)، هذا وستنزع الشهوة الجنسية التى تفصل الناس بين ذكر وإنثى. فالإنسان اسم مشترك يشمل الرجال والنساء. ولهذا السبب على ما اعتقد كان الاتيكيون (٢) لا يطلقون على الصبيان فقط بل وعلى البنات أيضا لفظة «واحدة» *παιδάριον* وهى لفظة تصلح للإثنين معا (على السواء). وإذا كان الشاعر الهزلى ميناندر،وهو - على ما يراه الجميع فى الفابيزوميا مرجع محترم، يتكلم هكذا : «ابنتى الصغيرة لأن، «الطفل بالطبيعة أحب الأشياء «فإن لفظة *ἄρνες* ، كذلك ومعناها «الحملان» ترمز إلى البساطة وهى تقال على الحيوان الذكر والأنثى.

وبعد فإن الرب نفسه سيطعمنا على أننا قطيعه إلى الأبد آمين. ولكن بدون الراعى لا يمكن لشاة أو لأى حيوان آخر أن يعيش. كذلك الأطفال بدون مؤدب والخّدام بدون سيد.

---

(١) لوقا ٢٠ : ٣٤

(٢) (أهل اتيكا من بلاد اليونان وعاصمتها أثينا)

santamariaegypt.org

من كتاب المتنوعات والمتفرقات

للفيلسوف والقديس أكليمنضس الأسكندرى

الفصل الرابع

«الفنون البشرية، والمعرفة الإلهية»

جميعها من الله

هوميروس يسمى الصانع حكيما، ويكتب عن مارجيتس Margites إذا صحت نسبة هذا المكتوب إليه هكذا :

«الآلهة لم تخلقه حفارا أو حراثا»

«ولا حكيما بأى وجه آخر، فقد أخفق فى كل فن»

ثم قال هزيود Hesiod عن الموسيقار لينوس Linus أنه كان «ماهرا فى جميع ضروب الحكمة ولا يتردد فى أن يسمى الملاح (البحار) حكيما، هكذا يكتب قائلا :

«ليست له حكمة الملاحة»

«ويقول النبى دانيال «السر الذى طلبه الملك، لا تقدر الحكماء ولا المجوس ولا السحرة ولا المنجمون على أن يبينوه للملك. لكن يوجد إله فى السموات كاشف الأسرار» (١)

فهو هنا يدعو البابليين حكماء. **والكتاب المقدس يسمى كل علم دنيوى وكل فن باسم واحد هو الحكمة** (وهناك فنون وعلوم أخرى. زيادة على تلك، يبدعها العقل البشرى) **وهذا الابداع فى الفنون وضروب المهارة هو من الله** وهذا يتضح من العبارات التالية: وكلم الرب موسى قائلا : انظر قد دعوت بصلئيل بن أورى بن حور من سبط يهوذا باسمه، وملأته من روح الله بالحكمة والفهم والمعرفة وكل صنعة لاختراع مخترعات ليعمل فى الذهب والفضة والنحاس والاسمانجونى، والأرجوان والقرمز ونقش حجارة للترصيع ونجارة الخشب، ليعمل فى كل صنعة (٢) ثم يضيف إلى ذلك السبب العام، «وفى قلب كل حكيم القلب، جعلت حكمة» (٣) أى لكل قادر على الحصول عليها بالجهد والعمل. وأيضا ورد صراحة باسم الرب :

وتكلم جميع حكماء القلوب الذين ملأتهم روح حكمة (٤) أن حكماء القلب، يتميزون بصفات طبيعية خاصة بهم، والذين يظهرون أنفسهم مستحقين للحكمة ينالون من «الحكمة العظمى» نصيبا مضاعفا من روح الحكمة. والذين يشتغلون فى الفنون المعروفة، لهم فيما يتصل بالحواس مواهب ممتازة، فالموسيقار موهبته فى السمع، وصانع الفخار، فى اللمس.

---

(١) دانيال ٢ : ٢٧ ، ٢٨ (٢) خر ٣١ : ١ – ٥ (٣)خر ٣١ : ٦ (٤) خر ٢٨ : ٣

santamariaegypt.org
والمغنى فى الصوت، وصانع العطور Perfumer فى الشم، وناقش حفار الرسوم على الأختام فى النظر. كذلك المشتغلون بالتعليم، يدربون حساسيتهم كما يفعل الشعراء الذين تهتز نفوسهم بموازين الشعر. كذلك السوفوسطائيون يجيدون التعبير، والمناطقة القياسات المنطقية، والفلاسفة تأمل ذواتهم.. لأن الحساسية تكشف وتخلق، حيث أنها تحرك على الطلب، والعمل يزيد الطلب نحو المعرفة. لهذا فإن الرسول كان على حق حين دعا حكمة الله «متنوعة» (١) وأنها أظهرت قوتها «بأنواع وطرق كثيرة» (٢) فى فن، فى معرفة، فى إيمان، فى نبوءة لمنفعتنا «لأن كل حكمة فهى من الرب، ولا تزال معه إلى الأبد، كما يقول (سفر) الحكمة ليشوع (بن سيراخ) (٣).

«لأنك إن دعوت الحكمة (المعرفة) ورفعت صوتك إلى الفهم. إن طلبتها كالفضة، وبحثت عنها كالكنوز، فحينئذ تفهم مخافة الرب، وتجد معرفة الله» (٤). يقول النبى هذا على نقيض المعرفة بحسب الفلسفة، التى تعلمنا أن نبحث باسلوب كريم ونبيل، من أجل تقدمنا فى التقوى. وعلى ذلك، فهو يقابل بين هذه المعرفة، وبين المعرفة التى تحصل بالتقوى، عندما يشير إلى المعرفة عندما يقول «لأن الرب يعطى حكمة. من فمه المعرفة والفهم. يذخر معونة للمستقيمين»(٥) فللذين يتبررون بالفلسفة، تقدم المعرفة التى تقودهم إلى التقوى، لمعونتهم.

الفصل الخامس
«الفلسفة خادمة لعلم اللاهوت»

وعلى ذلك كانت الفلسفة، قبل مجئ الرب، ضرورية عند اليونان للبر. وأصبحت الآن مؤدية إلى التقوى، إذ هى نوع من التعليم الإعدادى بالنسبة لمن يدركون الإيمان بالبرهان. لقد قيل «ولا تعثر رجلك» (٦) إذا تمسكت بما هو خير عند الله سواء كان هذا الخير ينتسب إلى اليونان أو إلينا لأن الله هو علة كل الخيرات، لكنه علة أولى بالنسبة لبعضها كالعهدين القديم والجديد، وعلة تابعة بالنسبة لبعضها الآخر كالفلسفة، ولعل الفلسفة أعطيت لليونان بطريق مباشر وأصيل إلى أن يدعوهم الرب إلى الإيمان، فكانت المعلم الذى أعد «الفكر الهلينستى» للمسيح (٧) كمل فعل الناموس بالنسبة للعبرانيين. فالفلسفة إذن كانت إعدادا، هيأ الطريق لمن تكمل فى المسيح.

---

(١) أف ٣ : ١٠
(٢) عب ١ : ١
(٣) بن سيراخ ١ : ١
(٤) أم ٢ : ٣ – ٥
(٥) أم ٢ : ٦ ، ٧
(٦) أم ٣ : ٢٣
(٧) غل ٣ : ٢٤

santamariaegypt.org

والآن يقول سليمان «ارفع الحكمة فتعليك. تمجدك إذا اعتنقتها. تعطى رأسك اكليل نعمة» (١) فإذا دعمت الحكمة بلباس الفلسفة، وبكل ما يلزمها، حفظتها من هجوم السوفوسطائيين، طريق الحق إذن واحد. ولكن كأنه كنهر دائم الجريان، فيه تصب جداول المياه من كل جانب. لهذا قيل في الوحى : «اسمع يا ابنى واقبل أقوالى فتكثر سنو حياتك. أريتك طريق الحكمة. هديتك سبل الإستقامة (٢) التى تتدفق من الأرض نفسها. إنه لم يعدد فقط سبلا عدة للخلاص، لأى إنسان بار، وإنما أضاف أيضا سبلا أخرى لأبرار كثيرين، قائلا : «أما سبيل الصديقين فكنور مشرق» (٣) فالوصايا، وطرق التعليم الاعدادى، يجب أن تعتبر سبلا وطرقا للحياة.

«يا أورشليم يا أورشليم يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين إليها كما مرة أردت أن أجمع أولادك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها» (٤) وأورشليم تفسيرها «رؤيا السلام». فهو إذن يبين بالنبوءة أن الذين يتأملون فى سكون الأمور المقدسة يلبون دعوتهم، بطرق متنوعة. فما الذى يريده هو ولا يقدر عليه؟ كم مرة وأين؟ مرتين، بالأنبياء ويمجئ (المسيح). وعبارة «كم مرة» تبين أن - الحكمة متنوعة ومهما يكن الكم والكيف، فإنها تنقذ، البعض، فى الزمن الحاضر، وفى الأبدية «لأن روح الرب يملأ الأرض» (٥) فإذا زعم أحد متعسفا أن الإشارة هى إلى الحضارة الهيلينستية، فى القول «لا يلتفت إلى إمرأة شريرة لأن شفتى المرأة الزانية تقطران عسلا» (٦) فليسمع ما يلى : «أنها تلين حلقك للزمن الحاضر» (٧) لكن الفلسفة لا تتملق. فإلى من إذن يشير الله، ومن الذى ارتكب الفسق؟ إنه يضيف مفصحا، لأن قدمى الحماقة تقودان من يستعملونها، بعد الموت، إلى الجحيم. لكن خطواتها غير مؤيدة (٨) لهذا تجنب (٩) سبيل اللذة الغبية «ولا تقف عند البواب بيتها حتى لا تعطى حياتك لآخرين» (١٠) ثم يقرر «وبعد ذلك تندم فى شيخوختك، عندما يفنى لحم جسدك» (١١) لأن هذه هى نهاية اللذة الغبية، وهذا هو الحال، بالفعل. وعندما يقول (الوحى) «لا تحتضن إمرأة غريبة (١٢) إنه ينصح لنا أن نستعمل

---

(١) أم ٤ : ٨، ٩ (٢) أم ٤ : ١٠، ١١

(٣) أم ٤ : ١٨ (٤) مت ٢٣ : ٣٧، لو ١٣ : ٣٤

(٥)للرب الأرض وملؤها (مز ٢٣ (٢٤).

(٦) أم ٥ : ٣ (٧) هذه العبارة وردت فى أم ٥ : ٣ هكذا «وحنكها أنعم من الزيت»

(٨) جاء فى أم ٥ : ٥ «قدماها تنحدران إلى الموت»

(٩) «ابعد طريقك عنها» (أم ٥ : ٨)

(١٠) «ولا تقرب إلى باب بيتها لئلا تعطى زهرك لآخرين» (أم ٥ : ٨، ٩)

(١١) «فتنوح فى أواخرك، عند فناء لحمك وجسمك» (أم ٥ : ١١)

(١٢) قارن (أم ٥ : ٢٠)

santamaria.gypt.org
الحضارة الدنيوية فعلا، ولكن لا نبقى (معها) أو نصرف وقتا معها. لأن ما أنعم به على كل جيل لفائدته، وفى الوقت المناسب، كان تعليما إعداديا لكلمة الله. لأن قوما، وقد وقعوا فعلا فى شرك الخادمات الفاتنات، استهانوا بزوجهم (اعنى) الفلسفة وشاخوا بعضهم فى الموسيقى وبعضهم فى الهندسة، وبعضهم فى علم النحو والصرف grammar وأكثرهم فى علم الخطابة (١)

«ولكن كما أن فروع الدراسة الجارية تعاون الفلسفة وهى سيدتها، كذلك الفلسفة نفسها تعمل على نيل الحكمة. لأن الفلسفة هى البحث عن الحكمة «والحكمة هى معرفة الإلهيات والإنسانيات، وأسبابها «الحكمة إذن هى ملكة الفلسفة كما أن الفلسفة ثقافة إعدادية. لأنه إذا كانت الفلسفة تنادى بالسيطرة على اللسان والبطن، وما تحت البطن، فإنها تفضل نظرا لأهميتها الخاصة. ولكنها تبدو أدعى للإحترام والرفعة إذا وجهت إلى شرف معرفة الله (٢) والكتاب المقدس شاهد على ما نقول فيما يلى. كانت سارة عاقرا وقتا ما وهى زوجة ابراهيم. ولما لم يكن لساره ولد، فقد وهبت جاريتها المصرية واسمها هاجر لإبراهيم لينجب منها أولادا. وإذن فالحكمة التى تسكن فى رجل الإيمان (وابراهيم عد مؤمنا وبارا) كانت لا تزال عقيمة، وبلا ثمر فى ذلك الجيل. لم تنتج لإبراهيم شيئا يتصل بالفضيلة. وقد رأت، كما حصل بالفعل، أنه وقد بلغ زمنا متقدما، أنه ينبغى أن يخالط الحضارة العلمانية أولا (فكلمة مصرية ترمز إلى العالم)، وبعد ذلك يقترب إليها بنعمة إلهية، وينجب السحق (٣)

ويفسر فيلون هاجر بمعنى التغرب Sojovrning إذ قيل فى هذا العدد «لا تلازم إمرأة غريبة» (٤) ويفسر سارة بمعنى «امارتى» My princedom وعلى ذلك فان من حصّل ثقافة، قبلا، هو حر فى أن يدنو إلى الحكمة وهى سامية، منها تنبت جنس إسرائيل. وهذا يرينا أن تلك الحكمة يمكن نيلها عن طريق الثقافة التى بلغها ابراهيم ابتداء من التأمل فى الإلهيات إلى الإيمان والبر بحسب الله. ويظهر أن اسحق يعنى «العلم الذاتى» Self taught لهذا أيضا يبدو أنه مثال للمسيح. كان زوجا لإمرأة واحدة وهى رفقة التى يترجمونها «الصبر» Patience ويعقوب وقيل عنه أنه تزوج عدة نساء، فسر اسمه بأنه «مدرب» Exerciser والتداريب قد شغلت بكثير

---

(١) فيلون اليهودى Philo Judaeus, on seeking in struction, 435, See Bohnstranslation vol. ii.p.173

(٢) اقتباس من فيلون اليهودى مع بعض تحويرات. انظر ترجمة Bohn مجلد ٢ صفحة ١٧٣

Philo, Meeting to seek Instruction

(٣) ترجمة Bohn

(٤) أم ٥ : ٢٠ «فلم تفتن يا ابنى بأجنبية وتحتضن غريبة»

santamaria_gypt org

وعديد من العقائد. فمن ثم أيضا، من أنعم عليه بقوة الإبصار «حقا يسمى إسرائيل» (١) من حيث أن له خبرة طويلة، ومن حيث هو ملائم للتدريب.

وثمت شئ آخر ربما أشير إليه بالثلاثه البطاركة وهو أن ختم المعرفة اليقينية يتألف من الطبيعة والتربية والتدريب.

وربما نجد صورة أخرى لما قلناه، فى ثامار وهى جالسة على الطريق فى مظهر زانية، تطلع إليها البحاثه يهوذا (وتفسير اسمه «قوى»)، الذى لم يهمل شيئا بلا إمتحان أو بحث، وتحول عنها موجها همه نحو الله. لذلك أيضا عندما غارت سارة من هاجر إذ رأتها مفضلة عنها، قال ابراهيم، وقد تخير فقط ماهو نافع من الفلسفة الدنيوية : «هوذا جاريتك فى يدك. إفعلى بها ما يحسن فى عينيك» (٢) ومعناه صريحا «إنى أعتنق الثقافة الدنيوية كأنها جارية ولزمن الصبا، ولكنى احترم معرفتك وأوقرها كأنها زوجة حقيقية». وقد أذلتها سارة، أى أنها وبختها وعاقبتها. كذلك فقد صح القول «يا ابنى لا تحتقر تأديب الرب ولا تخز إذا وبخك، لأن الذى يحبه الرب يؤدبه، ويجلد كل ابن يقبله (٣) وإذا فحصنا الأسفار المقدسة السابقة الذكر نجدها تعرض لنا فى مواضع أخرى أسرارا أخرى. لذلك يكفينا أن نقرر هنا أن الفلسفة تتميز بالبحث عن حقيقة الأشياء وطبيعتها. (هذا هو الحق الذى- تكلم عنه الرب نفسه قائلا : «أنا هو الحق» (٤)، ونقر كذلك أن التهذيب الإعدادى للراحة فى المسيح يدرب العقل، وينبه الفكر، ويولد ذكاء للبحث، وذلك عن طريق الفلسفة الحقيقية، التى يمتلكها المبتدئ، إذا وجدها أو بالحرى إذا قبلها من الحق نفسه.

---

(١) فى الكتاب المشار إليه آنفا، يفسر فيلون «إسرائيل» بمعنى «يرى الله Seeing God ومن هذا الكتاب أخذت كل الأمثلة والإشتقاقات الواردة هنا.

(٢) تك ١٦ : ٦

(٣) (عب ١٢ : ٥، ٦) ، (أم ٣ : ١١، ١٢)

(٤) يو ١٤ : ٦

santamaria_egypt.org
الفصل الحادى عشر

ما هى الفلسفة التى يأمرنا الرسول بإجتنابها ؟

وعلى ذلك، «حكمة العالم جهالة عند الله» (١) «والحكماء يعلم الله أفكارهم أنها باطلة» (٢) فلا يفتخر إنسان بسمو فكره البشرى لأنه بحق كتب فى سفر أرمياء «لا يفتخر الحكيم بحكمته، ولا يفتخر الجبار بجبروته ولا يفتخر الغنى بغناه. بل بهذا ليفتخرن المفتخر بأنه يفهم ويعرفنى أنى أنا الرب الصانع رحمة وقضاء وعدلا فى الأرض، لأنى بهذه أسر يقول الرب» (٣) لكى لا نكون متكلين على أنفسنا بل على الله الذى يقيم الأموات، الذى نجانا من موت مثل هذا وهو ينجى» (٤) لكى لا يكون إيماننا بحكمة الناس بل بقوة الله (٥) «وأما الروحى فيحكم فى كل شئ، وهو لا يحكم فيه من أحد» (٦) واسمع أيضا كلمات الرسول «وإنما أقول هذا لئلا يخدعكم أحد بكلام ملق (٧) أو يدخل ويسبيكم». ثم «انظروا أن لا يكون أحد يسبيكم بالفلسفة وبغرور باطل حسب تقليد الناس حسب أركان العالم وليس حسب المسيح» (٨) وهو لا يعنى كل نوع من الفلسفة، وإنما الفلسفة الأبيقورية التى أشار إليها بولس فى أعمال الرسل (٩) التى تنكر عناية الله وتؤله اللذة، وكل فلسفة أخرى تعبد العناصر لكنها لا تجعل لها من فوقها علة فعالة، ولا تعرف لها خالقا.

كذلك الرواقيون، الذين يذكرهم هو أيضا، يقولون بغير حق أن الله جسم، وأنه يتخلل أخس ما فى المادة. وهو يسمى احتيال المناطقة «تقليد الناس». لذلك يضيف قائلا : «والمباحثات الصبيانية» (١٠) اجتنبها عالما أنها تولد خصومات» ويقول الفيلسوف أفلاطون «والفضيلة لا تعشق الصبيان». وكفاحنا تبعا لجورجياس ليونتينوس Gorgias Leontinus، يتطلب فضيلتين - الجرأة والحكمة - الجرأة لاحتمال الأخطار، والحكمة لفهم المعميات. لأن الكلمة بمثابة النداء الأوليمبى يدعو من يريد، ويتوج من هو قادر على مواصلة الجهاد بثبات، حسبما يقتضيه الحق. والحقيقة أن الكلمة لا يرغب فى شخص أراد لنفسه الكسل والبطالة، لأنه يقول «اطلبوا، تجدوا» (١١) والطلب يقضى إلى الإيجاد، إنه ينكر العبث الذى لا طائل تحته، ويدعو إلى التأمل

---

(١) ١. كو ٣ : ٨، ١٩ — (٢) ١. كو ٣ : ٢٠ — (٣) أر ٩ : ٢٣، ٢٤

(٤) ٢. كو ١ : ٩، ١٠ — (٥) ١. كو ٢ : ٥ — (٦) ١. كو ٢ : ١٥

(٧) كو ٢ : ٤ — (٨) كو ٢ : ٨ — (٩) أع ١٧ : ١٨

(١٠) وبحسب النص الصحيح والمباحثات الغبية ٢. تى ٢ : ٢٣ — (١١) مت ٧ : ٧

santamaria.gypt.org

الذى يثبت إيماننا. يقول الرسول «وإنما أقول هذا لئلا يخدعكم أحد بكلام ملق» (١) وهو يقول هذا وقد عرف أن يميز فى وضوح ما قاله هو، وعلم أنه يواجه اعتراضات. «فكما قبلتم المسيح يسوع الرب اسلكوا فيه، متأصلين ومبنيين فيه، وموطدين فى الإيمان» على أن الاقتناع هو وسيلة التوطد فى الإيمان «انظروا أن لا يكون أحد يسلبكم عن الإيمان بالمسيح، وذلك بالفلسفة وبغرور باطل» هذه الفلسفة التى تنكر وجود الله «بحسب تقليد الناس» لأن الفلسفة التى تتفق مع التقليد الإلهى توطد الإيمان بالله وتثبته. فإذا كان الإيمان بالله باطلا، أمسى تدبير المخلص خرافة، وأمسينا نحن تحت تأثير «حسب أركان العالم وليس حسب المسيح» فالتعليم الذى يوافق المسيح، هو التعليم الذى يؤله الخالق، ويبحث عن الله فى الأحداث الجزئية، ويعرف طبيعة العناصر القادرة على التغير والانتاج، ويعلم بأننا يجب أن نهدف إلى أن نرتفع إلى القوة المماثلة لله ونؤثر الافتقاد الإلهى (٢)، لأنه فى المرتبة الأولى التى تعلو على كل تعليم.

لقد عبدت الأركان - فعبد ديوجينس Diogenes الهواء، وعبد تاليس Thales الماء، وعبد هيباسس Hippasus النار وعبدها أولئك الذين ارتأوا أن الذرات هى المبادئ الأولى للأشياء وانتحلوا (لأنفسهم) اسم الفلاسفة وهم مخلوقات شريرة، وهبوا نفوسهم للذات. يقول الرسول : «وهذا أصليه أن تزداد محبتكم أيضا أكثر فأكثر فى المعرفة وفى كل فهم، حتى تميزوا الأمور المتخالفة» (٣) ويقول الرسول نفسه : «هكذا نحن أيضا لما كنا قاصرين كنا مستعبدين تحت أركان العالم». (وإنما أقول) مادام الوارث قاصرا (أو طفلا)، لا يفرق شيئا عن العبد (مع كونه صاحب الجميع، بل هو تحت أوصياء ووكلاء) إلى الوقت المؤجل من أبيه (٤) «وإذن فالفلاسفة أطفال، إلا إذا صيرهم المسيح رجالا» لأنه إذا كان ابن المستعبدة لا يرث مع ابن الحرة» (٥) فهو على الأقل نسل ابراهيم ولو أنه ليس ابن الموعد، وقد أخذ ما يخصه هبة مجانية. «وأما الطعام القوى فللبالغين الذين بسبب التمرن قد صارت لهم الحواس مدربة (أو مروضة) على التمييز بين الخير والشر (٦) «لأن كل من يتناول اللبن هو عديم الخبرة فى كلام البر لأنه طفل» (٧) ولم يكن يعرف بعد الكلمة التى آمن بها، ويعمل الآن وفقا لها، كما أنه لايستطيع أن يعلل شيئا لنفسه. يقول الرسول : «امتحنوا كل شئ. تمسكوا بالحسن» (٨)، وهو يكلم الروحيين الذين يحكمون على ما قيل بحسب الحق، إذا كان ذلك يبدو حقا، أو هو حق «من لا يقوم بالتأديب يخطئ وفى

---

(١) كو ٢ : ٤ (٢) أى الانجيل (٣) فى ١ : ٩، ١٠ (٤) غل ٤ : ١، ٣، ٢

(٥) تك ٢١ : ١٠، غل ٤ : ٣٠ (٦) عب ٥ : ١٤ (٧) عب ٥ : ١٣

(٨) ١. تس ٥ : ٢١

santamariaj.gybt.org
السياط والتوبيخات تأديب الحكمة، ولا شك أنها التوبيخات المصحوبة بالحب «لأن قلب الفهيم يطلب معرفة» (١) «لأن من يطلب الرب يجد معرفة وبرا. والذين طلبوها بالحق، وجدوا سلاما» وقد قيل «وسأعرف لا كلام الذين انتفخوا بل قوتهم» (٢) ويكتب فى توبيخ الذين يظهرون أنهم حكماء، ويظنون فى أنفسهم أنهم حكماء، وليسوا فى الحقيقة حكماء «لأن ملكوت الله ليس بكلام» (٣) ليس هو فيما هو غير حق، لكنه فيما يبدو للظن أنه الاحتمال الوحيد. غير أنه قال «بقوة»، لأن الحق وحده هو القوى ثم «إن كان أحد يظن أنه يعرف شيئا فإنه لم يعرف شيئا بعد كما يجب أن يعرف» (٤) لأن الحق ليس أبدا مجرد ظن. لكن توهم المعرفة ينفخ (٥) ويملأ بالعجب «لكن المحبة تبنى» (٦) لا توهما وافتراضا بل حقا. لذلك قيل «إن كان أحد يحب الله فهذا معروف عنده (٧).

(١) أم ١٥ : ١٤

(٢) ١ . كو ٤ : ١٩

(٣) ١ . كو ٤ : ٢٠

(٤) ١ . كو ٨ : ٢

(٥) ١ . كو ٨ : ١

(٦) ١ . كو ٨ : ١

(٧) ١ . كو ٨ : ٣

santamariaegypt.org

الفيلسوف
والعلامة أوريجينوس

santamaria gypt.org

أوريجينوس - أوريجانوس

من (١٨٥ - ٢٥٤م)

فيلسوف وعالم مصرى فذ امتدت حياته من سنة ١٨٥ إلى ٢٥٤ للميلاد. وكان أشهر مفكر فى زمانه ذاع صيته فى كل الشرق والغرب، ومن مفاخره أنه كان أكبر عالم ومعلم معروف بسعة علمه واطلاعه، وقدرته على أن يقنع خصومه الأفذاذ ويفحمهم، بعد أن يحاجهم ويجادلهم ويحاورهم فى المحافل العلمية ويرد على تواليفهم، ويكفيه فخرا أن من بين خصومه الأقوياء كلسوس CELSUS الأبيقورى وكان من أبرز فلاسفة عصره، وقد هزأ بالدين المسيحى ساخرا، فانبرى له أوريجانوس فى رد طويل باللغة اليونانية يضم الآن ثلاثة مجلدات كبار، بعنوان (الرد على كلسوس) ترجم إلى اللاتينية تحت اسم Contra Celsum وكان الرد مفحما لكلسوس نفسه، الذى عبر عن إيمانه بالمسيحية وإقتناعه بها، بكتاب ضمنه إعترافه بفضل أوريجانوس فى هدايته إلى الحق الذى كان ينشده ـ ويعد كتاب أوريجانوس فى الرد على كلسوس الأبيقورى ثانى كتاب فى الأهمية، بعد كتابه (فى المبادئ) الذي له الأولية والأولوية بين جميع كتاباته وتواليفه الكثيرة. وقد لقبه يوسابيوس صاحب كتاب «تاريخ الكنيسة» بـ (ادامنتيوس ADAMANTIUS) (١) أى (الماس) وذلك بالنسبة إلى إمتيازه وسمو أفكاره ونقاء سيرته.

ولد أوريجينوس فى مصر، ويُحتمل أن يكون ذلك فى مدينة الأسكندرية، حيث تربى وتلقى كل علومه فيها، ولا نعرف تاريخ ميلاده على وجه دقيق، ولكن يحتمل أن يكون ذلك فى سنة ١٨٣/ ١٨٤ أو ١٨٥ / ١٨٦م. وكان من أسرة مسيحية أو على الأقل صارت مسيحية عندما كان طفلا صغيرا. وإذا كان حقا أن اسم أوريجينوس اسم وثنى معناه «ابن حورس»، لكن هذا لا يعد دليلا دامغا على أن أبويه كانا وثنيين. ومن الثابت أن أوريجينوس نفسه قد تعمد وهو صغير.

ولقد رباه أبوه (ليونيداس LEONIDES ابن الأسد) تربية دينية مسيحية، وعلمه منذ طفولته مبادئ الدين والكتاب المقدس. وكان بذكائه الوقاد لا يكف عن توجيه سيل من أسئلة فى الدين والكتاب المقدس تدل على ذهن متفتح، وعلى رغبة فى المعرفة كان يعجب لها أبوه ويعجب بها، حتى أنه كان يقترب إليه وهو نائم يقبله فى صدره الصغير (٢)، مستشعرا فى هذا الصدر كنزا ثمينا غاليا لأسرار مقدسة ستنكشف فيما بعد.

---

(١) يوسابيوس : تاريخ الكنيسة كتاب ٦ فصل ١٤ فقرة ١٠

(٢) يوسابيوس : تاريخ الكنيسة كتاب ٦ فصل ٢ ف ١١

santamaria gypt org

ولما كبر أوريجانوس تتلمذ على يدى فيلسوفين شهيرين فى الأسكندرية هما تيطس اكليمنضس المعروف باكليمنضس الأسكندرى، ثم أمونيوس السقاص AMMONIOS SACCAS مؤسس المدرسة الأفلاطونية الجديدة، وليس ثمة تلميذ شرّف أستاذه كما فعل أوريجينوس لأكليمنضس.

وفى سنة ٢١٢ أثار القيصر سويرس ALEXANDER SEVERUS (٢٠٥ - ٢٣٥) الإضطهاد ضد المسيحيين، فقبض ليتوس LAETUS حاكم مصر الرومانى على ليونيديس والد أوريجانوس، وزجه فى السجن، وأمر بقطع رأسه ومصادرة أمواله، ومع أن أوريجانوس كان لايزال صغيرا لم يتعد السابعة عشرة من عمره، إلا أنه أرسل إلى أبيه فى السجن يطمئنه على الأسرة، ويرجوه ألا يكون جزوعا عليها، ويحذره من التردد أو النكوص أو التراجع، ويحثه على الثبات على الإيمان وعلى شرف الإستشهاد، ومواجهة الموت برباطة جأش وصمود وشجاعة. ولم يكتف بهذا بل أراد هو ذاته أن يعلن للحاكم عن إيمانه فيموت شهيدا، لولا أن أمه اضطرت أن تخبىء ملابسه يوما كاملا لتمنعه من الخروج (١).

ولما هدأ الإضطهاد كان على أوريجانوس أن يعمل ليعول أمه وأخوته الستة وأسرته بعد موت عائلها ومصادرة أملاكه، وكان قد اشتهر بفضيلته وعلمه، فعهد إليه ديمتريوس أسقف الأسكندرية (١٨٨ - ٢٣٠) بإدارة المدرسة اللاهوتية، وكانت قد أغلقت فى زمن الإضطهاد وهجرها أساتذتها وعلى رأسهم اكليمنضس الأسكندرى مديرها، فتسلم أوريجانوس مقاليدها فى عام ٢٠٢ للميلاد بدلا من أستاذه النابغة اكليمنضس، وكان أوريجانوس آنذاك فى الثامنة عشرة من عمره (٢) فعكف على الدرس والعمل مع مساعديه وتلامذته وكانوا يعملون معا إلى ساعة متأخرة من الليل، حتى أنه يذكر فى بعض كتبه أنه لم يكن لهم أحيانا وقت للعشاء. وقد أدخل إلى هذه المدرسة إلى جانب العلوم الدينية اللاهوتية، علوم الفلسفة والرياضة والطبيعيات والفلك والموسيقى، وقد اهتم بالروحانيات والأخلاقيات، وكان يحث تلاميذه على أن يكونوا أتقياء ملتزمين بفضائل الشجاعة والبسالة والصمود فى سبيل الحق والإستخفاف بالموت فى سبيل الإيمان. ولم يلبث أن ثار الإضطهاد من جديد، فسيق عدد كبير من تلاميذ أوريجانوس إلى العذاب، بل لقد سعى أعداؤه للقبض عليه هو نفسه، لولا أنه غيّر مسكنه مرات، فقد كانوا يتعقبونه ويطاردونه من مكان إلى آخر، وفى يوم من الأيام كادت الدهماء أن تفتك به لولا أنه نجا منهم بإعجوبة.

---

(١) يوسابيوس، تاريخ الكنيسة كتاب ٦ فصل ٢

(٢) يوسابيوس، تاريخ الكنيسة كتاب ٦ فصل ٣ فقرة ٣

santamaria gypt org
وفى اليوم التالى لوفاة والده، وقد أمسى فقيراً معدماً، أرادت سيدة ثرية أن تضمه إليها وتنفق عليه، لكنه اعتذر عن قبول إحسانها لأنه علم بأنها تعتنق مبادئ دينية لا يقبلها، فآثر أن يعيش فقيرا فباع كتبه التي كان يقتنيها، بل أنه من فرط تدينه وحرارة روحه آثر أن يعيش ناسكا، وأن يحيا حياة الزهاد والعباد مع العمل، منتهجا منهج الفقر الإختيارى، منقطعا إنقطاعا تاما عن الطعام لفترة طويلة في كل يوم، وعن الخمر، وقانعا بالقليل جدا من ضرورات الحياة. وكان ينام على الأرض بغير غطاء ولا وسادة، كما كان يسير حافيا بغير حذاء، وكان يقضى نهاره فى الإرشاد والتعليم وليله فى الدرس والعبادة، وبلغ به إيمانه بالطهارة والعفة الكاملة أنه خصى نفسه. وقد جر عليه هذا التصرف الأخير متاعب مع القيادة الكنسية، التى رأت فى خصائه لنفسه تفسيراً حرفيا خاطئا لمقولة السيد المسيح له المجد «يوجد خصيان خصوا أنفسهم من أجل ملكوت السموات. فمن استطاع أن يقبل فليقبل» (متى ١٩ : ١٢) (١).

على أن منهج أوريجانوس فى أخلاقياته ودراساته أثار عليه حقد الوثنيين، فأمسكوه وحلقوا شعر رأسه على طريقة كهنتهم، ثم ساقوه إلى معبد سيرابيس وألزموه بأن يوزع سعف النخل على عبدة الأوثان، وكانوا يهزأون به ويسخرون منه، فصرخ فيهم بصوت دوى فى أنحاء المعبد، وقال على ماروى عنه أبيفانيوس فى كتابه (تاريخ الهرطقات) (٢) «هلموا إلىّ لتأخذوا منى هذه الأغصان، لا كأنها من هيكل للأوثان بل خذوها منى من قبل يسوع المسيح مخلص العالم».

دراسات أوريجانوس

ومع أن أوريجانوس كان مسيحيا، لكن دراساته لم تقتصر على الكتاب المقدس، وكتابات وأقوال بعض العلماء واللاهوتيين السابقين عليه من علماء المدرسة اللاهوتية بالأسكندرية، من أمثال أثيناغوراس، وبنتينوس PANTAENOS وإكليمنضس الأسكندرى، ولكنه أضاف إلى ذلك كله قراءات ودراسات على كتابات الفلاسفة الهلينيين من أمثال أفلاطون، وارسطو، وزينون الرواقى، وكريسبوس، وكليانتس، من الفلاسفة القدماء، ولابد أنه قرأ الإلياذه والأوديسا لهوميروس، وأشعار هزيود، وتراجيديات سوفوكليس ويوريبيديس، وبعض كوميديات أريستوفانيس وميناندر... وعندما نقرأ كتابه (الرد على كلسوس) لا يسعنا إلا أن نذهل لكثرة الإقتباسات التى اقتبسها أوريجانوس من كتابات الأولين والتى تشهد بسعة إطلاعه. ولابد أنه

---

(١) متى ١٩ : ١٢

(٢) كتاب تاريخ الهرطقات لابيفانيوس ٦٤ : ١

santamaria.gypt.org
درس كتاب «فى افلاطون» περὶ Πλάτωνος لاريستاندروس، وكتاب «فى اليهود» περὶ Ἰουδαίων لهيكاتيه ولهيرينيوس فيلون وكتاب χρονικά لمؤلفه فليجون.

ولم يتأخر أوريجينوس عن أن يبين أنه لا يستطيع أن يؤثر فى تلاميذه تأثيرا حقيقيا، إذا لم يعرف مذاهب الفلاسفة اليونانيين بالتفصيل، وأن يبذل جهده فى استعماقها، فكتب أوريجينوس يقول : «كنت أعكف على الدرس. وذاعت شهرة تعليمي، وجاء إلى تارة هراطقة، وتارة أناس درسوا العلوم الهيلينية، وخصوصا الفلسفة، وقد ألزمتني الفلسفة بدراسة آراء الهراطقة وما نادى به الفلاسفة عن الحقيقة. ولقد اتبعت فى هذا مسلك بنتينوس الذى أسدى من قبلى خدمة لكثيرين، ولم تكن ثقافته فى هذه الشئون بقليلة. واتبعت أيضا مسلك هيراقليس Heracles الذى يقيم اليوم فى مجمع كنيسة الأسكندرية، وقد وجدته عند معلم العلوم الفلسفية الذى كان قد لازمه هيراقليس خمس سنوات، قبل أن أبدأ أنا فى متابعة دروسه (١).

والمعلم الذى عاشره أوريجينوس وذكره فورفوريوس فى شذرة أوردها يوسابيوس (تاريخ الكنيسة ٦، ٩ ، ١ – ١١) هو أمونيوس السقاص الذى تابع أفلوطين أيضا دروسه. ومن المهم أن نبين هذه الحقيقة التى تفسر لنا تفسيرا جزئيا بعض وجوه التشابه التى نلاحظها بين مذهب أوريجينوس ومذهب أفلوطين. وتدلنا فقرة فورفوريوس على الفلاسفة الذين أخذ أوريجينوس يقرأ لهم، وليس فى تلك القائمة باستثناء أفلاطون إلا فلاسفة محدثون وهم : الأفلاطونيان نومينيوس Numenius وكرونيوس Cronius والفيثاغوريان نيكوماخوس وموديراتوس Moderatus، والرواقيان شيريمون Chaeremon وكورنوتوس Cornutus على أن أكثر هؤلاء الفلاسفة بالنسبة لنا هم مجرد أسماء ولا نعرف شيئا يعتد به عن مذاهبهم. وتسمح لنا الإشارات التى يقدمها لنا أوريجينوس نفسه فى كتبه بتكملة القائمة وأن نضيف إليها أعظم الفلاسفة القدماء قدرا مثل أرسطو وزينون وكريسيوس وكليانتس.

ويبدو أن أوريجانوس كان يؤثر أفلاطون على جميع الفلاسفة. ويعوزنا الوقت لنذكر جميع إقتباساته من المحاورات الأفلاطونية، وما يدين به أوريجانوس لمذهب أفلاطون، خصوصا فيما يتصل بالله وبالعالم. فلئن كان مذهب أوريجانوس مسيحيا فى جوهره لكنه استخدم فى شرحه تعبيرات أفلاطونية على الغالب.

وعلى الرغم من أنه لا يشير صراحة إلى أرسطو، لكنه فى وضعه للمشكلات الكبرى الخاصة بالإنسان وبالأخلاق، يبدو واضحا أنه يتبنى الحلول التى وردت فى كتاب أرسطو «فى النفس De ANIMA» وكتابه «الأخلاق إلى نيقوماخوس».

---

(١) يوسابيوس ـ تاريخ الكنيسة. جز ٦ ، ٩ – ١٢ – ١٤.

santamaria gypt org

ويبدو أن أوريجينوس منذ اليوم الذى اتصل فيه إتصالاً مباشرا بالحكمة الهيلينية بدأ يغير فى نظام المدرسة اللاهوتية. ولئن كان يوسبيوس لا يعين على وجه الدقة تاريخ هذا الحدث لكنه يخبرنا على الأقل بأن أوريجينوس قسم تلاميذه إلى قسمين : القسم الأول ويشمل المبتدئين وجعلهم تحت قيادة هيراقليس Heracles وكانوا يدرسون مبادئ العلوم المدنية والدينية. والقسم الثانى وكان تحت إدارة أوريجينوس مباشرة. ويضم التلاميذ المتقدمين، وكان أوريجينوس يقرأ معهم كتابات الفلاسفة ويعلق عليها وكذلك الكتب المقدسة للعهدين القديم والجديد. (١) (يوسابيوس ـ تاريخ الكنيسة ٦، ١٥، ١٨، ٣ – ٤).

ولا شك أن الرواقيين يحتلون مكانة عند العلامة الأسكندرى أوريجانوس، وواضح أنه قد قرأ ودرس كتب كريسبوس، وزينون. وتأثره بأصحاب الرواق يبدو على الخصوص فيما يتعلق بأصل الأشياء وتجديدها، وعندما يعالج موضوع أجزاء النفس البشرية والحياة الأخلاقية.

هذا إلى أنه يرد فى كتابات أوريجانوس إقتباسات صريحة أو ضمنية من أبيقور وسكستوس امبيرتيوس وإشارات إلى قضايا كارنياد Carnoado وكليتوماك Clitomaque مع أنه يصرح باحتقاره لأبيقور ويرى فيه معلما للكفر والخلاعة وإزدرائه لمذهب الشكاك SCEPTICISME عند الأكاديمية الجديدة ـ مما يدل على حب أوريجانوس للاطلاع حبا لا يعرف له حدودا.

وقد دافع أوريجانوس عن منهجه فى دراسة الفلسفة الهلينية، شارحا ضرورة ذلك من واقع مواجهته للفلاسفة الوثنيين الذين كان يلتقى بهم، ويحاورونه ويحاورهم، فكان لابد له من هذه الدراسة ليستفيد منها فى لقاءاته بهم، ومساجلاتهم معه وردوده عليهم. وأضاف بأنه قد سلك فى هذا مسلك الفيلسوف المسيحى بنتينوس وغيره من العلماء والفلاسفة الذين سبقوه.

على أن أوريجانوس لم تقتصر استفادته من دراسة العلوم الهلينية والمدارس الفلسفية على مجرد المعرفة المتعمقة لهذه المدارس وتلك العلوم من أجل الحوار والجدل الفكرى بين فيلسوف مصرى مسيحى وفلاسفة وثنيين، لكنه لابد أن يكون قد أثرى فكريا بهذه الدراسة الخصبة كما أفاد منها فى منهج العرض الموضوعى للمسائل والمشاكل، وتسلسل البرهان، وإكتشاف الأغاليط، والقدرة على البرهنة على الحقائق الدينية بأدلة من العقل والمنطق والنظر العقلى، بعيدا عن الأدلة النقلية من الكتب المقدسة. وغنى عن البيان أنه بفضل هذه المساجلات الفكرية كان

(١) يوسابيوس ـ تاريخ الكنيسة ٦، ١٥، ١٨، ٣ – ٤

santamaria gypt org
مدخل الفلسفة فى الدين، وهو أساس علم اللاهوت. والواقع أنه إلى علماء المدرسة المسيحية فى الأسكندرية ـ من أمثال أوريجانوس ومن قبله إكليمنضس ثم بنتينوس وأثيناغوراس ـ يرجع الفضل فى إقامة علم اللاهوت المسيحى على منهج علمى، نما وازدهر فى الأسكندرية قبل أى بلد آخر فى العالم المسيحى. ولذلك قصد الدارسون والعلماء من بلاد الشرق والغرب إلى مدرسة الأسكندرية اللاهوتية، وتتلمذوا على أساتذتها بعد أن أتموا علومهم الدينية فى بلادهم. ومن هؤلاء العلماء المشاهير من علماء البلاد الأخرى : باسيليوس الكبير رئيس أساقفة آسيا الصغرى (٣٣٠ – ٣٧٩)، ويوحنا ذهبى الفم بطريرك القسطنطينية (٣٤٧ – ٤٠٧)، وغريغوريوس الثيئولوغوس (٣٢٩ – ٣٩٠م) رئيس أساقفة نازيانزا، وغريغوريوس العجائبى (٢١٣ – ٢٧٠) بطريرك قيصرية (البنطس) وغريغوريوس النيصى (٣٣٥ – ٤٩٤) أسقف نيصص، وغيرهم كثيرون ممن شغلوا بعد خروجهم من الأسكندرية مراكز دينية مرموقة جدا فى بلادهم وفى العالم المسيحى قاطبة.

ولما ازدهرت المدرسة اللاهوتية بالأسكندرية وصارت ابتداء من القرن الثانى جامعة لعلوم الدين والدنيا، وأصبحت الدراسات فيها لا تقتصر على علوم الكتاب المقدس وحدها، من دراسة نقدية علمية مقارنة للنصوص الأصلية بالعبرانية واليونانية وترجماتها القبطية والسريانية واللاتينية وما إليها، ودراسة للتفسير، ومنهج التفسير، وقواعد التفسير، لنصوص العهدين القديم والجديد، ودراسة تاريخ وجغرافية وآثار الكتاب المقدس فى مصر وبلاد الشرق الأوسط ـ إنما امتدت الدراسات العلمية لتشمل أيضا دراسات فى الفلك، وفى الطب، والموسيقى، والنبات، والحيوان، واللغات القديمة ـ فضلا عن تاريخ الفلسفة اليونانية والشرقية، وعلم المنطق، والعلوم الإنسانية..

وقد قسم أوريجانوس الدارسين إلى قسمين كبيرين : قسم للمبتدئين، وقسم للمتقدمين. وجعل لكل قسم مستوياته المتدرجة. أما قسم المبتدئين فجعله تحت إشراف هيراقليس HERACLES الذى أصبح فيما بعد البابا الثالث عشر من بطاركة الكرسى الأسكندرى وهو أو ل من حمل فى العالم المسيحى لقب بابا قبل أن يحمله أساقفة روما بثلاثة قرون ـ وأما قسم المتقدمين فجعله أوريجانوس تحت إشرافه شخصيا.

santamaria gypt.org
وكان تلاميذ المدرسة من الجنسين، أى من الرجال والنساء. وهذا وحده حدث له أهميته فى القرن الثالث للميلاد.

وقد قسم أوريجينوس تلاميذه إلى فريقين : فريق اشتهروا بأصحاب القلم السريع TACHYGRAPHES يكتبون بالإختزال والإختصار ما كان يمليه عليهم أوريجانوس - وفريق آخر هو فريق النساخ CALLIGRAPHY الذين كانوا ينقلون بخط جيد وجميل ما يكتبه الفريق الأول بالاختزال.

ولقد جرّت هذه الطريقة فى التعليم المتاعب على أوريجانوس فيما بعد، فقد نسب إليه أن كتاباته اشتملت على أخطاء عقائدية. ومن الإنصاف للرجل العلامة أن نقول أنه لم يكن لأوريجانوس - بسبب خصوبة فكره وكثرة إنتاجه - وقت لمراجعة كل ما يكتبه تلاميذه. لذلك أمسى من العسير أن يتبين النقاد، ما إذا كانت تلك الأخطاء ناجمة عن جهل التلاميذ أو عدم دقتهم فى الإملاء أو النسخ، أو أنها ترجع إلى أوريجانوس نفسه.

على أن أوريجانوس كثيرا ما كان يشكو ممن أساءوا فهمه أو حرفوا أقواله عن حسن نية أو عن سوء قصد، كما فعل بعض أصحاب المدارس الفكرية، فنسبوا إليه أقوالا يؤيدون بها مذاهبهم الفكرية.. وفى بعض كتاباته ردود منه على بعض النظريات الدينية الخاطئة التى نسبت إليه... قال أوريجانوس فى ميمره الخامس والعشرين على الإنجيل للقديس لوقا «أنه من دواعى سرور أعدائى، أن ينسبوا إلىّ آراء لم أتصورها ولم تدر بخلدى».

ولذلك صار فى تاريخ العلامة أوريجانوس ما عرف فى حياته وما بعد حياته بالمشكلة الأوريجانية، وصار الرجل موضوعا للنقد بين المتحمسين له المدافعين عنه، وبين الذين هاجموه بشدة. على أن المؤرخين واللاهوتيين والعلماء والفلاسفة فى الشرق والغرب، فى العالم القديم وإلى اليوم، كلهم مجمعون على مكانة أوريجينوس العلمية والفكرية وأنه يعد فيلسوف زمانه، وأنه بين الشوامخ فى كل العصور، وأنه احتل مكانا فى القمة بين العلماء، وأنه صاحب مدرسة فكرية حية، كانت ومازالت عائشة فى تاريخ الفكر، وأن أوريجانوس يعد بين الخالدين الذين تركوا أثارا بعيدة المدى فى زمانهم وبعد زمانهم، وقد طبع بصماته محفورة واضحة على أفكار جميع من أحبوه ومن هاجموه. ومما يذكر للرجل أن الذين مدحوه والذين اتهموه بالزيغ أجمعوا على نبوغه وعبقريته كما على عفته وطهارة حياته، وسمو أخلاقه وزهده ونسكه ونقاوة سيرته.

santamaria gypt org

وقد قال عنه تلميذاه الكسندروس أسقف أورشليم وثيوكتيستوس THEOCTISTUS أسقف قيصرية فلسطين أنه «أمير شراح الكتب المقدسة» كما وصفاه ولقباه بـ «أستاذ الأساقفة» وكان فرميليانوس FIRMILIAN أسقف قيصرية الكبادوك يفتخر بأن يدعو أوريجانوس أستاذه (١).
أما البابا ديونيسيوس (٢٤٦ - ٢٦٤)م الذى صار البطريرك الرابع عشر من بطاركة الكرسى الأسكندري، فكان من أشد تلاميذة أوريجانوس تعلقا به، وكتب إليه بأن اسمه سيظل محبوبا ومحترما إلى الأبد. ولما مات أوريجينوس حزن عليه كثيرا البابا ديونيسيوس وكتب إلى ثيوكتيستوس أسقف قيصرية فلسطين، رسالة سجل فيها ما لأستاذه أوريجانوس من المآثر على الكنيسة المسيحية بعامة، وعلى شخصه بخاصة. وقال عنه يوسابيوس «كانت حياة هذا الرجل أفضل مفسر لعظاته (٢). كذلك وصف غريغوريوس أسقف نيصص بالكبادوك العلامة أوريجانوس بأنه «أمير الفلسفة المسيحية» ودافع عنه بمفيليوس دفاعا مجيدا فصنف وهو فى السجن دفاعا عن أوريجانوس قال فيه «أن لخصوم هذا الفيلسوف عقولا قاصرة عن الخوض فى عباب مباحثه الواسعة، وعاجزة عن إدراك سمو المعانى التى يرمى إليها من كان معلما للكنيسة بعد رسل السيد المسيح » (٣).

أما ايرونيموس (أو جيروم) فعلي الرغم من أنه يحسب من خصوم أوريجانوس إلا أنه شهد عنه فى إحدى رسائله قائلا : «لم يكن أوريجانوس مجرد كاتب عذب المشرب يرتاح له أمراء الكتاب المقدس، أو مجرد مؤلف فاق نظراءه بمؤلفاته الدانية القطوف، بل كان بلا جدال المعلم الأول لجميع الكنائس بعد الرسل (الحواريين). ولا مشاحة فى أن آراءه تعبر عن المسيحية الأرثوذكسية التى لم يشبها ضلال. أما الذين استوقد الحقد ضلوعهم فاتهموه بالهرطقة فإن هم إلا كلاب كلبة» (٤).

وقال عنه ايرونيموس أيضا «أن خصوم أوريجانوس لم يستطيعوا إحتمال قوة بلاغته وعلمه، فقد كان إذا تكلم يبدو جميع الناس خرسا».

---

(١) يوسابيوس كتاب ٦ فصل ٢٦، ٢٧

(٢) يوسابيوس كتاب ٦ فصل ٣ : ٧

(٣) فوتيوس ف ١١٨ - وايرونيموس فى (مشاهير الرجال) ف ٧٥

(٤) رسالة ايرونيموس (جيروم) الـ ٣٣ لبولام

santamariaegypt.org

رحلات أوريجانوس

نحن لا نستطيع أن نحدد على وجه الدقة كما نريد تواريخ الأحداث الهامة فى حياة أوريجينوس فى غضون السنوات التى قضاها بالأسكندرية. ونحن نعرف فقط أن العلامة أوريجينوس كان قد أتيح له مرارا أن يقوم برحلات. ويخبرنا يوسيبيوس عن رحلة قام بها أوريجينوس إلى روما فى زمن باباوية زفيران ZHPHYRINUS (١) وكان غرضه من هذه الرحلة رغبته فى أن يرى تلك الكنيسة القديمة غاية القدم، وقد أتيح له فى هذه الرحلة أن يسمع وعظ هيبوليتس HIPPOLYTUS (١٧٠ - ٢٣٥)، ويخبرنا يوسيبيوس أيضا عن رحلة أوريجينوس إلى بلاد العرب بناء على دعوة من حاكمها الذى كان يرغب فى معرفة تعاليمه (٢). والمعروف أنه زار بلاد العرب مرتين :

الأولى فى حكم جورديان GORDIAN ليرد إلى الإيمان الأرثوذكسى الأسقف بيرلس BERYLLOS أسقف البصرة BOSTRA.

والثانية فى عهد فيلبس العربى، ليشهد مجمعا نوقشت فيه بعض المسائل الخاصة بمصير النفس بعد الموت، ولكى يدحض بدعة نادى بها بعض الناس وهى «موت النفس مع موت البدن» (٣).

وقد وصل إلى يدى يوسابيوس المؤرخ خطابان من أوريجانوس، أحدهما موجه إلى الأمبراطور فيلبس والآخر إلى الأمبراطوره SEVERN (٤)، والخطابان يشهدان بنفوذ أوريجانوس ومكانته الروحية واللاهوتية، وقد كان أوريجانوس فى هذا الوقت يعد على نوع ما معجزة الشرق فى علم اللاهوت.

وفى سنة ٢١٥م حدثت إضطرابات بالأسكندرية بمناسبة زيارة الأمبراطور غايوس كاراكلا CARACALLA (٢١١ - ٢١٧) الذى أثار إضطهادا ضد أوريجانوس، فاضطر الفيلسوف إلى مغادرة وطنه إلى قيصرية فلسطين حيث احتفى به المسيحيون هناك، ورحب به صديقاه وتلميذاه ثيوكتيستوس THEOCTISTUS أسقف قيصرية، والأسكندر أسقف ايليا ELIA أورشليم، وكانا فخورين بوجود رئيس مدرسة الأسكندرية معهما، وقد بادرا إلى دعوته للوعظ فى كنائسهما، وكانا يحثان المؤمنين على سماع مواعظه وشروحه، والإنتفاع بتعاليمه الروحية ولما علم فرميليانوس FIRMILIAN أسقف قيصرية الكبادوك بوجود العلامة أوريجانوس، دعاه

---

(١) يوسابيوس - تاريخ الكنيسة ٦، ١٤، ١٠

(٢) يوسابيوس - تاريخ الكنيسة ٦، ١٩، ١٥

(٣) تاريخ الكنيسة ك ٦ ف ٣٧

(٤) تاريخ الكنيسة ٦ ف ٣٦

santamaria gypt org
أيضا لزيارته وإلقاء أحاديث دينية فى إيبارشيته، ولكن أوريجينوس لم يتمكن من تلبية الدعوة فور توجيهها إليه، فلم يتوان فرميليانوس عن أن يسرع بالحضور بنفسه إلى فلسطين ليستمع إليه وينتفع بتعليم من كان يفتخر بأن يدعوه أستاذه ومعلمه (١).

ولما كان أوريجانوس حتى ذلك الوقت من غير حملة الدرجات الكهنوتية، وكان قانون كنيسة الأسكندرية يمنع من لم يكن كاهنا أن يعتلى منبر الوعظ فى الكنيسة، فقد اعتبر ديمتريوس أسقف الأسكندرية تصرف أوريجانوس فى فلسطين مخالفة للقانون الكنسى، فاستدعى أوريجانوس إلى الأسكندرية ليأخذ مكانه كرئيس للمدرسة اللاهوتية فى الأسكندرية فأسرع أوريجانوس إلى تلبية الأمر الصادر إليه من أسقفه.

وفى سنة ٢٢٦ تلقى أوريجانوس دعوة من الإمبراطورة ماميا MAMAEA أم القيصر اسكتدر سويرس SEVERUS (٢٢٢ - ٢٣٥) ليذهب إلى إنطاكية حيث كانت الامبراطورة تمر من هناك، وذلك لتتحدث إليه فى مسائل دينية، فلبى دعوة الإمبراطورة، وفى هذه المناسبة ألقى المواعظ ودروسا فى شرح الكتاب المقدس على الناس فسروا به سرورا عظيما (٢). ونحن لا نعرف أية تفصيلات عن هذه المقابلة.

وفى سنة ٢٢٨م أذن له ديمتريوس أسقف الأسكندرية بالذهاب إلى أخائية ببلاد اليونان لمقاومة بعض التعاليم المنحرفة عن التعليم الأرثوذكسى (٣).

ولما عاد أوريجينوس إلى الأسكندرية وكان متمكنا من تعليمه شرع فى تصنيف تفاسيره : ومن المحتمل أن يكون قد وضع بعض مصنفاته، بل أهمها أيضا، قبل سنة ٢١٨. لكن أعظم حقبة لإنتاجه الأدبى كانت تلك الفترة التى بدأ فيها يتعرف على رجل غنى من أتباع مذهب فالنتينوس يسمى أمبروسيوس، كان أوريجينوس قد رده إلى الكنيسة الأرثوذكسية. فتعلق أمبروسيوس بمحبته وجعل تحت تصرفه مبالغ طائلة وبفضله استطاع أوريجينوس أن يكون تحت يده أكثر من ٧ مختزلين Tachygraphcs كانوا يكتبون ما يمليه عليهم أوريجينوس. وكانوا يتناوبون العمل فى فترات محددة. وكان له عدد من النساخ لا يقل عن ذلك، وفى نفس الوقت شبان متمرنون على حسن الخط Calligraphy (٤).

---

(١) يوسابيوس كتاب ٦ فصل ٢٧ - ايرونيموس فى (مشاهير الرجال) فصل ٥٤

(٢) يوسابيوس - كتاب ٦ فصل ٢١ : ٣، ٤

(٣) يوسابيوس كتاب ٦ فصل ٢٣، فقرة ٤

(٤) يوسابيوس - تاريخ الكنيسة ٦، ٢٣ : ٢ - ٣

santamaria gypt org

ومرت فى حياة العلامة أوريجينوس فترة هدوء مليئة بإنتاج علمي خصيب وسوف نتناول هذا فيما بعد عندما نتكلم عن مؤلفات أوريجينوس، ويبدو أن هذه الفترة امتدت إلى إثنتى عشرة سنة أى بين ٢١٨ – ٢٣٠م. وفى هذا الوقت شرع أوريجينوس بشهادة يوسابيوس (١) فى رحلة جديدة إلى اليونان مارا بفلسطين. وفى أثناء هذه الرحلة، منحه صديقاه الفلسطينيان ثيوكتيستوس والأسكندر درجة الكهنوت بوضع أيديهما عليه. وكان هذا التصرف من بين الأسباب التى حملت الأسقف ديمتريوس أسقف الأسكندرية على أن يعتبر أوريجينوس متعديا على القوانين والقواعد الكنسية، فجمع مجمعا حكم بإدانته والحكم عليه بالنفى وبسقوطه عن كرسى أستاذيته وعن درجة القسيسية (٢). غير أن تفاصيل هذه الأحداث ليست واضحة تمام الوضوح. ويؤكد يوسيبيوس أن سبب فرز أوريجينوس هو أنه كان قد خصى نفسه قبل ذلك بقليل. ولما كان قانون كنيسة الأسكندرية يمنع رسامة الخصيان كهنة، فلم يكن ممكنا أن يعترف ديمتريوس بصحة الكهنوت الذى أُعطى لأوريجينوس، ويضيف المؤرخ يوسيبيوس زيادة على ذلك بأن الأنبا ديمتريوس كان فى الحقيقة غائرا من شهرة أوريجينوس، وأن أوريجينوس راح ضحية الأهواء البشرية (٣) ويبدو أن أسقف الأسكندرية سعى ليحصل على تأييد لتصرفه من جميع الكنائس الأخرى. وهذا على الأقل ماكتبه القديس ايرونيموس، وحكم الأسقف ديمتريوس على أوريجينوس، وقد صادق العالم كله على هذا الحكم بإستثناء أساقفة فلسطين وبلاد العرب وفينيقيا وأخائية، بل وروما نفسها عقدت مجلس شيوخها ضده لا بعلة الهرطقة ولا بسبب طرافة تعاليمه، ولكن لأنهم لم يستطيعوا إحتمال قوة بلاغته وعلمه، فقد كان إذا تكلم يبدو جميع الناس خرسا.

وقد احتمل أوريجينوس العاصفة بشجاعة، ولكن بألم ممض يظهر صداه فى تفسيره للفصل السادس من إنجيل يوحنا ٦ : ٢ وقد اضطر إلى أن يترك الأسكندرية نهائيا ولجأ إلى قيصرية فلسطين حيث أظهر أسقفها نحوه وفاء عجيبا. وهناك أنشأ مدرسة للتعليم المسيحى، لمع نجمها عاليا. وقد أصبحت فيما بعد قيصرية، لا الأسكندرية مركز حياة الكنيسة الفكرية. وربما كان عند أوريجينوس من الأسباب التى دعته إلى أن يؤمل بالعودة إلى مصر بعد موت ديمتريوس سنة ٢٣٢، أليس الأسقف الجديد هيراكلاس واحدا من تلاميذه؟ ألم يشترك معه فى إدارة المدرسة اللاهوتية ؟ لكن هذا الأمل الذى انعقدت عليه نفس العلامة أوريجينوس لم يطل به الأمر، فإن هيراكلاس Heracles جدد الحكم الذى كان أصدره الأنبا ديمتريوس.

---

(١) يوسابيوس - تاريخ الكنيسة ٦، ٢٣ : ٤.

(2)Photius. Biblioth. cod. 118

(٣) يوسابيوس - تاريخ الكنيسة ٦، ٨ : ٤

santamaria gypt org
ورفض أوريجينوس أن يعود إلى وطنه - وقد شغل أوريجينوس أثناء إقامته بقيصرية فلسطين بثلاثة أمور...

أولاً : التعليم : ونحن نفهمه من كل جهة كما نعرف أيضا من خطاب المدح والشكر الذى وجهه إليه القديس أغريغوريوس العجائبى، الإعجاب المؤثر الذى تركه العلامة أوريجينوس فى نفوس تلاميذه.

ثانيا : تأليف كتبه : ولئن كان قد انقطع فترة لكنه أخذ يتقدم.. وقد شمل أبحاثا فى نصوص الكتاب المقدس، تفاسير، والدفاع عن العقيدة المسيحية، ولقد كتب أوريجينوس بغير إنقطاع، وكان عقله الكبير قادرا على أن ينتج فى كافة هذه الميادين.

ثالثا وأخيرا : الوعظ الشعبى : فقد قام أوريجينوس بوعظ الشعب بصبر لا يكل دام سنوات طويلة، شرح فيها لسامعيه جزءا كبيرا من الكتب المقدسة. ومع أن مواعظه لم تكن هى أهم أعماله، لكنها تلقى على الأقل ضوءا واضحا على الحياة المسيحية فى القرن الثالث.

ولكن يجب أن نضيف أيضا أنه قد اضطر إلى أن يدافع عن نفسه ضد الإتهامات الخطيرة التى وجهت إليه. وقد أورد Rufin فى كتابه De Adulternatione شذرة طويلة من خطاب كان وجهه أوريجينوس إلى أصدقاء له فى الأسكندرية، يشكو فيه من الملفقين الذين عدلوا وشوهوا بعض فقرات من كتبه، أو أيضا من الذين نشروا فى العالم المسيحى كتبا مزورة ليس من العسير أن نجد فيها ما يستحق السخط - كذلك يعرفنا القديس ايرونيموس بوجود خطاب آخر كتبه أوريجينوس إلى أسقف روما فابيانوس. يتهم فيه أوريجينوس صديقه أمبروسيوس بأنه تسرع ونشر أحد كتبه فى غير الوقت المناسب وقبل إتمامه، وربما كان هذا الكتاب هو كتاب المبادئ. وينقصنا الكثير من تفاصيل هذه الوقائع، ولكننا نعلم منها ما يكفى لأن يجعلنا نحكم بأن الحملات التى وجهت ضد العلامة أوريجينوس لم تهدأ بعد أن غادر الأسكندرية، وأن إقامته فى قيصرية وإن كانت خصيبة الإنتاج لكنها لم تخل من كثير من المنغصات.

ويحتمل أنه لفظ أنفاسه الأخيرة فى مدينة قيصرية فلسطين. ولو أن هناك تواترا ذكره فوتيوس، يروى أنه توفى فى مدينة صور Tyr وهناك أخذ الناس يزورون قبره إلى أمد طويل.

ومن العسير أن نعين على وجه الدقة الخطوط البارزة فى أخلاق أوريجينوس لأننا نجد فيها لأول وهلة علاقة وثيقة بين الهيلينية والمسيحية، تبدو كل محاولة لتبسيطها تكاد أن تكون مستحيلة، ومع ذلك إذا درسنا فى عناية كل مؤلفاته،وليس فقط أشهرها وأبرزها مثل المبادئ أو الرد على كلسس Contra Celsum يلزم أن نعرف أولا قبل كل شئ بأن أوريجينوس كان

santamaria.gypt.org
مسيحيا، أو بعبارة أدق أنه ابن مخلص للكنيسة الأرثوذكسية، وكل تواليفه مشبعة بدراسة الكتاب المقدس وكل تفكيره مطعم ومشبع بقراءة وتأملات الكتب المقدسة، ولاشك أنه فسر الكتب المقدسة تبعا للمنهج الرمزى الذى خوّل له أن يجد ما يشاء من المعانى فى كل صفحة من صفحات الكتاب المقدس، ولكن فضلا عن أنه لم يكن هو المبتدع لهذا المنهج، فإنه أثبت فى كل مجال إهتمامه بأن يظل فى إستعماله مخلصا للتقليد الكنسى، وحبه للقانون الكنسى يتضح أولا من شدة إلتصاقه بالكنيسة وتعليمها، ومن كفاحه المستمر ضد الهرطقات، الكفاح الذى لم يتوقف أوريجينوس عن قيادته حتى نهاية حياته.

ولأول وهلة تجابهنا جرأة تفكيره، إذا اكتفينا فى الواقع بدراسة كتابه «فى المبادئ» ولكن يجب ألا ننسى أن مؤلفه العظيم عن المبادئ لم يقدم إلينا غير جزء يسير من تفكيره، وأن المبادئ بمثابة استهلال أودع فيه أوريجينوس حقائق الإيمان من جهة، والمسائل المشكلة من جهة أخرى. أما من جهة حقائق الإيمان فإن أوريجينوس يؤكد دائما إخلاصه لقواعد الإيمان. أما من جهة المسائل المشكلة فيظهر فيها استقلاله الفكرى، وهو لا يعرض حلولا بغير تحفظ، وكان دائما يصفها بأنها حلول مؤقته، وأنه باختياره يسمح لخياله أن يسبح فيصف مثلا مصير النفس بعد الموت وتجديد كل الأشياء. وهو يدعو إلى الأفكار الفلسفية التى درسها فى المدارس الهيلينية أو التى قرأها فى المؤلفات الكلاسيكية. ولكن مع ذلك كان يحرص على إخلاصه لتعاليم الكنيسة الأرثوذكسية ما وسعه ذلك.

هذا الطابع المسيحى أو بالحرى الكنسى نجده واضحا عنده، إذا درسنا على الخصوص العظات التى وعظها وهى كثيرة أثناء إقامته بقيصرية. وفيها نرى أوريجينوس يخاطب جموع المؤمنين، والبسطاء الذين يريد أن يكاشفهم بالكنوز المذخرة فى الكتاب المقدس. وواضح أنه يمكن أن يشرح لهم الأسرار المحفوظة للكاملين. لأن أوريجينوس يصر على أهمية تقسيم المؤمنين إلى نوعين. نوع لا يناسبهم إلا الإيمان البسيط الساذج، بينما أن الآخرين مدعوون إلى أن يبلغوا إلى الغنوسية المسيحية أو الإيمان الكامل. على أن غنوسية أوريجينوس ليست من طبيعة أسمى عن طبيعة البسطاء وعنده أن العلم لا يهدم الإيمان، ونحن نعرف أن اكليمنضس الأسكندرى لم يكن واعظا شعبيا على الرغم من كتابه الموسوم بعنوان «من هو الغنى الذى يخلص؟ على العكس من ذلك أوريجينوس فقد قام بدور الواعظ على الوجه الأكمل. وهو الكاهن الذى كرس نفسه لخلاص النفوس، أكثر من أن يكون فيلسوفا همه إقامة مذهب متماسك من اللاهوت العقلى.

santamaria.egypt.org

تواليف أوريجانوس

لم يعرف العالم القديم مفكرا أو فيلسوفا خصب الإنتاج على نحو أوريجانوس. يقول عنه أبيفانيوس أسقف قبرص (١) أن لأوريجانوس أكثر من ستة آلاف مصنف. ويقول عنه ايرونيموس (أو جيروم) فى رسالته التى أرسل بها من بيت لحم إلى باليوم فى روما «أن القارئ مهما كان مولعا بالمطالعة لا يستطيع أن يتصفح جميع الكتب التى صنفها أوريجانوس وذلك لكثرتها (٢) ولعل من بين أهم تواليفه كتابه «فى القيامة» ثم كتابه «المتفرقات» وكتاب «فى المبادئ» περὶ ᾿Αρχῶν وكتاب «فى الصلاة» وكتاب «فى الاستشهاد» وفى سنة ٢٤٩ وضع أشهر كتبه «فى الرد على كلسوس» الأبيقورى CONTRA CELSUM إثباتا لصحة الديانة المسيحية، وفساد المبادئ الفلسفية الوثنية.

أما بالنسبة للكتاب المقدس ونقد النصوص ومقارنتها ببعضها بعضا، فقد استغرقت أبحاثه نحوا من ثمانية وعشرين عاما، وقد ضمنها فى خمسين مجلدا على ثلاثة أوضاع.

الوضع الأول ويشتمل على أربع ترجمات نظمت فى أربعة أنهار أو جداول هى : (١) الترجمة السبعينية (٢) ترجمة أكويلا (مسيحى من البنطس) (٣) ترجمة سيماخوس SYMMACHUS (مسيحى من فلسطين) (٤) ترجمة ثيئودوسيون (مسيحى من أفسس - والترجمة ترجع إلى سنة ١٨٠م).

الوضع الثانى، ويشتمل على ستة جداول أو أنهر، هى الترجمات الأربع السابقة مضافا إليها :

(٥) النص العبرى بحروف عبرية (٦) ثم نفس النص بحروف يونانية وعرف هذا الوضع بالهيكسابلا Ἑξαπλά أى السداسيات.

الوضع الثالث ويشتمل على ثمانية جداول أو أنهر، ولذلك تسمى بالمثمنة Ὀκταπλά (OCTAPLA) وهى النصوص والترجمات الست السابقة مضافا إليها (٧) الترجمة التى عثر عليها أوريجانوس فى قدر فى مدينة أريحا بفلسطين فى عصر أنطونيوس بن ساويرس (٨) والترجمة التى عثر عليها أوريجانوس بمدينة نيكوبوليس بفلسطين.

هذا إلى أن أوريجانوس وضع كتبا فى تفسير الأسفار المقدسة، وعظات لم يسمح لأحد بنقلها إلا فى سنيه الأخيرة، وقد بلغ ما نقله الناقلون مايزيد على ألف عظة.

---

(١) تاريخ الهرطقات : الهرطقة ٦٤ رقم ٦٣

(٢) رسالة ايرونيموس ٨٤ رقم ٨

santamaria-egypt.org

ومع أن أوريجينوس كان متمسكا بالتقليد الكنسى، إلا أنه لم يقتصر على ترديد ما يقول به التقليد. ولكنه كان يعمل جاهدا على استعماقه وتفسيره، وكان يستخدم فى ذلك كل المصادر التى قدمتها له الفلسفة اليونانية، ولقد درس أوريجينوس منذ شبابه المبكر، المذاهب الفلسفية، وبعد ذلك تابع دروس ومحاضرات أمونيوس سقاص Ammonius Saccas، حتى أنه يمكننا بدون مشقة أن نجد فى كتاباته ما تركته هذه المذاهب الفلسفية من أثر فى نفسه من الناحية الأدبية على الأقل، فنحن على يقين من أن أوريجينوس قرأ كثيرا من الأسفار والتراچيديات والكوميديات، وعندما ما نقرأ كتابه «الرد على كلسس Contra Celsum لا يسعنا إلا أن نذهل لكثرة الإقتباسات التى اقتبسها أوريجينوس من كتابات الأولين ولاشك أن عددا كبيرا من هذه الاقتباسات قد أخذ عن ملخصات، كان يعتمد عليها العلماء فى القرن الثالث وقبله بزمن طويل، فى دراسة مختلف المسائل المتعلقة بالتاريخ والجغرافيا والأخلاق والعلوم الطبيعية وما إليها، ولكن أوريجينوس اقتبس نصوصا أخرى من قراءاته الخاصة فى المصادر الأصلية من ذلك كتاب «فى أفلاطون» و «فى اليهود».

وهذا كله يكفى للدلالة على سعة معلوماته، ومن الإنصاف لأوريجينوس أن نضيف إلى هذا أن أكثر اقتباسات أوريجينوس واستشهاداته بالشعراء والمؤرخين قد وردت فى كتابه «الرد على كلسس Contra Celsum». من هذا الكتاب يتضح أن أوريجينوس جعل أهمية كبيرة لعلماء الأدب اليونانى، كما أن أوريجينوس قد أثبت فى هذا الكتاب أنه كان من حيث علمه منافسا كبيرا لخصمه الوثنى كلسس.

وأما فى الكتب الأخرى فيبدو أوريجينوس أكثر حذقا. لم يكن له وقت ليصرفه مع الشعراء والخطباء، على العكس من ذلك فإن الفلاسفة هم الذين جذبوا انتباهه، وهو يفضل أفلاطون على جميع الفلاسفة، ويعوزنا الوقت أن نذكر هنا جميع اقتباساته من المحاورات الأفلاطونية، وما يدين به أوريجينوس لمذهب أفلاطون. وهنا يلاحظ أن ينسب عادة إلى أوريجينوس، ولو فى شئ من المبالغة أحيانا أن مذهبه فيما يختص بالله وبالعالم مستقى فى جوهره من أفلاطون. والواقع أن مذهب أوريجينوس مذهب مسيحى فى حقيقته. ولكن التعبيرات التى استخدمها فى شرح مذهبه، نجدها فى أكثر الأحايين هى التعبيرات المستخدمة فى محاورات أفلاطون.

لقد درس أوريجانوس الفلسفة اليونانية، وقرأ كتب الفلاسفة اليونانيين، واستوعبها واستخدمها أيضا، واقتبس منها فى كتاباته، وكان يقتدى فى ذلك بأستاذه النابغة اكليمنضس الأسكندرى

santamaria.gypt.org
الذى بلغ به إعجابه بفلاسفة اليونان أنه كان يعتقد فيهم أنهم تلقوا من الوحى الإلهى بعض ماقالوا به من الحق، ولم تكن أقوالهم فى الغالب تتعارض مع شريعة الله (١).

لكن أوريجانوس لا يشارك اكليمنضس حماسه الشديد للفلسفة اليونانية والحكمة البشرية، وليس هناك أمتع من متابعة هذا الخلاف الفكرى بين رئيسى المدرسة اللاهوتية فى الأسكندرية. فبقدر ما كان اكليمنضس ميالا إلى الثقة فى الفلسفة كان أوريجانوس يلح على بطلانها وعدم كفايتها إذا ماقورنت بالوحى الإلهى. يقول أوريجانوس : «إذا امتنعنا عن أن نطلب لمرضانا عونا من فلسفة أبيقور والأطباء الأبيقوريين الذين خلبوا عقولهم، ألا نكون على حق فى ذلك؟ إننا بذلك ننقذهم من المرض القاتل، الذى أرداهم فيه أطباء كلسوس بإنكارهم العناية الإلهية Providence وباعتبارهم اللذة هى الخير الأقصى (SUMMUM BONUM). كذلك أريد أن نمنع الذين جذبناهم إلى معتقداتنا من أن يعودوا إلى استعمال أدوية الفلاسفة الآخرين من أمثال (المشائين) الذين ينكرون العناية الإلهية، وينكرون أى علاقة بين الإنسان وبين الله (والرواقيين) الذين يعتقدون بل ويعلِّمون جهارا بأن الله قابل للفناء. وأن جوهره مادى جسمانى، وأنه قابل للتغير وقابل للتشكل بجميع الشكول ثم يعتقدون أن جميع الأشياء ستفنى، والذين يعلِّمون بتناسخ الأرواح، ويذلون الطبيعة العاقلة حتى يجعلوها تنتقل إلى العجماوات أو إلى جوهر عادم الحس» (٢).

ويضيف أوريجانوس سببا آخر لعدم ثقته بالفلسفة اليونانية، هو عجز هذه الفلسفة عن أن تُصلح من أخلاق تابعيها.. إن من فلاسفة اليونان وحكمائهم من يعلِّمون تعاليم صالحة، ويكتبون فى نبل وسمو عن الخير الأعظم (الأقصى)، لكنهم يذهبون بعد ذلك إلى بيريه PIREE ليبتهلوا إلى (أرطاميس) كما لو كانت إلهة حقيقية. وليشهدوا الإحتفالات والأعياد التى تحتفل بها الجماهير الجاهلة.. يسمعهم الناس يتكلمون كلاما رائعا عن النفس ويصفون سعادتها على الأرض إذا سلكت بالحكمة، ثم يعودون فينسون هذه النظرات العالية التى كشفها الله لهم، ويقعون من جديد تحت تأثير الإحساسات الدنيا والحسيات المنحطة، ويقدمون ديكا ذبيحة لاسكولابيوس ESCULAPE (٣). إن المدافعين عن الفلسفة القديمة بالكاد، يمكنهم أن يذكروا إسمَّي شخصين اهتديا إلى الإيمان الحقيقى وتابا عن أخلاقهما الرديئة هما فيدون PHEDON وبوليمون POLEMON وفيما عدا هذين الإثنين إنساق كل الآخرين إلى حياة الدنس والأنانية ولم يشغلوا أنفسهم بغير مناقشاتهم المذهبية.

---

(١) الرد على كلسوس ٥ : ٣ ثم فى سفر التكوين عظة ١٤ : ٣

(٢) الرد على كلسوس ٣ : ٧٥ قارن أيضا ٤ : ١٤

(٣) الرد على كلسوس ٦ : ٣

santamaria-egypt.org

على أن أوريجانوس، وإن لم يشارك أستاذه أكليمنضس حماسه للفلسفة اليونانية، وكان ينقد الفلاسفة اليونانيين فى حرية تامة، ولا ينفك عن أن يعقد دائما مقارنة بين التعليم المسيحى وتعاليم الفلسفة العالمية الوثنية، مظهرا كمال التعليم المسيحى بإزاء نقص تعاليم الفلاسفة الوثنيين، مع ذلك فمما لاشك فيه أنه قد تأثر بالفلسفة اليونانية وبالفلاسفة اليونانيين، لا فى آرائهم ونظرياتهم التى كان يراها ناقصة بالقياس إلى الغنوسية الحقيقية الكاملة فى تعليم المسيح، ولكنه تأثر بالفلسفة اليونانية والفلاسفة اليونانيين فى طرح المسائل للبحث والمناقشة، وفى منهج البحث والعرض، وفى المنطق الجدلى، وتسلسل البرهان وكشف الأغاليط وما إلى ذلك، مما يدخل ضمن نطاق النظر العقلى، ومساندة العقيدة الدينية بأدلة عقلية يمكن أن يسيغها المفكر الذى لا يؤمن بالدين أو لا يأبه بالأسانيد المنقولة من الكتب المقدسة.

وبالنسبة للدين، كان أوريجينوس يميز فيه بين نوعين من الحقائق :

الحقائق الواضحة المسلمة، والمؤيدة بأسانيد من نصوص صريحة من الكتاب المقدس، ومن التقليد الكنسى المدون فى كتب الكنيسة المعتمدة ـ ثم الحقائق الأخرى التى قد ترد عنها إشارات فى الكتب المقدسة، ولكنها مفتوحة للدراسة ويمكن أن تناقش فى حرية بين المؤمنين.

أما بالنسبة للحقائق الأولى الواضحة والمسنودة بنصوص واضحة صريحة، فكان أوريجينوس يتمسك بها أشد التمسك. وأما فيما عدا ذلك فقد كان يبدو جريئا فى فرض الفروض الكثيرة، وفى فتح باب الاجتهاد، وتخريج المعانى المتسعة غير المتزمته، وهو ما يعرف عند علماء التفسير بالمنهج الرمزى، الذى لا يلتزم ولا يتشدد ولا يتشبث باللفظ فى حرفيته، وإنما يمتد فى فهم اللفظ إلى مدلولات معنوية تبعد قليلا أو كثيرا عن حرفية النص.

أما تأثير أرسطو على أوريجينوس، فأقل ظهورا، ولو أنه من المستحيل مع ذلك إنكاره. فكثيرا ما يبدو أوريجينوس متأثرا بأرسطو فى وضعه للمشكلات الكبرى الخاصة بالإنسان وبالأخلاق، ولو أنه لا يشير إلى أرسطو صراحة. ثم هو يتبنى الحلول التى وردت فى كتاب «فى النفس» DE ANIMA وفى كتاب الأخلاق إلى نيقوماخوس.

والرواقيون يحتلون مكانة كبيرة فى تكميل وعرض مذهب أوريجينوس. ولاشك أن العلامة الأسكندرى أوريجينوس قد قرأ ودرس كتب كريسبوس وزينون، ولابد أن وقعت بين يديه أيضا الكتب المتأخرة التى نجد فيها التطورات التى أدركت النظرات الأولى. خصوصا وقد عاش أوريجينوس فى وسط كان متأثرا جدا بالمذهب الرواقى. فالمصطلحات الفلسفية فى القرن الثالث كانت مليئة بتعبيرات. ترجع فى أصلها إلى تعليم أصحاب الرواق والتى وإن خضعت للإستعمال السائد، لكنها احتفظت بشئ من إستعمالها القديم أو الأول. وعندما يصرح أوريجينوس بآرائه فيما يتعلق بأصل الأشياء وتجديد الأشياء وعندما يعالج موضوع أجزاء النفس البشرية، والحياة الأخلاقية، فإننا نرى عنده صدى المذهب الرواقى.

santamaria.gypt.org
أما المدارس الفلسفية الأخرى فأثرها على تفكيره أقل شأنا، ويعتقد مؤرخو الفلسفة أنه يوجد في مواضع متفرقة من مؤلفاته اقتباسات أكثر أو أقل صراحة، من أبيقور وسكستوس أمبيرتيوس، وإشارات إلى قضايا كارنياد Carneade وكليتوماك Clitomaque، وليس شئ من هذا بعيدا عن التصديق لأن حب أوريجينوس للاطلاع كان حبا لا يعرف حدودا، ولكننا نعلم أيضا أنه كان يصرح باحتقاره لأبيقور وأنه كان يرى فيه معلما للكفر والخلاعة، كذلك نعلم عنه أن مذهب الشكاك Scepticism (e) عند الأكاديمية الجديدة لم يكن يناسب تفكيره الطامح إلى اليقين.

وهنا يجب ألا ننسى أن أوريجينوس يكتب هذا وهو في مجال الدفاع، والرد على المسائل التي يثيرها كلسس، ولكن أكليمنضس لا يمكن أن يكتب على هذا النحو، الذي كتب به أوريجينوس، لأن أوريجينوس لم يكن يثق في الفلاسفة ثقة أستاذه اكليمنضس. لقد كان أوريجينوس لا يرى في الفلاسفة العصمة من الخطأ ثم أنه كان شديد التمسك بالتعليم المسيحي، كلما عمد إلى المقارنة بين التعليم المسيحي وتعاليم الفلسفة العالمية. فقد كان يريد أن تكون آراؤه أرثوذكسية. ولذلك كان دائما لا ينفك عن أن يضبط أفكاره ويحكمها في النطاق الكنسي. أما منهجه فكان منهج البحث الحر.

وإذا كان أوريجينوس ينقد النتائج التي وصل إليها الفلاسفة فلأنه كان واثقا من أن عنده فلسفة أفضل. ولكن لننتبه إلى المعنى الحقيقي المقصود من هذا التعبير. أن المسيحية عند أوريجينوس حكمة، وتؤلف مذهبا متماسكا، حقا أن جميع المؤمنين لا ينظرون إلى المسيحية على هذا النحو، فكثيرون منهم وهم البسطاء أو السذج يكتفون بالإيمان ولكن الكاملين وحدهم هم الذين يتمكنون من الارتقاء إلى الغنوسية (العرفانية) المسيحية. لكن إذا كان البسطاء على يقين من الخلاص فإنهم بعيدون عن الكمال الذي يطمح إليه الغنوسيون. هذا التقسيم للمؤمنين إلى فريقين، موضوع هام في مذهب أوريجينوس ولذلك نفرد له فصلا خاصا به.

santamariagypt.org

أقام اكليمنضس قبل أوريجينوس نظرية واضحة فى التمييز بين الإيمان والغنوسية أو العرفانية. وقد رجع أوريجينوس إلى نفس النظرية، واعتمد عليها فى نظريته فى ثنائية المعانى التى اكتشفها فى الكتب الموحى بها من الله. أما بالنسبة لبسطاء المؤمنين فيكفيهم المعنى المادى. وأما الكاملون فينبغي أن يذهبوا إلى أبعد من هذا وينفذوا إلى الأسرار المختفية وراء الرمز والمجاز. ففى كل مناسبة يعود أوريجينوس إلى هذه الفكرة، ولو أننا نستطيع أن نقرر فى نفس الوقت، أن سامعي مواعظه لم يكونوا يسيغون هذه الفكرة فى غير مشقه كبيرة «يسألون ماذا يريد هذا الباحث عن رموز الكلمات ؟ ما الفائدة من البحث عن المشاكل فى كل مكان من أجل تجنب شرح الشئ المكتوب ؟ كيف يسعى إلى أن يبين لنا أن هناك نجوما بيننا ؟ » (١) يقال لى : لا تستعمل إذن المجاز، لا تفسر بواسطة الرموز (٢) وكثيرا ما يضطر الخطيب إلى أن يدافع عن نفسه ضد الحملات التى تبدو عنيفة جدا «إذا ما شرعت فى فحص كلمات الأقدمين وأن أطلب فيها معنى روحيا، وإذا ما بذلت جهدى فى أن أزيل القناع عن الشريعة وأن أبين أن ما هو مكتوب إنما هو مجازى، فإنى أحفرآباراً. لكن أصدقاء الحرف يرموننى فى الحال بالإتهامات. إنهم ينصبون لى الفخاخ، إنهم يسببون لى الضغائن والاضطهادات بحجة أن الحقيقة لا يمكن أن تنال إلا على الأرض (٣).

هذه المعارضات لم تمنع أوريجينوس من أن يصر على رأيه، فبعد أن ذكر فى كتابه «الرد على كلسس» أن البسطاء الذين كسبتهم الديانة المسيحية يفوقون كثيرا أحكم حكماء الوثنية فى طهارتهم وشجاعتهم عمد إلى أن يثبت أن المسيحية تحتفظ للكاملين بتعاليم سامية : يقول أوريجينوس «أنه من الخير جدا، وفقا لتعليمنا (المسيحى) أيضا، أن نأخذ العقائد بالعقل والحكمة، أكثر مما نأخذها بالإيمان البسيط. فإذا تطلب الكلمة فى بعض الأحوال الإيمان البسيط، فلكى لا يدع الناس بغير عون بالكلية وهذا ما نراه فى كلمات بولس تلميذ يسوع بالحقيقة «لأنه إذ كان العالم فى حكمة الله لم يعرف الله بالحكمة استحسن الله أن يخلص المؤمنين بجهالة الكرازة»(٤) ومن هذا يتضح جليا أنه ينبغي أن يعرف الله فى حكمة الله، ولكن حيث أن ذلك لم يتم فقد سر الله فى الدرجة التالية أن يخلص المؤمنين لا بالجهالة فقط، بل بالجهالة من حيث هى فى الكرازه، وقد فهم بولس ذلك جيدا عندما قال : «نحن نكرز بالمسيح مصلوبا لليهود عثرة ولليونانيين جهالة»، وأما للمدعوين يهودا ويونانيين فالمسيح قوة الله وحكمة الله» (٥).

---

(١) فى سفر اللاويين، عظة ١٦ : ٤ (٢) فى سفر اللاويين عظة ٦ : ٨

(٣) فى سفر التكوين، عظة ١٣ : ٤ قارن «فى سفر العدد عظة ١٢ : ٢

فى سفر المزامير ٣٦ عظه ٥ : ١، فى إنجيل لوقا، عظة ٢٣ (٤)١. كو ١ : ٢١

(٥) (الرد على كلسس ١ : ١٣) مجموعة الأباء اليونانيين مجلد ١١ عمود ٨٠ م – ١. كو ١ : ٢٣، ٢٤.

santamariaegypt.org
هذه التفرقة أو هذا التمييز يمكن أن يكون معقولا . أليس صحيحا فى الواقع أن ليس جميع المؤمنين ملزمين باستعماق التعليم الذى تعلمهم به الكنيسة ؟ إن الغالبية العظمى منهم يكتفون بالإيمان، على نحو عام. ولكن بعضا منهم فقط هو الذى يدرس أو يبحث، لأن علم اللاهوت علم مقصور فى الواقع على صفوة الناس، ولكن يبدو أن أوريجينوس كان يقصد شيئا آخر أقل بساطة ولو أنه أكثر عرضة للجدال والمناقشة.

ففى بعض فصول من تفاسيره وعظاته يتكلم أوريجينوس عن عوام المسيحيين ويصفهم بأنهم قادرون على أكثر تقدير على أن يتقدموا بعض التقدم نحو المعرفة (الغنوسية) أو أنهم أيضا لا يبحثون فيما وراء الحياة العملية وأنهم يكتفون بالتعليم الإعدادى وببعض الكتب الغثة (١). على العكس من ذلك الكاملون فإنهم قادرون على أن يتأملوا الحقائق العالية. وإذا كان من غير الممكن أن يوعظ الجسدانيون إلا بيسوع المسيح مصلوبا، فالمولعون بالحكمة الإلهية يمكن أن يتعلموا عن الكلمة الذى عند الآب. ففى المرتبة الأولى يوضع الذين يشاركون الكلمة الذى كان منذ البدء، وفى المرتبة الثانية يأتى الذين لا يعرفون شيئا إلا يسوع المسيح، ويسوع المسيح المصلوب، ويعتبرون أن الكلمة المتجسد هو كل شئ فى الكلمة ولا يعلمون شيئا إلا المسيح حسب الجسد (٢) أما من جهة فالكورنثيون الذين لا يستطيعون إحتمال إلا لبن الأطفال، ومن الجهة الأخرى فالأفسسيون القادرون على أن يتناولوا طعام الأقوياء (٣).

وإيمان البسطاء يعتمد على المعجزات أما إيمان الكاملين فيعتمد على تأمل الله. يقول أوريجينوس «من المحتمل أن يكون اليهود قد آمنوا بيسوع من جهة الأشياء المنظورة بسبب المعجزات. ولكنهم لم يؤمنوا بالأشياء الأكثر عمقا التى كان يقولها... وقد نجد نفس الاتجاهات عند كثير من الناس. إنهم يعجبون بيسوع عندما يتأملون تاريخه ولكنهم لا يؤمنون به إذا قدم إليهم حديث أكثر عمقا وأعلى منسوبا من منالهم. إنهم يعتبرونه إفكا وبهتانا» (٤).

كذلك الكاملون لأنهم يرون الله على نوع ما ولأن الكلمة قد أثارهم فإنهم يعلمون الحقائق الروحية. يقول أوريجينوس «أن الكلمة بالنسبة إلى الذين هم فى مرحلة التعليم الإعدادى، له عندهم صورة العبد حتى أنه يمكنهم أن يقولوا : لقد رأيناه ولم يكن له صورة ولا جمال. أما بالنسبة إلى الكاملين فهو آت فى مجد أبيه، ويمكنهم لذلك أن يقولوا : لقد رأينا مجده، مجدا كما لابن وحيد لأبيه مملوءا نعمة وحقا» (٥).

---

(١) مختارات من سفر حزقيال ٦ : ٦ ـ مجموعة الآباء اليونانيين مجلد ١٣ عمود ٧٨٥.

(٢) فى يوحنا ٢ : ٣، ٢٧ – ٣١ ـ مجموعة الآباء اليونانيين. مجلد ١٤ عمود ١١٣

(٣) فى حزقيال ـ عظة ٧ : ١٠ مجموعة الآباء اليونانيين ـ مجلد ١٣ عمود ٧٢٦ – ٧٢٧

(٤) فى يوحنا ٢٠ : ٣٠ مجموعة الآباء اليونانيين مجلد ١٤ عمود ٦٤٤

(٥) فى متى ١٢ : ٣٠ – مجموعة الآباء اليونانيين مجلد ١٣ عمود ١٠٤٩

santamariaegypt.org

وفاة أوريجانوس

وفي عام ٢٣٥م ثار اضطهاد مكسيميانوس MAXIMIAN ملك طراقيا ضد المسيحيين، ومع أنه كان إضطهادا محليا لكنه كان شديدا. وقد ضربت كنيسة قيصرية فلسطين فاعتقل القسيس بروتكتيتوس ثم امبروسيوس. وقد وجه إليهما أوريجانوس رسالة مؤثرة بعنوان «الحض على الإستشهاد» وهي تشتمل ضمن محتوياتها على ما سبق فأرسله إلى أبيه ليونيداس عندما اعتقلوه وصادروا أملاكه. ونجا أوريجانوس ولم ينله العذاب فى هذا الإضطهاد، وهناك تواتر ليس له ما يسنده يزعم بأن أوريجينوس لجأ أثناء الإضطهاد إلى قيصرية كبادوكية عند إمرأة مسيحية تسمى يوليانا، وهذا التواتر يفتقر إلى التأييد.

وفي عام ٢٥٠ ثار إضطهاد الأمبراطور ديسيوس DECIUS ولم يكن الإضطهاد فى هذه المرة محليا، وإنما كان حربا شعواء أعلنت على المسيحية ورؤسائها فى كل أنحاء الإمبراطورية للقضاء عليها تماما. فقد كان ديسيوس يمقت المسيحيين مقتا شديدا، ولما كان أوريجانوس من أبرز مشاهير المسيحيين فقد وجه الأمبراطور نحوه إهتماما خاصا، معتقدا أنه إذا قضى عليه تهدم بناء المسيحية بكماله، وكانت آراء أوريجانوس وكتاباته عن الإستشهاد معروفة، فلم ينج هذه المرة، فقبض عليه الوثنيون فى فلسطين، وكان شيخا، وأودعوه السجن وقيدوه وثقلوا عنقه بالحديد، وأذاقوه العذاب ألوانا. عذابات بالحديد، وعذابات بالسجن فى أعماق الحبوس المظلمة، إلى أيام كثيرة. ووضعوا قدميه في جفون حتى الثقب الثالث، وتوعدوه بحرقه بالنار (١)، لعله يكفر بدين المسيح، غير أنه على الرغم من شيخوخته لم تلن له قناة بل ظل صامدا صابرا ثابتا وكأنه الطود الأشم.. وحدث أن مات القيصر ديسيوس سنة ٢٥١م فأطلق سراح أوريجانوس من سجنه، واستأنف نضاله وجهاده، واعظا وكاتبا ومعلما وحكيما إلى سنة ٢٥٤م وكان قد بلغ سن ٦٩ سنة، فمات فى عهد غالوس Gallus فى مدينة صور TYRE بفلسطين، ويعتبر أوريجانوس لذلك بين «المعترفين». و (المعترفون) فى المصطلح المسيحى الكنسى هم الذين ذاقوا آلام الشهداء وعذاباتهم ولكنهم عاشوا بعد ذلك فترة ثم ماتوا.

وقد اهتم المسيحيون فى فلسطين بجثمان أوريجانوس، فدفنوه فى الكنيسة إزاء المذبح، وغطوا القبر بباب من الرخام، وكتبوا على القبر «هنا يرقد أوريجانوس العظيم». ومن ثم أخذ الناس يزورون قبره إلى أمد طويل. ويروى الكاتب غيليوم الصورى أنه شاهد القبر والباب الرخامى فى أواخر القرن الثانى عشر.

---

(١) يوسابيوس كتاب ٦ فصل ٣٩

santamariaegypt.org

من كتاب «المبادىء» للعلاّمَة أورِيجينوسُ

الخطايا العظمى، والبتولية والزواج

تعلمنا الكتب المقدسة، بل وجميع الناس تعرف كذلك، أن الخطايا ليست متساوية، فتقول الكتب أن بعض الخطايا كبير، وبعضها صغير، ولما كانت الخطايا غير متساوية، صغيرة كانت أو كبيرة، فقد يسأل أى هذه الخطايا أعظم الكل... والمعتقد طبعاً أن أعظم الخطايا هى الزنى أو النجاسة أو أى دنس مرده إلى الشهوة، وحقاً أن هذه الخطايا قبيحة وشنيعة، لكنها ليست كتلك الخطية التى يستنكرها الآن الكتاب المقدس... ويعدها أعظم جميع الخطايا... وأنه يجب علينا أن نحترس منها. فما هى إذن أعظم جميع الخطايا؟؟؟... لا شك أنها الخطيئة التى أسقطت الشيطان... وما هى هذه الخطيئة التى تتردى فيها مثل هذه العظمة؟؟... الكبرياء... الغطرسة... الزهو... تلك هى خطيئة ابليس، فبسبب هذه الخطايا سقط من السماء على الأرض لأن الله يقاوم المستكبرين... أما المتواضعون فيعطيهم نعمة» (يع ٤ : ٦).

ولماذا يتكبر التراب والرماد؟ ولماذا يرتفع الإنسان بالكبرياء ناسياً ماهو؟؟ وناسياً أن الوعاء الذى يحتويه والطين الذى غرقٍ فيه سريع الفناء وأن الأقذار لا تنقطع عن جسده؟ وماذا يقول الكتاب المقدس؟ «لماذا يتكبر التراب والرماد» (يشوع بن سيراخ ١٠ : ٩). «وقد أطرح أحشاءه مدة حياته» (يشوع بن سيراخ ١٠ : ١٠).

فالغطرسة هى أعظم جميع الخطايا، إنها خطيئة ابليس العظمى. وعندما يصف الكتاب المقدس خطايا ابليس، يبين أنها تصدر جميعاً من أصل الكبرياء ... لأنه يقول «بقدرة يدىَّ صنعت وبحكمتى لأنى فهيم، ونقلت تخوم شعب ونهبت ذخائرهم، وحطمت الملوك كبطل. فأصابت يدى ثروة الشعوب كعش، وكما يجمع بيض مهجور جمعت أنا كل الأرض» (أش ١٠ : ١٣، ١٤).

أنظر إلى هذه الكلمات، من حيث هى كلمات كبرياء وكلمات غطرسة، وكأنه يعتبر العالم كلا شىء، فهذا هو كل ما يصدر عن الصلف والكبرياء ومادة الكبرياء هى الثروة والمناصب، ومجد الزمان الحاضر.

وغالباً ما تَسَبَّبَ الكبرياء عن الجهل بمعنى الرتب الكنسية ودرجات الكهنوت والشماسية، فكم من كهنة ينسون الإتضاع بعد سيامتهم، كما لو كانوا قد رسموا لكى يتوقفوا عن الإتضاع. كان يجب أن يتوخوا التواضع لأنهم حصلوا على رتبتهم حسب كلمات الكتاب المقدس «ازدد تواضعاً ما أزددت عظمة» (يشوع بن سيراخ ٣ : ١٨ ـ ٢٠). قد انتخبتك الكنيسة، فاحن رأسك بإتضاع. قد أقمت رئيساً فلا ترتفع، بل كن بينهم كواحد منهم، يلزم أن تتضع، ويلزم أن تهان، ويلزم أن

santamariaegypt.org
تهرب من الكبرياء رأس جميع الرذائل، تأمل الإنجيل أى حكم أنزله بالكبرياء والتفاخر...، أما الفريسى فوقف يصلى فى نفسه، اللهم إنى أشكرك لأنى لست كسائر الناس الخاطفين الظالمين الزناة ولا مثل هذا العشار. أصوم مرتين فى الأسبوع وأعشر كل ما اقتنيه وأما العشار فوقف من بعيد وكان لا يشاء أن يرفع عينيه إلى السماء بل كان يقرع صدره قائلاً اللهم أغفر لى فإنى خاطىء (لو ١٨ : ١١ ـ ١٣) فنزل العشار إلى بيته مبرراً، وليس مبرراً على الاطلاق بل بالنسبة إلى الفريسى»(١).

لقد أمرنا النبى هذا الأمر «لا تستكبروا لأن من يرفع نفسه يتضع» لو ١٨ : ١٤ وكذلك الرب بقوله «تعلموا منى فإنى وديع ومتواضع القلب، فتجدوا راحة لنفوسكم» (مت ١١ : ٢٩)، علمنا أن لا نستكبر، هذه الخطيئة هى أكثر جميع الخطايا إنتشاراً بيننا. فنحن أحياناً نستكبر بدون موجب للكبرياء.. ومن دون أن يكون ثمت مجال لفعلها، وقد نتكبر فى أحيان أخرى مدفوعين بأسباب يبدو أنها معقولة أو مناسبة لكنها مع ذلك ليست صحيحة، ولكى أوضح رأيى أقول أن هناك إناساً يتباهون بأنفسهم بأنهم أبناء لبعض الرؤساء أو أنهم ينتسبون إلى عائلات تملك مناصب إجتماعية كبيرة فى العالم. إن هؤلاء الناس يتفاخرون بشىء لا طائل تحته. ولا إرادة لهم فيه، وليس لهم أقل تبرير أو شبه عذر فى تكبرهم على هذا النحو. وهناك إناس يتكبرون لأن لهم سلطاناً على حكم الناس. أو يتكبرون لأنهم يملكون ما يسمونه سيطرة كافية لقطع رقاب البشر... إن مجد هؤلاء «الناس فى خزيهم» (فى ٣ : ١٩)، وآخرون يتفاخرون بغناهم، وليس هو الغنى الحقيقى وإنما هو غنى الأرض. وآخرون يفتخرون مثلاً بامتلاكهم منزلاً جميلاً أو كثيراً من الضياع. وليس شىء من هذا كله مقبولاً، إذ لا يجب التفاخر بهذا كله.

وأكثر تمويها من ذلك، أن يتكبر الإنسان لأنه حكيم أو لأن ضميره لم يتنجس منذ عشر سنين أو منذ طفولته. وآخرون يتفاخرون بأنهم حملوا القيود من أجل المسيح، ولنفترض هنا الاقتناع بأن المتكبر موافق للصواب، وأنه فى هذا كله يمكن أن يتكبر الإنسان من دون أن يخطىء ضد العقل السليم. ولكن ليس الأمر كذلك، إذ ليست الكبرياء أمراً معقولاً (أو مقبولاً) . لقد كان يحق لبولس أن يتكبر بسبب الرؤى التى رآها أو بسبب تأملاته أو بسبب المعجزات أو العلامات التى صنعها. أو بسبب الأتعاب التى تحملها من أجل المسيح، أو بسبب الكنائس التى أسسها جاعلاً مبدأه الأسمى أن يؤسس كنيسة فى موضع لم يكن اسم المسيح يسمى فيه. لقد أعطاه كل هذا مادة ليفتخر، وله فى هذا عذر مقبول، إذا جاز هذا التعبير، حيث أنه يبدو خيراً للبعض أن يتكبروا، ولكن حتى فى مثل هذه الحالة لا يخلو التفاخر من خطر، ولذا فإن الآب الحنون الذى أنعم عليه بالرؤى والتأملات، أعطاه بمثابة عون ونعمة أن يلطمه ملاك شيطان حتى لا يتكبر.

(١) فى حزقيال «عظة ١١ : ٢» طبعة بيرنز Baehrens مجلد ٣ ص ٤٠٨، ١٦ ـ ٣١٠ : ١.

santamariaegypt.org

يحذرنا المرتل من رذيلة تكاد ترديننا جميعاً. وأنا لا أعرف إنساناً لم يدركه هذا الشر، فالإنسان الكامل من الندرة بمكان. يقول المرنم «كف عن الغضب وأترك السخط» (مز٣٧: ٨). إن هناك رذائل يسهل تجنبها كالنجاسة مثلاً يمكن أن يطرحها الإنسان لو أنه سعى جاهداً لأن يحفظ عفته.

وكثيرون بالمثل قهروا البخل، ومع أنهم لم يستطيعوا أن يتخلصوا تماماً من الرذائل الأخرى إلا أنه أمكنهم مع ذلك «أن يتجنبوا هذا الشر (البخل)، وشرورا أخرى معه، لكن رذيلة الغضب تلهب بقسوتها وحدتها حتى الذين يبدو أنهم حكماء بل وتقلقهم .

ويقول سليمان فى الأمثال «أما الحكماء فيصرفون الغضب» (أم ٢٩ : ٨) فلا تدهش إذا اشتعل الغضب فى الأحمق والشرير والخائن. من حيث أنه كثيراً ما يهيج حتى الأخيار والحكماء. فهذه الخطيئة إذن هى إحدى خطايا الذين سيجلبون للبناء خشباً أو قشاً أو عشباً. ومن الضرورى - كما هو مكتوب - أن تمتحن مثل هذه المواد بالنار.

وأن نظل نحن فى النار إلى أن يحترق فينا خشب الغضب وعشب السخط وقش الكلمات التى ننطق بها ونحن فى ثورة هذه الرذيلة، فلتكف إذن عن الغضب، ولتترك السخط أى لا ترض هواك إذا أثارك الغضب، بل أوقفه واحتقره، أما نحن فعلى العكس من ذلك إذا تلقينا هذه الوصية واهتجنا، فلا نكف عن الغضب بل نكف عن الحلم، ولا نترك السخط بل نترك الوداعة. فنشرع منذ الآن على الأقل فى إصلاح أنفسنا وفى أن نطفىء الغضب تدريجياً، وذلك... بالعفة ... والمثابرة على التأمل... حتى نصل إلى أن نبتعد عن الغضب نهائياً.

البتولية والزواج

إذا أردت تفسيراً أخلاقياً (أو أدبياً) لهذا الفصل (لاويين ١ - ١ .. الخ) فلديك أنت أيضاً عجل. عليك أن تقدمه، وهذا العجل هو حقاً تقدمة ثمينة. أنه جسدك. فإذا أردت أن تقدمه هبة للرب، وأن تحفظه عفيفاً طاهراً، فتقدم به إلى باب الخيمة، المكان الذى يمكن أن تسمع فيه الكتب المقدسة. يجب أن تكون هبتك ذكراً لا تعرف الأنثى. وتبتعد عن الشهوة. وتهرب من سهولة الزلل، ولا تسمح بشيء من الفحش أو التخنث. كذلك ضع يدك على ضحيتك لكى تقبل من الرب. اذبحها أمام الرب، أى ضع عليها لجام العفة، ولا تنزع عنها نير التأديب. تمثل بالذى أخضع جسده للنير وقال «أقمع جسدى وأستعبده حتى بعدما كرزت للآخرين لا أصير أنا نفسى مرفوضاً» (١ . كو ٩ : ٢٧) اذبحها أمام الرب. أمت بلا تردد أعضاءك التى على الأرض، وليقدم أبناء هرون الكاهن دمك. يوجد فيك أنت أيضاً كاهن وأولاده. ففيك العقل وميوله. وهو ما

santamariaegypt.org
ندعوه بحق الكاهن وأولاد الكاهن لأن العقل وميوله هى وحدها التى تفهم الله والتى تستطيع معرفة الله.

فالكلمة الإلهية إذن تريد منك أن تتقدم لله بعاطفة مقبولة، وتقدم له جسداً عفيفاً طبقاً لما قال الرسول «ذبيحة حية، مقدسة، مرضية عند الله، عبادتكم العقلية» (رو ١٢: ١) وتقديم الدم على المذبح بواسطة خدمة الكاهن وأولاد الكاهن معناه الطهارة بالجسد والروح، فهناك قوم يقدمون بلا شك أجسادهم محرقة، ولكن لا عن طريق خدمة الكاهن، فهم يقدمونها لا بوحى ضمائرهم ولا بحسب القانون القائم فى فم الكاهن. فهم أعفة بالجسد لكن نفوسهم ليست عفيفة، فإما قد تدنسوا بشهوة المجد البشرى أو تنجسوا بمغريات البخل أو تلطخوا بشر الغيرة والحسد أو تدنسوا بحدة الغيظ أو الحقد أو الغضب. إن أمثال هؤلاء جميعاً، وإن كانت أجسادهم طاهرة لكنهم لا يقدمون محرقاتهم على يدى الكاهن وعن طريقة خدمته، لا تسكن فيهم الحكمة ولا الفطنة التى يتطلبها الكهنوت أمام الله. أنهم من هؤلاء العذارى الجاهلات اللواتى كن حقاً عذارى وقد حفظن عفة الجسد. ولكنهن لم يعرفن أن يضعن فى أوعيتهن زيت المحبة والسلام وسائر الفضائل الأخرى. ولهذا طردن من مخدع العريس. لأن عفة الجسد وحدها لا يمكن أن تبلغ بصاحبها إلى مذبح الرب، إذا لم تكن مصطحبة بالفضائل الأخرى، وبالخدمات الكهنوتية، فنحن الذين نقرأ هذه الأشياء ونعيها يجب علينا أن نهتم بأن نكون أطهاراً فى أجسامنا، مستقيمين فى أرواحنا، أنقياء فى قلوبنا، مهذبين فى أخلاقنا، وأن نتقدم فى أعمالنا، ونصحو بمعرفتنا ونكون كاملين فى إيماننا وأفعالنا وعقولنا وتصرفاتنا، حتى نستحق أن نكون مماثلين لذبيحة المسيح، والذبيحة الحية المقدسة المرضية أمام الله هى أولاً على ما يظهر، جسد بلا دنس، ولكن لأننا نرى بعض القديسين بل وأيضاً بعض الرسل كانت لهم زوجات، فلا يمكن أن نتصور أن هذا قيل عن البتولية، على الرغم من أنها تحتل المرتبة الأولى بين هذه الذبائح، كما كانت فى الناموس ذبيحة الكاهن غير ذبيحة الرئيس غير ذبيحة المجمع غير ذبيحة الفرد العادى. ومهما كان الأمر، فإن الذبيحة الأولى فى الكنيسة بعد ذبيحة الرسل هى ذبيحة الشهداء، والثانية هى ذبيحة البتوليين، والثالثة هى ذبيحة الزهاد. وأنى أعتقد أنه حتى بالنسبة للمرتبطين برباط الزوجية يمكنهم بمقتضى الرضى المتبادل بينهم أن يعكفوا إلى حين على الصلاة كما يفعل الناصريون الذين يوفون نذورهم على هذا النحو، إذا كانوا على الأقل يتصرفون فى سائر الأشياء ببر وقداسة، ويحرصون على قاعدة تقديم أجسادهم كذبيحة حية مقدسة مرضية أمام الله. ثم أن أجساد البتوليين والزهاد. إذا تنجست بدنس الكبرياء وأدران البخل والوقيعة. ونجاسة الكذب، فلا يجب أن تعد كأنها ذبيحة مقدسة مرضية أمام الله، طالما أنها بتولية الجسد فقط. لأنه فى الناموس عندما كانت تقدم الذبيحة كان الكاهن يفحص باهتمام ليس فقط لكى تكون الذبيحة

santamariaegypt.org
المختارة من بين الحيوانات الطاهرة بل وأيضاً أن تكون بلا عيب فى عينيها أو أذنيها أو قدميها فلا يقرب إلى المذبح المقدس حيواناً أعرج أو أعور أو أصم.

ولربما يقول لنا بعض الذين يتوصلون إلى معرفة ناموسنا أن الديانة المسيحية تعلم بمحبة الطهارة، حتى أنها تقول بأن يقطع الإنسان كل صلة بالمرأة إذا كان ذلك ممكناً، والواقع أن الرسول يقول بصريح اللفظ «حسن للرجل أن لا يمس إمرأة» (١. كو ٧ : ١)، لقد كان لألقانا وهو الرجل البار الذى يقدمه لنا الكتاب المقدس مثلاً، إمرأتان فى وقت واحد، المرأة التى دعيت الأولى وهى حنة ولم يكن لها ولد، وعلى العكس من ذلك فننة كان لها أولاد كثيرون. وكان لها أنصبة كثيرة، وبينما أن الأولى لم تحصل إلا على نصيب واحد لأنها كانت وحيدة، وكانت تشكو عقمها. أفهل يجب إذن أن نشكو نحن أيضاً لأنه ليس لنا أولاد. وهل يجب أن تحزن عذارانا لأنهن يعشن بغير أولاد؟

إنى أتكلم على هذا النحو باسم الذين لم يبحثوا بحثاً كاملاً فيما يرد فى كتب العهد القديم والذين اعتادوا على أن ينساقوا لوساوسهم. أما بالنسبة إلينا، فحيث أننا نحاول أن نشرح نصاً صعباً (عسيراً) وأن نكشف لآذان الكنيسة ما هو مستور بحجاب. لأنه على قول الرسول، قد وضع حجاب على قراءات العهد القديم. وإنى أبتهل إليكم جميعاً أن تطلبوا من الرب فى صلواتكم، أن يتفضل فيرفع الحجاب الذى يستر عنا الدرس الذى نحن بصدده.

إن فننة تعنى التوبة، وحنة تعنى النعمة، وكل واحد منا إذا كان ينبغى أن يصير ملكاً لله، يجب أن يخدم هاتين العروسين، ويتزوج منهما يجب أن نأخذ أولاً بأنبلهما وأكرمهما وهى النعمة، فالنعمة فى الواقع هى أول عطايا الإيمان، كما يقول الرسول لأنكم بالنعمة مخلصون بالإيمان (أف ٢ : ٨)، وبعد ذلك يلتصق بالثانية، وهى فننة أى التوبة. لأنه بعد نعمة الإيمان يأتى إصلاح الأخلاق وتوبة الحياة. هذا هو ترتيب الزواج لكنه ليس ترتيب الولادة.

santamariaegypt.org

هل من إنصاف للعلامة أوريجينوس؟

سؤال من السيد / ناصر صادق نصر - مصر الجديدة.

يقول سمعت كثيراً وقرأت عن أوريجينوس الذى تدعوه كنيستنا باسم العلامة أوريجينوس، بينما أن هناك كتباً أخرى لا تؤيد هذا الرأى، بل تدعوه هرطوقياً وتنسب إليه آراء هرطقية، هذا إلى أنه فسّر قول الإنجيل «ويوجد خصيان خصوا أنفسهم» تفسيراً حرفياً. وبالفعل خصى نفسه، ثم أنه نال شرطونية من غير أسقفه. ولذلك فإننى أرجو أن أعرف القول الفصل فى موضوع أوريجينوس الذى اختلفت حوله الآراء؟

الجواب :

سيظل موضوع أوريجينوس مشكلة معقدة لا حلّ لها يرضى جميع الأطراف، وسيبقى مسألة غامضة لا يجلوها إلاّ الله نفسه فى يوم الحساب العظيم.

والأمر الذى لا شك فيه، ولا جدال حوله، هو عبقرية أوريجينوس، وشخصيته الفذة التى جمعت فأوعت: روحانية عميقة، وعلما واسعاً، وعقلاً جباراً، وأستاذية نادرة، ورجلاً مكملاً بالفضائل الأخلاقية والذهنية والعلمية، بصورة يتيمة لا تتكرر فى التاريخ إلاّ فى حقب متباعدة تفصل بينها قرون وأجيال...

والمعروف عند جميع الدارسين، أن كل الذين تتلمذوا على العلامة أوريجينوس من آباء الكنيسة الكبار، كانوا معجبين به كل الإعجاب، ولقد أثنوا عليه فى كتاباتهم ثناء عاطراً نادراً، ومدحوه مدحاً سخياً وبغير تحفظ، ولقد حمدوا له صفاته الشخصية الروحية كما حمدوا له عبقريته الفكرية اللاهوتية، وحمدوا له أيضاً غيرته المسيحية الأرثوذكسية، وذكروا له بالإعجاب والفخر مقاومته للآراء الهرطقية، فضلاً عن المذاهب الفلسفية الوثنية المنتشرة فى زمانه، ومن بينها مذهب كلسوس Celsus الفيلسوف الأبيقورى الكبير، الذى تزعم مهاجمة المسيحية وكان يسخر منها، فانبرى له أوريجينوس بالبيان الشفاهى والكتابى حتى انهزم كلسوس أمام قوة حجته، وأعلن إقتناعه بدين المسيح، واعتنق المسيحية ووضع فى تأييدها كتبا.

ومن بين الهرطقات التى قاومها أوريجينوس بدعة ضد خلود النفس انتشرت فى بلاد العرب فى أيام فيلبس العربى، فذهب إليها، وحضر فيها مجمعاً واستطاع أن يهدى الضالين، وأن يواجه الهراطقة بالدليل والبرهان حتى أجهز على تلك البدعة وقضى عليها.. وغير ذلك الكثير صنعه أوريجينوس، وله الفخر أنه استطاع أن يرد إلى الإيمان الأرثوذكسى بريل أسقف البصره.

ولم يكن أوريجينوس، ذلك العبقرى الفذ، هو أعظم قادة الفكر بين المصريين وحدهم، ولا بين الأجانب المقيمين فى مصر فحسب، بل كان أعظم أهل زمانه فى كل بلاد الشرق، والغرب

santamariaegypt.org
أيضاً... حتى أنك لا تفتح كتاباً أو دائرة معارف شرقية أو غربية إلاّ وتجد اسم أوريجينوس يحوطه الإعجاب والإحترام والتقدير العظيم.. وهو يوصف عادة بأنه ألمع لاهوتى فى زمانه، ومن أعظم قلة معدودة فى تاريخ المسيحية بأسرها، أنه فاق فى شهرته أساتذته الأفذاذ، وقفز اسمه إلى قمة الشهرة التاريخية، وصار يعرف بـ (دكتور) الكنيسة الجامعة.

على أنّ مشكلة أوريجينوس الحقيقية هى عبقريته. أن عبقريته جعلت إنتاجه الخصب أبعد من مناله، فلم يكن له وقت ليراجع أعماله،... وأكثر كتاباته وربما كلها لم يكتبها بقلمه.. لكن كان له جيش من الهواة والأتباع والتلاميذ، بعضهم يكتب بقلم سريع ما يمليه عليهم الأستاذ العظيم، وبعضهم كان يأخذ ما يكتبه أصحاب القلم السريع (الإختزال) وينسخونه فى صحائف بخط واضح جميل... ولم يكن لأوريجينوس وقت يراجع فيه أقواله والكتابات التى ينقلها عنه بعض تلاميذه، ولا المخطوطات المنسوخة بالخط الواضح الجميل... ومع إمتداد حياته زاد إنتاجه الخصيب حتى صار يضم ألوفاً من الكتب، ولقد قال عنه القديس أبيفانيوس أسقف قبرص: أن قارئاً مهما كان واسع الاطلاع، لا يسعه الإلمام بكل مؤلفات أوريجينوس، لأن له أكثر من ستة آلاف كتاب...

وإذن فقد كان أمراً متوقعاً أن تحتوى الكتابات التى تحمل اسم أوريجينوس على أخطاء. ولا نعلم إذا كانت هذه الأخطاء هى من عمل تلاميذه أصحاب القلم السريع (الإختزال) أم من عمل تلاميذه النساخ، أم من عمل الفريقين معاً، كل فريق أسهم فى بعض تلك الأخطاء التى نسبت إلى أوريجينوس، مما احتوته الكتابات التى تحمل اسمه....

يضاف إلى هذا أنه كان من عادة بعض الهراطقة فى الأزمنة القديمة أن يقحموا آراءهم الهرطقية فى صلب كتابات عالم فذ مثل أوريجينوس، فى النسخة الخطية التى ينسخونها من تواليفه، وذلك لكى يكسبوا تأييدا لأفكارهم عند جمهور عريض من الناس يحترمون اسم أوريجينوس.

وإنصافاً لأوريجينوس، نقول، أنه هو نفسه كان يتنبه أحياناً لبعض أخطاء وقع فيها أو زل فيها لسانه: من ذلك رأيه فى أن نفوس الناس، أى أرواحهم، كانت موجودة وجوداً سابقاً قبل حلولها فى أجسادها بالولادة، وأنها لأخطاء ارتكبتها فى حياتها السابقة، عوقبت بأن حبست فى أجساد، لعلها بهذا الحبس فى الجسد ومعاناتها فى الأرض، تكفر عن خطاياها السابقة، ثم بهذا تتطهر فتعود إلى العالم الآخر مطهرة ... نقول أن هذه الفكرة أخذها أوريجينوس عن أفلاطون فى (نظرية المثل) ويبرهن عليها من الإنجيل بسؤال تلاميذ المسيح لمعلمهم عن المولود أعمى «هل أخطأ هذا .... حتى ولد أعمى» (يوحنا ٩ : ١، ٢) لكن أوريجينوس عاد واعتذر عن هذا الرأى، وأعلن عدوله عنه...

santamariaegypt.org

ومهما يكن من أمر، فهناك آراء خاطئة نسبت إلى أوريجينوس ووجدت فى كتاباته، ولكننا لا نعلم على وجه اليقين إذا كانت هذه الآراء الخاطئة مردها كلها أو بعضها إلى التلاميذ الذين كتبوا ففاتهم فكر الرجل فعبروا عنه خطأ، أو فاتتهم عبارات أو كلمات، فجاءت كتاباتهم صورة شوهاء لما قاله العالم الكبير، أو أن هذه الأخطاء جاءت من عمل النسّاخ الذين بحسن نية أو بسوء نية أضافوا أو حذفوا، فجاءت كتاباتهم مشتملة على أخطاء، صار أوريجينوس مسئولاً عنها، لأنه لم يكن لديه وقت لمراجعتها وتصحيحها. ولقد أمكنه - كما قلنا - أن يصحح بعضها، ولكنه لم يمكنه أن يصحح كل ما اتهمه به خصومه فيما بعد.

أما أنه خصى نفسه فهذه حقيقة، ولقد اضطرت الكنيسة أن تقف منه فى هذا الخطأ موقفاً حازماً. لقد تساهلت مع سمعان الخراز أو الدباغ الذى خلع عينه بالمخراز عندما أعثرته إمرأة ساقطة عرّت ساقها أمامه، لكن سمعان رجل بسيط، ولا يقتدى بعمله أحد نظراً لبساطته، أما أوريجينوس فهو علامة ومعلّم عظيم يمكن أن تتبعه الألوف. فكان لابّد من موقف حازم يعلن أن تصرف أوريجينوس كان تصرفاً خاطئاً حتى لا يتبعه فى عمله آخرون فيخصون أنفسهم مثله...

إن حرم الكنيسة لأوريجينوس مأساة تاريخية. ومع ذلك ليس فى مقدورنا الآن أن نصنع شيئاً لإعادة محاكمة أوريجينوس أو مراجعة الحكم عليه، لأن معلوماتنا عنه ناقصة فلم يبقَ من كتاباته إلاّ القليل، وفقد منها الكثير، ولسنا نستطيع أن نستعيد أحداث التاريخ بصورتها الحية التى عاشها المعاصرون لها، بما أحاطها من ظروف وملابسات ومفاهيم إجتماعية.

أن موضوع أوريجينوس، إذا أردنا إنصافاً له وللحقيقة، أن نستودعه يد الله الحاكم العدل، وهو الحق والحقيقة... وعزاؤنا أن أحكامنا على الأرض أحكام ابتدائية، ولكن هناك بعد الموت محكمة استئناف عليا، وفى يوم الحساب العظيم سيصير الحكم العدل الذى لا نقص فيه، وأمامه سيستدّ كل فم (رومية ٣ : ١٩).

فلنترك قضية أوريجينوس بما فيها من حق ومن ظلم، بين يدى الله الديان العادل الذى «سيجازى كل إنسان على حسب أعماله» (متى ١٦ : ٢٧)، (رومية ٢ : ٦).

أماّ نحن، فلا نملك إلاّ الإعجاب بكل صفات أوريجينوس الجميلة، ونحنى هاماتنا أمام عبقريته العظيمة، ونثنى على ما أسداه لنا ولكل الأجيال من خدمات ومعارف، مترحمين عليه، نسأل له الغفران عما عساه أخطأ فيه عن غير علم. فالله وحده المعصوم من الخطأ.

santamariaegypt.org

الفيلسوف

القديس أوغسطينوس

saintamariaegypt.org

الفيلسوف القديس أوغسطينوس

يعد القديس أوغسطينوس أشهر وأعظم جميع الآباء الذين كتبوا باللغة اللاتينية سواء من الناحية الأدبية والفلسفية أو من الناحية اللاهوتية. وقد سيطر اسمه على الفكر الغربى حتى القرن الثالث عشر، وإن لم يفقد بريقه ولمعانه بعد ذلك على الرغم من الاتجاه الأرسطالى الذى إنتحاه توما الأكوينى ومدرسته، لأن تلك النزعة الأرسططاليسية لم تستطع أن تحط من قدر القديس أوغسطينوس أو تقلل من شأنه. لذلك كانت دراسة مذهب أوغسطينوس ضرورية لمعرفة تيارات الفكر فى العصور الوسطى. ونحن لا نزعم أننا نستطيع هنا أن نعالج هذا المذهب المعالجة الكاملة التى يستحقها، فلا أقل من أن نتكلم عنه فى شىء من الإيجاز.

ولد أوغسطينوس فى طاجسطا Tagasta فى مقاطعة نوميديا Numidia (١) فى ١٣ نوفمبر سنة ٣٥٤م من أب وثنى يسمّى باتريشيوس Patricius وأم مسيحية هى القديسة مونيكا Monica، وقد ربته أمه تربية مسيحية، ولو أنها أجّلت معموديته بسبب إعتقاد خاطىء كان يسيطر على تفكيرها، فقد خشيت أن يعود ابنها فيتدنس بالخطيئة بعد معموديته(٢) ودرس القديس أوغسطينوس فى طفولته مبادىء اللغة اللاتينية والحساب على مدرس فى مدرسة طاجسطا، ولكنه كان يميل إلى اللعب أكثر مما يميل إلى الدرس. أما اللغة اليونانية التى بدأ يتعلمها فيما بعد، فقد كان يكرهها، ولو أنه كان يهوى أشعار هوميروس من حيث هى قصة. فليس صحيحاً أن أوغسطينوس كان يجهل اليونانية، ولكن الصحيح أنه لم يكن يقرأ اليونانية بسهولة.

وفى نحو سنة ٣٦٥م ذهب أوغسطينوس إلى مدينة مدورا Madaura وهناك أرسى أساس معرفته بآداب اللغة اللاتينية وقواعدها. وكانت مدورا لا تزال مدينة وثنية بالمعنى العريض. وكان للجو العام، بل ولدراسته للأدب اللاتينى القديم كان لهذا كله أثر واضح فى فصل الصبى أوغسطينوس عن إيمان أمه، فصلاً لم يستطع العام الذى قضاه أوغسطينوس فى طاجسطا عاطلاً عن أى عمل، وهو عام ٣٦٩ - ٣٧٠، أن يقلل من قوته أو شدّته. وفى سنة ٣٧٠ مات أبوه بعد أن صار مسيحيا، وبدأ هو فى دراسة الخطابة وذلك فى مدينة قرطاجنة وهى أكبر مدينة كان هو قد رآها. وهناك تأثر بطرق الخلاعة التى كانت سائدة ومنتشرة فى تلك المدينة، وهى ميناء شهير كما أنها قاعدة الحكومة فى ذلك الوقت، كما تأثر بالطقوس القذرة التى ارتبطت بها تلك الديانات والعبادات المستوردة من بلاد الشرق، هذا إلى أن أوغسطينوس نفسه كان قد أصبح رجلاً، وكانت تسوقه أهواء جامحة وشهوات عنيفة. كل هذه العوامل مجتمعة أدت

(١) وتدعى الآن سوق الأخرس فى بلاد الجزائر.

(٢) راجع كتاب الاعترافات للقديس أوغسطينوس. الجزء الأول فقرة ١٧.

santamariaegypt.org
إلى عزوفة عن أخلاقيات المسيحية ومثلها الروحية العليا، بل ولقد اتخذ أوغسطينوس له محظية عاشرها مدة تزيد على عشر سنين، وأنجب منها ابناً، وذلك فى السنة الثانية لوجوده بمدينة قرطاجنة، ولكن على الرغم من حياته المعوّجة الشاذة لم يهمل أوغسطينوس دراسته أبداً. بل كان فى الحقيقة طالباً ناجحاً جداً وموفقاً غاية التوفيق ولا سيّما فى الخطابة.

وحدث بعد ذلك أن قرأ أوغسطينوس كتاب شيشرون المسمى Hortensius (وهو اسم خطيب مشهور فى زمان شيشرون)، فإقتنع بوجوب البحث عن الحقيقة وقاده هذا إلى إعتناق مذهب المانوية (الذى أسسه مانى فى القرن الثالث، وقد نشأ المذهب فى بلاد الفرس، وكان خليطاً من عناصر فارسية ومسيحية) ذلك لأنه بدا لأوغسطينوس فى تلك المرحلة من حياته الفكرية أن مذهب المانوية يمثل فى نظره الحقيقة كما يقبلها عقله، إذ قارنها بتعاليم المسيحية وهى فى رأيه حينذاك تعاليم بربرية وغير منطقية، فالمسيحيون يؤمنون بأن الله هو الذى خلق العالم بأسره ويؤمنون أيضاً أن الله خير، فكيف يمكنهم إذن أن يفسروا وجود الشر والألم؟ أما المانويون فينادون بنظرية ثنائية مؤداها أن هناك مبدئين أساسيين، مبدأ للخير وهو مبدأ النور وهو الله أو أرموزد Ormuzd ، ومبدأ للشر، وهو مبدأ الظلام وهو اهريمان Ahriman هذان المبدأن أزليان أبديان. والصراع بينهما أزلى أبدى، وهو صراع قد انعكست صورته فى هذا العالم الذى هو نتاج المبدئين فى نزاع متبادل. فالنفس فى الإنسان، وهى تتألف من النور، هى من عمل مبدأ (إله) الخير، بينما أن البدن وهو يتألف من مادة أكثر كثافة هو من عمل مبدأ (إله) الشر. وقد راق هذا المذهب فى عينى أوغسطينوس إذ بدا له أنه يفسر مشكلة الشر، ونظراً أيضاً لأنه مذهب مادى فى جوهره. ذلك أن أوغسطينوس لم يستطع مع ذلك أن يتصوّر وجود حقيقة غير مادية لا تدرك بالحواس. ولما كان أوغسطينوس يعرف فى نفسه الأهواء والميول والرغبات الحسية فرأى أنه يمكنه إذن أن ينسبها إلى علّة شريرة خارجة عن نفسه. ثم أنه على الرغم من أن المانويين قد حرموا المعاشرة الجنسية وأكل اللحوم وأمروا بأعمال النسك كالصوم مثلاً إلاّ أن هذه الأعمال أو الممارسات كانت حتمية بالنسبة إلى المختارين، لا بالنسبة إلى السماعين الذين كان أوغسطينوس فى مثل مستواهم.

فأوغسطينوس إذن قد ابتعد عن المسيحية من الناحيتين الأخلاقية والذهنية. وفى سنة ٣٧٤ رجع إلى طاجسطا Tagasta وهناك أخذ يعلّم النحو وآداب اللغة اللاتينية لمدة عام واحد. وافتتح بعد ذلك مدرسة للخطابة فى قرطاجنة. وذلك فى خريف سنة ٣٧٤م. وعاش هناك مع محظيته وطفلهما أديوداتوس Adeodatus وحدث فى هذه الفترة أنه نال جائزة الشعر عن قطعة شعرية أو دراما لم يبق منها شىء حتى الآن وطبع كتابه الأول نثرا وهو «فى الجميل والملائم» De pulchro et apto.

santamariaegypt.org

واستمر أوغسطينوس فى قرطاجنة إلى سنة ٣٨٢م. وحدث قبيل سفره إلى روما حادث على جانب من الأهمية. كان أوغسطينوس قد اعترضته صعوبات ومشكلات لم يجد لها عند المانويين جواباً، مثلاً مشكلة مصدر اليقين فى الفكر الإنسانى، ثم لماذا كان مبدءا الخير والشر فى صراع أزلى أبدى... الخ وحدث أن جاء إلى قرطاجنة أسقف مانوى مشهور يسمى فاوستوس Faustus فصمم أوغسطينوس على أن يبحث معه تلك الإشكالات التى اعترضته لعله يجد منه حلاً مرضياً لها، ولكنه لم يجد فى كلمات الأسقف المانوى ما يرضي عقله أو يقنعه. ولهذا فإنه عندما شرع فى السفر إلى روما كان إيمانه فى المانوية قد اهتز بعض الشيء. ورحل أوغسطينوس إلى روما لأن الطلبة فى قرطاجنة كانوا فظاظاً خشنى الأخلاق ومن العسير ضبطهم وقيادتهم، بينما أنه سمع أخباراً جميلة عن سلوك الطلاّب فى روما، وأيضاً لأنه كان يطمح إلى نجاح أعظم فى حياته وذلك فى عاصمة الأمبراطورية. ولما وصل أوغسطينوس إلى روما فتح مدرسة للخطابة ولكن مع أن الطلاّب كانوا مؤدبين وكان تصرفهم حسناً فى فصول الدراسة إلاّ أنه كانت عندهم عادة سيئة، وهى أنهم يتركون المدرسة إلى مدرسة أخرى مباشرة قبل الموعد المحدد لدفع المصروفات المقررة. وبناء على ذلك سعى للحصول على منصب أستاذ للخطابة فى البلدية فى ميلان Milan وقد حصل عليه بالفعل فى سنة ٣٨٤م ولكنه لم يترك روما إلاّ بعد أن فقد معظم إيمانه بالمذهب المانوى، وكان قد مال بالتالى إلى مذهب الشك الأكاديمى Academic Scepticism ولو أنه لم يزل منضماً بالاسم إلى المذهب المانوى وكان لا يزال مقتنعاً ببعض مبادىء المانوية ومنها على الخصوص مذهبهم المادى.

وفى ميلان Milan بدأ ينظر أوغسطينوس إلى الديانة المسيحية نظرة أفضل، وذلك بفضل عظات القديس أمبرسيوس أسقف ميلان والتى كان يلقيها عن الكتاب المقدس، ومع أن أوغسطينوس كان مستعداً أن يصبح مرة أخرى فى عداد الموعوظين إلاّ أنه لم يكن مقتنعاً بعد بصحة الديانة المسيحية. ثم أن أهواءه كانت عنيفة وشديدة بحيث لا تسمح له أن يقبل أخلاقيات المسيحية. ورغبت له أمه أن يتزوج من فتاة معينة، مؤملة أن يصلح الزواج من حياته، ولما لم يكن فى إمكانه أن ينتظر تلك الفتاة التى أرادتها له أمه وقتاً طويلاً. تعجل واتخذ له محظية أخرى بدلاً من تلك التى أنجب منها ولده أديوداتس Adeodatus ، ثم انفصل عن محظيته الثانية هذه آسفاً بسبب زواجه من الفتاة التى اقترحتها عليه أمّه. وحدث فى هذا الوقت أن قرأ أوغسطينوس بعض رسائل أفلاطونية فى ترجمتها اللاتينية التى قام بها فيكتورينوس Victorinus وكانت هذه الرسائل على الغالب هى اينياديات Enneads أفلوطين. وكان للأفلاطونية المحدثة أثر واضح على أوغسطينوس فقد خلصته من أغلال المذهب الماديّ ومكنته من أن يقبل الحقيقة غير المادية. وزيادة على ذلك فإن مذهب أفلوطين فى الشر باعتباره عدما وسلبا، وليس

santamariaegypt.org

شيئاً إيجابياً أبان له كيف يمكن أن تحل مشكلة الشر من دون حاجة إلى الرجوع لفكرة الثنائية التى نادى بها مذهب مانى الذى قال بإلهين، أحدهما للخير والثانى للشر. وبعبارة أخرى فإنه كان للأفلاطونية الجديدة دور هام فى هذه الفترة من حياة أوغسطينوس، هو أنها مكنته من أن يدرك أن المسيحية ديانة معقولة، وعلى ذلك بدأ يقرأ العهد الجديد، وخصوصاً رسائل القديس بولس الرسول. فإذاً كان فضل الأفلاطونية الجديدة عليه هو أنها أوحت إليه بالتأمل فى الروحانيات، وفى الحكمة بمعناها العقلى، فإن العهد الجديد كشف له كيف يلزمه أيضاً أن يحيا حياة مطابقة للحكمة.

وقد تأيدت هذه الإنطباعات فى نفسه بفضل مقابلته لرجلين اسم أحدهما سيمليكيانوس Simplicianus وأسم الآخر پونتيتيانوس Pontitianus . أما أولهما فقسيس شيخ حكى لأوغسطينوس قصة توبة فيكتورينوس Victorinus واهتدائه من الأفلاطونية الجديدة إلى الديانة المسيحية، الأمر الذى نجم عنه أن إلتهب (أوغسطينوس) برغبة حارة فى أن يفعل هو أيضاً ما فعله فيكتورينوس. هكذا قال أوغسطينوس فى إعترافاته(١) . أما الثانى وهو بونتيتيانوس فقد روى له حياة القديس أنطونيوس الكبير مما جعله ينظر إلى نفسه وإلى حياته الأخلاقية نظرة إحتقاراً وإشمئزازاً (٢) وبعد ذلك. مرّ أوغسطينوس بصراع نفسي عنيف، بلغ ذروته فى حادثة مشهورة وقعت لأوغسطينوس فى حديقة منزله حين سمع صوت طفل يصيح من أعلى سور الحديقة ويردد القول: خذ وأقرأ.. خذ واقرأ Tolle Lege.. Tolle Lege ففتح العهد الجديد كيفما اتفق وقرأ كلمات القديس بولس الواردة فى رسالته إلى كنيسة الله التى فى رومية «لنسلك بلياقة كما فى النهار لا بالبطر والسكر، لا بالمضاجع والعهر، لا بالخصام والحسد، بل البسوا البر بيسوع المسيح، ولا تصنعوا تدبيراً للجسد لأجل الشهوات» (٣) . فكان لهذه الكلمات أعمق الأثر على نفسه، فصمم على التوبة تصميماً تاماً (٤) .

ومن هذا كله يتضح جلياً أن توبة أوغسطينوس كانت توبة روحية أخلاقية، وكانت تحولاً فى إرادته بعد أن تحوّل فى أفكاره وآرائه. لقد قرأ أوغسطينوس كتب الأفلاطونية الجديدة، فكانت قراءته لهذه الكتب سبباً فى تغيير أفكاره ونظراته العقلية، أمّا توبته الروحية والأخلاقية من الناحية الإنسانية، فقد مهدت لها مواعظ القديس أمبروسيوس وأحاديث كل من سيميليكيانوس ثم بونتيتيانوس، ولكنها تأيدت وتثبتت بقراءته للعهد الجديد. ومما زاد ألمه وصراعه النفسى وهو

(١) الإعترافات. جزء ٨ فصل ٥: ١٠

(٢) الإعترافات. جزء ٨ فصل ٧ : ١٦

(٣) رومية ١٣: ١٣، ١٤

(٤) الإعترافات جزء ٨ فصل ٨ ـ ١٢

santamariaegypt.org

فى مرحلة التوبة من الناحية الروحية والأخلاقية، أنه كان يعرف ما يجب عليه أن يفعله، ولو أنه من ناحية أخرى كان يشعر بأنه عاجز عن أن يفعل شيئاً، ومع ذلك عندما قرأ كلمات القديس بولس الرسول وهو فى الحديقة، وقع تحت تأثير النعمة وسلم نفسه لإرادة الله فتغيرت حياته وكان ذلك فى صيف سنة ٣٨٦م.

وأراد أوغسطينوس أن يستقيل من منصب الأستاذية نظراً لإصابته بمرض الرئة وما كان يعانيه من ألم، وذهب إلى كاسيكياكم Cassiciacum وهناك أخذ يقرأ ويفكر ويناقش بعض الأصدقاء محاولاً أن يصل إلى فهم أصح للديانة المسيحية وكانت وسيلته فى ذلك استخدام مدركات ومقولات مستقاة من الفلسفة الأفلاطونية الجديدة، فقد كانت نظرته إلى الديانة المسيحية لا تزال نظرة ناقصة نقصاً فاضحاً، ومشرّبة إلى أبعد حد بالفلسفة الأفلاطونية المحدثة، فى هذه الفترة من حياته كتب أوغسطينوس كتبه الثلاثة «الرد على الأكاديمين Con-tra Academicos» ثم «فى الحياة السعيدة De Beata Vita» ثم «فى النظام De Ordine» ولما عاد أوغسطينوس إلى ميلان وضع كتابه «فى خلود النفس De Immortalitat Animae» . كما كتب فى هذا الوقت كتاب «المناجاة Soliloguia» (مناجاة النفس للنفس) وشرع أيضاً فى تأليف كتاب «فى الموسيقى De Musica» وفى يوم السبت الكبير (سبت النور) من عام ٣٨٧ نال أوغسطينوس سر العماد على يد القديس أمبروسيوس، وبعد ذلك شرع مباشرة فى العودة إلى أفريقيا، وحدث فى تلك الأثناء أن ماتت أمه فى أوستيا Ostia بايطاليا حيث كانت فى إنتظار المركب الذى يقلهما إلى أفريقيا فأرجأ أوغسطينوس عودته إلى أفريقيا، وأقام فى روما حيث وضع كتابه «فى حرية الإرادة De libero arbitrio» و «عظمة النفس De Quantitate Animae» و «أخلاق الكنيسة الجامعة وأخلاق المانويين De moribus ecclesiao Catholicae et de moribus Manichaeorum».

وفى خريف عام ٣٨٨ أبحر إلى أفريقيا.

ولما عاد إلى طاجسطا أسس جماعة رهبانية صغيرة. وفيما بين ٣٨٨ - ٣٩١م وضع ثلاثة من كتبه وهى «فى سفر التكوين رداً على المانويين Dw Genesi contra Manichaeos» وكتاب «المعلم De Magistro» ، وكتاب « فى الديانة الحقيقية De Vera Religione» ثم أكمل كتابه «فى الموسيقى De Musica» ، ومن المحتمل أن يكون قد هذّب أو أكمل كتابه «فى الأخلاق De Moribus» ، الآنف الذكر. وفى كاسيكياكوم Cassiciacum صمم أوغسطينوس على عدم الزواج إطلاقاً، ولم يكن أوغسطينوس يرغب فى رسامته كاهناً، ومع ذلك فقد رسمه أسقف هيبو Hippo قسيساً رغم إرادته، وكان ذلك فى عام ٣٩١م، عندما زار أوغسطينوس هيبو ذلك الثغر الذى يبعد نحو مائة وخمسين ميلا إلى الغرب تماماً من قرطاجنة. وطلب

santamariaegypt.org

الأسقف معاونة أوغسطينوس له فاستقر أوغسطينوس فى هيبو وأسس هناك ديرا، وشغل بالنزاع مع المانويين، وألف كذلك كتاب «فى فائدة الإيمان» De utilitate credendi وكتاب «فى النفسين De duabus animab us" «وكتاب «النزاع على الثروة Disputatio Contra Fortunatum وكتاب «فى الإيمان والرمز» De Fide et Symbolo «ثم محاضرة عن قانون الإيمان» ألقاها أوغسطينوس أمام مجمع من أساقفة أفريقيا، وكتب المزامير رداً على فريق من الدوناتيين Psalmus Contra Partem Donati ثم شرع أوغسطينوس فى تأليف تفسير حرفى على سفر التكوين Genesis ، ولكنه لم ينجزه كما يدل على ذلك اسمه و «كتاب ناقص فى رسالة عن سفر التكوين » De Genesi ad litteram Liber imperfectus «كذلك كتاب «فى مختلف المسائل» De diversis queestionibus « ٣٨٩ ـ ٣٩٦ وكتاب «الرد على أديمانتوس المانوى» Contra Adimantum Manichaeum «وكتاب «عظة الرب على الجبل» De sermone Domini in monte وكتاب «فى الكذب» Se Mendacio وكتاب «فى العفة «De Continentia «، وتفاسير مختلفة على رسالة ماربولس إلى الكنيسة فى رومية، ورسالة إلى الكنيسة فى غلاطية، كل هذه الكتب كتبها أوغسطينوس فى أوائل حياته الكهنوتية» .

وفى ٣٩٥/٣٩٦م رسم أوغسطينوس أسقفاً مساعداً على مدينة هيبو، فأقام فى مقره مؤسسة رهبانية أخرى، وذلك بعد زمن قصير من رسامته أسقفاً. فلما توفى ڤاليروس Valerius أسقف هيبو فى سنة ٣٩٦م، أى فى مدى سنة من رسامة أوغسطينوس أسقفاً مساعداً، أصبح أوغسطينوس أسقفاً حاكماً على هيبو بدلاً من ڤاليريوس، وظل فى منصبه إلى يوم وفاته. وهذا معناه أنه كان على أوغسطينوس أن يجابه مسئوليته فى إدارة إيبارشية هيبو التى كان قد نشب فيها شقاق دينى بسبب مذهب الدوناتيين، ولم يعد قادراً على أن يكرس نفسه لحياة الهدوء فى الصلاة والدرس. على كل حال، فمهما تكن ميول أوغسطينوس ورغباته الخاصة، فقد أندفع أوغسطينوس بحماس شديد فى تيار مقاومة الدوناتيين، وذلك بالكرازة والجدل، والدفاع عن إيمان الكنيسة ضد بدعة الدوناتيين (والدوناتيون هم أتباع دوناتوس Donatus الذى تزعم حركة مقاومة ترشيح ورسامة سيشيليان Caecilian شماس كنيسة قرطاجنة أسقفاً على كنيسة قرطاجنة سنة ٣١١ بعد موت أسقفها. وقد بنى دوناتوس إعتراضه على قانونية الرسامة على أساس أن الدياكون سيشيليان كان من بين المسيحيين المرتدين وسلّم فى الأوانى المقدسة بل وفى الكتب المقدسة فى إبان اضطهاد ديوكلتيانوس، وأنه قد أظهر قسوة شديدة فى اضطهاد المسيحيين، واعتماداً على هذا الموقف انشق دوناتوس وجماعة كبيرة من أتباعه عن الكنيسة الجامعة وكان هو الإنشقاق الخطير الكبير الذى عانته الكنيسة فى القرون الأولى، وامتد نحو ثلاثة قرون وعقدت بسببه المجامع، ومع ذلك أصرّ دوناتوس وأتباعه على موقفهم. وعلى الرغم

santamariaegypt.org
من هذا النشاط وهذه المشاغل فقد وجد أوغسطينوس وقتاً كافياً لتأليف كتاب مثل سمبليكانوس «فى مختلف المسائل De diversis qua estionibus ad Simplicianum» فى سنة ٣٩٧م، كما وضع جزءا من كتابه «فى العقيدة المسيحية De Doctrina christiana» وقد وضع الجزء الرابع من الكتاب فى سنة ٤٢٦، ووضع أيضاً جزءاً من كتاب «الاعترافات» وقد نشر الكتاب كله سنة ٤٠٠م وكتاب «تفسير سفر أيوب Annotationes in Job» كذلك تبادل أوغسطينوس رسائل جدلية مع العلامة القديس أيرونيموس فى مسائل تتصل بالكتاب المقدس.

وفى سنة ٤٠٠ شرع القديس أوغسطينوس فى تأليف كتاب من أهم كتبه ويتألف من ١٥ (خمسة عشر) جزءا وهو كتاب «فى الثالوث De Trinitate»، وقد أكمل الكتاب فى سنة ٤١٧. وبدأ القديس أوغسطينوس فى تأليف الإثنى عشر جزءاً من كتاب «فى الشرح الحرفى لسفر التكوين De Genesis ad litteram» وأكملها فى عام ٤١٥م. وفى عام ٤٠٠ أيضاً ظهر للقديس أوغسطينوس كتاب «فى تعليم الناشئين De catechizandis» «وكتاب فى إتفاق البشيرين De consensu Evangelistarum» وكتاب «فى خدمة الرهبان De Opera Monachorum» «وكتاب الرد على فاوستوس المانوى Contra Faustum Manichaeum» وهو من ٣٣ ثلاثة وثلاثين جزءا ثم الجزء الأول من كتاب «الرد على رسائل بيتيليانى Contra litteras Petilia-ni» وبيتيليانى هذا هو أسقف سيرتا Cirta وهو من الدوناتيين. وأما الجزء الثانى من هذا الكتاب فكتبه أوغسطينوس سنة ٤٠١ ـ ٤٠٢م. وكتب الجزء الثالث سنة ٤٠٢ ـ ٤٠٣م. وبعد ذلك وضع أوغسطينوس كتباً أخرى فى الرد على المانويين منها كتاب «الرد على كريسكونيوس النحوى، وهو من شيعة الدوناتيين Contra Cresconium grammaticum partis Donati» وكان ذلك فى سنة ٤٠٢م. وفضلاً عن هذا المجهود الجدلى كان أوغسطينوس يقوم بالوعظ والتعليم وتدوين الرسائل ومنها الرسالة إلى ديوسقورس Dioscorus (الرسالة ١١٨) ويرجع تاريخها إلى عام ٤١٠ ـ فيها أجاب أوغسطينوس على بعض أسئلة تختص بشيشرون، ويظهر من إجاباته آراؤه عن الفلسفة الوثنية، كما يظهر منها ميله الواضح إلى الأفلاطونية المحدثة.

وقد صدرت مع الوقت مراسيم امبراطورية ضد الدوناتيين، ونحو سنة ٤١١م أى بعد المؤتمر الذى انعقد فى ذلك الوقت بدأ أوغسطينوس يوجه عنايته إلى خصوم آخرين وهم البيلاجيون، أتباع بيلاجيوس الراهب الإنجليزى الذى بالغ فى إظهار الدور الذى يقوم به الإنسان فى أمر خلاصه، وقد قلل من شأن النعمة، وأنكر الخطيئة الأصلية. وكان بيلاجيوس قد زار قرطاجنة فى عام ٤١٠ وفى صحبته كولستيوس Coelestius وفى عام ٤١١م بعد أن رحل بيلاجيوس إلى الشرق، انعقد مجمع قرطاجنة وحكم على كولستيوس بالحرم. وقد حاول بيلاجيوس أن يؤيد

santamariaegypt.org

هرطقته بنصوص اقتبسها من أوغسطينوس فى كتابه « فى الحرية De Libero arbitrio » لكن أوغسطينوس أبان موقفه فى وضوح تام فى كتابه «إلى مارسيلينوس فى استحقاق الخطايا وغفرانها وفى معمودية الصغار De peccatorum mertitis et remissione, et de baptismo parvulorum, ad marcellinum".

وأتبعه بكتاب آخر فى عام ٤١٢م باسم «الروح والحرف De spiritu et littera » ، وبعد ذلك بكتاب آخر فى عام ٤١٣م باسم «فى الإيمان والأعمال De fide et operibus» كما وضع فى عام ٤١٥ كتاب «فى الطبيعة والنعمة رداً على بيلاجيوس De natura et gratia contra pe-lagium» ، وكتاب «فى كمال العدالة البشرية De perfectione iustitiae hominis» ولم يقنع أوغسطينوس بمباحثاته ضد البيلاجيين، فبدأ فى عام ٤١٣ يكتب كتابه «فى مدينة الله De civitate Dei» فى ٢٢ (أثنين وعشرين) جزءاً وقد أتمه فى عام ٤٢٦م. وهو من أعظم كتبه وأشهرها، كتبه ضداً لغزو البرابرة للامبراطورية من الخلف. كذلك أعدّ أوغسطينوس كثيراً من «شروحه على سفر المزامير Enarrationes in Psalmos » ، وزيادة على ذلك نشر أوغسطينوس فى عام ٤١٥ كتابه «إلى أوروسيوس، فى الرد على أتباع بريسكيليانيس وأوريجينوس Ad Orosium, contra Priscillianistas et Origenistas وهو كتاب ردّ فيه على البدعة التى أنشأها الأسقف الأسبانى بريسكيليانيس، كما كتب فى الرد على بيلاجيوس وبدعته كتاب «فى أفعال بيلاجيوس De Gestis Pelagii » ، وذلك فى عام ٤١٧. وكتاب «فى نعمة المسيح والخطيئة الأصلية De Gratia Christi et peccato Originali » ، وذلك فى عام ٤١٨م.

ويظهر أن أوغسطينوس لم يكتف بكل تلك الكتب، فقد أتم كتابه «فى الثالوث De Trinitate» كما وضع كتابه «فى إنجيل يوحنا In Joannis Evangelium » ، فى سنة ٤١٦ ـ ٤١٧ وكتاب «إلى بارثوس فى رسالة يوحنا In Epistolas Joannis ad Parthos » وذلك فى عام ٤١٦م هذا بخلاف عدد وافر من رسائل وعظات، لا نستطيع ذكره.

santamariaegypt org

مدينة الله

للقديس أوغسطينوس

الكتاب العشرون

santamariaegypt.org

٥ - الفقرات التى يعلن فيها المخلص أنه ستكون هناك دينونة فى نهاية العالم:

إن المخلص نفسه عندما كان يوبخ المدن التى أجرى فيها أعمالاً عظيمة، ومع ذلك لم تؤمن، مقارناً بينها وبين المدن الأجنبية، يقول «ولكن أقول لكم أن صور وصيدا تكون لهما حالة أكثر إحتمالاً يوم الدين مما لكما» (١) ثم يقول بعد قليل «ولكن أقول لكم إن أرض سدوم تكون لها حالة أكثر إحتمالاً يوم الدين مما لك» (٢) فهنا ينبيء المخلص فى غاية الوضوح، بيوم للدينونة لابد آت، ويقول فى مكان آخر «رجال نينوى سيقومون فى الدين مع هذا الجيل ويدينونه لأنهم تابوا بمناداة يونان، وهوذا أعظم من يونان ههنا. ملكة التيمن ستقوم فى الدين مع هذا الجيل وتدينه لأنها أتت من أقاصى الأرض لتسمع حكمة سليمان. وهوذا أعظم من سليمان ههنا». (٣) من هذه الفقرة نتعلم أمرين، أنه سوف تكون هناك دينونة، وأن هذه الدينونة ستكون عند قيامة الموتى. لأنه لما تكلم عن أهل نينوى وعن ملكة الجنوب، كان يقيناً يتكلم عن قوم ماتوا، ومع ذلك قال أنهم سيقومون فى يوم الدينونة. إنه لم يقل «أنهم سيدينون» كما لو أنهم هم أنفسهم سيكونون القضاة، ولكن لأنهم بالقياس إليهم، سيدان الآخرون بعدل.

وفى فقرة أخرى عندما كان يتكلم عن إختلاط الأخيار بالأشرار، وإفتراقهم فى يوم الدين، أورد مثلاً عن الحنطة والزوان المزروع فى وسطها، وفسر المثل لتلاميذه بقوله: «الزارع الزرع الجيد هو ابن الانسان» (٤) ... الخ. حقاً أنه هنا لم يذكر الدينونة أو يوم الدينونة، لكنه أشار إليها بأكثر وضوح إذ وصف ملابساتها، وأنبأ بأنها ستكون فى نهاية العالم.

ثم أنه يقول لتلاميذه «الحق أقول لكم أنكم أنتم الذين تبعتمونى فى التجديد(٥)، متى جلس ابن الإنسان على عرش مجده تجلسون أنتم أيضاً على إثنى عشر كرسياً، وتدينون أسباط إسرائيل الإثنى عشر» (٦). هنا نتعلم أن يسوع سوف يدين ومعه تلاميذه. ولهذا قال فى موضع آخر لليهود «وإن كنت أنا ببعلزبول أخرج الشياطين، فأبناؤكم بمن يخرجون فلهذا يكونون قضاة عليكم»(٧) ولا نفهم من هذا أن إثنى عشر رجلاً فقط سيدينون معه ولو أنه يقول أنهم سيجلسون على إثنى عشر كرسياً، لأن العدد إثنى عشر يشير إلى كمال عدد أولئك الذين سيدينون. إذ أن مركبى العدد سبعة (وهو عادة يرمز إلى الوحدة الكاملة) أى أربعة ثم ثلاثة، إذا ضرب الواحد منهما فى الآخر، كان الحاصل إثنى عشر. لأن ثلاثة مكررة أربع مرات أو أربعة مكررة ثلاث مرات تكون إثنى عشر. وهناك أيضاً معان أخرى للعدد إثنى عشر. فإذا لم يكن هذا هو التأويل الصحيح للعدد إثنى عشر، وكان متياس كما نقرأ قد أقيم رسولاً بدلاً من يهوذا الخائن فإن الرسول

---

(١) مت ١١ : ٢٢ (٢) مت ١١ : ٢٤ (٣) مت ١٢ : ٤١، ٤٢

(٤) مت ١٣ : ٣٧ - ٤٣ (٥) أى الخليقة الجديدة (٦) مت ١٩ : ٢٨

(٧) مت ١٢ : ٢٧

santamariaegypt.org
بولس مع أنه تعب أكثر منهم جميعهم(١)، سوف لا يكون له كرسي للحكم. ولكن بدون أدنى شك يعتبر نفسه في عداد القضاة عندما يقول «ألستم تعلمون أننا سندين ملائكة؟» (٢). ونفس القياس يجب مراعاته في انطباق العدد إثنى عشر على أولئك الذين سيدانون. فمع أنه قيل «تدينون أسباط إسرائيل الإثنى عشر» فإن سبط لاوى وهو السبط الثالث عشر، سوف لا يعفى لهذا السبب من الدينونة كما أن الدينونة، سوف لا تجرى على إسرائيل وحده من دون الأمم الأخرى. ولابد أن يكون قد قصد بقوله «في التجديد» أن يفهم منه قيامة الموتى، لأن أجسادنا ستتجدد بغير فساد. كما أن نفوسنا ستتجدد بالإيمان.

وقد حذفت فقرات كثيرة، لأنها، ولو أنه يبدو أنها تشير إلى الدينونة الأخيرة، إلا أنها إذا فحصت عن قرب نجد فيها إلتباساً أو أنها تشير بالحرى إلى حدث آخر. إما إلي مجيء المخلص الذي يجرى دائماً في كنيسته، أي في أعضائه، والذي فيه يأتي هو شيئاً فشيئاً وجزءاً بعد جزء من حيث أن الكنيسة كلها هي جسده، أو أنها تشير إلى خراب أورشليم الأرضية. لأنه عندما يتكلم حتى عن هذه، فإنه كثيراً ما يستخدم لغة يمكن أن تنطبق على نهاية العالم كما تنطبق على ذلك اليوم الأخير يوم الدينونة العظيم، حتى أنه لا يمكن التمييز بين هاتين الحادثتين إلا إذا قورنت ببعضها الفقرات الثلاث المتقابلة والتي تتناول هذا الموضوع عند الإنجيليين الثلاثة متى ومرقس ولوقا، لأن هناك أموراً نجدها أكثر غموضاً عند أحد الإنجيليين لكنها أكثر وضوحاً عند إنجيلي آخر. وبهذا تتضح المعاني التي أشير إليها في حادث بعينه. وهذا هو ما اجتهدت أن أعمله في رسالة كتبتها إلى هيزيخيوس Hesychius الطيب الذكر أسقف سالون Salon بعنوان «في نهاية العالم»

والآن سأنقل من الإنجيل بحسب ما كتبه متى، الفقرة التي تتكلم عن إفتراق الأخيار من الأشرار، وذلك نتيجة أعظم دينونة حاسمة ونهائية، دينونة المسيح: يقول «ومتى جاء ابن الإنسان في مجده ومعه جميع ملائكته الأطهار فحينئذ يجلس على عرش مجده ويجمعون أمامه كل الأمم فيفرز بعضهم من بعض كما يفرز الراعي الخراف من وسط الجداء، ويقيم الخراف عن يمينه والجداء عن يساره. حينئذ يقول الملك للذين عن يمينه: تعالوا إلى يا مباركي أبي، رثوا الملكوت المعد لكم منذ إنشاء العالم لأني جعت فأطعمتموني، عطشت فسقيتموني، كنت غريباً فآويتموني، عرياناً فكسوتموني، كنت مريضاً فزرتموني، محبوساً فأتيتم إلي. حينئذ يجيبه الصديقون قائلين: ربنا متى رأيناك جائعاً فأطعمناك؟ أو عطشاناً فسقيناك؟ أو متى رأيناك غريباً فآويناك أو عرياناً فكسوناك؟ أو متى رأيناك مريضاً أو محبوساً فأتينا إليك. فيجيب الملك ويقول

(١) ١ . كو ١٥ : ١٠ (٢) ١ . كو ٦ : ٣

santamariaegypt.org
لهم الحق أقول لكم بما أنتم فعلتموه بأحد أخوتى هؤلاء الصغار فبى فعلتم. ثم يقول للأشرار الذين عن يساره: اذهبوا عنى يا ملاعين إلى النار الأبدية المعدة لإبليس وملائكته» (١) وعلى هذا النحو أيضاً يعدد للأشرار الأشياء التى لم يفعلوها، والتى قال أن أهل اليمين فعلوها. ولما يسألونه متى رأوه فى حاجة إلى هذه الأشياء (ولم يخدموه) يجيب بما أنهم لم يفعلوها لأصغر أخوته، فلم يفعلوها به، وينهى خطابه بهذه الكلمات «فيذهب هؤلاء إلى العذاب الأبدى، والصديقون إلى الحياة الأبدية» (٢) وعلاوة على ذلك يقرر يوحنا الإنجيلى فى غاية الوضوح أنه (أى المسيح) قد أنبأ بأن الدينونة ستكون عند قيامة الموتى. إذ بعد أن قال «الآب لا يدين أحداً بل أعطى الحكم كله للابن، لكى يكرم الجميع الابن كما يكرمون الآب. من لا يكرم الابن لا يكرم الآب أيضاً الذى أرسله» (٣) يضيف مباشرة «الحق الحق أقول لكم أن من يسمع كلامى ويؤمن بالذى أرسلنى فله حياة أبدية ولا يأتى إلى الدينونة بل ينتقل من الموت إلى الحياة» (٤). فقد قال هنا أن المؤمنين به لا يأتون إلى الدينونة فكيف إذن سيفترقون من الأشرار بالدينونة، ويقامون عن يمينه، إلا إذا كانت الدينونة فى هذه الفقرة جاءت بمعنى العقاب Condemnation ؟ لأن الذين يسمعون كلماته ويؤمنون بالذى أرسله لا يأتون إلى دينونة بهذا المعنى.

٦ ـ ما هى القيامة الأولى، وما هى القيامة الثانية:

بعد ذلك يضيف هذه الكلمات «الحق الحق أقول لكم أنه تأتى ساعة وهى الآن حين يسمع الأموات صوت ابن الله والذين يسمعون يحيون. لأنه كما أن الآب له حياة فى ذاته كذلك أعطى الابن أيضاً أن تكون له حياة فى ذاته» (٥). فهو إلى الآن لا يتكلم عن القيامة الثانية أى قيامة الأجساد، التى ستكون فى النهاية، بل عن القيامة الأولى وهى الحادثة الآن. ولهذا ومن أجل هذا التمييز (بين القيامتين) يقول «تأتى ساعة وهى الآن». فهذه القيامة لا تختص بالجسد بل بالنفس، لأن للنفوس أيضاً موتاً يخصها، موتاً بالشرور والخطايا والتى بها تكون هى الموتى الذين تكلم عنهم الرب نفسه قائلاً «دع الموتى يدفنون موتاهم» (٦) أى دع الموتى بالروح يدفنون الموتى بالجسد، وإذن فعن هؤلاء الموتى بالطلاح والإثم يقول الرب «تأتى ساعة وهى الآن، حين يسمع الأموات صوت ابن الله والذين يسمعون يحيون» «والذين يسمعون» أى الذين يطيعون ويؤمنون ويثبتون إلى النهاية. وفى هذا لا فرق بين الأخيار والأشرار. لأنه حسن لجميع الناس أن يسمعوا صوته ويحيون بعبورهم من موت الطلاح إلى حياة الصلاح. وعن هذا الموت يقول بولس الرسول «فالجميع إذن ماتوا، وهو مات لأجل الجميع كى يعيش الأحياء فيما بعد لا لأنفسهم

---

(١) مت ٢٥: ٣١ ـ ٤١ والنص منقول عن ترجمة الكلية الإكليريكية للبشائر الأربع.

(٢) مت ٢٥: ٤٦ (ترجمة الإكليريكية). (٣) يو ٥: ٢٢، ٢٣ (ترجمة الإكليريكية).

(٤) يو ٥: ٢٤ (ترجمة الإكليريكية). (٥) يو ٥: ٢٥، ٢٦ (٦) ٢ ـ كو ٥: ١٤، ١٥

santamariaegypt.org
بل للذى مات لأجلهم وقام» (١) وهكذا الجميع، بدون إستثناء، كانوا أمواتاً بالخطايا، سواء الأصلية أو الفعلية (الإرادية) خطايا الغباوة أو خطايا الجهالة، وعن جميع الموتى مات الشخص الواحد الوحيد الذى عاش. وأعنى به من لم تكن له خطيئة أبداً، حتى أن الذين حيوا بغفران خطاياهم، يحيون لا لنفوسهم، بل للذى مات من أجل الجميع، مات عن خطايانا، وقام من أجل تبريرنا من الإثم أو قمنا من الموت، يمكننا أن نبلغ إلى القيامة الأولى وهى الآن. لأنه لا يشترك أحد فى هذه القيامة الأولى إلا الذين سينالون الغبطة إلى الأبد. أما فى القيامة الثانية التى يأخذ فى الكلام عنها، فسيشترك فيها كما سنرى، جميع الناس، السعداء والأشقياء إحداهما قيامة الرحمة والأخرى قيامة الحكم، ولهذا كتب فى المزمور «رحمة وحكماً أغنى لك يارب أرنم» (٢).

وعن هذه القيامة مضى يقول «وأعطاه سلطاناً أن يدين أيضاً لأنه ابن الانسان» (٣). هنا يعلن أنه سوف يأتى ليدين فى ذات الجسد الذى جاء فيه ليدان. ومن أجل أن يبين هذا، يقول «لأنه هو ابن الإنسان» وبعد هذا تجىء الكلمات التى نحن بصددها «لا تتعجبوا من هذا فإنه تأتى ساعة حين يسمع كل من فى القبور صوته. فيخرج الذين فعلوا الصالحات إلى قيامة الحياة والذين فعلوا السيئات إلى قيامة الدينونة» (٤). هذه الدينونة يستعملها هنا فى ذات المعنى الذى استعمله قبل ذلك بقليل عندما يقول «من يسمع كلامى ويؤمن بالذى أرسلنى فله حياة أبدية ولا يأتى إلى الدينونة بل ينتقل من الموت إلى الحياة»(٥) أى يأخذ نصيباً فى القيامة الأولى التى بها يتم الإنتقال فى الزمان الحاضر، من الموت إلى الحياة. وبهذا لا يأتى إلى عذاب جهنم، الذى يشير إليه باسم الدينونة فى ذات المكان الذى يقول فيه «والذين فعلوا السيئات إلى قيامة الدينونة» أى عذاب جهنم. ولذلك من يشاء أن لا يهلك فى القيامة الثانية، فليقم فى القيامة الأولى. لأنه «تأتى ساعة وهى الآن حين يسمع الأموات صوت ابن الله والذين يسمعون سيحيون» أى أنهم سوف لا يأتون إلى دينونة جهنم التى تسمى الموت الثانى وهو الموت الذى سيطرح فيه، بعد القيامة الثانية أو القيامة الجسدية، من لا يقومون فى القيامة الأولى أو القيامة الروحية. لأنه «ستأتى ساعة» (لكنه هنا يقول «وهى الآن» لأنها ستأتى فى نهاية العالم فى دينونة الله الأخيرة والعظمى) «حين يسمع كل الذين فى القبور صوته ويخرجون»، فلا يقول كما فى القيامة الأولى «والذين يسمعون سيحيون»، لأنه ليس الجميع سيحيون، على الأقل تلك الحياة التى ينبغى أن تسمى وحدها حياة لأنها وحدها الحياة المباركة، ولابد أن يكون لهم نوع من الحياة حتى يسمعوا ويخرجوا من القبور بأجسادهم المقامة. أما لماذا سوف لا تكون الحياة للكل، فيعلم به السيد المسيح فى الكلمات

---

(١) مت ٨ : ٢٢ (٢) مز ١٠٠ (١٠١): ١

(٣) يو ٥: ٢٧ (٤) يو ٥: ٢٨ ، ٢٩

(٥) ٥ : ٢٤

santamariaegypt.org

التالية: «(فيخرج) الذين فعلوا الصالحات إلى قيامة الحياة» هؤلاء هم الذين سيحيون «والذين فعلوا السيئات إلى قيامة الدينونة» ـ وهؤلاء هم الذين سوف لا يحيون، لأنهم سيموتون فى الموت الثانى. قد صنعوا السيئات لأن حياتهم كانت شريرة وحياتهم كانت شريرة لأنها لم تتجدد فى القيامة الأولى أو القيامة الروحية الحادثة الآن. أو لأنهم لم يثبتوا إلى النهاية فى حياتهم المتجددة. فكما أن هناك تجديدين (ولادتين من جديد) قد ذكرتهما الآن ـ أحدهما بحسب الإيمان، ويتم فى الحياة الحاضرة عن طريق المعمودية والأخرى بحسب الجسد وستتم فى غير فساد وفى الخلود، عن طريق الدينونة العظمى والأخيرة كذلك هناك قيامتان. إحداهما القيامة الأولى والروحية التى تحدث فى هذه الحياة والتى تقينا من أن نأتى إلى الموت الثانى، والأخرى هى القيامة الثانية ولا تحدث الآن، ولكن فى نهاية العالم، وهى قيامة للجسد لا للنفس، ستفصل بعد الدينونة بين قوم يمضون إلى الموت الثانى وبين آخرين يمضون إلى تلك الحياة التى لا تعرف الموت.

٧ ـ ما كتب فى رؤيا يوحنا خاصاً بالقيامتين والألف سنة وما هو الاعتقاد الصحيح فى هذه الموضوعات:

لقد تكلم الإنجيلى يوحنا عن هاتين القيامتين فى الكتاب المسمى الرؤيا. ولكن بطريقة جعلت بعض المسيحيين لا يفهم المقصود من القيامة الأولى منهما ومن ثم ذهب بهم الخيال تأويل هذه الفقرة مذاهب غير معقولة. فيقول الرسول يوحنا فى الكتاب سالف الذكر: « ورأيت ملاكاً نازلاً من السماء معه مفتاح الهاوية وسلسلة عظيمة على يده. فقبض على التنين الحية القديمة الذى هو إبليس والشيطان وقيده ألف سنة. وطرحه فى الهاوية وأغلق (عليه) وختم عليه لكى لا يضل الأمم فى ما بعد حتى تتم الألف السنة، وبعد ذلك لابد أن يحل زماناً يسيراً ».

«ورأيت عروشاً فجلسوا عليها وأعطوا حكما، ورأيت الذين قتلوا من أجل شهادة يسوع ومن أجل كلمة الله، والذين لم يسجدوا للوحش ولا لصورته ولم يقبلوا السمة على جباههم وعلى أيديهم فعاشوا وملكوا مع المسيح ألف سنة. وأما بقية الأموات فلم تعش حتى تتم الألف السنة، هذه هى القيامة الأولى. مبارك ومقدس من له نصيب فى القيامة الأولى. هؤلاء ليس للموت الثانى سلطان عليهم، بل سيكونون كهنة لله والمسيح. وسيملكون معه ألف سنة» (١) والذين توهموا استندوا إلى هذه الفقرة ـ أن القيامة الأولى قيامة بالجسد، وأنها ستكون فيما بعد، قد حملهم على هذا التوهم أسباب من بينها على الخصوص، عدد الألف سنة. إذ يبدو لهم من المناسب أن ينعم القديسون فى هذه الفترة بنوع من سبت الراحة، أى بعطلة مقدسة بعد عناء دام ست آلاف سنة منذ أن خلق الإنسان، وطرد بسبب خطيئته العظيمة من فردوس النعيم إلى شقاء

---

(١) رؤ ٢٠: ١ ـ ٦

santamariaegypt.org
الحياة الفانية، حتى أنه كما هو مكتوب أن يوماً واحداً عند الرب كألف سنة وألف سنة كيوم واحد» (١)، لزم أن يجيء بعد تمام ست آلاف سنة - كما هو الحال بعد ستة أيام الخليقة - نوع من سبت اليوم السابع فى الألف سنة التالية. ولهذا السبب يقوم القديسون أى ليحتفلوا بهذا السبت. هذا الرأى كان يمكن أن لا يعترض عليه لو أن القائلين به اعتقدوا أن أفراح القديسين ستكون أفراحاً روحية وأنها نتيجة لحضور الله بينهم. وأنا نفسى كنت أرى سابقاً هذا الرأى (٢). لكنهم يزعمون أن الذين يقومون ستواتيهم فرصة الاستمتاع (سيتمتعون) بمآدب جسدانية مسرفة، مزودة بكمية (كبيرة) من الطعام والشراب لا تصدم فقط شعور العفيف، بل وأيضاً تتجاوز حدود التصديق. إن مثل هذه المزاعم لا يمكن أن يعتقد ويؤمن بها إلا الجسدانيون وحدهم والذين يعتقدون بها يسميهم الروحيون بالألفيين، والذين يمكن أن نطلق عليهم نحن حرفياً اسم القائلين بملك المسيح على الأرض مدة ألف عام. وأنها لمهمة شاقة أن نفند هذه الآراء، فكرة فكرة، ولذلك نفضل أن ننتقل إلى تبيان ما ينبغى أن يفهم من تلك الفقرة (التى أوردناها) من الكتاب المقدس.

يقول الرب يسوع المسيح نفسه «لا يستطيع أحد أن يدخل بيت القوى ليسلب آنيته إن لم يربط القوى أولاً» (٣) ويعنى بالقوى الشيطان لأنه كان له سلطان أن يأسر الجنس البشرى ويعنى بآنيته التى كان له أن يسلبها أولئك الذين ملك الشيطان عليهم فى خطايا وآثام متنوعة لكن كان لهم أن يصبحوا مؤمنين به (أى المسيح). وعلى ذلك فمن أجل ربط هذا القوى رأى الرسول فى رؤياه «ملاكاً نازلاً من السماء معه مفتاح الهاوية وسلسلة عظيمة على يده «فيقبض (كما يقول) على التنين الحية القديمة الذى هو إبليس والشيطان وقيده ألف سنة» أعنى أنه شكم قوته وقمعها حتى لم يستطع أن يضل أولئك الذين أعتقوا، أو يتسلط عليهم.

والألف سنة يمكن أن تفهم - كما يبدو لى - على نحوين: إما لأن هذه الأمور تحدث فى الألف السادس من السنين أو العصر الألفى السادس (ونحن فى القسم الأخير منه) كما لو أننا فى اليوم السادس، الذى يتلوه سبت ليس له غروب، (وهو) راحة القديسين التى لا نهاية لها، وهو يتكلم عن جزء منها باسم الكل. فهو يسمى الجزء الأخير من العهد الألفى - وهو الجزء الذى لابد أن ينقضى قبل نهاية العالم - ألف سنة. أو أنه استعمل الألف سنة كأنها مساوية لمدة هذا العالم كلها مستخدماً عدد الكمال ليشير إلى كمال الزمن. لأن الألف هو مكعب العشرة. إذ أن حاصل العشرة مضاعفة عشر مرات هو مائة أى المربع على مستوى مسطح. فإذا أعطى المسطح إرتفاعاً ليصبح مكعبا، فالمائة تتضاعف عشر مرات، فيكون الحاصل ألفا. علاوة على ذلك، إذا كان (عدد) المائة يستعمل أحياناً كناية عن الكل، كما عندما قال الرب على سبيل الموعد لمن ترك كل شيء وتبعه أنه «سيأخذ مائة ضعف (فى هذا العالم)». (١) وقال الرسول كأنه سيفسر

(١) ٢. بط ٣: ٨ (٢) عظة ٢٥٩ (٣) مر ٣: ٢٧

santamariaegypt.org
(هذا) : «كأن لا شيء لنا، ونحن نملك كل شيء» (٢) بل وقد قيل قديماً: العالم بأسره ميراث المؤمن - فكم بالأولى أن يستخدم (عدد) الألف كناية عن الكل، حيث أن الألف هو المكعب بينما أن المائة مربع فقط؟ ولهذا السبب عينه لا نجد تفسيراً لكلمات المزمور «ذكر إلى الدهر عهده، كلاماً أوصى به إلى ألف جيل» (٣) خيراً من فهمها على أنها إلى جميع الأجيال».

«وطرحه فى الهاوية» أى أنه طرح الشيطان فى الهاوية. ويقصد بالهاوية جمهور لا يحصى من أشرار فى قلوبهم عداوة عميقة لا يسبر غورها ضد كنيسة الله. وليس هذا معناه أن الشيطان لم يكن هناك قبلا، ولكنه قيل أنه طرح هناك لأنه وقد منع من أن يضر بالمؤمنين صار أكثر سيطرة على الأشرار. لأن ذلك الإنسان قد ملك عليه الشيطان بأوفر سلطان، الشيطان الذى ليس فقط منفياً عن الله بل وأيضاً يكره مجاناً أولئك الذين يخدمون الله « وأغلق (عليه) وختم عليه لكى لا يضل الأمم فى ما بعد حتى تتم الألف سنة». «وأغلق عليه» أى منعه من أن يخرج خارجاً ومن أن يصنع ما هو محظور. أما إضافة «وختم عليه» فيبدو لى أنه قصد بها أنه قد رسم أن يظل سراً الذين ينتمون إلى زمرة الشيطان والذين لا ينتمون إليه. فهذا الأمر مخفى فى هذا العالم. فنحن لا نستطيع أن نتنبىء إذا كان الإنسان الذى يبدو قائماً سيسقط (أم لا)، أو الذى يبدو واقعاً، سينهض (أم لا). ولكن بهذه السلسلة ويسجن هذا المجرم قد نهى الشيطان ومنع من أن يضل الأمم الذين ينتمون إلى المسيح.، والذين سبق له أن أضلهم أو أخضعهم. لأنه من قبل تأسيس العالم شاء الله أن ينقذ هؤلاء من سلطان الظلمة وأن ينقلهم إلى ملكوت ابن محبته (٤٢) كما يقول الرسول. وأى مسيحى لا يعلم أنه (أى الشيطان) يضل حتى الآن أمما، ويجرهم معه إلى العذاب الأبدى، لكنه لا يضل المعروف سابقاً أنهم المعينين للحياة الأبدية؟ فلا ييأس أحد بحجة أن الشيطان كثيراً ما يضل حتى أولئك الذين تجددوا فى المسيح، وبدأوا يسيرون فى طريق الله، لأن «الرب يعلم الذين هم له» (٥) والشيطان لا يضل واحدا من هؤلاء إلى الهلاك الأبدى، لأن الرب يعرفهم من حيث هو الله الذى لا يخفى عليه شىء، ولو كان من الأمور المستقبلة، وليس كإنسان يرى إنساناً فى الزمن الحاضر (إذا جاز أن يقال أنه يرى شخصاً قلبه غير مكشوف له) لكنه لا يرى حتى نفسه لدرجة أنه لا يستطيع أن يعرف من يكون هو. فالشيطان إذن مقيد ، ومحبوس فى الهاوية حتى لا يضل الأمم الذين تتكون منهم الكنيسة، والذين سبق فأضلهم من قبل أن توجد الكنيسة. لأنه ما قيل «حتى لا يضل أى إنسان» بل «حتى لا يضل الأمم » - قاصداً، بلا شك، أولئك الذين توجد الكنيسة فيما بينهم «حتى تتم الألف سنة» أعنى إما ما يتبقى من اليوم السادس ويشتمل على ألف سنة، وإما كل السنوات التى تمر قبل نهاية العالم.

---

(١) مت ١٩ : ٢٩   (٢) ٢ . كو ٦ : ١٠   (٣) مز ١٠٥ : ٨

(٤) ٢ . تى ٢ : ١٩   (٥) كو ١ : ١٣

santamariaegypt.org

وأما الكلمات «حتى لا يضل الأمم حتى تتم الألف سنة» فلا يفهم منها أنها تدل على أنه فيما بعد سيضل فقط تلك الأمم التى تتكون منها الكنيسة العتيدة، والتى منع بواسطة تلك السلسلة وذلك الحبس من أن يضلها، لكنها (أى تلك الكلمات) قد أستعملت طبقاً لذلك الإستعمال المستخدم فى الكتاب المقدس والذى يتمثل فى المزمور «هكذا عيوننا نحو الرب إلهنا حتى يتراءف علينا»،(١) لا بمعنى أن عيون عبيده لا تعود تتطلع إلى الرب بعد أن تراءف عليهم لكن لا مفر من أن يكون ترتيب الكلمات كالآتى: «وأغلق عليه، وختم عليه، الألف سنة» أما الجملة الاعتراضية «حتى لا يضل الأمم فيما بعد» فينبغى ألا تفهم فى السياق الذى وضعت فيه، وإنما منفصلة وكأنها زيدت بعد ذلك، حتى أن العبارة كلها يجب أن تقرأ (على هذا النحو): «وأغلق عليه، وختم عليه حتى تتم الألف سنة، حتى لا يضل الأمم فيما بعد «أى أنه أغلق عليه حتى تتم الألف سنة، لهذا السبب: أن لا يخدع الأمم فيما بعد.

٨ - فى ربط الشيطان وحله:

يقول يوحنا «وبعد ذلك لابد أن يُحَل زماناً يسيراً» فإذا كان ربط الشيطان وحبسه معناه جعله عاجزاً عن أن يضل الكنيسة، فهل حله معناه استرداده هذه القدرة؟ كلا البتة. لأن الكنيسة، وهى معينة ومختارة قبل تأسيس العالم، هذه الكنيسة التى فيها «الرب يعلم الذين هم له»، سوف لا تضل بواسطته أبداً. ومع ذلك ستبقى كنيسة فى هذا العالم حتى يحل الشيطان، كما كان منذ البدء، وكما سيكون دائماً، أماكن الموتى يحتلها مؤمنون جدد. لأن يوحنا يقول بعد قليل أن الشيطان إذا حل سوف يجذب الأمم الذين أضلهم من كل العالم ليحارب الكنيسة. وأن عدد هؤلاء الأعداء سيكون كعدد رمل البحر «فصعدوا على عرض الأرض وأحاطوا بمعسكر القديسين وبالمدينة المحبوبة فنزلت نار من عند الله من السماء وأكلتهم. وإبليس الذى كان يضلهم طرح فى بحيرة النار والكبريت حيث الوحش والنبى الكذاب وسيعذبون نهارا وليلاً إلى أبد الآبدين» (٢). على أن هذا يتعلق بالدينونة الأخيرة، لكننى رأيت من المناسب أن أذكره هنا، لئلا يظن أحد أنه فى هذه الفترة القصيرة التى سيحل الشيطان فيها سوف لا تكون هناك كنيسة على الأرض، إما لأن الشيطان سوف لا يجد هناك كنيسة، وإما لأنه سيبيدها بإضطهادات متنوعة. فالشيطان إذن لا يكون مقيداً فى كل الفترة التى يتكلم عنها هذا الكتاب - أعنى منذ المجيء الأول للمسيح إلى نهاية العالم عندما يأتى (أى المسيح) فى المجيء الثانى - لا يكون مقيداً، بهذا سوف لا يضل (الشيطان) الكنيسة ولا حتى عندما يحل، إذ يقينا أنه إذا كان تقييده معناه أن يكون غير قادر أو غير مسموح له أن يضل الكنيسة، فماذا يكون معنى حله إلا أن يصبح قادراً أو مسموحاً له أن يفعل ذلك؟ ولكن حاشا أن يحدث.. إن تقييد الشيطان هو منعه من

---

(١) مز ١٢٣: ٢ (٢) رؤ ٢٠: ٩، ١٠

santamariaegypt.org
مزاولة كل سلطانه لإضلال الناس بالقهر والإلزام أو بخداعهم والإحتيال عليهم، ليتفقوا معه. فإذا كان مأذوناً له فى أثناء هذه الفترة الطويلة أن يهاجم ضعف البشر، فإن أشخاصاً كثيرين جداً، لا يشاء الله أن يقعوا فى مثل هذه التجربة، قد يذهب إيمانهم، أو قد يعاقوا عن الإيمان. فلكى لا يحدث هذا، يربط الشيطان.

ولكن عندما يأتى الزمان اليسير، سيحل (الشيطان). لأنه سوف يثور بكل قوته ومعه ملائكته لمدة ثلاث سنين وستة أشهر. والذين سيصنع معهم حرباً، ستكون لهم قوة ليقاوموا كل بأسه وحيله. فإذا لم يحل أبداً فإن قوته الشريرة تكون أقل وضوحاً، ولا يكون هناك برهان كاف على قوة المدينة المقدسة ومناعتها. وبالإجمال لا يتضح جلياً كيف يستخدم القادر على كل شيء شر الشيطان المستطير لخير جزيل. لأن القادر على كل شيء لا يعزل القديسين عزلاً تاماً عن تجارب الشيطان، لكنه يحمى إنسانهم الباطن، حيث يسكن الإيمان، حتى أنهم عن طريق التجارب الخارجية يزدادون فى النعمة. والله يقيده حتى لا يمنع أو يحطم (أى الشيطان) - بعمله الشر فى حرية وشراهة - إيمان الضعفاء الذين لا حصر لهم ممن آمنوا بالفعل، أو لازالوا مؤمنين والذين بهم تتزايد الكنيسة وتكمل. لكن الله سيحله فى النهاية حتى تتبين مدينة الله قوة خصمها الذى انتصرت عليه لمجد فاديها ومعينها ومخلصها. فمن نكون نحن بالقياس إلى أولئك المؤمنين والقديسين الذين سيكونون فى ذلك الحين، حيث سيمتحنون بحل ذلك العدو الذى نحاربه نحن لكنه يهزمنا شر هزيمة مع أنه مقيد؟ مع أنه من المؤكد أيضاً أنه حتى فى هذه الفترة المتوسطة كان ولا يزال هناك جنود المسيح يتصفون بالحكمة والقوة لو أنهم كانوا سيكونون أحياء فى هذه الحالة القاتلة فى زمان حل الشيطان لتنبهوا بكل حكمة، ولاحتملوا بكل صبر، جميع شراكه وحملاته.

فإبليس كان مقيداً ليس فقط عندما أخذت الكنيسة تمتد أكثر فأكثر، وتنتشر فى كل مكان خارج اليهودية، بل هو الآن مقيد، وسيكون مقيداً إلى نهاية العالم، عندما يجيء الزمن الذى يحل فيه. لأنه حتى الآن بل وقطعاً إلى نهاية العالم - يهتدى قوم إلى الإيمان، نابذين الكفر الذى احتجزهم الشيطان فيه. وهذا القوى يربط فى كل لحظة ينهب منه فيها أحد أمتعته. والهاوية التى حبس فيها لا تنتهى بموت أولئك الذين كانوا أحياء عندما حبس فيها هو أولاً. لكن هؤلاء قد تبعهم وسيتبعهم إلى نهاية العالم إناس آخرون يولدون بعدهم ممن يكرهون المسيحيين مثلهم، وفى أعماق قلوبهم الغبية يحتبس الشيطان دائماً كما لو كان فى هاوية. على أن هناك ما يدعو إلى التساؤل إذا كان أحد من الناس ممن لم يكونوا قبلاً مؤمنين، يضم نفسه إلى الإيمان فى خلال هذه الثلاثة السنين والستة أشهر التى يحل الشيطان فيها ويثور بكل قوة. لأنه كيف تصدق فى هذه الحالة هذه الكلمات، «كيف يستطيع أحد أن يدخل بيت القوى وينهب أمتعته إن لم يربط

santamariaegypt.org
القوى أولاً؟» (١) تبعاً لذلك يبدو أن هذه الآية تلزمنا الإعتقاد أنه فى هذه الفترة، على قصرها، سوف لا ينضم أحد من الناس إلى المجتمع المسيحى، بل إن الشيطان سيصنع حرباً مع الذين كانوا قد أصبحوا مسيحيين من قبل، وأنه ولو أن بعضاً من هؤلاء قد يهزمون وقد يفرون إلى الشيطان فإن هذا البعض لا يحسب فى عداد أولاد الله المعروفين عنده من قبل. إذ ليس عبثاً يقول يوحنا - وهو الرسول عينه الذى كتب سفر الرؤيا - يقول فى رسالته (الأولى) عن بعض الناس: «منا خرجوا لكنهم لم يكونوا منا لأنهم لو كانوا منا لبقوا معنا»(٢). ولكن ماذا سيحدث للأطفال الصغار؟ أنه أمر بعيد عن كل تصديق أنه سوف لا يكون فى هذه الأيام أطفال مسيحيون مولودون ولم يتعمدوا بعد، أو أنه سوف لا يولد بعض الأطفال فى هذه الفترة بالذات. فإذا كان هناك أطفال فنحن لا نستطيع أن نصدق أن والديهم سوف لا يجدون وسيلة ليأتوا بهم إلى جرن التجديد. لكن إذا كان الأمر كذلك، فكيف إذن ستختطف هذه الأمتعة من الشيطان عندما يكون محلولاً، حيث أنه ليس ثمت إنسان يمكنه أن يدخل بيته (بيت الشيطان) لينهب أمتعته إلا إذا ربطه أولاً؟ على العكس إننا نعتقد بالأحرى أنه سوف لا يعدم فى هذه الأيام من يبعد عن الكنيسة أو من ينضم إليها. لكن ستكون هناك عزيمة فى الوالدين ليطلبوا المعمودية لأطفالهم، وفى أولئك الذين سيؤمنون أولاً فى ذلك الحين حتى ينتصروا على ذلك القوى حتى وهو محلول - أعنى أن هؤلاء وأولئك جميعاً سينتبهون إلى الشيطان فى قوة، وسيكابدون شروره فى صبر وإحتمال، ولو أنه سيصنع حيلاً، وسيعرض قوته بصورة لم تعرف من قبل. وهكذا سيختطفون منه مع أنه محلول. ومع ذلك فإن آية الإنجيل سوف لا تبطل «من يستطيع أن يدخل بيت القوى لينهب أمتعته إن لم يربط القوى أولاً؟» لأنه طبقاً لهذا النص الصحيح، سيحفظ هذا الترتيب - القوى يربط أولاً، ثم تنهب أمتعته. إذ الكنيسة تنمو بالضعفاء والأقوياء من جميع الأمم البعيدة والقريبة، حتى أنها بإيمانها الوطيد بالنبوءات الإلهية وإتمامها ستكون قادرة على أن تنهب أمتعة الشيطان حتى وهو محلول. لأنه لما كان ينبغى أن نعترف بأنه «لكثرة الإثم تبرد محبة الكثيرين» (٣). وأن أولئك الذين لم يكتبوا فى سفر الحياة، سيستسلم عدد كبير منهم لإضطهادات عنيفة لم يسبق لها مثيل، ولمناورات الشيطان الذى يكون حينئذ محلول، فإننا لا نستطيع إلا أن نفكر فى أنه ليس فقط أولئك الذين سيكونون أصحاء فى الإيمان فى ذلك الوقت، بل وأيضاً بعض الناس الذين يكونون حتى ذلك الوقت خارج الإيمان، هؤلاء وأولئك سيصبحون ثابتين فى الإيمان الذى كانوا إلى ذلك الوقت يرفضونه، (وسيصبحون) أقوياء لينتصروا على الشيطان حتى وهو محلول، لأن معونة الله ستسندهم ليفهموا الكتاب المقدس الذى أنبىء فيه، من بين أمور أخرى، عن تلك النهاية عينها التى هم أنفسهم سيرونها صائرة. فإذا كان الأمر سيصير

---

(١) مت ١٢: ٢٩.   (٢) ١. يو ٢: ١٩   (٣) مت ٢٤: ١٢

santamariaegypt.org
على هذا النحو، ترتب عليه أن يكون الكلام أولاً عن ربط الشيطان، يتبع ذلك سلبه (نهبه) مربوطاً أو محلولاً، لأنه عن هذا قيل: «من يستطيع أن يدخل بيت القوى لينهب أمتعته، إن لم يربط القوى أولاً؟» .

٩ - ما هو حكم القديسين مع المسيح لمدة ألف سنة، وكيف يختلف عن المملكة الأبدية:

وبينما يكون الشيطان مقيداً بحكم القديسون مع المسيح، مدة الألف سنة نفسها مفهومة على نفس النحو أى منذ وقت مجيئه الأول (أى بين مجيئه الأول ومجيئه الثانى) فإنه إذا لم ندخل فى حسابنا الملكوت الذى سيتكلم عنه الرب فى نهاية العالم «تعالوا يا مباركى أبى رثوا الملكوت المعد لكم» (١) لا يمكن أن تسمى الكنيسة الآن ملكوت الله، أو ملكوت السموات إلا إذا كان قديسوه يحكمون إلى الآن معه، ولو بطريقة أخرى مختلفة فإنه يقول لقديسيه، ها أنا معكم كل الأيام إلى إنقضاء الدهر» (٢) حقاً أنه فى هذا الدهر الحاضر الكاتب المتعلم فى ملكوت الله، والذى تكلمنا عنه سابقاً، يخرج من كنزه جدداً وعتقاء. ومن الكنيسة سوف يجمع أولئك الحصادون الزوان الذى سمح الرب أن ينمو مع الحنطة إلى يوم الحصاد كما يوضح الرب فى كلماته «الحصاد هو إنقضاء العالم، والحصادون هم الملائكة. فكما يجمع الزوان ويحرق بالنار هكذا يكون فى إنقضاء هذا العالم يرسل إبن الإنسان ملائكته فيجمعون من ملكوته جميع المعاثر وفاعلى الإثم» (٣). أفهل يعنى ذلك الملكوت الذى ليس فيه معاثر وفاعلوا إثم؟ لابد إذن إنهم يجمعون من ملكوته الحاضر، أعنى الكنيسة. ولذلك يقول «فمن نقض إحدى هذه الوصايا الصغرى وعلم الناس هكذا يدعى أصغر فى ملكوت السموات» (٤) فهو يتكلم عن الإثنين وأنهما موجودان فى ملكوت السموات، الرجل الذى لا يعمل بالوصايا التى يعلم بها، فإن كلمة «نقض تعنى أنه لا يحتفظ ولا ينفذ - وكذلك الرجل الذى يعمل ويعلم بما عمل ولكنه يدعو الواحد «أصغر» ويدعو الآخر «عظيماً» ثم يضيف بعد ذلك مباشرة «فإنى أقول لكم أنه إن لم يزد بركم على الكتبة والفريسين لن تدخلوا ملكوت السموات» ، أعنى بر أولئك الذين ينقضون ما يعلّمون به، لأنه يقول عن الكتبة والفريسين فى موضع آخر «أنهم يقولون ولا يفعلون» (٥) - إن لم يزد بركم على برهم أى لا تنقضون بل بالحرى تعملون بما تعلّمون به، فلن تدخلوا ملكوت السموات» (٦). وعلى ذلك يجب أن نفهم بمعنى واحد ملكوت السموات التى يوجد فيها من ينقض ما يعلّم به ومن يعمل بما يعلّم به، الأول يدعى أصغر والآخر يدعى عظيماً، ولكن بمعنى آخر يجب أن نفهم ملكوت السموات التى لن يدخل فيها إلا من يعمل بما يعلّم به.

---

(١) متى ٢٥ : ٣٤ (٢) متى ٢٨ : ٢٠ (٣) متى ١٣ : ٣٩ - ٤١

(٤) متى ٥ : ١٩ (٥) متى٥ : ٢٠ (٦) متى ٢٣ : ٣

santamariaegypt.org

وبالتالى، فإذا وجد الفريقان ففى الكنيسة الحاضرة، أما الكنيسة كما ستكون فى المستقبل فسيكون فيها فريق واحد، لأنه لا شرير يكون فيها. وعلى ذلك فإن الكنيسة الآن هى مملكة المسيح وهى ملكوت السماوات. وتبعاً لذلك فإن قديسيه يملكون الآن معه ولو أن غيرهم سيملكون فى العالم الآخر. ومع ذلك، ولو أن الزوان ينمو فى الكنيسة مع الحنطة، لكنهم لا يملكون معه. فإن الذين يملكون معه هم الذين يصنعون ما يقوله الرسول «إذن إن كنتم قد قمتم مع المسيح فابتغوا ما هو فوق حيث المسيح جالس عن يمين الله. اهتموا بما هو فوق لا بما هو على الأرض». (كولوسى ٣: ١، ٢). وعن مثل هؤلاء الأشخاص يقول أيضاً أن سيرتهم هى فى السماوات (فيلبى ٣: ٢٠). وقصارى القول أن الذين يحكمون معه هم الذين فى مملكته كما أنهم هم أنفسهم مملكته. ولكن بأى معنى يكون أولئك مملكة المسيح وهم مع أنهم فيها إلى أن يجمع منها جميع المعاثر (وفاعلى الإثم) فى نهاية العالم، إلا أنهم يلتمسون ما هو لأنفسهم لا ما هو للمسيح (فيلبى ٢: ٢١).

وإذن فسفر الرؤيا يتحدث بتلك الكلمات التى اقتبسناها منذ قليل عن هذه المملكة المجاهدة التى لا يزال النزاع بينها وبين العدو قائماً، والحرب مع الشهوات متصلاً إلى أن تأتى إلى ذلك الملكوت حيث السلام فى أكمل صورة له، حيث سنحكم من دون أن يكون لنا فيه عدو، إن سفر الرؤيا يتكلم عن هذه القيادة الأولى فى الحياة الحاضرة فإنه بعد أن يقول أن الشيطان قد ربط مدة ألف عام وبعد ذلك يحل زماناً يسيراً، يمضى سفر الرؤيا فيعطى وصفاً مجملاً عما تفعله الكنيسة أو عما يصنع فى الكنيسة فى تلك الأيام وذلك بقوله «ورأيت عروشاً فجلسوا عليها وأوتوا الحكم» (رؤيا ٢٠: ٤) ولا يظن أنه بهذا يشير إلى الدينونة الأخيرة، وإنما يشير إلى عروش الحكام وإلى الحكام أنفسهم الذين يحكمون الكنيسة الآن. ونحن لا نجد تفسيراً لهذه الدينونة أفضل مما تدل عليه هذه الكلمات «ما تربطونه على الأرض يكون مربوطاً فى السموات، وما تحلونه على الأرض يكون محلولاً فى السماوات» (متى ١٨: ١٨). لذلك يقول الرسول «فإنه ماذا يعنينى أن أدين الذين فى الخارج. ألستم أنتم تدينون الذين فى الداخل» (١. كورنثوس ٥: ١٢) والنفوس (الأرواح) التى يقول عنها (القديس) يوحنا أنها نفوس الذين قتلوا لأجل شهادة يسوع ولأجل كلمة الله - يعنى بها ما عبر عنه بعد ذلك بأنهم ملكوا مع المسيح ألف سنة (رؤيا ٢٠: ٤) وأعنى بها نفوس الشهداء التى لم ترجع بعد إلى أجسادها لأن نفوس الأتقياء الذين ماتوا لم تنفصل عن الكنيسة التى هى الآن مملكة المسيح، وإلا فما كانوا يذكرون أمام مذبح الله عند تناول جسد المسيح، ولا كان يفيدنا الإلتجاء إلى معموديته عند خطر الموت حتى لا تنتقل من هذه الحياة بدونها، ولا تفيدنا المصالحة إذا كان بالتوبةأو بضمير فاسد يمكن أن ينفصل الواحد من جسد المسيح أو الكنيسة. لأنه لماذا تمارس هذه الأمور إذا لم يكن بسبب أن المؤمنين، حتى ولو ماتوا،

santamariaegypt.org
هم أعضاء جسد المسيح؟ ولذلك فإنه بينما تجرى هذه الألف سنة، فإن أرواح المؤمنين تملك مع المسيح حتى ولو لم تكن بعد متصلة بأبدانها. ولذلك فإننا نقرأ فى مكان آخر من نفس السفر «طوبى للأموات الذين يموتون فى الرب أنهم من الآن يقول الروح يستريحون من أتعابهم لأن أعمالهم تتبعهم» (رؤيا ١٤ : ١٣). وعلى ذلك فإن الكنيسة تبدأ فى ملكها مع المسيح الآن فى الأحياء والموتى. لأنه كما يقول الرسول «لأنه لهذا مات المسيح وقام وعاش لكى يسود على الأحياء والموتى» (رومية ١٤ : ٩) لكنه ذكر نفوس الشهداء فقط لأنهم وقد ناضلوا إلى الموت من أجل الحق هم الذين سيملكون أساساً بعد الموت، ولكننا نفهم أن هذه الكلمات التى قيلت عن هؤلاء تنطبق أيضاً على كل الذين ينتمون إلى الكنيسة، وهى مملكة المسيح.

وأما الكلمات التالية «والذين لم يسجدوا للوحش ولا لصورته ولم يتسموا بالسمة على جباههم ولا على أيديهم» (رؤيا ٢٠ : ٤) فينبغى أن نفهمها على أنها تنطبق على الأحياء وعلى الموتى. فما هو هذا الوحش. ومع أن الإجابة على هذا السؤال - تتطلب بحثاً أكثر تدقيقاً، ولكنه مما لا يتعارض مع الإيمان الحقيقى أن نفهم الوحش على أنه يرمز إلى المدينة الطالحة التى لا تؤمن بالله وإلى مجتمع غير المؤمنين فى مقابل المؤمنين ومدينة الله. وأما «صورته» فيبدو لى أن معناها الإدعاء فى أولئك الذين يصرحون أنهم مؤمنون ولكنهم يتصرفون كغير مؤمنين. لأنهم يتظاهرون بما ليسوا هم عليه فى الواقع، ويسمون مسيحيين لا من حيث المطابقة الحقيقية للحياة المسيحية، ولكنه لهم صورة خادعة للمسيحية. فإنه ينتمى إلى هذا الوحش ليس فقط الأعداء الذين يجاهرون بعدائهم لاسم المسيح ولمدينته، التى تفوق فى جلالها وبهائها كل جلال وبهاء، بل وأيضاً الزوان الذى يجب أن يجمع وينزع من مملكته، وهى الكنيسة، وذلك فى نهاية العالم. ثم من هم أولئك الذين لا يسجدون للوحش ولا لصورته، إذا لم يكونوا هم أولئك الذين يصنعون ما يقوله الرسول «لا تكونوا تحت نير مع غير المؤمنين» (٢ . كورنثوس ٦ : ١٤) لأن أمثال هؤلاء لا يسجدون ولا يقبلون ولا يخضعون ولا يتسمون بالسمة، وهى علامة الإثم على جباههم بإعترافهم، أو على أيديهم بممارستهم له، فهؤلاء إذن، الأطهار من هذه النجاسات، سواء منهم الذين لا يزالون أحياء فى هذا الجسد الفانى أو الذين ماتوا، يملكون الآن مع المسيح فى خلال هذه الفترة كلها التى أشير إليها بالألف سنة، فى صورة تتناسب مع هذا الوقت.

ثم يقول «فأما باقى الأموات فلم يحيوا» (رؤيا ٢٠ : ٤) لأنه الآن هى الساعة التى فيها يسمع الأموات صوت ابن الله، والذين يسمعون يحيون، وأما الباقون فسوف لا يحيون. ثم أن الكلمات المضافة بعد ذلك «إلى تمام الألف سنة» تعنى أنهم لم يحيوا فى الزمن الذى كان يجب أن يحيوا فيه بإنتقالهم من الموت إلى الحياة. ولذلك عندما يأتى اليوم الذى تقوم فيه الأجساد، فسيخرجون من قبورهم، لا إلى الحياة بل إلى الدينونة أى إلى الهلاك، وهو ما يسمى بالموت الثانى. فإن كل

santamariaegypt.org
من لا يحيا إلى تمام الألف سنة أى أثناء الفترة كلها التى تجرى فيها القيامة الأولى - كل من لم يسمع صوت ابن الله وينتقل من الموت إلى الحياة - فإن ذلك الانسان لابد فى القيامة الثانية وهى قيامة الأجساد، لابد أن ينتقل بجسده إلى الموت الثانى. فإنه يمضى فى القول «هذه هى القيامة الأولى. سعيد (مبارك) ومقدس من له نصيب فى القيامة الأولى» (رؤيا ٢٠ : ٥، ٦) أو من يختبرها والذى يختبرها هو فقط الذى يحيا من موت الخطيئة بل ويثبت فى هذه الحياة المتجددة . ثم يقول «هؤلاء ليس للموت الثانى سلطان عليهم» (رؤيا ٢٠ : ٦) ولذلك فإن له سلطاناً على الباقين الذين قال عنهم قبل ذلك «فأما باقى الأموات فلم يحيوا إلى تمام الألف سنة» (رؤيا ٢٠ : ٥) لأنه فى هذه الفترة المتوسطة التى تسمى بالألف سنة، مهما عاشوا فى شهوات الجسد فإنهم لم تدب فيهم الحياة من ذلك الموت الذى أمسكه فيه شرهم، حتى أنه بفضل هذه الحياة المتجددة أصبحوا مشتركين فى القيامة الأولى، ولذلك فإنه لا يكون للموت الثانى سلطان عليهم.

١٠ - بماذا يرد على أولئك الذين يظنون أن القيامة تختص بالأجساد دون الأرواح:

وهناك قوم يرتأون أن القيامة يمكن أن تنسب إلى الجسم فقط، ولذلك فإنهم يذهبون إلى أن القيامة الأولى (التى يتكلم عنها سفر الرؤيا) هى قيامة جسدانية. إذ يقولون أن عبارة «يقوم» لا تقال إلا عن الأشياء التى تسقط. ولما كانت الأجساد تسقط بالموت(١) . وعلى هذا فليس يمكن أن تكون ثمت قيامة للأرواح بل للأجسام. ولكن ماذا يقولون للرسول الذى يتكلم عن قيامة للأرواح؟. لأنه لابد أن يكونوا قد قاموا فى الإنسان الباطن لا فى الإنسان الخارجى أولئك الذين يقول لهم: «فإن كنتم قد قمتم مع المسيح فأطلبوا ما فوق»(٢) . كما يعبر فى موضع آخر عن نفس المعنى بعبارة أخرى قائلاً «حتى أننا كما أقيم المسيح من بين الأموات بمجد الآب كذلك نسلك نحن أيضاً فى جدة الحياة»(٣) . وكذلك أيضاً «استيقظ أيها النائم وقم من بين الأموات فيضىء لك المسيح» (٤) .

---

(١) وكما يلاحظ أوغسطينوس، أن الأجسام تسمى لهذا السبب Cadavera وهى من Cadere بمعنى «يسقط».

(٢) كولوسى ٣ : ١

(٣) رومية ٦ : ٤

(٤) أفسس ٥ : ١٤

santamariaegypt.org

المراجع

١ - فى الفلسفة اليونانية

أولاً: مراجع عربية:

تاريخ الفلسفة اليونانية، للأستاذ يوسف كرم، القاهرة ١٩٤٦

دروس فى تاريخ الفلسفة، للأستاذ يوسف كرم، القاهرة ١٩٤٦

قصة الفلسفة اليونانية، للأستاذين أحمد أمين وزكى نجيب محمود، القاهرة ١٩٣٥

ثانياً : مراجع أجنبية :

أ - إنجليزية

ADAMSON, R., (ed. Sorley and Hardie). The Development of Greek Philosophy. London 1908.

BENN, A. W., The Greek Philosophers. London, 1914.

BURNET, JOHN. Greek Philosophy, Part I. Thales to Plato 1927. Macmillan. (This Scholarly work is indispensable to the student)

توفى المؤلف قبل أن يصدر باقى الكتاب.

ERDMANN, J. E. A History of Philosophy, Vol. l. Swan Sonnenschein 1910.

GOMPERZ, TH. . Greek Thinkers. 4 vols. (Trs. L. Magnus.) John Murray. 1901-1905.

RADHAKR ISHNAN, History of philosophy Eastern and Western, vol. ii. London, 1953.

RUSSELL (Bertrand), History of western philosophy, London 1946.

ROBIN, (L.), . Greek Thought and the Origins of the Scientific Spirit. London, 1928.

STACE (W.T.) , A Critical History of Greek Philosophy. Macmillan, 1920.

STOCKL (A.), A Handbook of the History of Philosphy, Part. i.

santamariaegypt.org

Pre-Scholastic Philosophy. Trs. by T. A. Finlay, S. J. Dublin 1887.

ZELLER (ED.), The Philosophy of the Greeks in its historical Development, 1877-1897, 6 vols.

Outlines of the History of Greek Philosophy 13 ed. Kegan Paul, 1931. (Revised by W. Nestle, translated by L. R. Palmer).

ب - مراجع فرنسية :

BREHIER (E.), Histore de la philosophie, Tome I, Paris, 1943.

ROBIN (L.), La Pensée grecque et les origines de l'esprit Scientifique. Paris, 1923.

WERNER (C.), La Philosophie grecque. Paris, Payot, 1938.

GOMPERZ (TH.), LES Penseurs de la Grèce, 1908-1909, 3 vols.

جـ - مراجع إيطالية وألمانية:

RUGGIERO, G. DE.) La filosofia greca. 2 vols. Bari, 1917. (writes from the view-point of an Italian Neo-Hegelian).

STENZEL, (J.), Metaphysik des Altertums. Berlin, oldenbourg, 1929. (Particularly Valuable for the treat-ment of Plato).

UEBERWEG-PRAECHTER, Die Philosophie des Altertums. Berlin, Mittler, 1926.

santamariaegypt.org

أولاً: مراجع إنجليزية:

ARNOLD, (E.V), Roman Stoicism. 1911.

BEVAN (E.E), Stoics and Sceptics. O.U.P., 1913.

CAPES (W.W.), Stoicism. S.P.C.K., 1880.

DILL (SIR S.), Roman Society from Nero to Marcus Aurelius. Macmillan, 1905.

HICKS, (R.D.), Stoic and Epicurean. Longmans, 1910

MARCUS AURELIUS, The Meditations of the Emperor Marcus Aurelius. Edited with Translation and Commentary by A. S. L. Farquharson 2 vols., O.U.P. 1944.

ZELLER, (E.), The Stoics, Epicureans and Sceptics. Longmans, 1870. (Translated by O.J.Reichel.)

ثانيا : مراجع فرنسية:

BREHIER (E.), Chrysippe, 1910.

RODIER (G.), Etudes de philosophie grecque, 1926: Histoire extérieure et interieure du Stoicisme, pp. 219-269; La cohérence de la morale stoicienne, pp. 270-308.

BROCHARD (V.), Etudes de philosophie ancienne et moderne, 1912: La Logique des stoiciens, pp. 221-281.

HAMELIN (O.), Sur la logique des Stoiciens, Année Philosophique 1902, p. 23 sqq.

santamariaegypt org

٣ - فى فلسفة فيلـــون

BREHIER (E.), Philon d'Alexandrie, Paris 1908. Les idées Philosophiques et religieuses de Philon d'Alexandrie, 2e éd., 1924.

PHILON , Allégories des Saintes Lois, édit. et traduit par E. Bréhie, 1908.

santamariaegypt.org

٤ - فى الفيلسوف أثيناغوراس

أولا : المراجع العربية :

+ كتاب الخريدة النفيسة فى تاريخ الكنيسة، تأليف الأسقف إيسيذوروس (الجزء الأول).

+ كتاب مختصر تاريخ الأمة القبطية فى عصرى الوثنية والمسيحية (واضعة سليم سليمان، المطبعة المصرية الأهلية بالقاهرة سنة ١٩١٤ - الجزء الأول).

+ كتاب تاريخ الأمة القبطية. تأليف السيدة أ. ل. بتشر الإنجليزية (المجلد الأول، الفصل ٦).

+ كتاب تاريخ الأمة القبطية. للشماس منسى القمص.

+ كتاب تاريخ الكنيسة لموسهيم - القديمة والحديثة - بيروت سنة ١٨٧٥.

+ تاريخ الفلسفة اليونانية. تأليف يوسف كرم. القاهرة سنة ١٩٤٦. (الباب السادس).

ثانيا : مراجع أجنبية :

- CHARLES BIGG,

The Christian Platonists of Alexandria 1913.

- The Encyclopaedia Britanica. Vol XX, llth. Edition.
- Murray's Dictionary of Christian Biography & Literature.
- MATTER, Histoire de l'Ecole d'alexandrie, Tome 1, Paris 1840.
- Essai Historique sur 1'Ecole Alexandrie, Tome 1, 1820.
- Dictionaire de Theologie Catholique, Tome 1.
- Hefele, Beitrage zur kirchengesch, 1884, 1.p. 460 - 81
- Tubingue, 1864, Lehre des Athenagoras und analyse seiner Schriften, t. 1, p. 60 - 68.
- SCHUBRING, Die Philosophie des Athenagoras, Berlin, 1882.
- A. JOANNIDES 1883.
- LEHMANN, Die Auferstchungslehre des Athenagoras, Leipsig, 1890.
- DUCHENSENE, Les origines chrétiennes, lithographie.
- A. HARNACK, Die Chronologie., Leipsig, l, De Athenagoras Scriptis et Vita.

santamariaegypt.org

- A. HARNACK. GESOH. DER ALTCHR. LILitt. Litt. pp. 526-558. and similar works by G. BARDENHEWER and A. EHRHARD, HERZOG HAUCK, Realoencyk.

- CLARISSE, Comm. in Athen.

- MOHLER, Patrol.

- J. DONALDSON. Hist. Christ. Lit.

- G. KRUGER. Early Christ. Lit, P. 130 (where additional Literature is cited).

- FESTUGIERE A., L'idial rellgieux des Grece et l'evangile, 1932.

- LEBRETON J., Histoire du dogme de la trinite, 2 vol 1927.

- PUECH A., Les apologistes grees du lle sieole, 1912.

- FREPPEL (Mgr), Iles apologistes chrétiens due lle siecle, 2 Vol. 1859 - 60.

- LAGRANGE, Saint Justin, 1914.

- GILBER MURRAY., Stoic. Christian and Humanist. 1946.

- MACKENZIE (John Morell), Athenagoras in Dictionary of Greek and Roman Biography and Mythology.

- T.A. CLARISSE, Commentatio de Athenagorae Vita et scriptis, Lugd. Batav. 1819.

- POLYCARP LEYSER, Dissert atio de Athenagora, Lips. 1736.

- CHEVALIER, Répertoire, Biogoibliographie, p. 184, 2430.

- RICHARDSON, Bibliog. Sunopsis, P. 37, 38.

- G. BARDENHEWER, Les Peres de l'Eglise, trad. France. Paris 1898, t.l,p. 177 - 182.

- L. Arnould, De Apologia Athenagorae, Paris, 1890.

- A. EHRHARD, Die Altchrist, Litteratur, Tribourgeen - Brisgau, 1900, p. 243 - 245.

- BARDENHEWER, Geschichte der Altkirchl. Litterature, Fribourgen Brisgau, 1902, t. l., p. 267 - 278.

santamariaegypt.org

- VIOGTLANDER, Im Beweis des Glaubens, 1, 1872.

- History of the Christian Church, A.D. 1-600, by The Late Dr. Wilhelm Moeller, Translated from the German by Andrew Rutherfurd, B.D. London 1902.

- A History of the Christian Church during the first six centuries, by S. Cheetham, London 1905.

الطبعات :

- A good edition of Athenagoras is that of Otto. (J. C. TH. Eg. de Otto, Corpus Apol. Christ. Saec. II Vol VLL, Jena, 1857). Its text is based on the three earliast Mss. (Viz. the Cod. Paris. Cdli., God. Paris CIXXIV., and God. Argentoratensis), with which the test have been collated, some for the first time.

- The most recent edition is by E. Schwartz in Texte und Untersuchungen, Zur Gesch. der Altherist. Lit..., Leipsig, 1891 t. IV, fase. 2.

- Dechair, Oxford, 1706.

- MARAN, dans P. G., t. VI. Col. 889 - 1024.

- MARCH ET OWEN, dans Douglas series of Christ. greek and latin writers, New York, 1866, t. IV.

- GOODSPEED (EDGAR.) Athenagoras, Supplicatio pro Christianis, Gottingen 1914,

(Die. Altesten Apologeten, texte mit Kurzen Einletugen).

- HUMPHREYS, (London, 1714).

- B. P. PRATTEN, Ante-Nicene Christian Fathers, Edinburgh 1867 (and 1909).

- BEEK (J. VAN), Athenagoras' Geschrift De Resurrectione Mortuorum. (German translation, Leiden 1908).

santamariaegypt.org

٥ - فى اكليمنضس الأسكندرى

أولاً : مراجع فرنسية

أ - عن الفيلسوف

Bardy, (G.), Clêment d'Alexandrie, 1926.

Cognat, Clêment d'Alexandrie.

Deiber (A.) Clêment d'Alexandrie et l' Egypte, Paris, 1905.

Duchesne (L.), Histoire ancienne de l' Eglise, Paris 1906, t. I.p. 332 - 340.

Faye (E.de), Clement d' Alexandrie, 2 éd. , 1906 - De L'originalité de la philosophie religieuse de clement d'Alexandrie, 1919,

Faye (Eugéne de), Clément d' Alexandrie, étude sur le rapport du christianisme et de la philosphie grecque au lle siécle, Paris, 1906.

Treppal (Mgr.) , Les apologistes ohrétiens du lle siécle, 2 vol. 1859 - 60.

Hering (Jean), Etude sur la doctrine de la chute et de la préese istence des ames chez clement d'Alexandrie, Paris 1923 (Bibliotheque de l'ecole des Hautes Etudes, Sciences religieuses 38 eme vol.) C. Houloir, comment clement d'Alexandrie a connu les mystéress d' Eleusis ?

Matter (J.) , Histoire de l' Ecole d' Alexandrie, vol. 3 Paris 1848.

Matter (J.) , Essai historique sur l' Ecole d'Alexandrie, Paris 1820 , 2 vols.

Puech (A.) , Les apologistes grecs du ll siécle. 1912.

Tixeront, Histoire des dogmes, Paris, 1905 , p. 46 - 60.

Abble Freppel. Clément d' Alexandrie, cours a la Sorbonne Paris 1866.

Dictionnaire de Théologie Catholique, Tome 3 , Premier Partie, Paris 1923.

santamariaegypt org

٢ ـ نصوص للفيلسوف

Clément d' Alexandrie, le Protreptique, texte grec, introduction, traduction et notes de Claude Mondésert s.j. deuxieme édition. Paris. 1949, (Sources chrétiennes, 2).

Clément d'Alexandrie, Extraits de Théodote, texte grec, introduction, traduction et notes de F. Sagnard, O. P. , Paris 1948, (Sources chrétiennes 23).

Clément d' Alexandrie, les Stromates, stromate l, texte grec. Introduction de Mondésert (claude), traduction et notes de Caster (Marcel), Paris 1951, (Sources chretiennes).

ثانياً : مراجع إنجليزية

١ ـ عن الفيلسوف

- Barnard (P. Mordaunt), the Biblical texts of Clement of Alexandria in the four Gospels and the Acts of the Apostlea, colleoted and edited, London 1899, (Texts and studies vol. 5 No. 5.)
- Bigg (Charles), the christian Platonists of Alexandria, Oxford 1886,
- Butcher, (E.L), the story of the church of Egypt, vol. I, London 1897.
- Butterworth (G. W.) , Clement of Alexandria and Plato, Cambridge 1917 (Falernian Grapes).
- Cheetham (S.) , A History of the christian church during the first six centuries, London 1905.
- Davidson (Samuel), "Clemens Alexandrinus". Dictionary of Greek and Roman Biography and Mythology.
- Davidson (S.), Sacred Hermeneutics, Edinb. 1843, 8 vo.
- Eusebius, the ecclesiastical History and the martyrs of Palestine, 2 vol.
- Gieseler , "Text book of Ecclesiastical history" translated by Cunningham, Philadelph. 1836, 3 vols. 8 vo. vol. i. ,

santamariaegypt.org

- F. J. A. Hort, six lectures on the Ante-Nicene Fathers , London 1895.

- Kaye (John) , some account of the writings and opinions of Clement of Alexandria, London, 1835,

- Mansel, The Gnostic Heresies.

- Moeller, (W.) History of the Christian Church, translated from the German by Andrew Rutherfurd.

- Osborn, E. F. , The Philosophy of Clement of Alexandria, 1957 (206 p.)

- Patrick (John) Clement of Alexandria, London. 1914.

- S. P. C. K, Fathers for English Readers.

- The Church quarterly review, London 1904,t. p. 348-371, Clemens of Alexandria.

- Tollinton (R.B.) , Clement of Alexandria, 2 vol. , London 1914,

- Westcott, (B.F.) , Clemen. of Alxandria, in Murray'a Dictionary of christian Biography,

- Witt (R. E.) The Hellenism of Clement of Alexandria, 1931 (Glass. Quarterly xxv, 1931), p. 195-204.

- Witt (R. E.) , Clemens Alexandrinus. (The Encyclopaedia Britanica, vol. vi.

ثالثاً : مراجع ألمانية

١ - عن الفيلسوف

Anrich (G.) , Clemens und Origenes als Begrunder der Lehre vom Fegfeuer Leipsig 1902 (Theologische Abhandlungen) p. 95 - 120.

Bardenhewer, Geshichte der altkirchlichen Literatur, Fribourg - en Brisgau, 1903 :

Baur, Die christliche Gnosis, Tubing, 1835 , 8 vo.

saptamariaegypt.org

Raur , Allgemeine Gesch. der christ Religion und kirche, 1.3, Hamburg, 1827 , 8 vo.

Bousset (W.) , Clemens von Alexand., Gottingen 1915 (Forschungen zur Religion und litteratur des alten und neuen Testaments, 23)

Capitaine, Die Moral des Clemens von Alexandrien, Paderborn 1903.

Eylert (F.), Clemens als Philosoph and Dichter.

Guerike , Handbuch der kirchengeschichte, funfte Auflage, 2 vols. Halle , 1843, 8 vo.

Harnack, Die chronologie der altchristlichen Litteratur, t. ll, p. 2 - 7 - 16 .....

Harnack , Dogmengeschichte,

Kruger, Geschichte der altchristlichen Literatur in den ersten Jahrhmndert-en, 2 em edit., Fribourg - en Brisgau et Leipzig, 1895. p. 100 - 107.

Munck (Johannes), Untersuchungen uber Clemens von Alxandria, Stuttgart 1933.

Stahlin (Otto), Clemens Alexandrinus und die Septuaginta, Nurnberg 1901.

Stahlin (Otto), zur handschriftlichen Uberlieferung des Clemens Alexandrinus, Gesicherte Citate. Leipzig 1901 (Texte und Untersua Chungen Zur Geschichte der atchristlichen Literatur, N. F. 5) p. 85-127.

Winter., Die Ethik des Clemens von Alexandeien, leibzig 1882, Zahn (Theodor), Supplementum Clementinum, 1884 (Forschungen zur Geschichte des neutesamentlichen kanons und der altkirchlichen Literatur, 111. Theil).

٢ – نصوص للفيلسوف ـ ألمانية

Clemens Alexandri., Protepticus & Paedagogas, stromata Buch il-vi, Strom-ata Buch vii und viii, Excerpts ex Theodoto, Eclogae Propheticae, Quis dives salvetur, Fragmente, Leipzig 1905, 1906, 1909 (Die griechis chen christlichen Schriftsteller der ersten drei Jahrhunderte).

santamariaegypt org

رابعاً : مراجع باللاتينية

١ ـ عن الفيلسوف

1 - Cave, Apostolici,

2 - Cave , Historia literaria, lond. 1688, fol.

3 - Dahne , De γνώσει clementis Alex. Hal. 1831

4 - Guerike (H. E. F.), Comment. Histor. et Theolog.de Schola, quae Alexandriae floruit, Catechetice, Halae, 1824 - 25 ; 8 vo.,

5 - Hagen (O. van der), De Clementis Alexandrini sententiis Oeconomicis, Socialibus, Politicis , 1920.

6 - Mai (A.), Incipit Histeoria chronica, quam etiam pari Modo explanaverunt clemens, Romae 1845 (spicilegium Romanum, vol.9). P. 120 - 140.

7 - Neander, De Fidei Gnoseosque Ideae, que ad se invicem atque ad philosophiam referatur ratione secundum mentem a Clementis Alex., Heidelb. 1811, 8 vo.

8 - Nourry Apparatus ad Bibl. maxim. Patrum, Paris, 1703, fol. lib. iii;

9 - P.H. de Groot, De clem. Alexander. Disp. Groning. 1826, 8 vo.

10 - Schluter, Clemens Alexandrinus quid de libris sacris novi testamenti, Coesfield 1867.

11 - Wendland (P.) , Qmestiones tmusomianos. De Musonio Stoico, cbementis Alex. aliorumque auctore, Berlin, 1886.

santamariaegypt org

Clementis Alexandrini Presbyteri Omnia Opera, Paris, 1612.

Clementis Alexandrini Opera Omnia, Paris 1572.

خامساً : مراجع بالإيطالية

Clemens Alexandri., Un Frammento delle Ipotiposi di Clemente Alexandrino ed. Mercati (G.). Roma 1904 (studi e Testi 12.1).

٢ – نصوص للفيلسوف

Clement of Alexandria, The writings of Clement of Alexandria, translated by the Rev. William wilson, Edinburgh, 1909, 2 vol. (Ante Nicene Christian library vol. IV)

Clement of Alexandria, Miscellanies Book vii (Seventh Book of the stromateis), London, 1905, Greek text with introduction, notes.. by Hort (F. J. A.) & May or (J.B.)

Clement of Alexandria, The Exhortation to the Greeks, The rich man's salvation, and the fragment of an address entiiled, To the Newly Baptized., text with an English transtation by G. W. Butterworth London, 1953, (The Loeb Classical Library, N. 92.).

Clement of Alexandria, Quis Dives Salvetur, reedited with an introduction on the Mss. of Clement works by . P. Mordaunt Barnard, Cambridge 1897, (Texts and studies, vol. 5 No. 2).

Clement of Alexandria, small books on great subjects, edited by a few well wishers to knowledwg, London 1844 (Christian Doctrine and Practice in the second century, 1844,

Clement of Alexandria, The Excerpta ex Theodoto of Clement of Alexandria, edited with transtation, introduction and notes by casey (Robert

santamariaegypt.org

Pierce), London 1934 (studies and Documents edited by kirsopp Lake & Silva lake).

Clement of Alexandria, Hymn to Christ, transtated into English Verse, London 1876. by Chatifield (Allen. w.) (Songs and Hymns of earliest Greek christian poets, bishops and others).

سادساً : مراجع بالعربية عن الفيلسوف

الأسقف ايسيذوروس، الخريدة النفيسة فى تاريخ الكنيسة الجزء الأول.

الآب بطرس البستانى، دائرة المعارف للبستانى، مجلد ٤ ص ١٥٧، ١٥٨.

مجلة عين شمس لأقلوديوس يوحنا لبيب، مجلد ٤ ص ٥٥ ومايليها.

سليم سليمان، مختصر تاريخ الأمة القبطية فى عصرى الوثنية والمسيحية الجزء الأول، القاهرة ١٩١٤م

لجنة التاريخ القبطى، تاريخ الأمة القبطية، خلاصة تاريخ المسيحية فى مصر.

يوحنا لورنس فان موسهيم، تاريخ الكنيسة المسيحية القديمة والحديثة.

يوسف كرم، دروس فى تاريخ الفلسفة ، القاهرة ١٩٤٦

يوسف كرم، تاريخ الفلسفة اليونانية، القاهرة ١٩٤٦. ص ٢٦٩ – ٢٧٣.

٦ - فى أوريجينوس

* Socrates, Ecclesiastical History.

* Sozomenus, Ecclesiastical History.

* Theodoret, Ecclesiastical History.

* The Oxford Dictionary Of The Christian Church, edited by F. L. Cross, Oxford, 1974.

* Eusebius, The Ecclesiastical History And The Martyrs of Palestine, Translated with Introduction and Notes, by Hugh Jackson Lawlor, John Ernest Leonard Oulton, 2 Volumes, London 1928.

* Charles Bigg, The Christian Platonists of Alexandria, Oxford, 1886.

* Rene Cadiou, La Jeunesse D'origene, Paris, 1935.

* Jean Danielou, Origène, Le Génie du Christianisme, Paris, 1948.

* J. Armitage Robinson, The Philocalia of Origen, Cambridge, 1893.

* Eugène de Faye, Esquisse de la Pensée D'origene, Paris, 1925.

* Eugène de Faye, Origène, sa Vie, son Oeuvre, sa Pensée, vol. ll, La Mbiance Philosophique, Paris, 1927.

* L'abbe Gustave Bardy, Origène, Paris, 1931.

* Jean Scherer, Entretien D'origène avec Hèraclide, Paris, 1960.

* Origène, Contre Celse, tome 1, 11, 111, Iv, (Source Chretiennes, No 132, 136, 147, 150) Paris, 1967, 1968, 1969, 1969.

* Henri Crouzel, Origène et La Connaissance Mystique, 1961.

* Hans urs Von Balthasar, Parole et Mystère Chez Origène, Paris, 1957.

يوسابيوس : تاريخ الكنيسة.

مختصر تاريخ الأمة القبطية فى عصرى الوثنية والمسيحية، لواضعه سليم سليمان ١٩١٤م

الخريدة النفيسة فى تاريخ الكنيسة - تأليف الأسقف ايسيذوروس - الجزء الأول

كتاب تاريخ الكنيسة القبطية تأليف منسى القمص.

قصة الكنيسة القبطية - ايريس حبيب المصرى الجزء الأول.

santamariaegypt org

فهرس الموضوعات

صفحة

مقدمة	٧
الفلسفة المسيحية الشرقية	٩
نظرة عامة إلى الفلسفة	١٠
رجال الدين والفلسفة	١٢
لماذا يدرس رجال الدين الفلسفة	١٦
الديانة المسيحية والمذاهب الفلسفية	٢٢
مدرسة الأسكندرية اللاهوتية	٢٨
مؤسس المدرسة ومديروها	٣١
منهج الدراسة وروحها	٤١
إكليريكية الأسكندرية فى عصر اضمحلالها	٤٥
الفلسفة المسيحية الغربية	٤٧
الفلسفة الرواقية	٧٣
فى تاريخ الفلسفة اليهودية	٩٣
الاشتراكية فى المسيحية	١٠٥
الفلسفة الوجودية	١١٩
الفيلسوف أثيناغوراس	١٢٧
مقدمة	١٢٨
الدفاع	١٦٢
الفيلسوف بنتينوس	٢١١
الفيلسوف اكليمنضس الأسكندرى	٢٢٣

santamariaegypt.org

من كتاب المربى ٢٣٥

من كتاب المتنوعات ٢٤١

الفيلسوف والعلامة أوريجينوس ٢٤٩

من كتاب المبادىء ٢٧١

هل من إنصاف للعلامة أوريجينوس ٢٧٦

الفيلسوف القديس اغسطينوس ٢٧٩

مدينة الله ٢٨٩

المراجع ٣٠٤

santamariaegypt.org

« حياة أنبا غريغوريوس تتلخص فى كلمتين « التكريس والعلم »..
كانت الإكليريكية هى جزء من حياته ، وكان العلم يشغل كل وقته..
كان الأنبا غريغوريوس يتميز بالشمولية فى العلم ....
كان أنبا غريغوريوس عالماً ، إذا كتب يستفيض في الكتابة حتى لاتعرف كم من المعلومات يقول ... كان كثير القراءة إلى حد بعيد ، وكان عميق الدراسة إلى حد بعيد.. له مئات من الآباء الكهنة كانوا أبناءه واستقوا العلم على يديه ، والذى لم يستق العلم على يديه استقاه من كتبه ومؤلفاته ، وله عشرات من الكتب فى كل فنون العلوم الكنسية ، ..كان أيضاً إنساناً وطنياً يحب بلاده ويحب مصر .

له معلومات كثيرة وكتب كثيرة فى الوطنية .. وعن سير القديسين ... هو موسوعة من المعلومات .

الأنبا غريغوريوس على الرغم من علمه الكبير جداً ، كان إنساناً بسيطاً يجمع بين البساطة فى النفسية والعمق فى العقلية ..هو مثل من الأمثلة التى لا تتكرر كثيراً فى العلم الكبير..»

قداسة البابا شنوده الثالث